مكة المصلوة

إلى

الأستاذ المحقق سماحة الحجة

محمود الدين بن شكار الجاجاوي

المجلد الثاني والعشرون

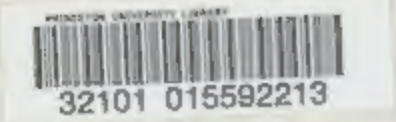
32101 015592213

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

Jūybārī

المجلد الثانی والخمسون

من کتاب

تفسیر البصائر

تألیف

یعسوب الدین رستگار الجویباری

حقوق الطبع والتقلید محفوظة

للمؤلف

ایران - قم

۱۴۰۳هـ ق = ۱۳۶۱هـ ش

(Arab)
BP130
.4
.J89
mujallad 52

سورة النازعات مكية وآياتها سبع وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ
سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ
وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾
قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ
إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾
ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَ
الْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ
سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ
مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 015592213

﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾
فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا
﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا
إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

﴿ فضلها و خواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن الحسين بن عمرو الرمّالي عن أبيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال ـ في حديث ـ : و من قرأ « والنازعات » لم يمت إلاّ ريّاناً ولم يبعثه الله إلاّ ريّاناً ، ولم يدخله الله الجنة إلاّ ريّاناً .

اقول : رواه الطبرسي في المجمع ، والبحراني في البرهان ، والحويزي في نور الثقلين ، والشيخ المحدث الحر العاملي في وسائل الشيعة ، والمجلسي في البحار .

و في مكارم الاخلاق للطبرسي رضوان الله تعالى عليه : من قرأ « والنازعات » لم يدخله الله الجنة إلاّ ريّان (رياناً ظ) ولايدركه في الدنيا شقاء أبداً .

اقول : وذلك ان من قرأها متدبراً فآمن واتقى ، و خاف مقام ربه ونهى نفسه عن الهوى فان الجنة هي مأواه ، وتفكر فيمن اتخذ سبيل الغيّ والشقاء ، فكذّب وطغى ، وفيما أخذه الله نكال الاخرة والاولى ، فاعتبر فلا يدركه الشقاء ، وهو لايموت إلاّ ريّاناً ، ولايبعثه الله جل وعلا إلاّ رياناً ، ولايدخله الجنة إلاّ رياناً .

قال الله تعالى : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » النازعات : ٤٠ ـ ٤١)

و قال : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ

تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون » فصلت : ٣٠ ـ ٣١)

وقال : «ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين» الحجر: ٤٥-٤٦)

و قال : « ان المتقين في جنات و نهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر » القمر : ٥٤ ـ ٥٥)

وقال : « ولمن خاف مقام ربه جنتان ـ فيهما عينان تجريان » الرحمن : ٤٦ ـ ٥٠)

وقال : « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين و أنهار من عسل مصفى » محمد ﷺ : ١٥)

وفي المجمع : عن النبي الكريم ﷺ قال: ومن قرأ سورة «والنازعات» لم يكن حبسه وحسابه يوم القيامة إلا كقدر صلاة مكتوبة حتى يدخل الجنة .

اقول : وذلك لمن قرأها وكان مؤمناً وعاملاً بصالح الاعمال ، وأوتي كتابه يوم القيامة بيمينه .

قال الله جل وعلا : « فأما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً » الانشقاق : ٧ ـ ٩)

وأما الطغاة والآثمون فيحاسبون يومئذ حساباً شديداً كما انهم يحاسبون في الدنيا كذلك .

قال الله تعالى : « و كأين من قرية عتت عن أمر ربها و رسله فحاسبناها حساباً شديداً» الطلاق: ٨) .

وقال : « والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب » الرعد : ١٨)

وقال : « وأما من اوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه » الحاقة : ٢٥ ـ ٢٦)

وفى البرهان : عن النبى ﷺ انه قال : من قرأ هذه السورة أمن من عذاب الله تعالى و سقاه الله من برد الشراب يوم القيامة ، ومن قرأها عند مواجهة أعدائه إنحرفوا عنه ، وسلم منهم ، ولم يضرّه .

وفيه : وقال رسول الله ﷺ : من أدمن قرائتها أمن من عذاب الله، وسقاه شربه يوم القيامة، ومن قرأها عند مواجهة أعدائه إنحرفوا عنه ، وسلّم من أذاهم.

وفيه : وقال الصادق عليه السلام : من قرأها وهو مواجه أعدائه لم يبصروه ، و انحرفوا عنه ، ومن قرأها وهو داخل على أحد يخافه نجى منه وأمن باذن الله تعالى.

اقول : ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما جاء فى الروايات الثلاث الاخيرة لمن أحرز شرائط التأثير والخواص . . . أهمها الايمان والتقوى وصالح الاعمال . . . فان الله تعالى لن يجعل لكافر على مؤمن سبيلاً .

قال الله تعالى : « ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الاعلون إن كنتم مؤمنين » آل عمران : ١٣٩)

وقال : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » النساء : ١٤١)

﴿ الفرض ﴾

غرض السورة توكيد ربانى بتحقيق يوم البعث للحساب والجزاء، وما يستولى فيه على الطغاة المكذبين، وإشارة المستكبرين من خوف وفزع وندم، وإشارة إلى بعض ظروفه ومشاهده، وأقوال الكفار عند وقوعه، فسوف ترجف الأرض مرة، تردفها رجفة أخرى حين حلول اليوم المعلوم، فسوف يستولى حينئذ الرعب والاضطراب على قلوب منكرى البعث وتخشع أبصارهم، وسوف يتساءل هؤلاء البغاة الفجرة عما إذا كان حقاً قد عادوا إلى الحياة مرة ثانية بعد أن كانوا عظاماً نابية، وهم يقولون: إن هذا إذا كان حقاً، فإنها لعودة خاسرة.

وفيها احتجاج على تحقق البعث لا محالة من طريق التدبر الربوبى فى الخلق، المنتج أن الناس سينقسمون يومئذ على طائفتين: طائفة من أصحاب النار والعذاب، وطائفة من أصحاب الجنة والنعيم لانقسامهم فى الحياة الدنيا على فريقين: فرقة طاغية وعبيد الدنيا، وفرقة خاضعة مطيعة لأمر الله تعالى، واستشهد على الأولين بفرعون الطاغى وأخبر به بما فى ذلك من عبرة لمن اعتبر، وتدليل على قدرة الله جل وعلا على البعث، والتنكيل بالكفار، وتهديد بهم لشكهم فى الآخرة.

وفيها تذكير برسالة موسى عليه السلام إلى فرعون وموقف فرعون، وبيان إنذارى بمصير الطغاة وعبيد الدنيا، وردّ عليهم، وإثارة الخوف فيهم، وحملهم على الأرعواء، وبيان تبشيرى بمصير الخائفين مقام ربهم، والمطيعين لله عز وجل.

وفى ختامها إشارة إلى سؤالهم النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عن وقت البعث وقيام الساعة والجواب عنه.

﴿النزول﴾

سورة «النازعات» مكية، نزلت بعد سورة «النبأ» وقبل سورة «الانفطار» وهي السورة الواحدة والثمانون نزولاً، والثامنة والسبعون مصحفاً، و تشتمل على ست وأربعين آية، سبقت عليها /٢٣٥٨ آية نزولاً، و ٥٧١٢ آية مصحفاً على التحقيق

و مشتملة على ١٧٠ كلمة، وقيل ١٩٧ كلمة، وقيل /١١٩ كلمة و على /٧٥٣ حرفاً وقيل /٧٣٠ حرفاً على مافي بعض التفاسير

ولهذه السورة ثلاثة أسماء: ١- سورة «النازعات» ٢- سورة «الساهرة» ٣- سورة «الطامة» ولكل وجه، ولكن المشهور هو الاول

في أسباب النزول للسيوطي أخرج سعيد بن منصور عن مجمد بن كعب قال لما نزل قوله «أئنا لمردودون في الحافرة» قال كفار قريش: لئن حبينا بعد الموت لنخسرن، فنزلت «قالوا تلك إذا كرة خاسرة»

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى «فأما من طغى» يقول علا وتكبّر وهو علقمة بن الحرث بن عبدالله بن قصي «وآثر الحياة الدنيا» وباع الآخرة بالدنيا «فان الجحيم هي المأوى» من كان هذا «وأما من خاف مقام ربه» يقول علي بن أبي طالب عليه السلام خاف مقام ربه بين يدي ربه وحسابه وقضاؤه بين العباد، «ونهى النفس عن الهوى» يعني عن المحارم التي يشتهيها النفس، فان الجنة هي مأواه

خاصة ، ومن كان هكذا عاماً

و في الدر المنثور عن إبن عباس قال : ان مشركي مكة سئلوا النبي ﷺ فقالوا : متى تقوم الساعة إستهزاء منهم ، فنزلت « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها » الآيات .

و في أسباب النزول للسيوطي : وأخرج الطبراني وابن جرير عن طارق بن شهاب قال كان رسول الله ﷺ يكثر ذكر الساعة حتى نزلت « فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها »

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمرو « والسابحات سبحاً والسابقات سبقاً » بالإدغام فيهما. وقرأ نافع « إنا لمردودون » بهمزة واحدة غير ممدودة، وهكذا في « إذا كنا » بغير إستفهام، وقرأ إبن عامر والكسائي « أإنا لمردودون » بهمزتين، وهكذا في « أإذا كنا » بالاستفهام.

وقرأ أبو عمرو « ناخرة » بالألف لشبه أواخر الآيات بعضها ببعض نحو « الحافرة » و « خاسرة »، وقرأ الباقون « نخرة » تخفيفاً، وقرأ الحجازيون والبصريون « طوى » بغير تنوين على التأنيث، وقرأ الباقون بالتنوين نحو ثنى على معنى المقدس مرة بعد مرة.

وقرأ نافع وأبو جعفر وإبن كثير « تزكى » بتشديد الزاء على إدغام التاء في الزاء لتقاربهما لأن أصلها تتزكى، والباقون « تزكى » بتخفيف الزاء على معنى طرح التاء تخفيفاً، وكل متفقون على أنه فعل مضارع من باب التفعل.

وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو « إنما أنت منذر » بالتنوين لأن « منذر » إسم فاعل للحال، ويدل عليه قوله تعالى « قل إنما أنذركم بالوحي » فليس المراد أنذر فيما استقبل، وإنما يقول أنذر في الحال، وإسم الفاعل على قياس الفعل. وقرأ الباقون بغير تنوين تخفيفاً كما حذف من قوله تعالى « فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم » ونحو ذلك مما جاء على لفظ الإضافة والمراد به الانفصال. ويجوز أن يكون « منذر » على نحو هذا ضارب زيداً أمس لأنه قد فعل الإنذار

﴿ الوقف والوصل ﴾

«عرقاً لا» و«نشطاً لا» و«سبحاً لا» و«سبقاً لا» للعطف بالواو والفاء و«أمراً م» لأن جواب القسم محذوف أي [illegible] «يوم» ظرف المدبرات وليس كذلك لأن تدبير الملائكة قد انقضى، فتبديل عامل «يوم» «يتبعها» و«الراجفة لا» للصفة الآتية، و«الرادفة ط» لتمام الكلام وإستئناف التالي، و«واجفة لا» للنعت التالي، و«خاشعة م» لتناهي وصف القيامة وإبتداء حكاية قولهم في الدنيا

«الحافرة ط» للاستفهام التالي، و«نخرة ط» لتمام الجملة، و«خاسرة م» لتناهي قولهم بالا [illegible] و«واحدة لا» لفاء النتيجة التالية، و«بالساهرة ط» لمكان الاستفهام، و«موسى م» لأن «إذ ناداه» يجوز أن يكون ظرفاً لا [illegible] من المحتمل أن يكون متعلقاً «حديث»

و«طوى ج» لاحتمال أن يكون «إذهب» مفعول «ناداه» لأنه في معنى القول، ومن المحتمل أن يكون مفعول القول محذوفاً، و«طغى ر» للآية مع إتفاق الجملتين [illegible] و«تزكى لا» للعطف، و«فتخشى ط» للآية وإنتهاء الاستفهام مع العطف لفاء التعقيب، و«الكبرى ر ى» لذلك إنما كان الوصل أوجه للفاء [illegible] المقصود، و«ى» علامة العشر توضع عند إنتهاء الآيات العشر

و«عصى ر» و«يسعى ر» و«فنادى ر» و«الأعلى ر» لما تقدم، و«الأولى ط» لتمام الكلام وإبتداء التالي، و«يخشى ط ع» لتبدل الكلام لفظاً ومعنى وإبتداء

الاستفهام و« ع» علامة إنتهاء الركوع وهو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن في عشرين و « أم السماء ط » بناء على أن الجملة لا تقع صفة للمعرفة ، وتقدير حذف الموصول من ضيق العطف فاعرفه ، و « بناها ف » للوصف و « فسواها » للعطف ، و « ضحيها س » علامة الوقف المرخص وهو الذي يرخص فيه الوقف للضرورة .

و « دحاها ط» بناء على أن ما بعده كالتفسير للدحو وهو تمهيدها لأجل السكنى ، ويجوز أن يكون « اخرج » حالاً باضمار قد فلا وقف و «مرعاها س » و « أرساها لا » للتعليل الآتي . و « لأنعامكم ط » لتمام الكلام . و « الكبرى » لأن « يوم » ظرف حادث . و عامل « إذا » مقدر فتقديره تذكر أو كان ما كان ، ويجوز أن يكون « يوم » مفعول « اذكر » وعامل « إذا » مقدر قبل « يوم » ومن المحتمل أن يكون الشرط والجزاء بالتمام وهو قوله تعالى « فأما من طغى » جواباً لقوله : « فإذا جاءت »

و « ما سعى لا » للعطف و « طغى لا » للعطف و « الدنيا لا » للجواب و « المأوى ط » لتمام الكلام و « الهوى لا » لمكان الجواب . و « المأوى ط » كالسابق و « مرساها ط » للاستفهام التالي و « ذكراها ط » لتمام السؤال و « منتهاها ط » لتمام الجواب . و « يخشاها ط » لتمام الكلام

﴿ اللغة ﴾

٢٧ - النزع - ١٥٠٢

نزعه ينزعه نزعاً - من باب ضرب - : جذبه واقتلعه وحوّله عن موضعه .

إنتزعه من مكانه : إقتلعه

ويقال : نزع الشيء من فلان : سلبه إياه

يأتي في الأعيان يقال نزعت الدلو : إذا أخرجتها . و يقال رحل ثقل عليه نزع العمامة أي قلعها

قال الله تعالى « ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما » الاعراف ٢٧٠) أي يقتلع ويسلب

وقال « ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين » الاعراف ١٠٨)أي أخرجها من جيبه

ويأتي في المعنى فيقال نزع الله الرحمة من قلب الظالم والجبّار

قال الله تعالى « ونزعنا ما في صدورهم من غل » الاعراف ٤٣) أي سللنا

وقال « ولئن أذقنا الانسان من رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور » هود : ٩)

و يقال في المبالغة نزّاع و نزّاعة قال تعالى « كلا انها لظى نزّاعة للشوى » المعارج : ١٦) أي جذّابة قلّاعة .

نازعه خاصمه و جادله و عاداه كأنه يجاذبه الحجة يقال . نازعني فلان .

بناله : صافح

قال تعالى « فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك » الحج ٦٧)

تنازع القوم في الأمر إختلفوا فيه وتنازعوا أمرهم : تجاذبوا الرأي فيه قال تعالى : « ولا تنازعوا فتفشلوا فتذهب ريحكم » الأنفال ٤٦) .

والتنازع التشاور قال الله تعالى : « فتنازعوا أمرهم بينهم » طه ٦٢ أي تشاوروا

وقال « وإن الساعة لاريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم » الكهف ٢١) أي يتشاورون

التنازع : التعاطي تنازعا الكأس تعاطيا هذا يعطي صاحبه الكأس ، يعطيه الآخر إياها كأنما يتجاذبانها في مودة وعلاقة وملاعبة

قال الله تعالى « يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم » الطور ٢٣) أي يتعاطون

النزاع من القبائل هم بعيدون عن أهلهم وعشيرتهم

قال رسول الله ﷺ « طوبى للغرباء قيل من هم يا رسول الله ؟ قال النزاع من القبائل »

موضع النزع من الرأس هو إنحسار الشعر من جانبي الجبهة وهما نزعتان

في المفردات نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده ، يستعمل ذلك في الأعراض ، ومنه نزع العداوة والمحبة من القلب

و في النهاية : أصل النزع الجذب والقلع ومنه نزع الميت روحه ، نزع القوس إذا جذبها

و في مجمع البحرين النزعة بالتحريك وهو أحد البياضين المكتنفين بالناصية وهما النزعتان

وفي اللسان : المنازعة - المجاذبة في [illegible]

والمنازعة في الخصومة : مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان .

٤٣ - النشط - ١٥١٨

نشط الشيء ينشطه نشطاً - من باب ضرب ونصر - جذبه ونزعه .

تقول : نشطت الدلو من البئر أخرجتها منها

ويقال : نشط الحيوان ينشط نشطاً - من باب ضرب - خرج من أرض إلى أرض أخرى

الناشط : الثور الوحشي الذي يخرج من أرض إلى أرض أخرى

وفسّرت [illegible] نشطاً بالملائكة الذين [illegible] ويجذبون الأنفس كما تجذب الدلو من البئر وهذا من المعنى الأول

وفسّرت أيضاً [illegible] الغزاة تخرج من دار الإسلام إلى دار [illegible] الجهاد وبالنجوم تخرج من برج إلى برج آخر كالثور الناشط وهذا من المعنى الثاني

نشط الحبل نشطاً : عقده . نشط من المكان : خرج . نشط من بلد إلى بلد أي قطع ونشط الدلو من البئر نزعها وأخرجها منه

ونشطت زيداً : طعنته في جنبه ونشطته الجنة أي لدغته وبسّته بأنيابها

نشط الرجل نشاطاً - من باب علم - طابت نفسه للعمل وغيره يقال : نشط إليه وفي عمله : خف وأسرع فهو ناشط ونشيط

وفي الدعاء [illegible] لهم [illegible] القوة والنشاط [illegible] بالفتح

ونشطت الدابة : سمنت ويقال : نشطت الإبل أي كانت ممنوعة من المرعى فأرسلتها ترعى

يقال : إنشط الحبل : حل عقده . انشط من عقال أي حل . يقال : للأحد بسرعة في أي عمل كان وللمريض إذا برأ وللمغشي عليه إذا أفاق وللمرسل في أمر يسرع فيه عزيمته

في المفردات : بئر أنشاط : قريبة القعر يخرج دلوها بجدبة واحدة
وفي اللسان النشاط : ضد الكسل يكون ذلك في الانسان والدابة

١٧ - الرجف - ٥٤٥

رجف يرجف رجفاً ورجفاناً ورجوفاً . من باب نصر . : تحرّك وإضطرب إضطراباً شديداً .

قال الله تعالى « يوم ترجف الارض والجبال » المزمل . ١٤)

الرجف : الاضطراب والرجفة : المرّة منه .

قال تعالى : « فاخذتهم الرجفة » الاعراف : ٧٨)

الراجفة : الواقعة التي تزلزل عندها الاجرام .

قال تعالى : « يوم ترجف الراجفة » النازعات : ٦)

أرجف الشيء : زلزله وحرّكه حركة شديدة . إرتجف : إرتعد

وأرجف إرجافاً : خاض في الفتنة . والأخبار السيئة فهو مرجف والمرجفون الذين يشيعون في الناس الاخبار السيئة ليوقعوهم في الاضطراب

قال الله تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم » الاحزاب : ٦٠)

ومنه : « إذا وقعت المخاويف كثرت الأراجيف »

الرّجاف : فعّال للمبالغة يقال . الرجاف أي بحر موّاج

في المفردات الارجاف : ايقاع الرجفة إما بالفعل وإما بالقول قال تعالى « والمرجفون في المدينة » ويقال : الاراجيف : ملاقيح الفتن

وفي النهاية - في الحديث : « أيها الناس اذكروا الله جائت الراجفة تتبعها الرادفة » الراجفة : النفخة الاولى التي يموت لها الخلائق ، والرادفة : النفخة

الثانية التي يحيون لها يوم القيامة .

وفي اللسان : رجف القلب إضطرب من الجزع . والراجف : الحشى المتحركة رجف الشجر يرجف : حركته الريح . و رجف القوم إذا تهيؤوا للحرب واسترجف رأسه : حركه .

وفي القاموس و ثرجه . رجف الشيء : حرك و تحرك لازم و متعد والرجاف إسم بحر سمي به لاضطرابه

٢٨ - الردف - ٥٥٦

ردف الرجل يردفه ردفاً . من باب علم و ردفه يردفه . من باب نصر ركب خلفه أو تبعه ولحقه

قال الله تعالى « قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون » (النمل ٧٢) أي سيكم ولحقكم وعدي باللام لتأكيد وصول الفعل إلى المفعول اولتضمين ردف معنى دنا

والرادفة الواقعة أو النفخة التي ترف وتتبع الأولى

قال تعالى « يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة » (النازعات ٧)

أردف الرجل ركب خلفه فهي بمعنى ردف و أردف الرجل أيضاً أركبه خلفه

إسم الفاعل مردف قال تعالى « فاستجاب لهم ربهم اني ممدكم بألف من الملائكة مردفين » (الانفال ٩) أي يأتون فرقة بعد فرقة متتابعين أو متقدمين مردفين وراءهم ملائكة آخرين وقيل متقدمين للعسكر يلقون الرعب في قلوب الاعداء

ترادفا . تعاونا و روح كل منهما صاحبه بمرأة من أهله

ترادفا: تتابعا وركب أحدهما خلف الآخر.

الردفان. الليل والنهار لأن كل واحد منهما يردف صاحبه ويتعقبه والترادف تتابع اللفظين أو الألفاظ معنى وكونها بمعنى واحد.

في المفردات - الردف التابع وردف المرأة عجيزتها والترادف التتابع. والرادف المتأخر والمردف المتقدم الذي أردف غيره

وفي مجمع البحرين الارتداف - الاستدبار يقال أتيتها فلاناً فارتدفه أي اخذناه من وراءه أخذاً. وصلاة مترادفة: متتابعة

و في اللسان: الردف ما تبع الشيء وكل شيء تبع شيئاً فهو ردفه وإذ تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف. و الجمع ردافى.

يقال: جاء القوم ردافى أي بعضهم يتبع بعضاً

١٤ - الوجف - ١٦٤٧

وجف يجف وجفاً ووجيفاً ووجوفاً - من باب ضرب -: إضطرب يقال: وجف القلب. خفق و إضطرب من الفزع والوصف واجف يقال - قلب واجف و قلوب واجفة

قال الله تعالى: «قلوب يومئذ واجفة» (النازعات ٨)

أوجف دابته من بعير أو فرس ونحوهما إيجافاً: حثها وحملها على الاسراع في السير وأصل ذلك أن يحملها على الوجف وهو الاضطراب وهو في الدابة من سرعة سيرها

قال الله تعالى: «فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب» (الحشر ٦)

أي ما عملتم ولا أسرعتم على تحصيله وتعبتم خيلا ولا ركاباً وإنما مشيتم إليه على أرجلكم فلم تحصلوا أموالهم بالعلف والقتال ولكن الله تعالى سلط رسوله عليهم وخوله أموالهم

إستوجف الحب فؤاده : ذهب به

في المفردات الوجيف سرعة السير وأوجفت البعير : أسرعته .

وفي النهاية : ومنه حديث علي رضي الله عنه « وأوجف الذكر بلسانه » أي حركه مسرعاً

وفي مجمع البحرين : الوجف . ضرب من سير الابل والخيل .

وفي تاج العروس : الوجيف كالوجيب السقوط من الخوف وقلب وجاف، شديد الخفقان

٥٥ - الحافرة - ٣٤٣

حفر الشيء يحفر حفراً . من باب ضرب . نقاه كما تحفر الارض بالحديدة

الحفرة : جزء من الارض نزع ترابه ، فانخفض

الحفير القبر والحفار ممثل من الحفر وغلب على من يحفر القبور والبئر

يقال للفرس الحفر لانه بشدة وطئه يحفر الارض أو الحفرة أرجله . هذا في الاعيان

وأما في المعاني فمنها قوله تعالى « وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » آل عمران : ١٠٣)

وفي الحديث « من حفر بئراً لاخيه المؤمن أوقعه الله فيه »

ويقال رجع فلان إلى حافرته أي عاد إلى حاله الاولى

قال الله تعالى « يقولون أإنا لمردودون في الحافرة » النازعات ١٠)

أي أنعود في الدنيا كما كنا أو في الخلق الاول أو إلى الحياة بعد الموت

ومنه قولهم « رجع على حافرته وفي حافرته » أي في طريقه التي جاء فيها .

رجع على حافرته يقال أيضاً لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد إليه .

وكانت سورة براءة تسمى الحافرة وذلك انها حفرت عن قلوب المؤمنين و

ذلك انه لما فرض القتال تبين المنافق من غيره ، ومن يوالي المؤمنين ممن يوالي أعدائهم.

و في القاموس وشرحه : و من المجاز حفر المرأة : جامعها تشبيها بحفر النهر .

وحفر الصبيّ سقطت له النبتتان العليان والسفليان للاثناء والارباع

٢١ - النخرة - ١٤٩٦

نخر العظم والشجر ينخر نخراً فهو نخر - من باب علم - : بلي وقل تماسك أجزائه من الندم حتى لو مس لتفتت

يقال : عظم نخر وعظام نخرات ونخرة .

قال الله تعالى « يقولون أإنا لمردودون في الحافرة أ إذا كنا عظاماً نخرة » النازعات : ١١)

ونخر الانسان والفرس والحمار ينخر نخراً . من باب نصر . مدّ الصوت والنفس في حياشيمه فهو ناخر

النخير الصوت بالأنف المحوار . بالكسر . الشريف والمتكبر وفي حديث العامد : « فنخر إبليس نخرة واحدة فاجتمع إليه جنوده » من النخير وهو صوت الأنف

ومنه حديث ابن عباس « لما خلق إبليس نخر » أي صوّت من حياشيمه كأنه نغمة حادت مضطربة

وقيل : الجبان . وقيل : الضعيف

المنخر والمنخور : الأنف . وقيل : ثقبه

في النهاية في الحديث « انه أحد منخرة الصبي » أي ثقبه

والنخرة - بالتحريك - مقدم الأنف والمنخران ثقبا الأنف

١٧ - الكرة - ١٢٩٠

كرّ على عدوّه يكرّ كرّاً - من باب نصر - حمل عليه قاصداً التغلب عليه.

قال الله تعالى « ثم رددنا لكم الكرة عليهم » الاسراء - ٦) أي الغلبة والسلطان كرّ الشيء رجع والكرّة المرّة من الكر

وكرّه وكرّ بنفسه يتعدى ولا يتعدى.

قال الله تعالى « وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرّة فنتبرأ منهم» البقرة ١٦٧) أي عودة ورجوعاً إلى الحياة الدنيا

الكرّة: الرجعة وهي المرّة والجمع كرّات.

قال تعالى « قالوا إذا كرّة خاسرة » النازعات ١٢)

الكرّة البعث وتجديد الخلق بعد الفناء الكرة بعد المرّة هي الاقدام بعد الفرار

كرّ الشيء وكركر أعاده مرّة بعد اخرى ومنه التكرار

تكركر الرجل في أمره أي تردّد

الكرّ - بالضم - في الشرع عبارة عن ألف ومائتي رطل بالعراقي وبحسب الكرّ الشرعي بعشرة وثمانية وعشرين منا إلا عشرين مثقالاً

وأما بحسب المساحة فالمشهور الاقوى بلوغه ثلاثة وأربعين شبراً إلا ثمن شبر

وفي الرواية « إذا بلغ الماء قدر كرلم يتحمله شيء »

في المفردات الكر العطف على الشيء بالذات أو بالفعل ويقال للحبل المفتول كرّ وهو في الاصل مصدر وصار إسماً وجمعه كرور.

٥ - الزجر - ٦٢٢

زجره يزجره زجراً - من باب نصر - إنتهره ونهاه ودفعه وطرده فهو زاجر

قال الله تعالى « فالزاجرات زجراً » (الصافات ٢) هي الملائكة التي تدفع السحاب أو تطرد الشياطين أو تمنع العباد عن المعاصي بالهام الخير

يقال : زجر الراعي غنمه : صاح بها ودفعها

والزجرة إسم مرّة من زجر قال تعالى « فإنما هي زجرة واحدة » (النازعات : ١٣) وهي الصيحة والمراد منها نفخة الصور

إزدجره : إنتهره ومنعه ونهاه قال تعالى « فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر » (القمر : ٩)

والمزدجر مصدر ميمي من إزدجر قال تعالى « ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر » (القمر : ٤)

الزجّار فعال للمبالغة الزجور الناقة التي تعرف ولدها بعينها وتسكره بأنفها .

في المفردات الزجر طرد بصوت يقال زجره فانزجر ثم يستعمل في الطرد تارة وفي الصوت أخرى

وفي النهاية في حديث إبن مسعود « من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو زاجر » من زجر الأب يزجره إذا حثّها وحملها على السرعة

٨٩ - السهر - ٧٤٨

سهر يسهر سهراً - من باب علم - لم ينم السّهر ضد النوم والساهرة الأرض البيضاء التي لا نبت فيها، وأريد بالساهرة في القرآن الكريم أرض المحشر قال الله تعالى « فإذاهم بالساهرة » (النازعات ١٤) أي فإذاهم بأرض المحشر

في المفردات : الساهرة قيل وجه الارض وقيل : هي أرض القيمة و حقيقتها التي يكثر الوطء بها فكأنها سهرت بذلك

و في اللسان : السهر إمتناع النوم بالليل ورجل سهار العين لا يعمله النوم .

وقالوا ليل سهر أي ذو سهر كما قالوا : ليل نائم

٩١-النكل والنكال-١٥٦٦

نكل ينكل نكلاً و نكلاً و نكولاً . من باب ضرب و نصر و علم . : نكص و جبن وامتنع .

وفي حديث علي عليه السلام « يعيرهن في قدم » أي يعيرجس و إحجام في الاقدام النكل . بالكسر . القيد الشديد من أي شيء كان .

نكّل المجرم بكذا تنكيلا و نكالا . من باب التفعيل . : عاقبه على جرمه عقوبة تردع غيره عن إرتكاب مثل ذلك الجرم وتكون عبرة يعتبر بها وأصل ذلك من النكول عن الشيء وهو الامتناع عنه والعبرة إذا كانت العقوبة تجبّن عن الاقدام على مثل الفعل المعاقب عليه

نكله عن الشيء : صرفه عنه .

قال الله تعالى « والله أشد بأساً وأشد تنكيلا » النساء . ٨٣)

النكال يأتي في معنى التنكيل كالسلام في معنى التسليم و يأتي في معنى التسليم ويأتي في معنى العقوبة على الجرم الزاجرة عن الاقدام على مثله، فتكون عبرة يعتبر بها

قال الله تعالى « فأخذه الله نكال الآخرة والاولى » النازعات . ٢٥)

الانكال جمع النكل والنكل القيدا لشديد من أي شيء كان .

قال تعالى : « ان لدينا أنكالاً وجحيماً » المزمل . ١٢)

في المفردات : نكل عن الشيء ضعف وعجز و النكل . قيد الدابة و حديدة اللجام لكونهما مانعين والجمع : الانكال

وفي النهاية : في الحديث « ان الله يحبّ النكل على النكل قيل وما ذاك ؟ قال الرجل القوي المجرّب المبدىء المعيد على الفرس القوي المجرّب »

النكل . بالتحريك . من التنكيل وهو المنع والتنحية عما يريد والامتناع ومنه النكول في اليمين وهو الامتناع منها وترك الاقدام عليها

٤-العبرة والاعتبار-٩٦٩

عبر النهر والطريق يعبره عبراً وعبوراً . من باب نصر . قطعه من عبر إلى عبر والاسم العبرة لما يستدل به على غيره ويتعظ جمعها عبر

من الحسي العبر . بفتح العين و كسرها . شط النهر وجانب الوادي

وعابر السبيل : المار بالطريق

المعبر . بالكسر ما عبر به النهر من قنطرة أو سفينة المعبر . بالفتح . الشط المهيّأ للعبور وجمع العبور عبائر

ومن المعاني عبر الكتاب نظر فيه بتدبره في نفسه ولم يرفع صوته بقراءته والعابر : الناظر في الشيء يقدره جملة

والمعبّر . من باب التفعيل الذي يقدر الشيء تفصيلا ومنه قالوا عبّر رؤيا أي فسّرها وأخبر بما يؤول إليه أمرها

و الاعتبار التدبر والاتعاظ . والمعتبر : المستدل بالشيء على الشيء

ورد في القرآن الكريم من المادة عبور السبيل و تعبير الرؤيا والاعتبار المتدبر والعبرة بها في آيات الله تعالى

قال الله تعالى « إلاّ عابري سبيل » النساء ٤٣) أي مار الطريق من غير مكث

وقال : « إن كنتم للرؤيا تعبرون » يوسف : ٤٣)

وقال « إن في ذلك لعبرة لمن يخشى » النازعات : ٢٦)

وفي الحديث « من أطاع نزوعبرته شهوات نفسه فكأنما أعان هواه على هدم عقله »

ومنه : « الاعتبار يفيدك الرشاد »

العبرة : الدمعة . وعبرة الدمع : جريه

وفي الحديث عن الامام الحسين بن علي عليه السلام « أنا قتيل العبرة لمعناه ما ذكرت عند أحد إلا استعبر وبكى .

في المفردات العبر تجاوز من حال إلى حال وأما العبارة فهي مختصة بالكلام العبر الهوامن لسان المتكلم إلى سمع السامع والاعتبار والعبرة بالحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى مالبس بمشاهد والتعبير مختص بتعبير الرؤيا وهو العبر من ظاهرها إلى باطنها وهو أخص من التأويل فان التأويل يقال فيه وفي غيره

٧٨ - السمك - ٧٣٧

سمك الشيء يسمكه سمكاً . من باب نصر . رفعه فارتفع لازم ومتعد

السمك مسافة مابين أسفل الشيء وأعلاه ويراعى فيه البدء من السفل فان نظر إلى البدء من العلو قيل له : عمق

والسمك . السقف

قال الله تعالى « رفع سمكها فسواها » النازعات ٢٨) أي جعل المسافة بين السماء والارض بعيدة مديدة أوجعل سقفها مرفوعاً بعيداً عن الارض

والقامة من كل شيء بعيد طويل السمك والنخل الصاعد كسمك المنارة ونحوها السمك حيوان مائي على أنواع كثيرة لكل نوع إسم خاص يميزه عن

غيره جمعه: سماك وسموك والسماك .

بيت مستمك و مسمك : طويل السمك . والمسموكات السبع السموات وقالوا : المسمكات أيضا . المسموك : الطويل .

إسمك في الريم أي اصعد في الدرجه السمك إسم فاعل . وسام سامك تامك : مرتفع وهومن قبيل الاتباع .

السماك ما سمكك به الشيء أي رفع جمعه سمك السماكان كوكبان يبشران يقال لاحدهما السماك الرامح والاخر السماك الأعزل والرامح لانوءله و هو إلى جهه الشمال والاعزل من كوكب الأنواء وهو إلى جهه الجنوب وهما سرح الميران و طلوع السماك الاعزل مع الفجر يكون في تشرين الاول و حينئذ يبتدىء البرد

في المفردات السمك سمك البيت وقد سمكه أي رفعه

وفي بعض الادعية « يا باريء السموات المسموكات » وسام سامك عال

وفي النهاية : في حديث علي عليه السلام « باريء المسموكات » أي السماوات السبع

٢٢- الغطش - ١٠٩١

غطش الليل يغطش غطشا وأغطشه الله تعالى - من باب ضرب - أظلمه

من الحسي فلاة غطشى لايهتدى فيها والأغطش الذي في عينه شبه عمش تغطشت عينه أظلمت وضعف بصرهو من هذا يكون الظلام والاظلام

قال الله تعالى : « أغطش ليلها » النازعات : ٢٩)

ومن المعاني التغطش التعامي والتجاهل والتغافل عن الشيء

وغطش فلان : مشى دويبا من مرض أو كبر

وفي الرواية : « أطفأ بشعاعه ظلمة الغطش »

مياه غطيش من أسماء السراب

وفي اللسان : يقال العطش هو الذي لا يفتح عينيه في الشمس

٧ـ الدحو ـ ٣٦٦

دحا الشيء يدحوه دحواً ويدحاه دحياً ـ واوي ويائي من باب دعا و رمى ـ : بسطه و مهّده .

دحا المطر يدحو عظم واسترسل إلى أسفل إدحوى الشيء : إنبسط

تدحّى الشيء : تبسّط

ودحو الارض بسطها وتمهيدها للسكنى والتقلب في أقطارها .

قال الله تعالى « والارض بعد ذلك دحاها » النازعات ٣٠)

الدحية ـ بفتح الدال ـ القردة الانثى و بكسرها : رئيس الجند جمعها دحاء، فكأنه من دحاه يدحوه إذا بسطه و مهّده لان الرئيس له البسط والتمهيد

في المفردات دحا المطر الحصى من وجه الارض أي جرفها ومر الفرس يدحو دحوا إذا جرّ يده على وجه الارض فيدحو ترابها

وفي النهاية الدحو البسط والمدحوّات الارضون يقال دحا يدحو ويدحي : أي بسط و وسّع

و في حديث علي عليه السلام و صلاته على النبي صلى الله عليه وآله « اللهم يا داحي المدحوّات » أي باسط الارضين وموسّعها

ومنه حديث الاحنف « لا تكونوا كقيس بيض في أداحيّ » جمع الأدحي و هو الموضع الذي تبيض فيه النعامة وتفرّخ وهو الفعول من دحوت لانها تدحوه برجلها أي تبسطه ثم تبيض فيه .

وفي الحديث : « كان جبرئيل يأتيه في سورة دحية الكلبي » هو دحية بن خليفة أحد الصحابة كان جميلا حسن الصورة .

٢٧- الطم والطامة- ٩٤٤

طمّ الماء يطمّ طمّاً وطموماً - من باب نصر وضرب - : إرتفع وعلا .

من الحسى : طمّ البحر : غلب سائر البحور . وطمّ البئر : ملأت حتى إستوت مع الارض . وفى أمثال العرب : جرى الوادى فطمّ على القرى وهو مفرد جمعه اقرية وقريان وهى الجداول والانهار طمّم الطائر : وقع على الغصن .

ومن المعنوى : طمّ الأمر : إشتدّ وجاوز الطاقة فهو طامّ وهى طامّة و بها سميت القيامة لهولها

قال الله تعالى « فاذا جائت الطامة الكبرى » النازعات ٣٤)

الطامّة : الداهية تغلب ما سواها قيل لها : ذلك لانها تطمّ كل شىء أى تعلوه وتغطّيه . وأصل الطم الدفن والغلب وكل ما غلب شيئاً وقهره و أخفاه فقد طمه وفى الحديث : « أما أهوال الطامّة فلكم مرصدة »

٧٨- الأوى والمأوى- ٧٨

أوى المكان وإليه يأوى أوياً وإوياً - من باب ضرب - : نزله

وفى نزول المكان معنى الانضمام والالتجاء .

قال الله تعالى « إذ أوى الفتية إلى الكهف » الكهف : ١٠) أى نزلوا والتجئوا

وآواه غيره يؤويه ايواء : ضمّه وأنزله

قال الله تعالى « و لما دخلوا على يوسف أوى إليه أخاه » يوسف ٦٩) أى ضمّه .

والمأى إسم للمكان الذى يؤوى إليه .

قال الله تعالى « فان الجنة هى المأوى » النازعات : ٤١)

و قال : « فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون » السجدة : ١٩)

وفي اللسان - تأوّت الطير تأوّ تجمعت وإنضمت بعضها إلى بعض فهي متأوّية و متاديات كما يتأوّى الناس .

٤٢ - الهوى - ١٦٢٦

هوى يهوى هويّاً - من باب ضرب - سقط من علو إلى سفل

قال تعالى : « أو تهوى به الريح في مكان سحيق » الحج ٣١) أي تسقط وتسفل

ومعنى تردّى وهلك قال تعالى « ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى» طه ٨١) كأنما سقط من عال فهلك .

ومعنى أسرع يقال هوت الدابة أسرعت قال تعالى . « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم » ابراهيم ٣٧) أي تسرع في ميل وحنين ومعنى تزع إليه و حن يقال : هوى إلى وطنه

ومعنى عاد وعرف وأسرع في إنكداره يقال هوى النجم وهوى مرأى العين يسقط من علو إلى سفل

قال تعالى : « والنجم إذا هوى » النجم : ١)

وهوى يهوى هوى - من باب علم - : أحب فعال

يقال هوت الشيء وهويته نفسي وأكثر ما يستعمل الهوى في الميل إلى الباطل وما ليس بحق .

ويأتي الهوى في معنى الشهوات وما تميل إليه النفس في المذهب والاعتقاد ونحو ذلك مما يجانب الحق ويجافي الصواب ويبتعد النفوس ويجمع الهوى على الأهواء

قال الله تعالى « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم إستكبرتم »

البقرة : ٨٧)

وقد « فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » النساء ١٣٥)

وقال « ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلّوا كثيراً» المائدة:٧٧)

الهواء الخلاء بين السماء والارض. يقال أرض طيبة الهواء و لاهوية ويقال . قلب هواء وقلوب هواء على التشبيه أى كالهواء فى الخلو و يراد انها صفر من العقل أو الشجاعة وماجرى هذا المجرى من فضائل الخير .

إستهوى الشيطان حمله على أن يهوى أى يذهب و يسرع أو حمله على أن يهوى ويميل إلى الضلال

قال الله تعالى « إستهوته الشياطين فى الارض حيران » الانعام ٧١)

الهاوية الوهدة العامقة من الارض لايدرك قعرها

قد تعالى « وأما من خفت موازينه فامه هاوية » القارعة ٩)

أى نارساقطة لايدرك قعرها

فى المفردات الهوى ميل النفس إلى شهوة يقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة وقيل سمى بذلك لانه يهوى بصاحبه فى الدنيا إلى كل داهية وفى الاخرة إلى الهاوية . والهاوية هى النار

و فى النهاية : يقال هوى يهوى هوياً بفتح الهاء فى المصدر وكسر الواو من باب ضرب . إذاهبط وبضم الهاء فى المصدر إذاصعد و قيل بالعكس ويسمى أسرع فى السير

وفى اللسان : الهواء ممدود الخوماس السماء والارض والجمع الاهوية . أهل الأهواء واحدهم هوى و كل فارغ هواء

والهواء الجوز لانه لاقلب له فكأنه فارغ الواحد والجمع فى ذلك سواء وقلب هواء فارغ وكذلك الجمع و فى التنزيل العزيز « و أفئدتهم هواء » يقال فيه : انه لاعقول لهم

والهاوية إسم من أسماء جهنم « فامه هاوية » أى مسكنه جهنم ومستقره المنار و قال بعضهم امه هاوية - صارت هاوية مأواه كما تؤوى المرأة إليها فجعلها إذ لامأوى له غيرها أمّاله .

وقيل معنى قوله : « فامه هاوية » ام رأسه تهوى فى النار

٤ - اللبث - ١٣٤١

لبث يلبث لبثاً ولبثاً ولباثاً مثلث اللام - من باب علم أقام وإستقر

يقال : لبث فى المكان : أقام به

قال الله تعالى « فلبث فى السجن بضع سنين » يوسف ٤٢) أى أقام به محبوساً

ويقال : لبث فى أهله وقومه : أقام بينهم .

قال تعالى « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما » العنكبوت ١٤، أى أقام بين قومه

ويقال : لبث فى العمل : إستمر يقاسى متاعبه

قال تعالى « أن لو كان يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » سباء ١٤)

أى ما استمروا يقاسون آلامه

و يقال ما لبث ان فعل كذا أسرع إلى فعله من دون توان و كسل

قال تعالى « فما لبث أن جاء بعجل حنيذ » هود ٦٩) أى أسرع فجاء به من دون توان ومكث

تلبث بالامر أخره وتلبث بالمكان أقام فيه أو توقف

إستلبث إستبطاء وفى الرواية « فاستلبث الوحى » أى إستبطاء وتأخر

فى المفردات لبث بالمكان . أقام به ملازماً له .

٤٨ - العشى والعشو - ١٠١٣

عشى الرجل عن حق أصحابه يعشى عشى - من باب رضى - إذا ظلمهم وعشا يعشو عشواً - من باب دعا يدعو - إذا ضعف بصره .

من الحسى العشى: آخر النهار و لعشاء أول الليل بعد وقت صلاة المغرب ومنه في العدة من معنى الظلام وقلة الوضوح وضعف البصر

فيقال . العشاء سوء البصر بالليل والنهار والأعشى الذى لايبصر بالليل وهو بالنهار يبصر

والعشواء الناقة التى كأنها لا تبصر مع أمامها فتخبط كل شيء وعشى إلى ناره لأنه يخبط إليها في الظلام .

والمتعاشى : الذى ينظر كنظر ذى العشاء .

وورد من المادة : الوقت والنظر المتغافل .

قال الله تعالى « كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » النازعات : ٤٦)

وقال « ومن يعش عن ذكر الرحمن » الزخرف : ٣٦) أى يتغافل

في المفردات العشى من زوال الشمس إلى الصباح قال « إلا عشية أو ضحاها »

والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة والعشاءان المغرب والعتمة

والعشاء طلمة تعترض في العين

و في النهاية في الحديث « الحمد لله الذى رفع عنكم العشوة » يريد ظلمة الكفر

والعشوة بضم العين وفتحها وكسرها الأمر الملتبس وان يركب أمرا بجهل لا يعرف وجهه مأخوذ من عشوة الليل وهى ظلمته

﴿ النحو ﴾

١- (والنازعات غرقاً)

الواو للقسم ، و« النازعات » جمع مؤنث من إسم الفاعل من قبيل ذكر الوصف وإرادة الموصوف ، مجرور بواو القسم ، متعلق بفعل القسم المحذوف أى اقسم بالنازعات ، و « غرقاً » منصوب على المصدر على المعنى لأن النازع المغرق فى نزع السهم أو فى جذب الروح . و قيل : مصدر محذوف الزيادة أى إغراقاً وقيل إن الغرق والاغراق بمعنى واحد وقيل إسم اقيم مقام المصدر وهو الاغراق

٢- (والناشطات نشطاً)

الواو للعطف ، و« الناشطات » جمع الناشطة ، عطف على « النازعات » مجرورة بجارها و « نشطاً » على المصدر على اللفظ أى تنشط نشطاً

٣- (والسابحات سبحاً)

إعرابها ظاهر من سابقها

٤- (فالسابقات سبقاً)

الفاء للعطف ، عطفت هذه الآية بالفاء دون الآيتين السابقتين لأن « السابقات » مشتقة من التى قبلها ، أى واللاتى يسبحن فيسبقن تقول قام فذهب ، فهذا يوجب أن يكون القيام سبباً للذهاب ولو قلت قام وذهب لم يكن القيام سبباً للذهاب

٥- (فالمدبرات أمراً)

الفاء للعطف تنبيهاً على تفرّع صفة التدبير على صفة السبق ، والمدبرات إسم فاعل ، جمع المدبرة من باب التفعيل ، وفي نصب « أمراً » وجوه : أحدها منصوب على انه مفعول به للمدبرات ثانيها ـ منصوب على الحال أي تدبر وون مأمورات . ثالثها ـ منصوب على التمييز . رابعها ـ منصوب بنزع الخافض على تقدير بأمر . فان التدبير ليس من الملائكة . وإنما هو من الله تعالى ، والملائكة مرسلة بما يأمرها به .

و في جواب القسم وجوه : أحدها ـ محذوف على تقدير لتبعثن أيها الكافرون ولتحاسبن ويدل عليه إنكارهم للبعث في قوله تعالى حكاية عنهم « أإذا لمردودون في الحافرة » وقيل اضمر الجواب لمعرفة السامعين بالمعنى ثانيها ـ ان جواب القسم هو قوله تعالى « ان في ذلك لعبرة » ثالثها ـ قوله تعالى « يوم ترجف الراجفة » هو الجواب على حذف اللام أي ليوم ترجف الراجفة رابعها ـ ان في الكلام تقديماً وتأخيراً فالتقدير يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقاً

٦- (يوم ترجف الراجفة)

في نصب « يوم » وجوه : أحدها ـ منصوب بفعل مقدر ، دل عليه قوله تعالى « قلوب يومئذ واجفة » فتقديره و جفت قلوبهم فيكون يومئذ بدلاً من « يوم ترجف الراجفة » ثانيها ـ منصوب بـ « اذكر » محذوفاً ثالثها ـ ظرف لجواب القسم المحذوف وهو قوله « لتبعثن » رابعها ـ ظرف لما دل عليه « واجفة » أو « خاشعة » أي تخاف يوم ترجف و « ترجف » فعل مضارع و « الراجفة » فاعل الفعل والجملة في موضع جر لاضافة « يوم » إليها من إضافة الموصوف إلى صفته ، لان الجملة وصف لـ « يوم »

٧- (تتبعها الرادفة)

الفعل للمضارع ، وضمير التأنث في موضع نصب ، مفعول بها ، راجع إلى

« الراجفة » و« الرادفة » فعل الفعل ، وفي موضع الجملة وجوه أحدها - في موضع رفع ، على أنها صفة من « الراجفة » تذييل - في موضع نصب ، حال لها فاليوم واسع للصفتين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية ثالثتها - لاموضع لها ، على أنها مستأنفة

٨- (قلوب يومئذ واجفة)

« قلوب » جمع قلب ، مبتداء ، خبره « واجفة » و « يومئذ » ظرف متعلق « واجفة » و لجملة مستأنفة مبينة لصعبة اليوم وقيل « قلوب » مبتداء و« واجفة » صفة للقلوب والآية التالية خبر لمبتداء على تقدير أصحاب أبصار القلوب خاشعة

٩- (ابصارها خاشعة)

الأبصار جمع بصر اضيف إلى ضمير القلوب ، والمجموع من المضاف والمضاف إليه مبتداء و« خاشعة » خبره

١٠- (يقولون ءانا لمردودون في الحافرة)

« يقولون » فعل مضارع ، وضمير الجمع ، راجع إلى أصحاب القلوب و لهمزة للاستفهام و« ان » حرف تأكيد مع إسمها ، واللام في « لمردودون » لتأكيد ، ومدخولها جمع مذكر من إسم المفعول ، خبر لحرف التأكيد ، و« في الحافرة » متعلق ، « مردودون » والجملة مقوله للقول قيل « الحافرة » مصدر كالعاقبة والعافية

١١- (ءاذا كنا عظاما نخرة)

الهمزة للاستفهام ، و « إذا » في موضع نصب بفعل مقدر أي ردفي الحافرة، و « كنا » فعل ماض لتكلم مع الغير من أفعال الناقصة و « عظاماً » خبر « عظاماً » جمع العظم ، و « نخرة » صفة لـ « عظاماً »

١٢- (قالوا تلك اذا كرة خاسرة)

« تلك » في موضع رفع ، مبتداء ، و « إذاً » فجائية ، ظرف لـ « خاسرة »

و« كرة » خبر المبتداء ، و « خاسرة » وصف لـ« كرة » والجملة مقول القول ، والجملة بتمامها في موضع الجواب على سبيل الاخبار

١٣- (فانما هي زجرة واحدة)

الفاء للتفريع ، و « انما » أداة حصر ، و« هي » مبتداء ، راجع إلى « كرة » و قيل ، إلى « الرادفة » والمراد بها النفخة الثانية ، وقيل ، إلى الصيحة التي يستفاد من السياق ، و « واحدة » صفة لـ« زجرة » .

١٤- (فاذاهم بالساهرة)

الفاء تفريعية ، و « إذا » فجائية ، و« هم » مبتداء ، و « بالساهرة » متعلق بالمحذوف وهو خبر المبتداء على تقدير يقعون على وجه الارض وظهرها

١٥- (هل أتاك حديث موسى)

« هل » إستفهامية و « أتى » فعل ماض ، والكاف في موضع نصب ، مفعول به ، خطاب للنبي الكريم ﷺ و« حديث » فاعل الفعل ، اضيف إلى «موسى»

١٦- (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى)

« إذ » ظرف متعلق بـ« حديث » و « نادى » فعل ماض ، والضمير في موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى « موسى » و« ربه » فاعل الفعل ، والضمير راجع إلى« موسى » و « بالواد» متعلق بفعل النداء و «المقدس » نعت من «بالواد» و « طوى » بيان للوادي المقدس لانه إسم للوادي المقدس و قيل إسم بلده أو بقعة فعلى هذا و « طوى » غير منصرف وقيل إسم موضع أو بلد أو مكان فيكون متصرفاً

١٧- (اذهب الى فرعون انه طغى)

« إذهب » فعل أمر ، خطاب لموسى ، و « إلى فرعون » متعلق به «اذهب» ، و « انه » حرف تأكيد ، والضمير في موضع نصب ، إسمها راجع إلى «فرعون» و« طغى » فعل ماض خبر لحرف التأكيد ، والجملة في موضع تعليل للأمر

بالدعاء

١٨- (فقل هل لك الى أن تزكى)

الفاء للتفريع . و « قل » فعل أمر ، خطاب لموسى عليه السلام ، و « هل » للاستفهام و « لك » متعلق بمحذوف وهو خبر لمبتدأ محذوف أي هل لك حاجة أو ميل أو التفات و « إلى » حرف جار و « أن » حرف ناصب ، و « تزكى » فعل مضارع من باب التفعل على حذف إحدى التائين ، خطاب لفرعون ، والفعل بعد إسباكه إلى المصدر مجرور بحرف الجار ، متعلق بمحذوف ولما كان المعنى أدعوك . جاء بـ « إلى »

١٩- (وأهديك الى ربك فتخشى)

عطف على « تزكى » و « أهدى » فعل مضارع للتكلم وحده منصوب بالعطف ، وكان الخطاب في موضع نصب ، مفعول به ، و « إلى ربك » متعلق بفعل الهداية ، والفاء في « فتخشى » لتسببه ، ومدخولها فعل مضارع ، خطاب لفرعون .

٢٠- (فأراه الآية الكبرى)

الفاء فصيحة و مدخولها فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « موسى » وضمير الغائب في موضع نصب ، مفعول أول ، راجع إلى « فرعون » ، و « الآية » مفعول ثان ، و « الكبرى » صفة لـ « الآية » .

٢١- (فكذب وعصى)

الفاء للتفريع ولكن على العكس ، و « كذّب » فعل ماض من باب التفعيل ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « فرعون » و « عصى » عطف على « كذّب » .

٢٢- (ثم أدبر يسعى)

« ثم » حرف عطف ، و « أدبر » فعل ماض من باب الافعال ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « فرعون » عطف على « كذّب » و « يسعى » فعل مضارع في موضع نصب ، حال من الضمير المستتر في « أدبر » .

٢٣- (فحشر فنادى)

الفاء الاولى تفريع من سعيه في إدباره ، و مدخولها فعل ماض ، و فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « فرعون » والفاء الثانية تفريع من حشره الناس على موسى عليه السلام

٢٤- (فقال أنا ربكم الاعلى)

الفاء تفريعية على نداء فرعون ، و مدخولها فعل ماض ، و فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « فرعون » و « أنا » مبتدأ ، و « ربكم » خبره ، والخطاب من فرعون لقومه ، و « الاعلى » نعت من « ربكم » والجملة مقوله للقول .

٢٥- (فأخذه الله نكال الاخرة والاولى)

الفاء للتعقيب ، و « أخذ » فعل ماض ، والضمير في موضع نصب ، مفعول أول ، راجع إلى « فرعون » و « الله » فاعل الفعل و في نصب « نكال » وجوه أحدها - منصوب لكونه مفعولاً له نائبها - على أنه مصدر مؤكد لان أخذه نكل به هنا بمعنى كأنه قيل نكل الله به نكالاً و هو مصدر كالتسليم مثل السلام والتسلم فأخرج نكال مكان مصدر من معناه لامن لفظه ثالثها - منصوب بنزع حرف الصفة أي فأخذه الله بنكال الآخرة ، فلما نزع الخافض نصب . و« الاولى » عطف على « الاخرة »

٢٦- (ان في ذلك لعبرة لمن يخشى)

« ان » حرف تأكيد « في ذلك » متعلق . « لعبرة » قدم لمكان لام التأكيد في إسم « ان » وهو « عبرة » لعدم إجتماع التأكيدين في الكلام من غير فصل واللام في « لمن » حرف جر « من » موصوله مجروره باللام متعلق بمحذوف ، و هو خبر لحرف التأكيد ، و « يخشى » فعل مضارع ، و فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الموصول والجملة صله الموصول ، على حذف المفعول أي يخشى الله تعالى أو يخشى عذاب الله تعالى أو الشقاء

٢٧- (ءأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها)

وقد وردت الهمزتان المفتوحتان من غير فصل بينهما في القرآن الكريم في إحدى وثلاثين موضعاً منها قوله تعالى « ءأنتم » الهمزة إستفهامية و« أنتم » مبتدأ و« أشد » خبره و« خلقاً » تمييز و« أم » متصلة يطلب بها التعيين نحو أزيد في الدار أم عمرو و« السماء » مبتدأ وخبره محذوف أي أشد وفي « بناها » وجوه أحدها في موضع رفع نعت من « السماء » ثانيها جملة مستأنفة لا محل لها ثالثها في موضع نصب حال المحذوف و« بنا » فعل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى و« ها » في موضع نصب مفعول به راجعة إلى « السماء »

٢٨- (رفع سمكها فسواها)

« رفع » فعل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى و« سمكها » مفعول به وضمير التأنيث راجع إلى « السماء » والفاء في « فسواها » تفريعية و« سوى » فعل ماض من باب التفعيل وفاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الله وضمير التأنيث في موضع نصب مفعول به راجع إلى السماء

٢٩- (وأغطش ليلها وأخرج ضحيها)

الواو للعطف و« أغطش » فعل ماض من باب الإفعال عطف على ما تقدم وفاعل الفعل ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى و« ليلها » مفعول به وضمير التأنيث راجعان إلى « السماء » و« وأخرج ضحيها » عطف كالمتقدم.

٣٠- (والأرض بعد ذلك دحاها)

الواو للعطف و« الأرض » منصوب مفعول به على إضمار « دحى » على شريطة التفسير و« بعد » ظرف متعلق بالمحذوف وقيل بالمذكور و« دحا » فعل ماض وفاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى « الله » وضمير التأنيث في موضع نصب مفعول بها راجع إلى « الأرض »

٣١- (أخرج منها ماءها ومرعاها)

« أخرج » فعل ماض من باب الأفعال ، في موضع نصب على الحال باضمار « قد » أي مخرجاً ، و فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الله تعالى ، و « منها » متعلق بفعل الاخراج ، و « ماءها » مفعول به ، و « مرعاها » عطف على « ماءها » و ضمائر التأنيث راجع إلى « الارض » .

٣٢- (والجبال أرساها)

الواو للعطف ، و« الجبال » مفعول به لمحذوف كالارس أي أرسى الجبال و « أرسى » فعل ماض من باب الأفعال ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الله تعالى ، وضمير التأنيث في موضع نصب ، مفعول بها ، راجع إلى « الجبال »

٣٣- (متاعاً لكم ولانعامكم)

في نصب « متاعاً » وجوه أحدها . مفعول له لمقدر على تقدير فعل ذلك متعه ثانيها منصوب على المصدر من غير اللفظ لان معنى « أخرج منها ماءها ومرعاها » امتع بذلك تمتيعاً ثالثها ـ منصوب بنزع الخافض باسقاط حرف الصفة على تقدير لتمتعوا به متاعاً ، و« لكم » متعلق بـ « متاعاً » و« لانعامكم » عطف على « لكم » والانعام جمع قلة من النعم

٣٤- (فاذا جاءت الطامة الكبرى)

الفاء تفريعية و « إذا » شرطية ، و « جاءت » فعل ماض ، و « الطامة » فاعل الفعل و« الكبرى » صفة من « الطامة » وعامل الشرط قوله تعالى « يتذكر » و جواب الشرط محذوف يدل عليه قوله تعالى « فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا » و يحتمل أن يكون العامل معنى قوله تعالى « يوم يتذكر » و كان هو جواب الشرط وقيل جواب « إذا » محذوف على تقدير إذا جاءت الطامة دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة

و قيل على تقدير فاذا جاءت الطامة الكبرى إنقسم الناس على قسمين فاما من طغى

٣٥- (يوم يتذكر الانسان ما سعى)

« يوم » بدل من « إذا » لانه إذا رأى أعماله مدوّنة مكتوبة تذكرها وكان قد نسيها ، و « يتذكر » فعل مضارع من باب التفعل ، و « الانسان » فاعل الفعل ، و « ما » موصولة في موضع نصب ، مفعول به ، و سعى فعل ماض ، ناقص يائيّ ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « الانسان » والجملة صلة الموصول على حذف العائد .

٣٦- (وبرزت الجحيم لمن يرى)

الواو للعطف و « برزت » فعل ماض ، مبنيّ للمفعول من باب التفعيل ، و « الجحيم » نائب مناب الفاعل ، والجملة عطف على « جاءت » واللام في « لمن » حرف جار ، و مدخولها إسم موصول ، مجرور متعلق بـ « برزت » و « يرى » فعل مضارع ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « من » فالفعل صلة الموصول ، وضمير الفاعل عائده ، على حذف المفعول أي يراها

٣٧- (فاما من طغى)

الفاء لجزاء الشرط المتقدم ، « إذا » و « أما » تفصيلية ، و « من » للشرط ، و « طغى » فعل ماض ، فعل الشرط .

٣٨- (وآثر الحياة الدنيا)

الواو للعطف ، و « آثر » فعل ماض من باب الافعال ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « من » و « الحياة » مفعول به و « الدنيا » صفة لـ « الحياة » .

٣٩- (فان الجحيم هي المأوى)

الفاء جواب لـ « أما » و « ان » حرف تأكيد ، و « الجحيم » إسمها ، و « هي » مبتداء و « المأوى » خبره ، والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد . و في الالف و « اللام » في المأوى وجوه : أحدها - بدل من الهاء العائد إلى « من » أي مأواه .

قال به الكوفيون ثانيها - اللام للعهد الذهني أي مأواه اللائق به ، لذلك استغنى عن العائد ، ولاحاجه إلى تكلف ان اللام بدل من الاضافة ثالثها - على تقدير هي المأوى له إذلاتسمر ذلك ليعود الضمير من الجمله إلى المبتداء « من » رابعها - على تقدير المأوى لهم إذلاتسمر في الجمله عائد على موصوف

٤٠- (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)

الواو للعطف ، و « أما » عطف على ماتقدم على سبيل التفصيل ، و « من » إسم شرط و « خاف » فعل ماض للشرط ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « من » و « مقام » مفعول به ، اضيف إلى الرب المضاف إلى ضمير « من » و « نهى » عطف على « خاف » و « النفس » مفعول بها ، و « عن الهوى » متعلق بـ « نهى » .

٤١- (فان الجنة هي المأوى)

إعرابها ظاهر من قوله تعالى « فان الجحيم هي المأوى »

٤٢- (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها)

« يسئلونك » فعل مضارع لجمع المذكر العائب ، وضمير الفاعل راجع إلى الكفار ، وكاف الخطاب للنبي ﷺ في موضع نصب ، مفعول به ، و « عن الساعه » متعلق بـ « يسئلونك » ، و « أيان » إسم إستفهام مستفهم به عن الزمان المستقبل وقد يجيء عن الماضي في موضع رفع على الابتداء ، و « مرساها » خبره

٤٣- (فيم أنت من ذكراها)

« فيم » أصله « فما » حذفت الألف للكثرة الاستعمال ، و « ما » إستفهام إنكاري في موضع رفع على الابتداء ، و « أنت » خبره ، وقيل العكس ، و « من » في « من ذكراها » لابتداء الغاية ، مع مجرورها متعلق بمحذوف ، وضمير التأنيث راجع إلى « الساعه » ، والتقدير في أي شيء أنت من كثرة ذكر الساعة أي مدا يحصل لك من العلم بوقتها من ناحية كثرة ذكرها

٤٤- (الى ربك منتهاها)

« إلى ربك » متعلق بـ « منتهاها » وضمير المخاطب للنبي ﷺ و ضمير التأنيث راجع إلى « الساعة ».

٣٥- (انما أنت منذرمن يخشاها)

« انما » أداة حصر ، و « أنت » مبتدء ، و « منذر » خبره ، اضيف إلى « من » موصولة ، في موضع نصب ، مفعول به لـ « منذر » و « يخشى » فعل مضارع ، و فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى « من » وضمير التأنيث في موضع نصب مفعول بها ، والضمير راجع إلى « الساعة »

٣٦- (كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أوضحاها)

« كان » من حروف مشبهة بالفعل ، وضمير الجمع في موضع نصب ، إسمها راجع إلى المشركين و « يوم » مفعول فيه ، و « يرون » فعل مضارع للجمع المذكر الغائب ، وضمير التأنيث في موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى « الساعة » والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التشبيه ، و « لم » حرف جحد ، و « يلبثوا » فعل مضارع ، مجزوم لفظاً بسقاط النون ، و معنى بحرف الجحد ، و « إلا » حرف إستثناء ، و « عشية » مفعول بها ، و « أو » حرف عطف للترديد ، و « ضحيها » عطف على « عشية » و ضمير التأنيث راجع إلى العشية والجملة بتمامها نعت لـ « يوم » فضحى اضيف إلى ضمير « عشية » كقولك في لبله و نومها ، و ضحى إضافة لضحى إلى العشية لما بينهما من الملابسة ، إذهما طرفا النهار و حسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة

﴿البيان﴾

١- (والنازعات غرقاً)

ان المستفاد من سياق طرفي هذه السورة نزولاً - أعني سورة النبأ وسورة الانفطار إذ قال تعالى في الاولى « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن » النبأ ٣٨) وفي الثانية « ان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون » الانفطار ١٠ - ١٢) - ان الآيات الخمس التي ابتدئت السورة بها أقسام من الله جل وعلا بطوائف من الملائكة على طريق ذكر الاوصاف وإرادة الموصوف بها لدخلها في إمتثالهم للأوامر الصادرة عليهم عن ساحة العزة المتعلقة بتدبير امور هذا العالم المشهود من نزع الارواح من الأجساد كل بحسب إستحقاقه ، ثم قيامهم بالتدبير باذن الله تعالى

وفيها إشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بأن يكون على حياله مناطاً لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير إنضمام الاوصاف الاخر فيه

ان تسئل كيف قال الله تعالى « والنازعات » بلفظ التأنيث وكذا ما بعده ، والكل أوصاف للملائكة ، وهم ليسوا باناث ؟

تجيب: ان هذا قسم بطوائف الملائكة وفرقها والطوائف والفرق مؤنث أو باعتبار لفظها

وفي كلمتي النزع والغرق تنبيه إلى نزع أرواح الكفار بشدة من أقاصي

الاجساد من أصلها وأظفارها . يقال نزع في القوس فأعرق أي بلغ غايته حتى إنتهى إلى النصل . على أن النازعات هم قابض أرواح الكفار وأذنابهم فقط و « غرقاً » مصدر مؤكد بحذف الزوائد أي إغراقاً في النزع حيث تنزعها من أقاصي الأجساد . .

٢- (والناشطات نشطاً)

قيل : في الوصف إشعار بأن قابض أرواح المؤمنين غير قابض أرواح الكافرين ، إذ في لفظ النشط دلالة على أن إخراج الملائكة أرواح المؤمنين يكون بلين ورفق وسهولة ، فان النشط هو الحذب والخروج برفق وسهولة و حل العقدة فكأنها نشطت من عقالها

فطائفة من الملائكة يحذبون أرواح المؤمنين برفق و لين كما ينشط الدلو من البئر ، أو كما ينشط العقال من يد البعير إذا حل عنه ، فتخرج الارواح نشطة مسرعة هذا بناء على إحدى الاقوال الآتية غير المختارة

٣- (والسابحات سبحاً)

في الوصف اشعار بتعجي الملائكة و سرعتهم إلى ما امروا به من قبض الارواح فهم يفعلون ما يؤمرون به من غير فتور ولا تسامح لان السبح هو المر السريع في الماء والهواء ، فتنزل الملائكة من السماء مسرعة سابحة في الهواء لتسعيد أوامر الله جل وعلا كما تسبح الفرس الجواد إذا أسرعت في الجري

وقيل في الوصف إيماء إلى أن لملائكة تسبح حين قبض أرواح المؤمنين وكذلك الارواح تسبح شوقاً إلى لقاء الله تعالى ورحمته حين تخرج

٤- (فالسابقات سبقاً)

وصف رابع للملائكة وفيه إشارة إلى سبق الملائكة إلى ما امروا به، والفاء في العطف بالفاء دلالة على ترتب السبق على السبح بلا مهلة أي واللائي يسبحن فيسبقن

٥- (فالمدبرات أمراً)

وقد أقسم الله جل وعلا بتلك الصفات الخمس للملائكة ، و خامسها صفة التدبير لهم بإذن الله تعالى وأمره . و في تقييد التدبير بالأمر دلالة على أن تدبير الملائكة طولي للتدبير الالهي لا التدبير العرضي ، فلا ينافي تدبير الملائكة بالوسطة أصالة التدبير الالهي، فهم لا يدبرون إلا بإذن الله جل وعلا إذ قال « بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » الأنبياء ٢٦ - ٢٧)

وفي العطف بالفاء دلالة على أن التدبير مسبب السوق ، فتتفرع صفة تدبير على صفة السوق ، والمراد « أمراً » الجنس يقوم مقام الجمع ، وتنكيره للتهويل والتفخيم .

٦- (يوم ترجف الراجفة)

تقرير لما يجري في يوم الفصل الذي حذه القسم لتوكيد الأمر الذي يقتضي التسليم به ، فلم يبق إلا بيان ما يحدث فيه . فالأرض يومئذ تضطرب و تتحرك حركة شديدة متداخلة متزلزلة لاحداث الموتى . وفي كون « يوم » ظرفاً لجواب القسم المحذوف . وهو لتبعثن . دلالة على فخامة اليوم ، و بشاعته عليه في الشدة والهول والفزع على الكفار والطاغين

٧- (يتبعها الرادفة)

بيان لعلامة اخرى من علائم تبدل نظام الكون ، ونواميس العالم، من تلو السماء بما فيها من الكواكب والنجوم بالانشقاق والانتثار إثر إضطراب الأرض وميدانها ، فترتدف السماء ما سفلها وتدعم

٨- (قلوب يومئذ واجفة)

مستأنف مبني لصفة اليوم ، وتنكير « قلوب » للتنويع . وفي الجملة إخبار عن حال الطغاة والكافرين حين تطلع عليهم أمارات الساعة وإرهاصاتها . وفي الاخبار عن القلوب دون أصحابها إشارة إلى أن القلوب في هذا اليوم هي التي

تتلقى هذه الاحداث ، وتتفاعل بها ، وان الانسان في هذا اليوم قد استحال إلى قلب واجف مضطرب كل جارحة فيه ، وكل عضو من أعضائه ، قد صار قلباً يدرك ويشعر وينفعل ، وذلك من شدة وقع الاحداث التي يتنبه لها كيان الانسان كله

وفي تنكير القلوب إشارة إلى أنها قلوب غير تلك القلوب التي عهدها الناس انها هذا الانسان المجتمع فيها بكل أعضائه وجوارحه فسوف يستولي يومئذ الرعب والاضطراب على قلوب كثيرة

٩- (أبصارها خاشعة)

إشارة اخرى إلى أحوال الطغاة يوم القيامة ، وقد أوقع الدال على الابصار لأنها هي المرآة التي تتجلى على صفحتها أحوال الانسان ، وما يقع في القلب من مسرات ومساءات وقيل إن إضافة الابصار إلى القلوب ونسبتها وإضافتها إليها لمكان أن المراد بالقلوب في أمثال هذه المواضع التي تضاف إليها الصفات الادراكية من العلم والخوف والرجاء وما إليها هي النفوس ، ونسبة الخشوع إلى الأبصار وهو من أحوال القلب إنما هي لظهور أثره الدال عليه في الابصار أقوى من سائر الاعضاء

ومن المحتمل أن يكون المراد من أبصار القلوب هي أبصار القلوب واقعاً إذ لكل قلب بصران كعيني الرأس ، كل بما يناسبه ، مع أنه لا فرق بين الانسان وقلبه يومئذ فنسبة الخشوع إلى الابصار وهو من أحوال القلب لان الابصار مظاهرها على الاول ، وأما على الثاني فلظهور ما في القلب يوم القيامة لانه يوم تبلى السرائر وهو يوم التأويل

قال الله تعالى : « يوم تبلى السرائر » الطارق :٩)

وقال : « يوم يأتي تأويله » الاعراف : ٥٣)

وفي الآيات الاربع من التخويف والتهويل وحمل الطغاة على الارعواء كما أن في الآيات التسع من التوكيد الرباني بتحقيق وعد البعث ووقوعه ،

والاشارة إلى بعض طروفه و مشاهده وما ستتبعه من أقوال الكفار و أحوالهم مالايخفى .

١٠- (يقولون ء انا لمردودون فى الحافرة)

في موضع تعليل لوجف قلوب الكافرين وخشوع أبصارهم يوم القيامة على طريق الحكاية والاخبار بما كانوا يتفوّلونه في الحياة الدنيا حول البعث مستبعدين لوقوعه إثر بيان وقوعه على سبيل التأكيد القسمي ، وذكر مقدماته الهائلة

١١- (ء اذا كنا عظاماً نخرة)

تأكيد للانكار والاستبعاد السابقين بأن لو كانت الحياة بعد الموت منكرة مستبعدة فهي مع فرض العظام وتفتت الاجزاء أشد إنكاراً وإستبعاداً والمعنى كيف نرد إلى حياة جديدة بعد الموت ، و قد بليت منا العظام و تفتت أجزائها ولم يبق لها أى أثر ؟ وهذا شيء عجيب وفي الآيه إشارة إلى وجه الاحالة .

١٢- (قالوا تلك اذاً كرة خاسرة)

إخبار بانهم قالوا ذلك في الحياة الدنيا على طريق الاستهزاء والتهكم إعتقاداً منهم ان ذلك لايكون قط ، وفي الاشارة البعيدة « تلك » إشارة إلى إستبعاد المشار إليه ، وهو الرجعه المفهوم من قوله تعالى « ء إنا لمردودون في الحافرة » تأكيداً على الانكار والاستبعاد والمعنى لو صحت الرجعه إلى الحياة وحدثت فنحن أخسر الناس صفقه ، ولسنا كذلك قط ، وإنما نحن الرابحون وأنتم خاسرون

ففي الآيه الكريمة حكايه لكفرٍ آخر لهم ، متفرع على كفرهم السابق ولعل توسط ما قالوا بينهما للايذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافه أوقاتهم حسبما ينبيء عنه حكايته بصيغه المضارع أى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين إلى ما أنكروه من الرده في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع

١٣- (فإنما هي زجرة واحدة)

تعليل لمقدّر يقتضيه إنكارهم لاجتماع العظام النخرة التي عبّروا عنها بالكرة، فإن مداره لما كان إستصعابهم إياها ردّ عليهم ذلك، فقيل: لا تستصعبوها فإنما هي صيحة واحدة أي الكرة حاصلة بصيحة واحدة، وعبّر عنها بها تنبيهاً على كمال إتصالها بها كأنها عينها

وفي الآية الكريمة ردّ وجواب عليهم إذ استبعدوا البعث، وإفحام إذ استصعبوه على الله جل وعلا، وإنذار لهم إذ أنكروا به، وبيان لسهولة البعث على الله تعالى، وإخبار من الله جل وعلا بأن الكرة ستحقق بصيحة واحدة وإشارة إلى حضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبّر عنها بالزجرة، وفي التعبير عن النفخة الثانية بالزجرة لما فيها من نقلهم من نشأة الموت إلى نشأة الحياة ومن بطن الأرض إلى ظهرها

فالأمر لن يقتضي إلاّ صرخة واحدة، فلا يلبث الناس إلاّ أن يروا أنفسهم في صعيد واحد في إنتظار قضاء الله تعالى وحكمه فيهم، والمعنى: لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى إذ ما هي إلاّ صيحة واحدة، ففي حرف الفاء وأداة الحصر «فإنما» ما لا يخفى على القارئ الخبير، فتأمل جيداً واغتنم جداً

وإن الآية وتاليها تستهدف فإن إثارة الخوف في المنكرين والمشككين، وحملهم على الإرعواء

وقيل: إن الضمير «هي» راجع إلى «الرادفة» فقوله تعالى: «فإذا هم بالساهرة» حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة أي فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتاً في جوفها

١٤- (فإذا هم بالساهرة)

تفريع على الزجرة الواحدة، وسميت الأرض ساهرة إذ لا نوم للناس يومئذ فيها بل هم في سهر دائم بعد بعثهم من نومهم في القبور، والساهرة الأرض البيضاء

المستوية سميت بذلك لأن ساكنها لا ينام خوف الهلاك أو لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة أي جارية

وقيل سميت بهذا الاسم لأن فيها نوم الحيوان وسهرهم، والعرب تسمي الفلاة ووجه الأرض ساهرة بمعنى ذات سهر لأنه يسهر فيها خوفاً منها، فوصفها بصفة ما فيها

في تلخيص البيان للسيد الرضي رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى «فإذا هم بالساهرة» قال: وهذه إستعارة لأن المراد بالساهرة ههنا على ما قال المفسرون والله أعلم الأرض قالوا: إنما سميت ساهرة على مثال عيشة راضية كأنه جاء على النسب أي ذات السهر وهي الأرض المخوفة أي يسهر في ليلها خوفاً من طوارق شرها

وقيل أيضاً: إنما سميت الأرض ساهرة لأنها لا تنام عن أنماء نباتها وزروعها فعملها في ذلك ليلاً كعملها فيه نهاراً

١٥- (هل أتاك حديث موسى)

مستأنف وارد على طريق السؤال الموجه إلى النبي الكريم ﷺ يراد به الخبر لما يؤذن به هنا من عظيم اللطف وكريم الإحسان من الله جل وعلا إلى رسوله ﷺ حتى ليخاطبه مولاه خطاب الحبيب إلى الحبيب في رفق ومودة ليقول له: «هل أتاك حديث موسى» أي أعلمت حديث موسى؟ أتريد أن تعلم ولم يأتك حديثه بعد؟ ألا فاستمع إليه إذن

والكلام يتضمن معنى التذكر لكل من يستمع حديث موسى عليه السلام ورسالته إلى فرعون طاغية مصر وعتوه وتبعاته ..

وفيه إشارة إلى أن ذلك أول ما تلقاه النبي ﷺ من آيات الله تعالى في نبأ موسى وفرعون

وفيه إستدعاء له من هذا الجو الخانق الذي ينفث فيه المشركون سمومهم

والذى ترى فيه أنفاسهم مدخان كثيف من نتن النار المشتعلة فى قلوبهم كمداً وحسرة وغيظاً من النبى ﷺ ودعوته . . وهذا الخطاب إدناء للنبى الكريم ﷺ من ربه جل وعلا وإيناس له .

إشارة إجمالية إلى قصة موسى عليه السلام و رسالته إلى فرعون ، و موقفه فى دعوته إلى أن أحدث الله تعالى نكال الآخرة والأولى تسليه لرسول الله ﷺ من تكذيب قومه بأن يصيبهم مثل ما أصاب فرعون الذى بلغ فى العتو والطغيان حداً لم يبلغه قومك ، فقد ادعى الألوهية وألّب قومه على موسى عليه السلام وكان موسى مع هذا كله يحتمل المشاق العظام فى دعوته إلى الإيمان ، فكان فرعون أقوى من المشركين ثم أخذناه وكذلك هؤلاء .

فى القصة تهديد لهم بأنهم إن لم يؤمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ وباليوم الآخر ، فسيصيبهم مثل ما أصاب فرعون وقومه ، فيها إنذار وعظة و عبرة أخرى لجميع الكفار فى طوال الأعصار .. بأن فرعون طاغية مصر مع شكيمة قوية و شوكة شديدة وسلطان عظيم ، فهو لما تمرّد على موسى وعصى أمر ربه أحدث الله تعالى نكال الآخرة والأولى ولم يعجزه أن يهلكه و يجعله لمن خلفه آية ، فانتم أيها الطغاة الخاسرة ، أيها الحكام المستبدة ، أيها السلاطين المستكبرة ، أيها الأمراء الدعية ، و أيها الرؤساء من أتباع الشهوة مهما عظمت حالكم و قوى سلطانكم واشتهاركم لم تبلغوا مبلغ فرعون فأحدكم أهون على الله جل وعلا منه

تذكرة واعتبار:

و لقد رأينا فى زماننا هذا كيف أحد الله القادر القهار سلطان الإيرانى و عماله مع شوكتهم و قواهم و إشتهارهم فى العالم ومع عددهم و عددهم إذ اتخذوا الفروع الدينية لعباً ، وأظهروا الفسق وبدّلوا التاريخ الإسلامى بتاريخ اليهود المتبدد ، فأحدهم الله جل وعلا وخذلهم من غير تصور لأحد من الإيرانيين ، فجاء بآخرين ، فعلى الآخرين الاعتبار من سابقيهم .

فكيف على الآخرين إذا اتخذوا الأصول الدينية لعباً وأبطنوا الفسق، و بدّلوا الأصول الإسلامية بأصول الاشتراكيين الحمقاء و الجهلة السفلاء، فحرّموا حلال الله تعالى و حللوا حرامه، وابتدعوا في الإسلام، و سفكوا الدماء من غير حق وجاوزوا حدود الله تعالى، وحكموا بغير ما أنزل الله جل وعلا، وأكلوا أموال الناس من غير تراض، وهتكوا أعراض العلماء العاملين والمؤمنين بالتهم الكاذبة لاعتراضهم في تقوّلاتهم وبدعهم في الإسلام، وتركوا الأحكام الأولية في الإسلام وجعلوا أحكاماً ثانوية من تلقاء أنفسهم على مصالح واهية عندهم و خالفوا سيرة أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين ثم ادعوا أنهم حماة الدين وتلك أعمالهم فكأنهم لم يسمعوا قول الله عز وجل «ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين» الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧) فاعتبروا يا أولي الأبصار

وقد اختص بذكر قصة موسى عليه السلام وفرعون مصر في المقام واختارها من بين القصص لأن موسى أبهر الأنبياء المتقدمين معجزة وقصة فرعون أبلغ موعظة للمتعظين وأشد إنذاراً للمشركين الذين كانوا ينكرون البعث و يتوسّلون به إلى ردّ الدعوة الدينية إذ لا معنى لتشريع الدين لولا المعاد

وفيها مع ذلك كله حجة على وقوع البعث للحساب و الجزاء فإن هلاك فرعون وجنوده تلك الهلكة الهائلة دليل على حقية رسالة موسى عليه السلام من جانب الله تعالى إلى الناس ولا تتم رسالته من الله جل وعلا إلا بربوبيته منه للناس على خلاف ما يزعمه المشركون أن لا ربوبية له تعالى بالنسبة إلى الناس وأن هناك أرباباً دونه وأنه سبحانه رب الأرباب لا غير

وقال بعض الأعلام إن هذا النوع من الاستفهام لا ينافي تقدّم علم السامع بالحديث لأن الغرض توجيه نظر السامع إلى الحديث دون السؤال والاستعلام حقيقة فمن الممكن أن تكون الآيات أول ما يقصّه الله جل وعلا من قصة موسى عليه السلام أو تكون مسبوقة بذكر قصته كما أشير إليها في سورة «المزمل» التي

نزلت قبل هذه السورة

١٥- (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى)

طرف للحديث سيأتي ، و هو أول ما أوحى الله جل وعلا إلى موسى عليه السلام فتلقى الرسالة

١٧- (اذهب الى فرعون انه طغى)

تقرير لما نودي به موسى عليه السلام عن ربه ، و في تخصيص فرعون بالذكر مع كون دعوة موسى عليه السلام شاملة لجميع قومه لان فرعون كان قائدهم ، فكانت دعوته دعوة لجميع قومه

و قوله تعالى « انه طغى » بيان لسبب الدعوة بالذهاب إليه . انه تجاوز الحدود في بغيه وعدوانه ، في كفره وضلاله ، وفي عتوه واستكباره

١٨- (فقل هل لك الى أن تزكى)

الفاء للتعقيب دون تكون نتيجة الذهاب دعوة فرعون إلى التزكية ، ويحتمل أن تكون سبباً آخر للامر بالذهاب إلى فرعون . و على أي التقديرين ان هذا الكلام كلام تعليمي من الله تعالى لرسوله كيف يواجه فرعون مصر ، وطلب من الله تعالى أن يلين موسى عليه السلام لفرعون القول ليكون ذلك أنجح في الدعوة ، ويخاطب هذا الطاغي بأحسن الأساليب و أقواها حجية ، جامعة لبرهان العاطفة و العقل و الاحساس ، وهذا ألين كلام من داع الحق لأحمق الطغاة إلى الحق ، إن ابتدأ بالسؤال عن سبيله إلى التزكي دون أن يحتم عليه أنه قدر ، فيجب عليه التزكي ، سؤال لاحواب لفرعون إلا الايجاب والرغبة إلى من يدعوه إليه

وفي هذا الاسلوب الاستفهامي رفق وتلطف في الدعوة إلى الله جل وعلا ، وفي مواجهة عباد المعاندين و كبر المتكبرين باللطف والرفق واللين ، ان حكمة الدعوة تقضي أن يتمثل الداعي إلى الحق من يدعوه إليه ، و أن يترفق في الدخول إلى قلبه ، حتى يجد منه ادناً صاغية ، وقلباً واعياً ، إذا كان فيه بقية من

عقل أو يقظة من ضمير . . ولو جاء الداعي إلى من يدعوه إلى العدول عن الطريق الذي هو عليه ـ لو جاءه آمراً أو زاجراً أو ناصحاً لحاله المتلبس بها لما وجدته إلا إعراضاً وازوراراً ، وتكرها لسماع ما يلقى إليه من حديث

فكيف إذا كان هذا المدعو جباراً عنيداً كفرعون مصر ؟ ولهذا جاء قوله تعالى « فقل هل لك إلى أن تزكى » راسماً لموسى عليه السلام هذا المنهج الحكيم، هذا الطريق القويم ، وهذا السبيل الصحيح لدعوة هذا الجبار العنيد كما جاء ذلك في قوله تعالى . « إذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى » طه : ٤٣ ـ ٤٤)

وفي هذا الأسلوب القرآني الخطة المثلى ، والمثل الكامل القويم لأصحاب الدعوات من القادة والزعماء والوعاظ والعلماء والمصلحين الخ لن يبلغوا بدعوتهم مواطن الاقناع ولن يحصلوا منها على ثمر طيب إلا إذا حملوا الرفق واللين سبيلهم إلى الناس ، وإلا إذا عدّوها مشاعر الحب والرغبة الصادقة في الاصلاح ، وبخاصة إذا كان الداعي يدعو إلى حق ويهدف إلى هدى وإصلاح: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن » النحل : ١٢٥)

وليس مما يدخل في هذا الباب المدهنة والمخادعة والنفاق ، فان ذلك كله شر ، إذا اختلط بالدعوة الصالحة أفسدها ، و إذا خالط الحق اثار الدخان الكثيف في سمائه الصافية فعشى على الابصار ، وحجب الرؤية عن مواقع الهدى

١٩ـ (وأهديك الى ربك فتخشى)

دعوة إلى التحلية بالاخلاق الفاضلة ـ بعد الدعوة إلى التخلية ـ أهمها التوحيد المترتب عليه الخشية التي منها تنشأ جوامع الخيرات

وفي دعوة موسى عليه السلام فرعون إلى الرب المضاف إلى ضمير فرعون لا إلى ضمير نفسه فقال « إلى ربك » ولم يقل « إلى ربي » أو « إلى الله » مع أن

فرعون يدعو الناس إلى نفسه و يقول لهم: « أنا ربكم الاعلى » مالا يخفى على القارىء الخبير فتأمل جيداً واغتنم جداً .

٢٠ـ (فاراه الآية الكبرى)

الذي للمصاحبة تصحح عن حمل قد طوت تعويلاً على تحصيله في السور الاخرى بعد محاجي بين موسى عليه السلام وبين الله جل وعلا من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات، وما جرى بين موسى عليه السلام و فرعون من المحاورات و تفصيل ذلك ان موسى عليه السلام جاء إلى فرعون فدعاه برفق ولطف ، و بلين و مداراة إلى الله جل وعلا ، فما كان من فرعون إلا أن يرد موسى رداً قبيحاً، واغلظ له القول و رماه بالكذب والمحون ، فلما أراد موسى أن يدفع هذه التهم عنه و يثبت لفرعون انه رسول رب العالمين ، تحداه فرعون بأن يأتي بما يدل على أنه من عند الله جل وعلا فقال « إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين» الاعراف : ١٠٦)

في الآية الكريمة إخبار عن أول ملاقاته عليه السلام فرعون و بيان لاراءة موسى عليه السلام معجزة لاثبات نبوته ، فأراه في أول ملاقاته العصا واليد البيضاء لقوله تعالى « فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين »الاعراف ١٠٧ ـ ١٠٨)

وفي الآية دلالة على عدم تأثير دعوة موسى عليه السلام في فرعون مصر إذ لم يخضع لدعوته ، ولم يقنع بما أدلى إليه موسى عليه السلام من لين القول و رفق الدعوة

ان تسئل كيف قال الله تعالى « فأراه الآية الكبرى » مع أن موسى عليه السلام أراه الآيات كلها لقوله تعالى « ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى »طه ٥٦) و كل آية كبرى ؟

تجيب: ان الاخبار في هذه الآية الكريمة عن أول ملاقاته إياه ، و إنما أراه في اول ملاقاته العصا واليد البيضاء ، فأطلق عليهما الآية الكبرى لا تحاد

معناهما

او اريد بالاية الكبرى العصا لانها كانت كالمقدمة والاصل، وكانت الاخرى كالتبع لها لانه كان يتبعها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك

٢١- (فكذب وعصى)

تقرير لموقف فرعون بعد أن أراه موسى عليه السلام الاية الكبرى ، فكذب بما رآه بلا مهلة ولا فصل ، من غير تأمل ولا تفكر فيه ولم يكتف بالتكذيب بل اتهم موسى عليه السلام بأنه ساحر ، وما رآه فهو سحر ، و أظهر التمرد والطغيان

٢٢- (ثم أدبر يسعى)

في حرف التراخي « ثم » دلالة على تراخي الرتبة بين التكذيب والادبار فان الهرب من الجنة مع إدعاء الربوبية مما لا يجتمعان ، و كذا السعاية و المكيدة بين الناس .

وفي الاية الكريمة إشارة إلى أن فرعون لما رأى ثعباناً و أفاعيلها ، وما أوقعته في قلبه وقلوب من معه لبس ثوب الثعبان ، فجعل يسعى في الناس مهدداً متوعداً ، باعثاً الرعب والفزع في القلوب حتى يخرج منها هذا الفزع الذي إستولى عليها من حية موسى عليه السلام

٢٣- (فحشر فنادى)

تقرير لنتيجة السعي بأن فرعون جمع سحرته والناس و لقى بهم موسى معلناً في الناس بعجلة انه الرب الاعلى و ان الرب الذي يدعو إليه موسى هو رب دونه منزلة وعلواً ، فهكذا يبلغ الضلال والسفه بالضالين السفهاء والسفلة الجهلاء .

٢٤- (فقال أنا ربكم الاعلى)

بيان لما دعا فرعون قومه إليه بعد أن جمعهم تجاه ما دعاه إليه موسى عليه السلام رداً عليه ومنع الناس عن قبول ما يدعوهم إليه موسى عليه السلام

٢٥ـ (فاخذه الله نكال الآخرة والاولى)

تقرير لما انتهى إليه مآل أمر فرعون في الدنيا والآخرة ، من هزيمته وخزيه وفضح دعوبته على أعين الناس . ثم لم يقف الأمر عند هذا بل أخذه الله تعالى بالعذاب في الآخرة ، بأن أعد له أسوأ مكان في جهنم كما أخذه بالعذاب في الدنيا بأن أغرقه شر ميتة بأن أهلكه غرقاً ثم ألقى جثته المتعفنة على الشاطىء ، و قد عافت حيوانات البر أن تطعم منها ، بل ظلت هكذا عبرة و عظة في هذا الرب المتعفن الذي يركم الانوف ريحه النتن ، و قدم نكال الآخرة على نكال الاولى لان عذاب الآخرة أشد وأقسى لايكاد ما لقاه فرعون في الدنيا يعد شيئاً بالنسبة لما سيلقاه في الآخرة

فالأخذ كناية عن التعذيب ، و إضافة النكال إلى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لايتصور في الآخرة بل في الدنيا، فان العقوبة الاخروية تمكن من سمعها وتمنعها من تعاطي من يؤدي إليها لامحالة ، فالاضافة من إضافة المسبب إلى السبب

٢٦ـ (ان في ذلك لعبرة لمن يخشى)

ختام قصة جاء على طريق المستأنف البياني التعليلي، وكأنه قيل لما ذا حدثت تلك القصة ؟ فقيل لان فيها لعبرة وموعظة لمن يخشى العواقب

وفي تعليق الاعتبار على الخشية إشعار بعليتها له ، فلولاها فلاعبرة، فهي القصة عبرة وعظة لمن كان له عقل يرى به مصير أهل السوء والضلال ، أهل الكفر و العناد ، و أهل الفسق والفساد ، و يتبين به الحق من الباطل ، و الكمال من الانحطاط ، والسعادة من الشقاء ، والخير من الشر ...

٢٧ـ (ء أنتم أشد خلقا أم السماء بناها)

خطاب توبيخي و إلتفات إلى السامعين الذين كانوا ينكرون البعث بناء على صعوبته في زعمهم على طريق السؤال المستنكر المنبه عما إذا كانوا يرون

خلقهم أشق و أصعب على الله تعالى من الأكوان التي خلقها ، فهو الذي خلق السماء وأعلى سمكها وسوى نواميسها بعد ما يئس كل سهولته بالنسبة إلى قدرة الله تعالى بقوله : « فانما هي زجرة واحدة »

وفي الكلام تنبيه على أمر معلوم بالمشاهدة ، وتصوير للأمر المعقول وهو الابداع والاختراع بالأمر المحسوس وهو البناء ، و هو أن خلق السماء أعظم و أبلغ في القدرة ، و إذا كان الله جل وعلا قادراً على ايجاد هذا العالم الشاسع يكون قادرا على خلق العالم المثيل ، فينحسم الكلام الجواب عن إستبعادهم البعث بقولهم « إنا لمردودون في الحافرة إذا كنا عظاماً نخرة » بان الله عز وجل خلق ما هو أشد منكم خلقاً فهو على خلقكم وإحيائكم بعد موتكم لقدير

مع تضمنه أيضاً الاشارة إلى الحجة على وقوع البعث حيث يذكر التدبير العام العالمي وإرتباطه بعالم الانساني ولازمه ربوبية الله جل وعلا ولازم الربوبية صحة النبوة وحمل التكاليف ولازم ذلك الجزاء الذي موطنه البعث والحشر ، و لذا فرع عليه حديث البعث بقوله « فاذا جاءت الطامة الكبرى »

وفيه تقريع وتحذير لمنكري البعث خاطبهم بعد ما قدم ما أتى به موسى عليه السلام وما قابله به فرعون ومن عوقب به في الدارين

و ان الآيات الكريمة و تاليها تنطوي الجواب على السؤال ، بأن الله تعالى هو الذي خلق السموات و الأرض وأودع فيها النواميس اللازمة والتي تفوق في العظمة خلق الناس أهون عليه أن يخلق الناس ثانية بطبيعة الحال مع أنها قد جاءت في صدد توكيد البعث والتدليل على قدرة الله تعالى عليه، وهي و الجمله هذه متصلة بالسياق السابق على قصة رسالة موسى عليه السلام إلى فرعون و تكون الاشارة التذكيرية إلى هذه القصة فجاءت استطراداً مما هو مألوف في النظم القرآني ، لتلقي المشركين والمنكرين في طوال الأعصار ، بقوة الله جل وعلا ، وليراهم كيف تجليات هذه القدرة ؟ و كيف آثارها ؟ وانهم ليسوا أرباباً كما ظن

فرعون فى نفسه انه رب ورب أعلى .

وقوله تعالى : « بناها » بيان و تفصيل لكيفية خلق السموات ، و فى عدم ذكر الفاعل فيه ، و فيما عطف عليه من الافعال لتعينه و تفخيم شأنه و كمال الوضوح بحيث لايحتاج إلى ذكره

٢٨ـ (رفع سمكها فسواها)

بيان لهيئة البناء بالامتداد القائم على كل من إمتدادى الطول و العرض ، فانما اعتبر من السفل إلى العلو سمى سمكاً ، و إذا اعتبر بالعكس سمى عمقاً فالله تعالى أقام السماء على هذا النظام البديع ، و ترتيب أجزائها و تركيبها بوضع كل جزء فى موضعه الذى تقتضيه الحكمة الالهيه ، وما تزين به من كواكب ونجوم ...

٢٩ـ (وأغطش ليلها واخرج ضحيها)

فى إضافه الليل والضحى إلى ضمير السماء اشعار بان حدوثهما على حركتها أو بواسطة الشمس ، فالسبب الاصلى لهما سماوى وهو ظهور الأجرام المظلمه بشروق الانوار السماويه كنور الشمس وغيره وحجبها بالاستتار ، ولاختص الليل و النهار بالارض التى تعيش على وجهها بل يعمان سائر الأجرام المظلمه المستنيرة

و قيل فى إضافه الليل إلى السماء إشارة إلى أن الليل انما يرى كونه مظلماً مغطياً على الارض بهو ليل السماء التى اطفىء سراجها وهو الشمس

فالله جل وعلا هو الذى أخرج ضحى هذه السماء وأضاء سراجها وأوقده بعد أن أخرجه من عالم الظلام

وقيل انما أضاف الليل والنهار إلى السماء لانهما بسبب غروب الشمس و طلوعها الحادثين بسبب حركة الفلك

وقيل أضاف الليل إلى السماء لان الليل يكون بغروب الشمس والشمس مضاف إلى السماء ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل

قيل وإن تسئل كيف أضاف الله تعالى الليل إلى السماء بقوله « وأغطش ليلها » مع أن الليل إنما يكون في الأرض لا في السماء ؟

تجيب: إنما أضافه إليها لأنه أول ما يظهر عند غروب الشمس إنما يظهر من أفق السماء من موضع المغرب ، وأما قوله تعالى « وأخرج ضحاها » فالمراد به ضوء الشمس بدليل قوله تعالى « والشمس وضحاها » أي وضوئها فلا إشكال في إضافته إليها

وقيل « وضحاها » كناية عن ضوء النهار

وقيل في الإشارة إلى الضحى من بين أوقات النهار إنما خص إلى الوقت الذي يمتد فيه نور الشمس ، فيعم الآفاق كلها ، وهو ما يسمى رائعة النهار

وقيل في التعبير بالضحى عن النهار لأن الضحى أكمل أحواله في النور والضوء ، ولأنه أشرف أوقاته وأنسبها ، وفيه من إنتعاش الأرواح ما ليس في سائرها

٣٠ـ (والأرض بعد ذلك دحاها)

بيان لإصلاح الأرض بعد الخلق ، وفي الآية الكريمة دلالة على أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض بأن الله تعالى خلق الأرض غير ممهدة للسكنى والسير ثم خلق السموات ثم بسط الأرض ومهدها

٣١ـ (أخرج منها ماءها ومرعاها)

بيان للتمهيد بما لابد منه في تأتي سكنى الأرض من أمر المآكل والمشارب وإمكان السير والقرار عليها وإطلاق المرعى على ما ترعى النعم من الشجر والعشب وما يأكله الناس من الفواكه والثمار إستعارة فدل تنبيه على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام إطلاقاً من العشب والشجر والحب والتمر والعصف والحطب واللبن والماء والملح لأن الماء من العيون والملح من الماء لقوله تعالى « متاعاً لكم ولأنعامكم »

فتجريد الجملة عن العاطف لأنها بيان وتفسير لدحو الأرض وتكملة له فإن السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تمويه أمر المعاش من المآكل والمشارب حتماً

٣٢- (والجبال أرساها)

بيان لما تمسك به الأرض من الجبال، وتحفظ بها توازن الأرض وثباتها، وما ادخر فيها المياه والمعادن

٣٣- (متاعاً لكم ولأنعامكم)

بيان حكمة لما تقدم، وفي إضافة الأنعام إلى ضمير الخطاب للإنسان دلالة على أن الإنسان هو الغرض الأصلي

قيل: وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن الناس والأنعام سواء في هذا الرزق الذي أخرجه الله تعالى من الأرض، وأن العقل الذي امتاز به الناس على سائر الحيوان ليس هو الذي يقتضي عليهم هذا الرزق، وإنما هو فضل من فضل الله تعالى ورزق من رزقه، فإنهم يرزقون من فضل الله تعالى كما ترزق الأنعام سواء بسواء

٣٤- (فإذا جاءت الطامة الكبرى)

شروع ببيان أحوال المعاد إثر بيان أحوال المعاش، وأن الطامة كناية عن يوم القيامة، سميت بها لأنها تطم على كل شيء، فتعم ما سواها لعظم هولها أي تعلوه وتغمره، فإن أصل الطم الدفن والغلب، فكل ما غلب شيئاً وقهره وأخفاه فقد طمه، فيوم القيامة داهية عظمى تعلو وتغلب كل داهية هائلة لا تدفع

ووصف يوم القيامة بالطامة الكبرى متناسب مع حقيقتها وخطورتها، مع لا بد من مجيئها وما يكون فيها كما أن في تعقيب الطامة بالكبرى دلالة على غاية الفظاعة ونهايتها الشدة، عظيم البلاء على أهل الكفر والفساد، على أصحاب البغي والضلال، على أهل الجرم والطغيان، وعلى أهل اللجاج والعناد

ولعل في تصدير الجملة بفاء التفريع إشارة إلى أن مضمونها أعني مجيء

يوم القيامة من لوازم خلق السماء والأرض وجعل التدبير الجاري فيهما لمترتبة على ذلك، أو دلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع

٣٥- (يوم يتذكر الانسان ما سعى)

وصف ليوم القيامة، فحينما تجيء يتذكر كل امرئ ما قدمت يداه من أعمال ليؤدي عليها الحساب، فاليوم ظرف لمجيء الطامة الكبرى ولما ينكشف على الانسان ما فعل به في الحياة الدنيا

٣٦- (وبرزت الجحيم لمن يرى)

وصف آخر ليوم القيامة، وفي إيثار الفعل وبرزت وبصيغة الماضي دلالة على خلق الجحيم قبل يوم القيامة، وإنما تظهر يومئذ ظهوراً يكشف الغطاء عنها

وقيل: وهذا مثل في الأمر المنكشف الذي لا يخفى على أحد فعلى هذا يكون إستعارة ولا يجب أن يراها كل أحد لأن الأخبار إنما وقع عن كونها بحيث لا تخفى على ذي بصر لا عن وقوع البصر

٣٧- (فأما من طغى)

شروع بتقسيم الناس في الحياة الدنيا على طائفتين: طائفة كافرة طاغية وطائفة مؤمنة خاضعة، مع الإشارة إلى إختلاف مآل أمرهم في الآخرة من النار وعذابها والجنة ونعيمها لاختلاف مواقفهم في الدعوة السماوية في الدنيا

قيل: في الآية الكريمة إشارة إلى فساد القوى النظرية فإن من عرف الله تعالى بالكمال عرف نفسه بالنقصان فلم يصدر عنه الطغيان

٣٨- (وآثر الحياة الدنيا)

في عطف إيثار الحياة الدنيا على الطغيان قرينة على أن المبدد به ليس الاستمتاع بطيبات الحياة إطلاقاً وإنما هو الاستغراق فيها إستغراقاً يجعل المرء لا يحسب حساب الآخرة ويطغى في الأرض. ففيه إشارة إلى أهم أسباب الطغيان

وهو إختيار الحياة الدنيا ورفض الآخرة باتباع هوى النفس فيما تريده وطاعتها فيما تهواه ومخالفته تعالى فيما يشاء

وقيل في الآية الكريمة رمز إلى إختلال القوة العملية فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة

٣٩- (فإن الجحيم هي المأوى)

تقرير لنتيجة الطغيان وتقديم الدنيا على الآخرة باتباع هوى النفس وما أمره

وقدّم أصحاب الجحيم مع صفتي الطغيان وإيثار الحياة الدنيا على أصحاب الجنة مع صفتي الخوف ونهي النفس عن الهوى لأن وجه الكلام إلى المشركين ولأن الخوف مقدم على الرجاء والإنذار مقدم على البشارة وإن الله تعالى لم يصف أصحاب الجحيم باتباعهم هوى النفس كما وصف أصحاب الجنة بالنهي عن إتباع الهوى ، فإن الطغيان لا يكون عن إتباع الهوى

٤٠- (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)

بيان لما عليه طائفة آخرون الذين يستشعرون بخوف الله تعالى ويحسبون حساب الآخرة ويزجرون أنفسهم عن اتباع الهوى والباطل ويسيرون في سبيل الله تعالى والحق

في قوله تعالى (ونهى النفس عن الهوى) إشارة إلى أن لأهواء النفس سلطاناً قاهراً ، وأنه إذا لم يقم الإنسان على نفسه ناهياً ينهاها وزاجراً يزجرها عن إتباع هواها كلما دعتها دواعيه إنقاد لهذا الهوى الذي يغلبه على أمره ويطرحه في مطارح الضلال والدمار والهلاك

وفي الجملة دلالة على الخوف وحده لا يثمر إلا بنهي النفس عن الهوى

وتعبير (ونهى النفس عن الهوى) تعبير قوي نافذ في صدد إجتناب الآلام والموبقات والشهوات من حيث تصوير كون أهم ما يورط المرء في ذلك هو إتباع

هوى النفس دون وازع ولا زاجر . وفي هذا تلفيق جليل مستمر المدى و إضافة « مقام » إلى الرب تنبيه عن شئون التربية من الرحمة والغضب

٣١- (فإن الجنة هي المأوى)

إشارة إلى مآل طائفة مؤمنة من الجنة ونعيمها . وفي التقابل بين الطائفتين صفة ومآلاً ما لا يخفى . وذلك أن الخوف هو تأثر الضعيف المقهور من القوي القاهر فيخشع و يخضع لديه ، فينهى نفسه عما تشتهيه نفسه من متاع الحياة الدنيا و زخرفها ، وأن الطغيان هو عدم التأثر فيتعدى الطاغي ، و يخرج نفسه عن زي العبودية ، فلا يخشع ولا يخضع ، فيختار ما تهواه نفسه من زينة الحياة الدنيا .

٣٢- (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها)

حكاية لسؤال الكفار للنبي ﷺ عن موعد قيام الساعة عناداً وإستهزاء و يطلبون منه ﷺ أن يعجل بها كما يدل عليه قوله تعالى : « يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها » وفي إيثار السؤال بصيغة المضارع دلالة على إستمرار السؤال حتى بعد الرسول ﷺ إلى يوم البعث ، وإن كان الخطاب موجهاً إلى رسول الله ﷺ و كان المشركون يراجعونه ﷺ بعد أن سمعوا حديث القيامة فيسئلونه عن وقتها وعلائمها و كيفيتها مصرين على ذلك

« أيان مرساها » المرسى مصدر ميمي بمعنى الإثبات والإقرار ، والجملة تقرير للسؤال . وفيها إشارة إلى أن الحياة الدنيا أشبه بسفينة أقلعت بالناس ، أخذه مسيرتها بهم على أمواج الزمن حتى ألقى بهم على الشاطئ الآخر المقابل للشاطئ الذي أقلعت منه سفينتهم ، فكأنهم يقولون : متى ترسونا سفينة الحياة على مرفأ هذا اليوم الموعود ، وهم يسألون سؤال المنكر المستهزئ .

٣٣- (فيم أنت من ذكراها)

إستفهام إنكاري شديد بسؤالهم الذي سوّدوه من قبيل التحدي و الاستخفاف

٤٤- (الى ربك منتهاها)

جواب لما قبلها وتقرير بأن موعد الساعة عند الله تعالى وفي علمه

٤٥- (انما انت منذر من يخشاها)

خطاب للنبي الكريم ﷺ ، وتقرير لما قبله من قوله تعالى « فيم أنت من ذكراها » وتحقيق لما هو المراد منه ، وبيان لمهمته ﷺ بأن قصارى شأنك انك منذر بالساعة لينتفع بذلك من كان يستشعر بالخوف من أهوالها ويريد أن يتحاشا أسبابه بالايمان وصالح الاعمال

والمعنى : ما كلفناك إلا بانذار من يخشى الساعة دون الاخبار بوقت قيام الساعة حتى تجيبهم عن وقتها إذا سئلوك عنه ، فالقصر قصر إفراد بقصر شأنه في الانذار ، وتنفي عنه العلم بالوقت وتعيينه لمن يسئل عنه ، وخص الانذار بأهل الخشية لانهم المنتفعون بذلك ، وإن كان منذراً لكل مكلف

٤٦- (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الاعشية أوضحاها)

تقرير وتأكيد لما ينبىء عنه الانذار من سرعة مجيء المنذر به ، وبيان لقرب الساعة بحسب التمثيل والتشبيه بأن قرب الساعة من حياتهم الدنيا بحيث مثلهم حين يرونها مثلهم لو لبثوا بعد حياتهم في الارض عشية أو ضحى تلك العشية أي وقتاً نسبته إلى نهار واحد نسبة العشية إلى ما قبلها منه أو نسبة الضحى إلى ما قبله منه . فهم سيرون الساعة حتماً ، وفي برهة أقرب بكثير مما يظنون ، انهم حينما يرونها سيظنون من شدة هذا الامر انه ما بينها وبين موتهم إلا مساء أو صباح . ففي الآية الكريمة إخبار بأنهم حين يرون الساعة يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا حتى كأنها لم تبلغ يوماً كاملاً

وقيل : رد لما أدمجوه في سؤالهم ، فانهم كانوا يسئلون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها ، وإن كان على نهج الاستهزاء بها ، ويقولون « متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » فعلى الاول معناه كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد

الانذار بها إلا عشية يوم واحد أو ضحاه ، فلما ترك اليوم أضيف ضحاه إلى عشيته وعلى الثاني كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها إلا عشية أو ضحاها

وقيل : فائدة الترديد أن زمان المحنة يعبر عنه بالعشية ، وزمان الراحة يعبر عنه بالضحى ، فكأنه قيل : ما كان عمرنا في الدنيا إلا هاتين الساعتين

وقيل : كان مبدأ اليوم بليلته قبل الاسلام في أكثر الأديان من نصف النهار وقد صار في الاسلام من أول الفجر ، فكأنهم حين أرادوا التعبير عن بعض اليوم قالوا : إن كان المبدأ من نصف النهار فنحن لم نلبث إلا عشية وهو ما بعد الزوال إلى الغروب ، وإن كان المبدأ من أول الفجر فلم نلبث إلا من الفجر إلى الضحى فلعل هذا هو السر في تقديم العشية على الضحى مع رعاية الفواصل

﴿الاعجاز﴾

نحن نكتفي في المقام بوجه من وجوه إعجاز هذه السورة أشارت إليه على سبيل الاجمال حسب مقتضى الحال لما فيه من الاعتبار لمن تدبر واتعظ من قصة موسى عليه السلام ورسالته إلى فرعون مصر طاغي الزمان، وردّه دعوته عليه السلام إلى أن أخذه الله القادر المتعال نكال الآخرة والاولى، ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وخاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى

ومن البديهي ان كل فنّ من الفنون الجميلة لابد أن يضمّ في كيانه قدراً من المعطيات المحجبة وراء ظلاله والمختفية خلف ستوره! فهكذا شأن الفن دائماً لا يحيي معطياته كلها متجردة عارية تنالها كل عين، ويستولي عليها كل نظر..! ان للفن حرماً لا يغشاه إلاّ أهله في حلال ورفق وحساب.. فانه وإن أباح للناس جميعاً أن ينظروا فيه ويأخذوا منه إلاّ أنه ـ مع ذلك ـ يحتفظ لنفسه بقدر ما من روائع أسراره وذخائر مكنونة لا يطلع عليها أحداً إلاّ بحساب وتقدير فطرة قصره، وحالاً حالاً

ومن هنا كتب للفنون الحياة والخلود الحي المتجدد الذي يطلع على الناس كل يوم بوجه جديد، وبموجات جديدة وخير جديد! هذا الجانب المتخفي من العمل الفني هو في الواقع منطقة ومرتبة يتفق منها أمور وإشارات وهي كلمة السرّ بين الفن وأهله يعرفون مدلولها ويترجمون منطوقها، أما عند غيرهم فهي شيء لا شيء وراءه!!

و القرآن الكريم ـ بهذا المفهوم ـ هو في القمة التي لا يبلغها فن من الفنون ولا يدانيه فيها عمل من الأعمال ـ على أن مفهوم كلمة «الأدب الرمزي» أو العمل الرمزي في الفنون عامة لا يراد به هذا المفهوم الذي هو خط مشاع بين الفنون كلها، وجانب قائم في كل عمل منها ـ وإنما يراد بالرمز أن يكون العمل الفني كله «رمزاً» بمعنى أنه يقوم من أول أمره على هذا الوجه الظاهر الذي يراه الناس عليه، وهو غير مراد، وإنما المراد منه هو ما يكمن [illegible] هذا الوجه من حقائق.

وإذا نظرنا في القصص القرآنية من مجملاتها ومفصلاتها لم نجد فيها رمزاً معروفاً يقوم على ضرب من الخداع التي يضل معها العقل، وتتوه فيها قوافله ـ إن القرآن الكريم ـ كما قلنا ـ هو في هذا الفن الذي فهمناه للفن الرفيع من حيث إنطوائه على معان لا تنتهي وراء الدلالات اللفظية التي تكشف عنها النظرة الأولى.

وقد قلنا إن هذه المعاني المختفية ـ والتي تنكشف حالاً بعد حال ليست من الرموز المعروفة بين الناس التي لا تخلو من خداع، والمقصود بكلمة رمز إذ ليس في القرآن الكريم كله شيء من هذا الخداع الذهني أو اللفظي على ما يعرف في الكتابات والتوراة بين عامة الناس أو أكثرهم.

[illegible] القرآن الكريم من روعة النظم ودقة الأداء [illegible] على [illegible] استطاع هذه الألوان [illegible] لاستعانة بهذه الألوان، فإنها على أي حال، و[illegible] أحسن وضع لا يعدو أن يكون صنعة يراد بها تحسين اللفظ أو تمكين المعنى [illegible] القرآن في غنى عن [illegible] اللفظ أو تمكين للمعنى إذ ليس [illegible] حسن ألفاظه حسن ولا بعد سطوة معانيه [illegible] روعتها ودقتها سطوة أو روعة أو دقة.

و شأن القصص القرآنية هو شأن القرآن كله في هذا ـ فليست فيه تلك

الصورة الرمزية التي تخرج بها القصة في واد ، والمعنى المراد منها في واد بعيد تتقطع دونه الأعناق !

و من المسلم به أن وراء كل قصة من قصص القرآن الكريم هدفاً تومىء إليه أحداث القصة . تذكر به وتدعو الناس إليه ، وهو هدف تصل بينه و بين أحداث القصة أمارات دالة وإشارات معينة . دون أن يكون هناك مناطق مظلمة أو مطبات تزل فيها الأقدام ، وتتعثر الخطى ، ان القصص القرآنية أقرب الموارد لتحقيق هذه الغاية حيث تمثل القصة صورة متكاملة من النظم كما انها تكشف في يسر وسهولة عن علو البلاغة القرآنية وإقتدارها على تصوير الأحداث وامتلاك زمامها وتحريكها حسب مقتضيات الحال والمقام

وان قصة القرآن الكريم أفضل وسيلة للتربية و التهذيب فمن طريق العرض القصصي لحوادث القصة و أشخاصها تتفتح أشواق النفس إلى متابعة هذا العرض ، وإلى المشاركة الوجدانية في مواقف القصة وأحداثها ومآربها ، حتى لكأن القارىء أو المستمع أو المشاهد حره منها ، و واحد من أشخاصها يأخذ الموقف الذي يرتضيه لنفسه من بين مواقفها ، و يعيش مع كل حدث من أحداثها

ولاتنتهي القصة حتى يكون المستمع لها أو القارىء أو المشاهد قد عاش في تجربة نفسية و قطع مرحلة تطول أو تقصر حسب طول القصة و قصرها مرحلة تترك في النفس آثاراً وجدانية ونفسية و روحية أشبه بهذه الآثار التي يتركها الصوت على صفحة لوح التسجيل بعضها عميق وبعضها قليل الغور حسب قوة الاحساس و ضعفه ، و تبعاً لما يبلغ التأثير من نفس القارىء أو المستمع أو المشاهد

ولاتبلغ القصة مبلغاً من النفس ، ولاتصل أحداثها و مؤثراتها إلى مشاعر الانسان إلا إذا احكمت مشاهدها ، وجرت على أحكام العقل والمنطق وتحدثت

مع واقع الناس والحياة وإلا كانت خرافة - إن صح بها الخيال وحلقت في عوالم لايعيش فيها الناس أو كانت عنة مردة - إن هي ألهت بالأمور التافهة التي لايلتفت إليها أحد، ولايعلق بها نظر!

والقصة الناجحة هي التي يستمرع موضوعها من أحداث الحياة أو يمكن أن يكون من أحداث الحياة ثم يجري أشخاصها في هذا المجال، و يوضع كل واحد في المكان المناسب له .

و لسنا نريد هنا أن نجعل القصة موضوع هذا البحث ، فإن الحديث عن القصة وما يجب أن يتوفر لها من عناصر النجاح يتطلب بحثاً خاصاً مستقلاً ليس هذا موضعه ولا من عادتنا الوقوف طويلاً عنده . و إنما نبدأ بإشارة مجملة تشير إلى القصة من أثر في التربية و التهذيب و أنها من هذه الناحية أداة قوية من أدوات التربية والإصلاح في يد المصلحين والمربين

وإن القرآن الكريم هو مدرسة أهل التقوى واليقين ، وجامعة المجتمع الإسلامي في كل وقت ومكان إلى يوم الدين - لم يغفل عن شأن القصة فهو يعتمد عليها في كثير من المواقف لتكون وسيلة من وسائله الفعالة في تقرير الحقائق وتثبيتها في النفوس ، وفي الكشف عن مواطن العظة والعبرة فيها ، و هو يقص في هذه السورة قصة موسى عليه السلام و فرعون مصر طاغي الزمان ويطول حثاً على إستماعها (هل أتاك حديث موسى- إن في ذلك لعبرة لمن يخشى» ١٥-٢٦)

وقصص القرآن الكريم قصص حق صادق للعبرة والموعظة، ليس فيها مجال للهو أو التسلية فقط كما قد يزعم من ليس له نصيب في القرآن الكريم ، و ليس في مواقف القصص مايثير شيئاً من الغرائز الحسية التي كثيراً ما تكون مقصداً أصيلاً من مقاصد القصة عند كثير من كتاب القصص الذين يحدثون القراء إليهم بهذا التملق الرخيص للغرائز الدنيا التي تعيش في كيان الناس و تترقب الفرص السانحة التي تستدعيها وتهيج قيودها .

وعناصر القوة في القصص القرآنية مستمدة من واقعه الموضوع وصدقه، ودقة عرضه والعناية بتدوين الأحداث ذات الشأن في موضوع القصة دون التعرض للجزئيات التي يشير إليها واقع الحال، وما تدل عليه دلالات ما قبلها وما بعدها من صور.

وذلك مما يشوق القارىء، ويوقظه ويفرض عليه مشاركته فعليه في تكملة أجزاء القصة، وإستحضار ما غاب من أحداثها، وهذا ما يجعله يندمج في القصة ويعيش في أحداثها ومن ثم تتأثر بها، وما فيها من عبر وعظات. فاعتبروا يا أولي الأبصار

وخصه الملابس والأمراء، وأصحاب القدر والقوى والعدد والعدد كيف أخذ الله جل وعلا فرعون مصر بنكال الآخرة والأولى، فلا تغرنكم الحياة الدنيا وزخرفها. ولعمري لئن لم تعتبروا بما قلتم بقوله أو فعلتم فعله وأنتم أنتم أنفسنا في زماننا هذا كيف أخذ الله تعالى السلطان الطاغي وجنوده مع عددهم وعددهم وحدة تآخرين، فعلى الآخرين الاعتبار بالسلف لو كانوا ذوي بصائر. فلا تغرنكم أيها الآخرون الأقبال إذا في دبره إدبار، فعليكم بالصلاح. لأنه في الأقبال بالعدل بين الناس عملاً لا ادعاءاً وشعاراً وإلا كان فرعون مصر يدعي العدل بين رعيته وكان العدل شعاره. وفي القصص القرآنية يلتقي الإنسان مع أقوى دوافعه وعواطفه التي ولدت في شباب طفولته والتي صحبت على الرغم في سراعه الطويل مع الحياة... ومن هذه الدوافع والعواطف تعود الإنسان ويؤجه بداهته إلى الحق من التي تدعوه إليها القصة وتسوقه نحوها والقصة كانت ولا تزال مدخلاً طبيعياً وجد منه صحب الرسالات والدعوات والهداة والقادة إلى الناس إلى عقولهم وقلوبهم لتعود فيها بعد تزيدهم علماً من آراء ومعتقدات وأعمال. ولعل عصرنا هذا هو خير شاهد على ما للقصة من سلطان في الحياة، ومن أثر في تغيير أوضاعها وتلوين وجوهها السياسية.

الاجتماعية والاقتصادية ، إذ هي أقوى جهاز من أجهزة التأثير في قيادة الجماعات البشرية في الحرب والسلم على السواء!

لقد أصبحت الفنون كلها اليوم من وراء القصة . فالغناء والتمثيل والرسم والتصوير كلها تتبع القصة، وتعمل على تجسيد كلماتها وتشخيصها وتلوينها وتنغيمها حتى ينتظم من هذه الكلمات موكب حافل من مواكب الحياة في جدّها وهزلها ، وفي خيرها وشرها وفي نعيمها وبؤسها . وبهذا كان للقصة على الناس هذا السلطان الذي تجتمع ليده قوى الفنون كلها ، وما لها على الناس من تسلط وسلطان !!

من أجل هذا كانت القصة في القرآن الكريم ركيزة قوية من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على الاقناع العقلي والاطمئنان القلبي بما تدعو إليه من الإيمان بالله جل وعلا ورسله وكتبه واليوم الآخر ، وبما يحمل من مثل في مجال الجهاد والكفاح والبذل والتضحية والفداء في سبيل الدعوة إلى الحق ، والتوجيه إلى الخير والهدى، والتنكر للباطل والضلال ، والصمود في وجه الظلم والطغيان

وهذه الدراسة التي نريد إلقاء القصص القرآني بها إنما هي محاولة للكشف عن أسلوب من أساليب القرآن في تبليغ الرسالة السماوية ، وفي لفت العقول والقلوب إليها لفتاً يأخذ عليها السبيل إلى المصاولة والمقاولة ، وإلى المراء والمهاترة إذ يراها الحق مشرقاً مشرقاً عليها ، لا تملك معه إلا التسليم به، والإذعان له ما لم يتسيد بها الحمق والنزق ، وما لم تأخذها العزة بالإثم ، فتغمض عينيها وتصم أذنيها وتلوذ بالفرار والهرب !

والقصص هو أحد الأساليب التي حملها القرآن الكريم ليحاج بها الناس ويقطعهم عن الجدل والمماحكة ، شأنه في هذا شأن ما جاء في هذا الكتاب السماوي من أساليب الاستدلال والمناظرة والتعجيز والوعد والوعيد والتهديد والمباني والمعاني وغيرها من المشاهد والمواقف المبثوثة في القرآن الكريم

كله ، من قصار السور إلى طوالها لا تنال بحد سورة ـ مهما قصرت ـ تحلو من مشهد أو موقف يمهد للدعوة الإسلامية ، و يضع معلماً أو معالم للهدى إليها و النصرة بها في منطق محكم وحجة دامغة وبيان معجز ملجم

ولكن كيف نتقي بالقصة القرآنية ؟ و من أي جانب ننظر إليها ؟ و بأي مقاييس نقيسها ؟

إن القصص القرآني نهج واحد في موضوعه و في أسلوبه أدائه ، و في مقاصده وغاياته... فهو في موضوعه ينبع من نبع الحق الخالص وعلمه من لجته المصفاة لا تشوبه شائبة من وهم أو خيال ، إنه يتحرى من الحادث الواقع بلا تزويق ولا تمويه ، و هذا هو الواقع لا يتغير وجهه حين يعرض هذا العرض المعجز في ذلك الأسلوب القرآني الرائع والعبرة والموعظة إنما يتجليان في صدق الأداء وفي نقل الواقع كما هو ليس بعض سرائر النفوس ، وخلجات الصدور

وإنه ليس للفن القرآني الذي يقف عند حد السطح ولا يتجاوزه شيئاً مما وراءه من أبعاد وأعماق ، إنه هو نقل حي للأحداث ، حتى لكأنها تتحدث في الزمان والمكان اللذين حملاها، فتظهر ، كأنها في بيئة ميلادها ، لا تختلف يومها عن أمسها ولا تقصر عن مشهدها اليوم شيئاً مما شهد منها الشاهدون بالأمس من صور وأشكال ومن مشاعر وأحاسيس ... وهذا هو الإعجاز الذي نشهده في كلمات القرآن وهو أيضاً الروعة التي تطلع علينا من عبقريات الفن وآياته

وهذا أمر نسعى أن نتجه إليه وهو التعرف على الواقع في ذاته، وبين يديه مصوراً في كلمات الله في عمق من أعماق الرسم ، إنه النبع أو الموحي إذ ليس الإعجاب الذي يستولي علينا والروعة التي تأسر ألبابنا ، بمعزل عن آيات هذه الفنون ليس ذلك المجرد الدقيق في المحاكاة والصدق في النقل عن الواقع بقدر ما هو كشف عن المكنون ، وإثارة للطاقة الخلاقة للأدب ، والتصريح

بمكنونها الذى لايتكشف إلاّ لنظر الفنان ، ولايتدلى بأسراره إلاّ إليه

فالزهرة فى الصنعة هى فى مرأى العين زهرة ، حمراء أو بيضاء أو صفراء لها ريح طيب بعد أو غير بعد ، فهى فى مجال النظر و الشم ، شىء ذات لون و ريح ، ولكنها فى مجال الشعور و الوجدان ، وفى مجلى الخاطر و البصيرة ، كائن حىّ يحدّق بأحداق ، و يحدث بلسان و يبسم بفم ، فهى ترضى و تسخط و تبسم و تعبس و تسمع ... إلى غير ذلك مما يكون للكائن الحىّ ذى العاطفة و الشعور !

والفن إذ ينقل هذه الزهرة فى عمل فنى بأية أداة من أدواته التى تعملها يدفنان صناع ... لاينقل هذه الزهرة مجردة على « قتو غرافى » يشاهد السطح و لايجاوزه إلى الأعماق ، و إنما ينقل الزهرة محملة بهذه الرؤى التى انكشفت لبصيرته و تجلت لخاطره ، و وقعت لسمعه وبصره وقلبه .

و ان كلمات القرآن الكريم وحدها ـ دون سائر الكلام ـ هى القادرة قدرة مطلقة على أن تحمل الحق كله ، تسمه إليها لأنها هى ذاتها حق مطلق لاتلبس بها إلاّ الحق ولاتحمل عليها إلا ماهو حق وحق مطلق ، و إذن فمحض فى مواجهة القصص القرآنى وفى لقاء الأحداث التى تعرضها ، إنما نشهد الواقع فى أروع ماتراه العين أو تكشفه بصيرة ، وإذن ـ مرة أخرى ـ فليست القصص القرآنية إلاّ القرآن الكريم فى صدقه المطلق فى كل لمحة منه ، و فى كل إشارة له من بعيد أو قريب ، إن لحمته وسداه هو الحق الذى « لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

هذا وقد ابتدع بعض الدارسين المحدثين مكلمة « القصص » التى جعلها القرآن الكريم عنواناً دالاً على ماذكر فيه من سير الأولين وأخبار الغابرين ـ فوضع لهم هؤلاء أنهم قد يكونون فى المحتهدين ـ فى الاسلام ـ أو المجددين فى الأدب إذ هم أحدثوا القصص القرآنية بمعايير القصص الأدبية بما فيها من

تلفيقات الوهم والخيال. ثم جرّهم هذا أو جرأهم على القول بأن القصص القرآنية ليست كلها حقاً وصدقاً، إذ ليس الحق والصدق من مقاصدها، وإنما هي مسوقة لإثارة القصة التي تجيء من ورائها العبرة والعظة، وأنه لا إثارة للفن إذا التزم حدود الحق والصدق، إذ أن الفن في صميمه حرية ولا حرية مع إلزام وإلتزام!

ولقد اندفع أصحاب هذا الرأي إلى أبعد من هذا، فقاسوا بين الله جل وعلا وبين الإنسان، فما الله تعالى في حسابهم هذا إلا فنان يبرز على حكم الضرورة والقصور، فيسوي قصصه على نحو ما يسوي الفنانون قصصهم من مزجها الحقيقة بالخيال، والواقع بالوهم والمحال، وتلك المقولات فوق أنها عدوان على الحق في جانب الله جل وعلا، وما ينبغي لذاته وكلماته من تنزيه وتقديس عن نقائص البشر وقصورهم - هي عدوان صارخ على الفن، وما ينبغي له من تنزه عن التلفيق والكذب والتمويه، إذ الفن بمعنى هذه الكلمة - نسيج محكم من صميم الحق، وأخيق مصفى من الواقع أو المتوقع، وبغير هذا لا يكون العمل الفني فناً رفيعاً يأخذ مكان البقاء والخلود!

ومن المعلوم بالضرورة أن مقاصد القصص القرآنية وغاياتها هي الدعوة إلى الحق، والهداية إلى مواقع الخير، وإقامة وجه الإنسانية على مسالك الحق والخير، والمنع بها عن مسارب الضلال والبوار. فليس في القصص القرآنية ما في غيره من القصص من تلك المواقف والصور التي يراد منها إستثارة العواطف المريضة واسترضاء الميول المنحرفة في الإنسان وتملقه بها، واقتياده منها. وإنما القصص القرآنية جرت على هذه العواطف المريضة، وتلك الميول المنحرفة تلقاها في حزم وحسم، وتنزل أصحابها منازل البوار والهوان في كل موقف يلقاهم فيه. ذلك لأنه كما وصفه الله جل وعلا بقوله: «إن هذا لهو القصص الحق» وما كان للحق أن يلبس الباطل أو يسلك مسالكه

﴿ التكرار ﴾

يدور البحث في المقام حول أمور ثلاثة

أحدها - ما يتعلق بموسى عليه السلام وفرعون مصر طاغي الزمان وقصتهما . قد جاءت كلمة « موسى » ١٣٦ مرة في ٣٤ سورة من السور القرآنية . وقد جاءت لفظة « فرعون » ٧٤ مرة في ٢٧ سورة من القرآن الكريم . وقد تكررت قصتهما في ٢٢ سورة بأساليب مختلفة على طريق الإجمال والتفصيل حسب مقتضى الحال والمقام ، كما أنا نجد في كل آية من أول القرآن الكريم إلى آخره الشواهد الناطقة لرعاية مقتضى الحال وداعية المقام فيها ، فجنائب القصة فيما جاءت له مستولية على زمام الأمر كله فيه ، ممسكة به من جميع أطرافه ... زمانه ، مكانه وحوادثه وأشخاصه

وقد تكررت القصة أكثر من سائر قصص الأنبياء عليهم السلام لأن حكاية موسى عليه السلام منذ ولادته إلى وفاته كلها عبر ونصح وإنذار وتبشير وتسلية للنبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين وفيها آيات دالة على كمال علم الله جل وعلا وسعة حكمته ، وإطلاق قدرته ... وعلى تحمل موسى عليه السلام من قومه الذين هم أشد حمقاً من جميع الأمم ما لم يحمله غيره من الأنبياء من أقوامهم

ثانيها - قال الله تعالى في سورة النازعات : « فإذا جاءت الطامة الكبرى » (٣٤) . قال في السورة التالية « عبس » : « فإذا جاءت الصاخة » (٣٣) وذلك لأن الطامة من طممت البئر : إذا كبستها ، وسميت القيامة طامة لأنها تكبس كل شيء و

تكسره ، وسميت الصاخة ، والصاخة من الصخ : الصوت الشديد لانه بشدة صوته يجتولها الناس ، كما ينتبه النائم بالصوت الشديد

وقد خصت الطامة بالطامة لان لطم قبل الصخ ، والفزع قبل الصوت فكانت هي السابقة وخصت عيس بالصاخة لانها بعدها وهي اللاحقة .

ثالثها ـ نشير إلى صيغ عشرين لغة : أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية

١ـ جاءت كلمة (الفزع) على صيغها في القرآن الكريم نحو ٢٠ مرة

٢ـ « « (النشط) « « « مرتين

وهما في سورة النازعات ٢)

٣ـ « « (الرجف) « « « ثماني مرات

٣،١ سورة الأعراف ٧٨ ، ٩١ ، ١٥٥ ، ٣١ سورة العنكبوت ٣٧) ٥ـ سورة المزمل ١٤) ٦ـ ٧ـ النازعات ٦ ، ٨ ، الأحزاب ٦٠)

٤ـ « « (الردف) « « « ثلاث مرات

١ـ سورة النازعات : ٧) ٢ـ سورة النمل ٧٢) ٣ـ سورة الأنفال ٩)

٥ـ « « (الوجف) « « « مرتين

أحدهما ـ سورة الحشر : ٦) ثانيهما ـ سورة النازعات ٨)

٦ « « (الحفر) « « « مرتين

أحدهما سورة آل عمران ١٠٣) ثانيهما ـ سورة النازعات ١٠)

٧ « « (الحفرة) « « « مرة واحدة وهي في سورة النازعات : ١١)

٨ـ « « (الكرة) « « « ست مرات

١ـ سورة النازعات : ١٢) ٢ـ سورة الزمر : ٥٨) ٣ـ سورة الشعراء ١٠٢) ٤ سورة الاسراء : ٦) ٥ـ سورة البقرة : ١٦٧) ٦ـ سورة الملك ٤)

٩- » » (الزحر) » » » : ست مرات

١- سورة النازعات ١٣) ٢ ٤ سورة الصافات ٢ و ١٩) ٥ و ٦- سورة القمر ٤ و ٩)

١٠- » » (الصاخة) » » » مرة واحدة وهي في سورة النازعات ١٣)

١١ » » (الطامة) » » » : خمس مرات

١ سورة النازعات ٢٥) ٢ سورة البقرة ٦٦) ٣- سورة المائدة : ٣٨) ٤-سورة النساء ٨٤) ٥- سورة الرحمن ١٢)

١٢- » » (الصيحة) » » » تسع مرات

١- سورة النازعات ٢٦) ٢ سورة النور ٤٣) ٣- سورة المؤمنون : ٢١) ٤-سورة النحل ٦٦) ٥- سورة يوسف ١١١) ٦ سورة آل عمران ١٣) ٧- سورة الحشر ٢) ٨ سورة يوسف ٣٣) ٩- سورة النساء : ٣٣)

١٣- » » (الصاخة) » » » مرة واحدة وهي في سورة النازعات ٣٤

١٤ » » (العاصفة) » » » مرة واحدة وهي في سورة النازعات ٢٩)

١٥ » » (الدخو) » » » مرة واحدة وهي في سورة النازعات ٣٠)

١٦ » » (الطامة) » » » مرة واحدة وهي في سورة النازعات ٣٤)

١٧ » » (الأوى) » » » ٣٦ مرة

١٨ » » (الهوى) » » » ٣٨ مرة

١٩- » » (اللت) » » » ٣١ مرة

٢٠- » » (العشى) » » » ١٤ مرة

﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث

احدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً

ثانيها ـ التناسب بينها وما قبلها مصحفاً

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها

أما الاولى فالتناسب بين هذه السورة وسورة « النبأ » التي نزلت قبلها فيأمور أحدها ان الله تعالى لما ختم سورة النبأ بذكر أحوال القيامة وأهوالها افتتح هذه السورة بمثله زيادة في التخويف والتهديد لحمل المشركين على الاعواء

ثانيها ان الله تعالى لما أيد الكافرين في سورة النبأ عذاباً سيأتيهم يوم كانوا هم منكرين له وحكى عنهم في ختامها ما سيقولون إذا رأوه افتتح هذه السورة بأقسام هائلة على أن البعث حق لا ريب فيه مع تقرير كيفية وقوع البعث بفزع عنده القلوب وتخشع لديه الابصار مستشهداً على وقوع ذلك بما وقع على فرعون وقومه من نكال الآخرة والاولى

ثالثها ان الله تعالى لما أشار في سورة النبأ إلى تساؤل المنكرين عن النبأ العظيم واختلافهم فيه على طريق الابهام والاجمال ذكرهما في هذه السورة بصراح في قوله « يقولون إنا لمردودون في الحافرة يسئلونك عن الساعة أيان مرساها »

رابعها: لم ذكر في السورة الـ بقة إخراج بحد و لدات والحنات الالفاف من غير ذكر عاقبة لها، أشار في هذه السورة إليها بقوله « متاعاً لكم ولانعامكم » خامسها: لم حذف ذكر الصاخة، لمتقدم في سو ة السابقة من غير ذكر موجبات الصياح، لتقوى فيها، أشار في هذه السورة إلى أهم ما يوجب الطغيان والتقوى مع ذكر أعرف المعاد وهو فرعون مصر

و أما الثانية: فقد ظهرت مما تقدم فلا حاجة

و أما الثالثة، فلما بدئت السورة بالقسم هيئة لها في مطلعها مع ما فيها من تعظيم المقسم بها، أعقبت بذكر كيفية البعث و أهواله إحمالاً من غير ذكر الجواب للقسم لما علم سابقاً ومن سياق السو ة.

ثم أشارت إلى ما يعتري مكذبي البعث يومئذ من وجف القلوب، خشوع الابصار مع ترادف أحوالهم في يوم البعث، تشبيهاً عنه، بتشعباتهم من فوعة واحدة، ما أخص سياق البعث ليس على سبيل التدريج كما كان في فرعون، بل أخذه من غير تدريج مع تشبيههم، فلهم ثم بما هي زجرة واحدة وهم بالساهرة بقوله تعالى: « فإذا هم بالساهرة » (١٣).

ثم إنه تعالى لما حكى إصرارهم على إنكار البعث، تعديدهم في نعمه، أطلعهم، على تهديدهم لمن كذبه، فكان ذلك داعياً عليه السلام لتسلية على قصة موسى عليه السلام، و تأييده إلى فرعون مصر، فصدقه إجمالاً إلى أن ذهب إليه بنفسه، فكذب فرعون موسى عليه السلام، فتبع في الاستكبار، فعاقبه إلى عالم يتبعه هؤلاء المشركون ولكل كان موسى عليه السلام مع ذلك قد بلغ في مهمته لتكون قصته تسلية لسوله عليه السلام عما يلاقيه من قومه من عناد الجحود، فتح، عظيم الاعراض، و ليكون وعيداً عليهم، فجاء لفظ يخشى ولد في القصة سورة جميعها بقوله تعالى: « هل أتاك حديث موسى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى » (١٥ ـ ٢٦).

ثم استشهدت السورة المباركة على قدرة الله جل وعلا على البعث بخلق السماء والأرض والليل والنهار، وبما فيه حديهم في الدنيا لو فرض هؤلاء المنكرون على أنهم أشد خلقاً من فرعون وقومه، ولكنهم ليسوا أشد خلقاً من السماء والأرض. والله جل وعلا قادر على إحياء الأموات كما انه كان قادراً على خلق الأكوان بقوله تعالى «ءأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها متاعاً لكم ولأنعامكم» (٧٩: ٢٧ - ٣٣)

ثم أخذت تذكر القيامة وأهوالها وتقسم الناس فيها على طائفتين طائفة كافرة طاغية تابعة الهوى وأحوالهم يومئذ ومآل أمرهم فيها من النار وعذابها، وطائفة مؤمنة خائفة ربها ونهت النفس عن الهوى ومأواهم يوم القيامة الجنة بقوله تعالى «فإذا جاءت الطامة الكبرى. يوم يتذكر الإنسان ما سعى» (٧٩: ٣٤ - ٣٥)

ثم ختمت السورة بما كان المشركون يسئلون النبي الكريم ﷺ عنه عبثاً ولجاجاً مع الإشارة إلى وظيفة الرسول ﷺ في هذا السؤال المستنكر بقوله تعالى «يسئلونك عن الساعة أيان مرساها. كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها» (٧٩: ٤٢ - ٤٦)

﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

• لم أجد من الباحثين كلاماً يدل على أن في هذه السورة ناسخاً أو منسوخاً أو متشابهاً. وآياتها محكمات والله جل وعلا هو أعلم

﴿ تحقيق فى الأقوال ﴾

١- (والنازعات غرقا)

فى « النازعات » أقوال ١- عن إبن عباس وإبن مسعود ومجاهد ومسروق هى الملائكة التى تنزع نفوس بنى آدم ﷺ ٢- عن سعيد بن جبير ومقاتل هى الملائكه التى تنزع أرواح الكفار عن أبدانهم بالشدة كما ينزع النازع فى القوس ، فيبلغ بها غاية المدى

و عن إبن عباس و إبن مسعود أيضاً أى ينزع ملك الموت نفس الكفا من أجسادهم من تحت كل شعرة ، و من تحت الأظفير و اصول القدمين نزعاً كالسفود الكثير الشعب ينزع من الصوف المبتل الرطب ثم يرجعها إلى أجسادهم ثم ينزعها ، وهذا عمله بالكفار

و قيل تنزع الملائكه أرواح الكفار من أقاصى أجسادهم ثم تعرقها ثم ترجعها فى أجسادهم ثم تنزعها فهذا عملهم . فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء و عن إبن عباس و سعيد بن جبير نزعت أرواحهم ثم غرقت ثم حرقت ثم قذف بها فى النار

و قيل يرى الكافر نفسه حين النزع كأنها تغرق ٣- عن المدى النازعات: هى النفوس حين تنزع وتغرق فى الصدور ثم تخرج ٤- عن مجاهد أيضاً : النازعات هى الموت ينزع النفوس

٥- عن الحسن وقتادة وأبى عبيدة والاخفش والحسائى وإبن كيسان النازعات

هي النجوم والكواكب الجاريات على نظام معين في سيرها ، فتنزع من افق إلى افق أي تذهب من قولهم : نزع إليه أي ذهب .

أو من قولهم نزعت الحبل أي جرت وعن أبي عبيدة أيضاً تنزع النجوم من مطالعها وتغرق في مغاربها و «غرقاً» أي أنها تغرق وتغيب وتطلع من افق إلى افق آخر .

وقيل هي النجوم البعيدة الغائرة الغارقة في أطباق السماء العليا وقيل هي الكواكب لأنها ترمى بالشهب من نزع عن القوس أي رمى عنها

٦- عن عطاء وعكرمة النازعات هي القسي تنزع بالسهام و «غرقاً» بمعنى إغراقاً . وإغراق النازع في القوس أن يبلغ غاية المدى حتى ينتهي إلى النصل فالقسم بفاعلها وهم الغزاة الرماة المجاهدون في سبيل الله تعالى على أن الغزاة الرماة حين تنزع قسيها في الرمي فتبلغ غاية المدى

٧- قيل : النازعات هي خيل الغزاة تنزع في أعنتها وتغرق في عرقها

٨- قيل النازعات، الوحوش تنزع من الكدأ وتنفر ، وغرقاً أي إبعاداً في النزع

٩- قيل: أريد بالنازعات كل نازعة فتعم الملائكة والجن والإنس والموت والنجوم والقوس وغيرها من القوى النازعة من غير تخصيص بنازعة دون نازعة

هذا هو إختيار الطبري وتبعه بعض المعاصرين فقال فلا تختص النازعات بالملائكة كما يظن وبتوهم ولأنهم ليسوا مؤنثين بأنهم ليسوا إناثاً ولا ذكوراً . ولا يؤتى بضمير التأنيث إلا للأنثى و يؤتى بضمير التذكير لغيرها ذكراً أم لا ذكراً ولا أنثى كما الله تعالى و ملائكته . و لم يأت القرآن للملائكة بضمير التأنيث بتاتاً إذاً فالمناسب هنا كون النازعات هي القوى الشاملة للملائكة و سواهم

أقول : والثاني هو المروي فانتظر ، واستدلال الأخير مردود بنفس القرآن الكريم في كثير من آية منها قوله تعالى «تتنزل عليهم الملائكة» فصلت ٣٠.

والبقرة : ٢٤٨) وآل عمران : ٣٩ و٤٢) والأنعام : ١٥٨) والنحل : ٢٨ و٣٢ و٣٣) والأنبياء : ١٠٣) والمعارج : ٤) وغيرها من الآيات القرآنية

٢ـ (والناشطات نشطاً)

في «الناشطات» أقوال: ١ـ عن ابن عباس: هي الملائكة التي تنشط نفس المؤمن فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير إذا حل عنه. وقيل: الناشطات إشارة إلى أن خروجهم من هذه الأحوال ليس على سبيل الكلفة والمشقة ولكنه بمقتضى الطبيعة والماهية.

٢ـ عن ابن عباس أيضاً: هي النفس عند الموت تنشط للخروج، وذلك أنه ما من مؤمن يحضره الموت إلا ويعرض عليه الجنة قبل أن يموت، فيرى فيها ما أعد الله تعالى له من أزواجه وأهله من الحور العين، فهم يدعونه إليها فتنشط إليهم نشطة أن تخرج فتأتيهم.

وقيل: الناشطات: المخرجات أو الخارجات بسرعة وسهولة. ٣ـ عن ابن عباس أيضاً: هي نفوس الكفار والمنافقين تنشط كما ينشط العقب الذي يعقب به السهم، والعقب ـ بالتحريك ـ: العصب الذي يعمل منه الأوتار الواحدة. النشط: الجذب بسرعة.

ومنه الأنشوطة عقدة تسهل انحلالها إذا جذبت مثل عقدة التكة يقال نشطت الحبل وأنشطته أي حللته وأنشطت الحبل أي مددته حتى ينحل. ٤ـ عن ابن عباس أيضاً: الناشطات: الملائكة لها ظهر تذهب وتجيء بأمر الله تعالى حيثما كان. وقيل: أي المتحركات بسرعة حيثما يريد بإذن الله جل وعلا.

٥ـ قيل: هي الملائكة تنشط أرواح الكفار من بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أجوافهم نشطاً بالكرب. والنشط: الجذب يقال: نشطت الدلو أنشطها أي نزعتها. قال الأصمعي: بئر أنشاط أي قريبة القعر تخرج الدلو منها بجذبة واحدة.

٦ ـ عن مجاهد : هي الموت ينشط نفس الانسان . ٧ ـ عن السدى هي النفوس حين تنشط من القدمين ٨ ـ قيل هي أيدي الغزاة أو أنفسهم تنزع القسيّ باغراق السهام وهي التي تنشط الاوهاق .

وقيل هي السهام تنشط من قسيّها في الغزوات وقيل هي الغزاة لانها تخرج مسرعة إلى ميدانها ٩ ـ قيل : هي التي تنشط من موضع إلى موضع فتذهب إليه ولايخصص الله جل وعلا بذلك شيئاً دون شيء بل عمّ القسم بجميع الناشطات والملائكه تنشط موضع إلى موضع ، وكذلك الموت وكذلك النجوم والاوهاق وبقر الوحش أيضاً تنشط من بلده إلى بلدة

وهذا مختار الطبري وقال وكل ناشط فداخل فيما اقسم به إلاّ أن تقوم حجه يجب التسليم لها بأن المعني بالقسم من ذلك بعض دون بعض .

١٠ـ عن عكرمه وعطاء هي الاوهات تنشط السهام والاوهق جميع وهق بحركتين ـ وقد تسكن الحبل تشدّ به الابل و الخيل لئلا تفلت وتقال في طرقه الشوطة .

١١ـ عن عطاء أيضاً وقتادة والحسن والاخفش والعوالي هي النجوم تنشط من افق إلى افق أي تذهب أي من برج إلى برج كالثور الناشط من بلد إلى بلد

وقيل هي النجوم القريبه نسبياً منا ، فنرى لها حركات ظاهرة على خلاف النجوم البعيدة في أجواء السموات العلا حيث تبدو وكأنها مقيدة في أماكنها وأما النجوم القريبه فتظهر عليها الحركه ، وتبدو كأنها تنشط من عقالها وقيل هي الكواكب الخارجات من برج إلى برج من قولهم نشط الثور إذا خرج.

١٢ـ عن عطاء أيضاً وأبي عبيدة هي الوحش حين تنشط من بلد إلى بلد، ومن قطر إلى قطر

١٣ـ قيل هي الملائكة الذين يخرجون الارواح من الاجساد سواء كانت من الكفار والمنافقين ، أم من المؤمنين

أقول : والخامس هو المروى وفى معناه الأخير .

٣- (والسابحات سبحاً)

فى «السابحات» أقوال ١- قيل : هى الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين بعد إخراجها من أجسادها بين السماء والأرض

٢- عن الكلبى هى الملائكة تقبض أرواح المؤمنين كالذى يسبح فى الماء فأحياناً ينغمس ، و أحياناً يرتفع يسلّونها سلاً رفيقاً بسهولة ثم يدعونها حتى تستريح .

٣- قيل أى الملائكة تقبض الأرواح فتسرع بروح المؤمن إلى الجنة و بروح الكافر إلى النار ، والسبح الإسراع فى الحركة كما يقال للفرس سابح إذا أسرع فى جريه

٤- عن مجاهد وأبى صالح هى الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لأمر الله تعالى كما يقال للفرس الجواد سابح إذا أسرع فى جريه وقيل يسرعون فى النزول والصعود وعن مجاهد أيضاً أى الملائكة تسبح فى نزولها وصعودها عن قتادة والحسن هى النجوم تسبح فى أفلاكها . لقوله تعالى «كل فى فلك يسبحون» وقيل هى الكواكب المطلعة علينا فى سماء الدنيا كالشمس والقمر و المشترى والمريخ وزحل وغيرها فهذه الكواكب لقربها منا نراها سابحة فى فى الجو كما تسبح الطيور

وقيل هى الكواكب السائرات فى أفلاكها سيراً هادئاً لا إضطراب فيه و لا إختلال وقد جعل مرورها فى جوائها كالسبح فى الماء

٥- عن مجاهد أيضاً هى الموت تسبح فى نفوس بنى آدم ٦- عن أبى مسلم هى الخيل العراة تسبح فى عدوها وتسرع كقوله تعالى «والعاديات ضبحاً»

٧- عن عطاء : هى السفن تسبح فى الماء

٨- قيل . هى السحاب ٩- قيل : هم الذين سبحوا فى بحار جلال الله تعالى

١٠ ـ عن إبن عباس : السابحات هي أرواح المؤمنين تسبح شوقاً إلى لقاء الله جل وعلا ورحمته حين تخرج

١١ـ قيل : هي المنايا تسبح في نفوس الحيوان ١٢ قيل هي دواب البحار وخاصة الأسماك

١٣ـ قيل السابحات كل سابح من خلقه من غير إختصاص بسابح دون سابح ، وهذا مختار الطبري وقال بعض المعاصرين وذلك أن السبح هو المر السريع في الماء وفي الهواء وبجمعه المر السريع أياً كان ، والسابحات هي القوى المسرعات في بحر الكون في الماء والفضاء وفي الأرض سبحاً جسدياً أو روحانياً فالكون كله مسبح للسابحات

أقول : والأول هو المروي وفي معناه الثاني

٣ـ (فالسابقات سبقاً)

في « السابقات » أقوال ١ ـ عن إبن مسعود والربيع هي نفوس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقاً إلى لقاء الله تعالى ورحمته ، فتسبق الخروج عند الموت ٢ ـ قيل هي الملائكة تسبق بعضها بعضاً بأرواح المؤمنين إلى الله تعالى ، وتتسابق إلى الحضرة الإلهية أو إلى مصائرها السعيدة وعن مقاتل : هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة

٣ ـ عن مجاهد ومسروق هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام ٤ ـ عن مجاهد أيضاً وأبي ذر هي الملائكة تسبق إبن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح وقيل تسبق بني آدم إلى العمل الصالح فتكتبه وقيل تسابقها لتدبير الأمور التي تعهد إليها ٥ ـ عن مجاهد أيضاً هي الموت تسبق الإنسان

٦ ـ عن قتادة والحسن والمعمر والجبائي هي النجوم والكواكب السيارة تسبق بعضها بعضاً في السير وذلك لأن سيرها المتفاوت يصير سبباً لسبق بعضها بعضاً في السير ، وذلك لأن سيرها المتفاوت يصير سبباً لسبق بعضها بعضاً

ويترتب على السبق الاتصالات و الانصرافات و معرفة الفصول و الاوقات، و تقدم العلم بالكائنات بل العالم السفلي و تدبيراتها مناط بتلك الحركات بإذن خالق الارض وفاطر السموات

وقيل: يبدو من ظاهر حركاتها في سباق مع بعضها حيث ترى الشمس مرة أمام القمر ويرى القمر مرة أمامها في مسرعات في سبحها، فتتم دورتها حول ما تدور عليه في مدة أسرع مما يتم غيرها كالقمر فانه يتم دورته في شهر قمري والارض تتم دورتها في سنة شمسية، و هكذا غيرها من السيارات السريعة و منها مالايتم دورته إلا في سنين

٧ـ قيل: هي ملائكة الموت تسبق بروح المؤمن إلى الجنة وبروح الكافر إلى النار ٨ـ عن عطاء و أبي مسلم: هي الخيل التي تسبق إلى الجهاد و الغلبة والظفر وتتسبب فيه ٩ـ عن الماوردي: السابقات ما يسبق من الارواح قبل الاجساد إلى جنة أو نار

١٠ـ قيل: هي المنايا تسبق الآمال ١١ـ قيل: هم الذين يسبق بعضهم بعضاً في ميدان المعرفة بالله تعالى وحلبة البرهان ١٢ـ قيل: السابقات تشمل لكل سابق في مأموره

اقول: والثاني هو المروي

٥ـ (فالمدبرات امرا)

في الآية الكريمة أقوال: ١ـ قيل: هي الملائكة الذين يدبرون أمر العباد من السنة إلى السنة من أمر الدنيا من البحر والبر والحيوان والنبات والانسان ومن أمر السموات والارض و ما بينهما وعن إبن عباس: هي الملائكة وكلت بتدبير أحوال الارض في الامطار والرياح وغير ذلك وانها حافظات في امور الكون وما فيه

٢ـ عن إبن عباس أيضاً وقتادة: هي الملائكة و تدبيرها نزولها بالحلال والحرام وتفصيلهما وسميت بالمدبرات باعتبار النزول بالاصول و الفروع والمعارف

والحكم

٣- قيل: هي الكواكب السبعة، وفي تدبيرها لأمر وجهان: أحدهما: تدبير طلوعها وأفولها، ثانيهما: تدبيره، قضاء الله جل وعلا فيها من تقلب الأحوال.

وقيل: هي الأفلاك كلها يقع فيها أمر الله تعالى فيجري بها القضاء في الدنيا، وذلك أن الله سبحانه خلق كثيراً من تدبير العالم بحركات النجوم، فأضيف إليها التدبير، وإن كان من الله عز وجل كما يسمى الشيء باسم ما يجاوره. وقيل: إن تدبير الكواكب لأمور ما هو فيما يظهر من آثارها في حياتنا من حر وبرد، ومن هبوب رياح ونزول أمطار، وإنضاج ثمار ومد وجزر في البحار، وما يضبط من الزمن والساعات والأيام والفصول والسنين، وغير ذلك مما نشهده من حركة الشمس والقمر وما يتبع هذه الحركة من آثار في عالمنا الأرضي براً وبحراً وجواً.

٤- عن عبد الرحمن بن سابط: المدبرات هم الملائكة الأربعة: من جبرئيل ومكائيل وملك الموت وإسرافيل عليهم السلام، وهم يدبرون أمور الدنيا من النبات والجماد والأحياء والأماتة وما إليها بإذن الله جل وعلا، أما جبرئيل فهو موكل بالرياح والجنود والوحي، وأما مكائيل فهو موكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فهو موكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم وهو صاحب الصور.

٥- قيل: هي الملائكة الذين يدبرون أمر الثواب والعقاب، من اللذات والآلام من النعم والنقم من الجنة والنار.

٦- قيل: هي الملائكة الذين يدبرون أمر الحرب من الظفر والغلبة للمؤمنين والفرار والهزيمة للكافرين. ٧- قيل: المدبرات أي المعقبات لأنها تأتي في أدبار هذه الأفاعيل بأمر الغلبة والنصر.

أقول: والأول هو المروي وعليه أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين

بعض الاقوال الاخر .

٦- (يوم ترجف الراجفة)

في «الراجفة» أقوال ١- عن إبن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك هي النفخة الاولى ، وهي صعقة الموت ، فتميت بها الاحياء وكل شيء ، فهذه النفخة نفخة الفزع ، وهي صيحة عظيمة فيها تردد وإضطراب كالرعد إذا تمخض فيها ترجف كل شيء أي تتزلزل ، فوصفت بما يحدث منها

٢- عن مجاهد الراجفة هي الزلزلة ٣- قيل : الراجفة : الارض بمن عليها ترجف يوم القيامة وتضطرب وتنشق

٤- قيل الراجفة هي الصيحة العظيمة التي فيها تردد وإضطراب ، فيسمع لها صوت شديد

٥- قيل الراجفة أي المحركة تحريكاً شديداً ، الحركة للارض والجبال ، فالراجفة هي التي تحدث الرجفان في الارض والاضطراب في الجبال ٦- قيل الراجفة هي قلوب أهل النار تخف وأبصارهم تخشع

٧- عن عطاء الراجفة القيامة ٨- عن إبن زيد الراجفة الموت

اقول : على الاول أكثر المفسرين

٧- (تتبعها الرادفة)

في «الرادفة» أقوال ١- عن مجاهد الرادفة الصيحة ٢- عن مجاهد أيضاً وابن عباس والحسن وقتادة هي النفخة الثانية تحيى بها الخلائق كلهم بعد النفخة الاولى التي تموت بها الخلائق أجمعون

٣- عن مجاهد أيضاً هي الزلزلة حين تنشق السماء وتحمل الارض والجبال فتدك دكة واحدة فتتلاشى السماء والارض بعد الزلزلة والاضطراب والانشقاق

٤- قيل هي السموات والكواكب لانها تنفطر وتنتشر على اثر ذلك حتى

تنقطع الأرض وتفنى ، فتتبعها السماء فتمطر فيها من أحداث ذلك اليوم تتبعه خراباً ودماراً .

٥ـ عن عطاء : الراجفة هي النفخة الأولى ، الرادفة هي النفخة الثانية ٦ـ عن إبن زيد وعبد الرحمن هي قيام الساعة . ٧ـ عن أبي مسلم هي حيرة المشركين

أقول : والذي هو المردود من هذه الأقوال هو بعض الأقوال الأخيرة

٨ـ (قلوب يومئذ واجفة)

في الآية الكريمة أقوال ١ـ عن إبن عباس وقتادة وإبن زيد أي قلوب خلق من خلقه يومئذ خائفة وجلة من عظيم الهول النازل ، والمراد بذلك أصحاب القلوب ، وفيها قلقه غير هادئة ولا ساكنة فتحفل لما عاينت من أهوال القيامة

٢ـ عن السدي : تعني القلوب ذاتها عن أعمالها كقوله تعالى «وإذا القبور بعثرت» أي أخرجت ما فيها من الموتى

٣ـ عن الحسن والسدي وقتادة أيضاً أي قلوب الكفار مضطربة شديدة الاضطراب المذعورة الموصوفة بضرب من الضرب الشديد المضطرب ٤ـ عن المؤرج : أي قلقة مستوفزة متحركة غير ساكنة

أقول : وعلى الثالث أكثر المفسرين وفي معنى الأقوال الأخرى إلا أقول السدي في التعميم وإن لم يسبق عن فرع يومئذ آمنون

١٠ـ (يقولون أءنا لمردودون في الحافرة)

في «الحافرة» أقوال ١ـ عن إبن عباس والسدي ومجاهد وقتادة والضحاك «الحافرة» أي الحالة الأولى من الحياة بعد الموت فقد طلبوها حين بعثهم لأولى ، أي أءنا لمردودون في حياتنا الأولى أي الطريقة التي كنا فيها ، فجعل الله قدمه حفرة ، والطريق في الحقيقة محفور ، إلا أنه سمي حافرة على التشبيه بالحافر الذي يحفر ، وسميت الأرض حافرة لأنها تحفر ، أي أءنا لمردودون حفرة أي أرضاً حفرة كقوله تعالى «أءذا ضللنا في الأرض» و «في عيشة راضية»

والمعنى: يقول هؤلاء المكذبون المنكرون للبعث إذا قيل لهم: إنكم ستبعثون قالوا منكرين متعجبين: أنرد من قبورنا بعد موتنا إلى أول الأمر فنعود أحياء ونرجع إلى حيث جئنا وكنا بعد الموت كما كنا قبل الموت، فنبعث خلقاً جديداً كقوله تعالى حكاية عنهم: «أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً» يقال: رجع فلان في حافرته وعلى حافرته أي رجع من حيث جاء وفي المثل: النقد عند الحافرة أي عند أول كلمة.

٢- عن مجاهد أيضاً: الحافرة: الأرض المحفورة التي حفرت فيها قبورهم وقيل: سميت الأرض الحافرة لأنها مستقر الحوافر كما سميت القدم أرضاً لأنها على الأرض. والمعنى: أإنا لراجعون بعد الموت إلى الأرض فنمشي على أقدامنا.

٣- عن ابن زيد ومقاتل وزيد بن أسلم: الحافرة النار أي هي إسم من أسماء النار إذ لها أسماء عديدة وهي الجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولظى والحطمة.

٣- قيل: الحافرة: العاجلة أي إنا لمردودون إلى الدنيا، فنصير أحياء كما كنا. وعن ابن عباس: الحافرة في كلام العرب: الدنيا. والمعنى: إنهم يقولون: أإنا لنرجع إلى الدنيا ونرد إلى أول حالنا وابتداء أمرنا، فنصير أحياء كما كنا.

والحافرة عند العرب: إسم لأول الشيء وابتداء الأمر.

٥- قيل: الحافرة الأرض المنتنة بأجساد موتاها من قولهم: حفرت أسنانه إذا نكبها الوسخ من ظاهرها وباطنها. ٦- قيل: الحافرة: الطريقة المعتادة المحفورة. ٧- قيل: إن الآية الكريمة تخبر عن إعترافهم بالبعث يوم القيامة فالكلام كلامهم بعد الأحياء فكأنهم لما بعثوا وشاهدوا ما شاهدوا يستغربون ما شاهدوا فيستفهمون عن الرد إلى الحياة الدنيا بعد الموت.

٨- عن ابن عباس والسدي أيضاً: الحافرة: الحياة الثانية وهي العودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت حيث ظنوا البعث خروجاً من بطن الأرض إلى ظهرها

تماماً كما كانوا من قبل .

أقول : والأول هو المروي والمؤيد بالآيات الكريمة

١١- (ءاذا كنا عظاما نخرة)

في «نخرة» أقوال : ١- قيل : أي بالية متفتتة ٢- قيل : أي مجوفة تنخر الرياح في جوفها إذا مرت بها ، فيصوت فيها الهواء لرخوتها ٣- عن ابن عباس : أي بالية قاتلة ٤- عن مجاهد : أي مرفوتة

٥- عن أبي عمرو بن العلاء : الناخرة هي التي لم تنخر بعد أي لم تبل ، ولا بد أن تنخر ٦- قيل : الناخرة هي التي أكلت أطرافها ، وبقيت أوساطها والنخرة هي التي فسدت كلها

أقول : والأول هو الأنسب بمعناه اللغوي فراجع

١٢- (قالوا تلك اذا كرة خاسرة)

في «كرة خاسرة» أقوال : ١- عن الحسن : أي رجعة خائبة كاذبة باطلة أي ليست كائنة ٢- قيل : أي رجعة غائبة ذات خسران فأهلها خاسرون لأنهم نقلوا من نعيم الدنيا إلى عذاب ، والخاسر الذاهب رأس ماله ، فكيف الربح ؟ والمعنى : إن كان الأمر على ما يقوله محمد ﷺ بأننا نبعث ونحاسب ونعاقب فتلك كرة ذات خسران علينا ، وهذا بناء على أنهم كانوا يقولون ذلك في الحياة الدنيا على سبيل الاستهزاء .

٣- عن الربيع بن أنس : أي رجعة خاسرة على من كذب بها فهو ذات خسران ٤- قيل : أي قال الكفار : تلك الكرة الكائنة بعد الموت كرة خسران والمعنى : أن أهلها خاسرون لأنهم نقلوا من نعيم الدنيا إلى عذاب النار ، ولا شيء أخسر من كرة تفضي المصير إلى النار ٥- عن قتادة ومحمد بن كعب : أي رجعنا أحياء بعد الموت لنحشرن بالنار وقالوا ذلك لأنهم أوعدوا بالنار

٦- قيل : أنهم يقولون ذلك عند البعث ، وما شاهدوه من أهوال القيامة

فيكون هذا منهم على سبيل التشاؤم والتحسر

أقول وعلى الثاني أكثر المفسرين، وفي معناه بعض الأقوال الأخر

١٤ـ (فإذا هم بالساهرة)

وفي «الساهرة» أقوال: ١ـ عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وعكرمة: أي وجه الأرض. والمعنى: فإذا هؤلاء المنكرون على ظهر الأرض أحياء بعد أن كانوا في بطنها أمواتاً. وإن كان الخلائق أجمعون كذلك ولكن الضمير «هم» راجع إلى هؤلاء المكذبين. وقال الفراء: سميت الأرض بالساهرة لأن فيها نوم الحيوان وسهرهم، والعرب تسمي الفلاة ووجه الأرض ساهرة بمعنى ذات سهر لأنه يسهر فيها خوفاً منها، فوصفها بصفة ما فيها.

٢ـ عن مجاهد: الساهرة الأرض البيضاء المستوية. وقيل: الأرض المستوية الفلاة أو مستنبط الأرض الخالية من النبات. سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء، وفي ضدها نائمة. وقيل: لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة. وقيل: هي أرض الآخرة جددها الله تعالى يوم القيامة وهي عرصة القيامة لأنها أول مواقف الجزاء، وهم في سهر لا نوم فيه. وقيل: هي أرض الدنيا سميت ساهرة لأن عملها في النبت في الليل والنهار دائب، ولذلك قيل: جبل المال عين جوارة في أرض جوارة بسهر إذا نمت، وتشهد إذا غبت ثم صارت إسماً لكل أرض.

٣ـ عن ابن عباس: الساهرة هي أرض من فضة لم يعص الله جل وعلا عليها قط خلقها حينئذ.

٤ـ قيل: الساهرة إسم للأرض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق، وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض.

٥ـ عن سفيان الثوري: الساهرة أرض الشام. ٦ـ عن وهب بن منبه: هي

جبل بيت المقدس وقيل جبل بجنب بيت المقدس

٧- عن عثمان بن أبي العاتكة: الساهرة إسم مكان من الأرض بعينه [illegible] وهو الصقع الذي بين جبل [illegible] وجبل [illegible] بعد [illegible] كيف [illegible]

٨- عن قتادة أيضاً: الساهرة هي جهنم [illegible] فإذا هؤلاء [illegible] في جهنم وإنما قيل لها ساهرة لأنهم لا ينامون فيها ولأنهم أنكروا جهنم فإذا هم منها في الأعماق

٩- قيل: الساهرة الصحراء على شفير جهنم أي يوقفون بأرض القيامة فيدوم السهر حينئذ

١٠- قيل: أي فإذا هم بالحالة الساهرة على الإسناد المجازي أو في جماعة ساهرة

أقول: والأول هو المروي من غير [illegible] بينه وبين بعض الأقوال الأخر فتدبر جيداً

١٦ **(إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى)**

في «طوى» أقوال: ١- عن مجاهد [illegible] «طوى» إسم للوادي المقدس وهو الموضع الذي كان فيه أول ما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام وكلمه فقلده الرسالة

٢- [illegible] إسم المقدس [illegible]

٣- [illegible]

٤- [illegible] التقديس [illegible]

٥- [illegible] الوادي المقدس هو واد في أسفل جبل [illegible] من الجانب الأيمن منه في الطريق المتجه من الشام إلى مصر «طوى» إسم لهذا الوادي ٧- قيل طوى [illegible] بين أيلة ومصر [illegible] طوى لما سواه موسى عليه السلام من الفلاة [illegible]

وبين الواد المقدس حتى آنس من جانب الطور ناراً ، فطوى أهله و تحلل عنهم أيضاً قاصداً وادى الوحى ثم طواه الله بالوحى بعد إنشائه وتفرغ باله ، و بعد ما طوى نفسه عن غير الوحى وعما سوى الله إذ خلع نعليه نعل الأهلين و نعل نفسه وانيته فحل بالوادى مجرداً عما سوى الله فاحتل منزلة الوحى أوأن طوى هى الارض التى حل بها موسى سميت طوى لما عرف من طوى موسى وإنطوائه إلى مطوى الوحى .

وقيل : الواد المقدس واد فى أسفل جبل طور سيناء من برية فلسطين و طوى إسم لذلك الوادى .

أقول : والاول هو المروى .

١٨- (فقل هل لك الى أن تزكى)

فى الآية الكريمة أقوال ١- عن ابن عباس وعكرمة : أى هل لك أن تشهد أن لا إله إلاّ الله ، فتطهر من الشرك وهذا على سبيل التلطف فى الاستدعاء

٢- عن إبن زيد . أى تسلم وتصلح فتطهر من الذنوب .

٣- قيل أى هل لك حاجة أو مبر أو إلتفات أو رغبة إلى أن تتزكى . و هذه كلمة جامعة لمواجب التكاليف لان المكلف لايصير زاكياً إلاّ بالتحلية عن كل مالايسعى للانسان والمعنى هل تودّ أن تتزكى وتتطهر عن كل مالا يسعى للانسان ، وهل ترغب إلى ما يرغب إليه كل إنسان

٤- قيل ان التزكى إشارة إلى تطهير النفس الفاسدة ، وتطهرها من قذارة الطغيان والمعنى هل لك أن تطهر نفسك من الآثام التى انغمست فيها ، وتعمل بما ادلك عليه من طرق الخير وتبعد عما أنت فيه من إجتراح السيئات ، وتتطهر من العيوب والنقى وقذارة الطغيان

٥- قيل هل لك ميل أن تعمل عملاً صالحاً فتزكى به نفسك ٦- قيل جاء موسى عليه السلام من فرعون إرسال بنى إسرائيل معه

أقول : ولكل وجه من غير تناف بينها

٢٠- (فأراه الاية الكبرى)

في «الاية الكبرى» أقوال ١- عن مجاهد وقتادة والحسن . هي عصاه ويده

٢- عن ابن عباس وابن زيد هي العصا والحية إذ تحولت ثعباناً مبيناً .

٣- قيل : هي العلامة العظمى وهي المعجزة تشمل جميع آياته ومعجزاته

٤- قيل هي اليد البيضاء تبرق كالشمس إذ أخرجها بيضاء للناظرين

٥- قيل هي فلق البحر ٦- قيل إشارة إلى جميع آياته ومعجزاته .

أقول وما يستظهر من إجمال القصة وتفصيلها . ان الآية الكبرى هي العصا إذ تحولت ثعباناً مبيناً ويد موسى عليه السلام إذ أخرجها فهي بيضاء للناظرين وكانتا هاتين برهانين قد أبرزهما موسى عليه السلام وقتاً واحداً بمرئى فرعون وملائه عند إبتداء دعوته . ووحدة الآية لما طلبها فرعون بصيغة واحدة من موسى عليه السلام إذ «قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين» الاعراف . ١٠٦)

٢٢- (ثم ادبر يسعى)

في «الآية الكريمة أقوال ١٠- قيل أي ثم تولى فرعون يجد ويجتهد في إبطال أمر موسى عليه السلام ومعارضته ، فما ازداد إلا كفراً وعناداً

٢- عن مجاهد أي ثم ولى فرعون مدبراً معرضاً عن الايمان ، ويعمل بالفساد في الارض

٣- عن الحسن ان فرعون لما رأى الحية على عظمها خاف منها فأدبر وكان يسعى عدواً من الحية وقيل : أي يتحيل في دفع موسى عليه السلام .

٤- قيل : أي أدبر خوفاً من الثعبان ، ويسعى في لكاية موسى

٥- قيل أي تولى عن موسى عليه السلام إظهاراً للتجلد ٦- قيل أي ولى معرضاً عما دعاه إليه موسى عليه السلام من طاعته ربه وخشيته وتوحيده ، يسعى في معصية الله جل وعلا وفيما يسخطه عليه ، ويسعى في كيده

أقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق وما جاء في تفصيل القصة

٢٣- (فحشر فنادى)

في الآية الكريمة أقوال: ١- قيل: أي جمع فرعون أصحابه ليمنعوا موسى عليه السلام من دعواه، فنادى في المقام الذي اجتمعوا فيه معه

٢- قيل: أي جمع جنوده للقتال والمحاربة والسحرة الذين في بلاده للمعارضة

٣- عن إبن زيد: أي فحشر جنوده للحضور والمشاورة ليشاهدوا على ما أراد من إبطال أمر موسى عليه السلام وان الحشر بمعنى الجمع من كل جهة، وقد يكون الجمع بضم جزء إلى جزء فلا يكون حشراً فاذا جمع الناس من كل جهة فذلك هو الحشر، ولهذا سمي يوم الحشر، والحاشر هو الذي يجمع الناس بازعاج من كل جهة إلى الخراج

أقول: وعلى الأخير أكثر المفسرين

٢٤- (فقال أنا ربكم الاعلى)

في «ربكم الاعلى» أقوال: ١- قيل: أي لا رب لكم فوقي وروي ان ابليس تصور لفرعون في صورة الانس بمصر في الحمام فأنكره فرعون، فقال له ابليس: ويحك! أما تعرفني؟ قال: لا قال: وكيف وأنت خلقتني؟ ألست القائل أنا ربكم الاعلى

٢- قيل: ان فرعون كان يدعي تفضيل نفسه على كل من يلي أمورهم وانه فوق سائر اولياء امور مملكته من حكام وعمال لكونه سلطاناً عليهم كما حكاه الله تعالى عما قال به: «ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر» (الزخرف: ٥١)

٣- قيل: ان فرعون كان يدعي العلو في الربوبية عند بروع دعوة موسى عليه السلام وكان يدعي انحصار الالوهية بنفسه حيثما طال عليه الامر والسطوة

٤ ـ قيل : أي أنا الذي أنال بالضرر من شئت ولا ينالني غيري ، وقد كذب اللعين فإن هذه الصفة مختصة بالله جل وعلا الذي خلق الخلائق كلها . ٥ ـ عن عطاء : كان فرعون يصنع لهم أصناماً صغاراً ، وأمرهم بعبادتها ، فقال : أنا رب أصنامكم .

٦ ـ قيل : إن فرعون جعل الأصنام أرباباً لأهل مملكته ، فكانوا يعبدونها ، فقال : أنا ربها وربكم جميعاً بأنه رب الأرباب ، فكان يدعي العلو في الربوبية على سائر الأرباب التي كان يقول بها قومه الوثنيون ، فيفضل نفسه عليها ، وكان فرعون وثنياً أيضاً يعبد الآلهة كما قال الله تعالى حكاية عن ملأه إذ كانوا يخاطبون له حثاً له على إهلاك موسى وقومه : «أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك آلهتك» (الأعراف : ١٢٧) .

فمراده بهذا التفصيل أنه يدعي أن يكون أقرب الآلهة منهم حيث تجري بيده أرزاقهم وتصلح بأمره شئون حياتهم ، ويحفظ بمشيئته شرفهم وسؤددهم وسائر الآلهة ما كانت على تلك الصفة .

٧ ـ قيل : أراد القادة والسادة وهو ربهم وأولئك هم أرباب السفلة الجهلة .

أقول : والثالث هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر .

وفي الخطاب «ربكم» أقوال : ١ ـ خطاب من فرعون طاغية مصر لطائفة من حواشيه وعماله لقوله تعالى : «قال لمن حوله ألا تستمعون» (الشعراء : ٢٥) ، هذا من دأب الفراعنة في كل وقت ومكان في طول الأعصار بين عمالهم وحواشيهم ، وهؤلاء العمال السفلة والحواشي المردة يتقبلون من فراعنتهم دعاويهم بقبول حسن ، وإن كان أكثرهم يعلمون بكذب تلك الدعاوي ولكنهم يحمون عنها ويروّجونها ، يسيغونها لحفظ أربابهم ، مقامات أنفسهم ، وحفظ رئاساتهم ومكاناتهم ، لأنهم يسقطون بسقوط أربابهم .

٢ ـ قيل : خطاب لطائفة من السفهاء والبلهاء من أهل مملكته وهم السود

الاعظم . ٣- قيل : خطاب لجميع أهل مملكته .

أقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق .

٢٥- (فأخذه الله نكال الاخرة والاولى)

في «نكال الاخرة والاولى» أقوال ١- عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي ومقاتل والضحاك وعكرمة وابن زيد « نكال الاخرة » قول فرعون «ما علمت لكم من إله غيري » والاولى قوله « أنا ربكم الاعلى » وعن ابن عباس كان بين الكلمتين أربعون سنة وقيل عشرون سنة

وفيه دليل على أنه تعالى يمهل ولا يهمل والمعنى أمهله في الاولى ثم أخذه في الاخرة ، فعذبه بكلمتيه ٢- عن ابن عباس أيضاً - عكس الاول

٣ - عن الحسن وقتادة نكال الاولى هو عذاب الدنيا من إغراق فرعون وجنوده ونكال الاخرة هو عذابه يوم القيامة بالنار ٣- عن مجاهد أيضاً والكلبي أي أخذ بأول عمله في أول عمره ، وبآخر عمله في آخر عمره ٥- عن قتادة أيضاً والفعال نكال الاولى تكذيب فرعون لموسى عليه السلام و نكال الاخرة قوله « أنا ربكم الاعلى » .

٦- عن أبي زيد نكال الاولى عصيانه ربه و كفره ، والاخرة قوله « أنا ربكم الاعلى » ٧- قيل النكال التعذيب الذي يردع من رآه أو أسمعه عن تعاطي مثله ، والاخرة عذاب الاخرة ، و انه نكال حيث ان من شأنه أن يردع من سمعه عن تعاطي ما يؤدي إليه من المعصية ، والاولى عذاب الدنيا وهو عذاب الاستيصال فهو نكال لذلك

٨- قيل الاولى أول معاصيه والاخرى آخرها . والمعنى - أخذه الله تعالى نكال مجموع معاصيه ٩- قيل نكال الاخرة أي سواء الجحيم ، الاولى أي عذاب أليم

أقول والاول هو المروي من غير خلاف بينه وبين بعض الاقوال الاخر

٢٨- (رفع سمكها فسواها)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن قتادة: أي رفع الله تعالى بناء السماء فسواها، فلا شيء أرفع من شيء، ولا شيء أخفض من شيء، ولكن جميعها مستوى الارتفاع والامتداد. والسمك هو الامتداد القائم على كل من إمتدادي الطول والعرض، فإذا اعتبر من أسفل إلى العلو يسمى سمكاً، وإذا اعتبر بالعكس يسمى عمقاً.

٢- عن أصحاب الهيئة: أن المراد بتسوية السماء جعلها كروية كالأرض. ٣- عن مجاهد: أي رفع بناءها بغير عمد يرونها. ٤- قيل: أي جعل الله تعالى السماء طبقات مرتبة كقوله: «فسواهن سبع سموات».

٥- عن إبن عباس: أي رفع الله تعالى بنيان السماء وجعلها مستوية بلا شقوق ولا فتور ولا تفاوت. ٦- قيل: أي رفع سقفها وما ارتفع منها فأضبطها بأن أعلى سقفها وضبط نواميسها. ٧- قيل: أي جعل سمتها في جهة العلو رفيعاً فجعلها مستوية مؤلفة بلا عيب. ٨- قيل: فسواها أي فأحكمها وجعلها متصرفاً للملائكة.

أقول: والخامس هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال الأخر فتأمل جيداً.

٣٠- (والأرض بعد ذلك دحيها)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عباس: أي ان الله تعالى دحا الأرض من بعد خلق السماء وإن كانت الأرض خلقت قبل السماء. وذلك ان الله جل وعلا خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ثم خلق السماء فسواها ثم دحا الأرض بعد ذلك. وكانت الأرض ربوة مجتمعة تحت الكعبة ولكن بسطها بعد خلق السماء. وقال إبن عباس: ان الله تعالى خلق الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألف عام (بألفي عام ح) ثم دحيت الأرض من تحت البيت.

٢- عن قتادة والسدى وسعيد أى بسط الارض وهذا يشير إلى كون الارض بعد السماء . و لغة تقول : دحوت الشيء أدحوه دحواً إذا بسطته ٣- عن ابن عباس أيضاً و مجاهد والسدى و ابن جريج « بعد ذلك » أى مع ذلك كقوله تعالى « فك رقبة - ثم كان من الذين امنوا » أى كان مع هذا من أهل الايمان بالله و قوله تعالى « عتل بعد ذلك زنيم » أى مع ذلك و ذلك أن الله تعالى خلق الارض ودحاها قبل السماء لقوله تعالى « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات » ٤- قيل : دحاها أى سواها

٥- قيل « بعد » بمعنى « قبل » كقوله تعالى : « ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر » أى من قبل الفرقان ٥- عن ابن زيد دحاها بمعنى شقها ٦- قيل دحاها أى مهدها للاقوات ٧- قيل دحاها أى دحرجها وقلبها . ٨- عن مجاهد أيضاً : أى عند ذلك دحاها

أقول : والاول هو المروى

٣٣- (فاذا جائت الطامة الكبرى)

فى « الطامة الكبرى » أقوال ١- عن ابن عباس والضحاك الطامة إسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله تعالى وحذر عباده سمى بذلك لانها تعلو وتغلب على كل شيء ، فتعم ما سواها لعظم هولها وأصل الطم الدفن والغلبة فكل ما علب شيئاً وقهره وأخفاه فقد طمه

٢- عن مجاهد الطامة أى حين يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ٣- عن سعيد الطامة هى الساعة التى يساق فيها أهل الدنيا إلى الزبانية أى لداهية التى طمت وعظمت

٤- عن ابن عباس أيضاً : لحسن الطامة هى الصيحة الثانية التى يكون معها البعث والحساب والجزاء ٥- قيل الطامة هى الفاشية لعلبته المحلقة

التي تدق الشيء بالغلظ عن المبرد ، الطامة الكبرى هي الداهية العظمى التي لاتستطاع ولاتطاق من قولهم طم الفرس طميماً إذ إستفرغ جهده في المشي والجري ، فاذا وصفت بالكبرى كانت في غاية الفظاعة ونهاية الشدة .

أقول وعلى الاول أكثر المفسرين من غير تعرض لما بينه وبين بعض الأقوال الاخر .

٣٦- (وبرزت الجحيم لمن يرى)

في الاية الكريمة أقوال ١- عن إبن عباس : أي كانت الجحيم في مكان بارز يراها كل من له عيان ، فيشاهدونها مشاهدة عيان ، فيكشف عنها تتلظى . فيراها كل ذي بصر ، سواء منهم المؤمن والكافر ، ولكنها تكون مع الكافرين . وينجي الله تعالى المؤمنين ٢- قيل هذا مثل في الامر المنكشف الذي لايخفى على أحد فعلى هذا يكون إستعارة ، ولايجب أن يراها كل أحد لان الاخبار إنما وقع عن كونها بحيث لاتخفى على ذي بصر لاعن وقوع البصر

٣- قيل ان الجحيم برزت ليراها كل من له بصر ، و على هذا يجب أن يراها لكل أحد إلا أن المؤمنين يمرون عليها كالبرق الخاطف ، وأما الكافرون فيقعون فيها ، فكأنها برزت لأجلهم فقط ، فيراها الخلق كلهم مكشوفاً عنها الغطاء ويبصرونها مشاهدة عيان ، فالآية في معنى قوله تعالى « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » ق ٢٢)

٤- قيل ظهرت الجحيم بارزة واضحة لكل كافر بما فيها من أنواع العذاب لانه الذي يرى النار ويدخل فيها ثم قيل أي يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة ويسلي الكافر بالنار

أقول والرابع هو الأنسب بظاهر السياق والمؤيد بالايات القرآنية فتأمل و اغتنم

٣٠- (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)

في قوله تعالى «من خاف مقام ربه» قولان ١ـ عن الربيع أن معنى خاف مقامه بين يدي ربه يوم الحساب، وقيامه بين يديه في موقف الحرج والفضيحة ٢ـ قيل إن المراد بالمقام هو موقف الله جل وعلا الذي يقف به عباده يوم القيامة وهو موقف الحساب ٣ـ قيل أن من خاف مسألة الله تعالى إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يدي ربه عما يجب عليه فعله وتركه وضبط نفسه وحبسها على مذاهب التكاليف من الأوامر التي ترد النفس عن فعلها والنواهي التي تشتهيها النفس وتهواها، فالمقام مقدر والمضاف محذوف

٤ـ عن مجاهد وقتادة أن الله تعالى مقامًا يخاف المؤمنون ربهم وهو خوفهم من الله تعالى في الحساب لدى عبده وقد الذي يقفهم فيه ثم تركوه وعدلوا عن موقع رضاه فعصوه واستحقوا به العذاب وقيل المقام إسم مكان يراد به المكان الذي يقام فيه كالمجلس من جلس والمقر من قر وهو الأصل في معناه كالمدخل إسم مكان من دخل، مقدرًا أمامه ثم يعبر به عن الشيء نفسه أو عن الحق والواجب مجازًا مستفيضًا كالشيء يشيع في الناس ويستفيض عندهم فيكون كالمرئي لهم كما في قوله تعالى في الشهادة «وأن يقوم مقامهم» الخ (١٠٧) وقول نوح عليه السلام لقومه على ما حكاه الله جل وعلا «إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله» (يونس ٧١)

«وقول الملائكة عند ما حكاه الله تعالى عنهم «وما منا إلا له مقام معلوم» والصافون (١٦٤) فيه قولان ١ـ عن المفسرين إلا لنا مقامات في عبادة ربنا لا نستطيع أن نتجاوزها أو نقف عندها ٢ـ قيل المعنى ما منا ملك إلا له مكان في السماء لعبادة ربه والصلاة له عند ما ينزل من عند الله تعالى الذي يحق له عبادته ومرضاته ونسبة الجزم لهم لبدأ حديثهم بضمير الجمع وهو نون العظمة وأل في الصافون وشدد عليه للدلالة على الكثرة والتمكن

٥- قيل ان المقام مصدر أى خاف قيامى عليه بالحفظ والمراقبة فيما يعمل، وقيامى بالعدل فى الجزاء. ولذلك قال. خاف مقامه دون أن يخافه. وليس خوف المقام هنا إلا لخوف الوعيد الناتج عن مقام الرب، وهو قيامه العدل والجزاء الوفاق للحسنات والسيئات. فالله تعالى لا يخاف حتى يخاف من جوره إذ لا يخاف الرب، وإنما يخاف مقام الرب الداعى لعصيانه، والعادل فلا يعصى فخوف الله ليس لألوهيته وإنما لعدله بربوبيته

٦- قيل معنى خاف مقام ربه خاف ربه بطريق الأفحام كما قيل فى قوله تعالى «أكرمى مثواه»

٧- قيل أى جلاله وعظمته فمن تذكر ربه فى ذلك اليوم وأدرك مقدار عظمته وقهره وعلمه بحركاته وسكناته ٨- قيل أى من خاف من حسابه وإنتقامه واكتفى ببعاده عن حرامه

القول: والرابع هو المروى

وفى قوله تعالى «نهى النفس عن الهوى» أقوال ١- قيل أى زجر النفس عن المعاصى والمحارم وعن سهل ترك الهوى مفتاح العصمة

٢- قيل أى نهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله، ولا يرضاه منها فزجرها عن ذلك وخالف هواها إلى ما أمره به ٣- قيل أى نهى النفس عن المحارم التى تشتهيها وتهواها

٣- عن معاذ ان الرجل ليهم بالمعصية فتذكر مقامه للحساب فيتركها

٤- قيل هو زجرها وكفها عن هواها المردى لها بميلها إلى الشهوات فتم بحر وراء شهوتها وحبس نفسه لوقوع فى محارمه

ومنه قال الشاعر

فخالف هواها واعصها إن من يطع ... هوى نفسه ترع به كل مترع

ومن يطع النفس اللجوجة ترده ... ويرم به فى مصرع أى مصرع

أقول: ولكل وجه والمعاني متقارب .

٤٢- (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها)

في «أيان مرساها» أقوال . عن ابن عباس وأبي عبيدة . أي أيان منتهى الساعة . ومرسا السفينة حيث تنتهي .

٢- قيل أي متى قيام الساعة وقال الفراء، رسوها قيامها كرسو السفينة

٣- عن الربيع بن أنس : أي متى زمانها وحصولها .

٤- قيل أي زمان إرسائها وهو إقامة الله تعالى إياها ٥- قيل : أي متى أيام الساعة وحصولها ووقوعها

٦- قيل أي متى قيامها وظهورها وقال الفراء : ان الارساء للسفينة و الجبل الراسيه وما أشبههن ، فوصف الساعة بالارساء لانها بمنزلة السفينة إذا كانت جارية فرست ورسوها قيامها، قال وليس قيامها كقيام القائم إنما هي كقولك قد قام العدل وقام الحق أي ظهر وثبت

أقول: والمعاني متقارب

٤٣- (فيم انت من ذكراها)

في الآية الكريمة أقوال ١- قيل أي في أيّ شيء انت يا محمد ﷺ من ذكر القيامه و السئوال عنها ؟ وليس لك السئوال عنها . فكأنه ﷺ لما كثروا عليه السئوال عنها سئل الله تعالى أن يعرفه ذلك ، فقيل له لاتسئل عنها بعد ، إذ لست في شيء من ذلك . وقيل أيّ شيء أنت من ذكر الساعة والبحث عن شأنها ٢- قيل أي لست في شيء من علم الساعة وذكراها والمعنى لاتعلمها ٣- عن الحسن أي ليس عندك علم وقتها، وإنما تعلم انها تكون لامحالة و المعنى يسئلونك فيم أنت من العلم بها ٤- قيل : أي ليس هذا مما يتصل بما بعثت لأجله فانما بعثت داعيا

٥- قيل: انها من حكاية قولهم. والمعنى: انك قد أكثرت من ذكراها فمتى يكون

٦- قيل: ان الاستفهام للانكار على المشركين في مسئلتهم له أي فيم أنت من ذلك حتى يسئلوك بيانه ولست ممن يعلمه. والذكرى بمعنى كثرة المذاكرة فالمعنى: ماذا يحصل لك من العلم بوقت الساعة بسبب كثرة المذاكرة بينهم. والسؤال عنها: وأين أنت من ذكرها، وقتها، وقد تفرد بعلمها علام الغيوب

٧- قيل: ان الآية من تمام سؤال المشركين خاطبوا به رسول الله ﷺ والمعنى: ما الذي عندك من العلم بها وبوقتها أو ما الذي حصل لك وأنت تكثر ذكراها

٨- قيل: ان الاستفهام للانكار والذكرى بمعنى حضور حقيقة معنى الشيء في القلب. فالمعنى: لست في شيء من العلم بحقيقتها وتحيط بوقتها

٩- قيل: أي ليس ذكرى الساعة مما يرتبط برسالتك ودعوتك، إنما بعثت أنت لتنذر من يخشاها

١٠- قيل هذا تعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل: في أيّ شغل وإهتمام أنت من ذكرها. والسؤال عنها حرصاً على جوابهم إلى ربك منتهى علمها

١١- قيل: ان «فيم» إنكار لسؤالهم و«أنت من ذكراها» مستأنف سيق تعليلاً لانكار سؤالهم. فالمعنى: فيم هذا السؤال إنما أنت من ذكرى الساعة لاتصال بعثتك بها. وأنت خاتم الانبياء عليهم السلام وهذا المقدار من العلم يكفيهم لقوله ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين إن كادت لتسبقني»

أقول: والتاسع هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر فتأمل جيداً

٢٦- (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أوضحاها)

في الآية الكريمة أقوال: ١- عن إبن عباس: أي كأن المنكرين للبعث

يوم يرون الساعة لم يلبثوا إلاّ يوماً واحداً . وهذا على طريق التمثيل والتشبيه بأن قرب الساعة من حياتهم الدنيا بحيث مثلهم حين يرونها مثلهم لو لبثوا بعد حياتهم في الأرض عشية أوضحى تلك العشية أو وقتا نسبته إلى نهار واحد نسبة العشية إلى ما قبلها منه أو نسبة الضحى إلى ما قبله منه ، فالمراد بالليث لبث ما بين الحياة والبعث أي لبثهم في القبور لأن الحساب يقع على مجموع الحياة الدنيا

والمعنى : كأنهم لم يلبثوا في قبورهم إلاّ عشية أوضحاها ، وذلك أنهم استقصروا مدة لبثهم في القبور لما عاينوا من أهوال الساعة . فيوم يحشر المنكرون إلى ربهم يظنون أنهم لم يلبثوا في القبور إلاّ ساعة من نهار .

٢ـ عن قتادة : أي كأن الكفار يوم يرون الساعة لم يلبثوا في دنياهم إلاّ قدر عشية أوقدر الضحى الذي يلي تلك العشية ، والمراد بالليث لبثهم في الحياة الدنيا والمراد تقليل مدة الدنيا بالنسبة إلى الآخرة كقوله تعالى . «لم يلبثوا إلاّ ساعة من نهار» فهم حين يرون الساعة يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا ، فكأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلاّ عشيه أوضحاها وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة وقد يعبّر عن زمان المحنة بالعشيه ، وعن زمان الراحة بالضحى ، فكأنه قيل : ما كان عمر بافي الدنيا إلاّ هاتين الساعتين وان العشية . طرف النهار من آخره ، والضحى : طرفه من أوله . فهم إذا رأوا الآخرة صغرت الدنيا في أعينهم حتى كأنهم ما قيموا بها إلاّ مقدار عشيه أو مقدار ضحى تلك العشيه

٣ـ قيل : إن هذا اليوم الموعود خيّل إليهم انهم لم يلبثوا من يوم خلقوا إلى يوم البعث إلاّ طرفاً من نهار أوله أو آخره ولم يلبثوا نهاراً كاملا لمفاجأتهم لهم من غير إستعداد لوقوعها

٤ـ قيل أي كأنهم يرون الساعة . وهي صيحه الاحياء للبعث انهم لم يلبثوا في الحياة قبلها من الرزخ وقبله إلاّ عشيه أوضحاها

٥ قيل: ان المراد باللبث لبث بين حين سؤالهم عن وقت وقوع الساعة، وبين البعث، وفيه لهم إنما يشاهدون لبثهم على هذه الصفة عند البعث، والبعث الذي هو الاحياء بعد الموت إنما نسبته إلى الموت الذي قبله دون مجموع الموت وبعض الحياة التي بين زمان السؤال عن الوقت وزمان الموت.

٦ قيل: اي كأن هؤلاء المكذبين بالبعث يوم يرون الساعة لم يلبثوا في وقوعها وتحققها إلا عشية أو ضحاها بأن جاءت الساعة ووقعت بأقل قليل من الزمن فتبدو في حسهم كأنها عشية أو ضحاها.

أقول: وعلى الثاني أكثر المحققين.

﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ـ (والنازعات غرقا)

اقسم بالملائكة الذين ينزعون نفوس الكفرة الطاغية والفجرة العتاة من بني آدم نزعاً شديدة من أقاصي الاجساد من أناملها وأظفارها .

وان الاية الكريمة في معنى قوله تعالى « ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم » الانعام ٩٣)

وقوله جل وعلا « قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون » السجدة : ١١)

وقوله سبحانه « فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم » محمد ﷺ ٢٧ ـ ٢٨)

وان النزع صفة من صفات طائفة من طوائف الملائكة سميت بها السورة كقوله تعالى « والصافات صفاً » الصافات ١) و قوله جل وعلا « والذاريات ذروا » الذاريات ١) وقوله سبحانه « والمرسلات عرفاً » المرسلات ١)

٢ـ (والناشطات نشطا)

و اقسم بالملائكة الذين يجذبون أرواح الكفار وأبدانهم من شدة الجذب والاظفار واللحوم حتى يخرجوها من أجوافهم بالكرب والغم

٣ـ (والسابحات سبحا)

واقسم بالملائكة الذين يقبضون أرواح المؤمنين ، ويسلّونها سلاً رفيقاً سهولة حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرمي به ، ويسبحون بها بين السماء والارض ويسرعون بها إلى الجنة .

قال الله تعالى « كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » النحل : ٣١-٣٢)

و قال : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة » فصلت : ٣٠ - ٣١)

٤- (فالسابقات سبقاً)

واقسم بالملائكة الذين يسبق بعضهم بعضاً بأرواح المؤمنين إلى الله جل وعلا وإلى الجنة بعد أن قبضوها برفق وسهولة

٥- (فالمدبرات أمراً)

واقسم بالملائكة الذين يدبرون أمر الكون السماوي والارضي بإذن الله تعالى ومن البديهي ان المدبر في التكوين والتشريع هو الله جل و علا وحده بالاصالة والاستقلال من غير أن يشاركه في هذا التدبير الالهي وسائط التدبير الملائكة وغيرهم فتدبيرهم طولي ولا يكون عرضياً فانهم لا يدبرون الا بإذن الله جل و علا ، فهم يرسلون لانفاذ أمره كل حسب مراتبه في المقام

قال الله تعالى حكاية عنهم « وما منا إلاّ له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون » الصافات : ١٦٤ - ١٦٦)

فالآيات الخمس التي إبتدأت بها السورة أقسم من الله تعالى بصفات الملائكة من طريق ذكر الاوصاف و إرادة الموصوفين بها لدخلها في إمتثالهم للأوامر الصادرة عليهم من ساحة العزة المتعلقة بتدبير امور هذا العالم المشهود من نزع الارواح من الاجساد كل حسب إستحقاقه ، ثم قيامهم بالتدبير بإذن الله تعالى .

وللاشعار بأن كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيقة بأن يكون على حياله مناطاً لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير إنضمام الاوصاف الاخر إليه

فالآيات الخمس أقسام بما يتلبس به الملائكة من الصفات عندما يؤمرون بتدبير أمر من امور هذا العالم المشهود من حين يأخذون في النزول إليه إلى تمام التدبير، وفيها إشارة إلى نظام التدبير الملكوتي عند حدوث الحوادث كما أن الآيات التالية أعني قوله جل وعلا «هل أتاك حديث موسى» الخ إشارة إلى التدبير الربوبي الظاهر في هذا العالم، وفي التدبير من حجة على البعث والحساب والجزاء فتدبر.

والآيات الكريمة شديدة الشبه سياقاً بآيات مفتتح سورة الصافات «والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً» الصافات ١ ـ ٣) وبآيات مفتتح سورة المرسلات «والمرسلات عرفاً فالعاصفات عصفاً والناشرات نشراً فالفارقات فرقاً فالملقيات ذكراً» المرسلات ١ ـ ٥) وبآيات مفتتح سورة الذاريات «والذاريات ذرواً فالحاملات وقراً فالجاريات يسراً فالمقسمات أمراً» الذاريات ١ ـ ٤)

٦ـ يوم ترجف الراجفة)

إن الله تعالى أقسم بهؤلاء الموصوفين على صفاتهم بأن الكافرين الذين ينكرون البعث والحساب والجزاء ليبعثن ويحاسبن يوم ترجف الارض بالصيحة العظيمة التي فيها تردد واضطراب، والمراد بها النفخة الاولى التي يموت فيها الخلائق كلهم «صعق عندئذ كل من في السموات والارض»

قال الله تعالى «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله» الزمر ٦٨)

وقال «إن كانت إلا صيحة واحدة فاذاهم خامدون» يس ٢٩)

وقال «فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة» الحاقة: ١٣-١٥)

وقال «يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً» المزمل: ١٤)

٧- (تتبعها الرادفة)

تتبع النفخة الأولى، النفخة الثانية حين حلول اليوم المعين، والرادفة هي رجفة أخرى تتبع الأولى فتضطرب الأرض وتبدل غير الأرض والسموات لإحياء الموتى كما اضطربت في الأولى لموت الأحياء، وبهذه الصيحة العظيمة المتأخرة التابعة يبعث معها الخلق كلهم

فالآية الكريمة وما قبلها تنطبقان على نفختي الصور التي يدل عليهما قوله تعالى: «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون» الزمر: ٦٨)

وقال في النفخة الثانية «ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً» الكهف: ٩٩)

وقال «ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون - إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون» يس: ٥١-٥٣)

وقال «يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج - يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير» ق: ٤٢-٤٤)

وقال «يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً» النبأ: ١٨)

وما ورد في الآيتين الكريمتين فمن باب التأويل فتأمل جيداً

٨- (قلوب يومئذ واجفة)

قلوب الكفار والمجرمين على طوائفهم يوم القيامة خائفة وجلة، قلقة غير هادئة، ومضطربة إضطراباً شديداً غير ساكنة، فخفت لما عاينت ما كان النبي الكريم ﷺ يذكرهم به من أهوال القيامة وفزعها مخافة أن يحل بهم ما أنذروا

به فيستولي الرعب والاضطراب على قلوبهم فتخضع خوفاً

فيومئذ تتقلب قلوب الكفار وتبلغ الحناجر، وتروع أفئدتهم، فيؤخذون من مكان قريب كما أخذ الله آل فرعون وقومه فكذا الآخرة كالأولى وأما المؤمنون فهم من فزع يومئذ آمنون.

قال الله تعالى «يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار» (النور ٣٧).

وقال «وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين» (غافر ١٨)

وقال «وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر» (الأحزاب ١٠)

وقال «ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب» (سبأ ٥١)

وقال «ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ـ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» (النمل ٨٧ ـ ٨٩)

وقال «إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ـ لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون» (الأنبياء ١٠١ ـ ١٠٣)

٩ـ (أبصارها خاشعة)

أبصار أصحاب تلك القلوب الواجفة يوم القيامة منكسرة ذليلة من أهوال ما تراه وما علاها من الكآبة والحزن والخوف والرعب الذي قد نزل بهم

قال الله تعالى «خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة» (المعارج ٤٤)

وقال «خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر» (القمر: ٧)

وقال «ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء» (ابراهيم ٤٢ ـ ٤٣)

وقال: «واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين» الأنبياء (٩٧)

وقال: «يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار» النور (٣٧)

١٠- (يقولون ءانا لمردودون في الحافرة)

إذا قيل في الحياة الدنيا لمنكري البعث والحساب في الدار الآخرة: إنكم مبعوثون من بعد الموت للحساب والجزاء بما كنتم تعملون في الحياة الدنيا إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً، هم يقولون على طريق الاستبعاد والاستعجاب وعلى سبيل الاستهزاء والاستنكار: أإنا لمردودون إلى حالتنا الأولى قبل الممات أفنرجع إلى أول الأمر بعد موتنا؟ أفنعود أحياء كما كنا قبل مماتنا، وليس كذلك إن الله لا يبعث من يموت.

قال الله تعالى: «ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين» هود (٧)

وقال: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت» النحل (٣٨)

وقال: «إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين» المؤمنون (٣٧)

وقال: «زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير» التغابن (٧)

١١- (ءاذا كنا عظاما نخرة)

هؤلاء المنكرون للبعث والمكذبون بالحساب والجزاء يقولون على سبيل الاستبعاد والاستنكار: أنرد أحياء بعد ما صرنا عظاماً بالية متفتتة؟ كيف نبعث إلى خلق جديد وقد بليت عظامنا ولم يبق لها أي أثر؟

قال الله تعالى: «وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً» الإسراء (٤٦)

وقال «أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون» المؤمنون : ٣٥ ـ ٣٦)

وقال «أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد» ق ٣)

١٢ـ (قالوا تلك اذا كرة خاسرة)

قال هؤلاء المنكرون للبعث والحساب والجزاء على سبيل الاستهزاء إن صحت الرجعة كما يقول بها محمد ﷺ بأننا نبعث ونحاسب ونجازى، فتلك إذاً رجعة ذات خسران علينا، وكنا إذاً لمن الخاسرين لتكذيبنا بها على طريق الاستهزاء

قال الله تعالى «قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين» يونس : ٤٥)

وقال «ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون» الجاثية : ٢٧)

١٣ـ (فانما هي زجرة واحدة)

فلا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله جل وعلا، فإن هذه الكرة ليست إلا صيحة واحدة وهي صيحة إسرافيل في النفخة الثانية، فيبعث الله تعالى بها الأموات فلا يستصعبوها أيها المنكرون بها والزجر طرد بصوت وصياح

قال الله تعالى «فانما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين» الصافات ١٩ ـ ٢٠)

وقال «أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير» العنكبوت ١٩)

وقال «يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ـ يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير» ق ٤٢ ـ ٤٤) وما ورد في المقام فمن باب التأويل فتأمل جيداً

١٣- (فاذاهم بالساهرة)

فحين الكرة بالنفخة الثانية هؤلاء المكذبون بالبعث ، والمنكرون للحساب والجزاء والمتعجبون من إحياء الله تعالى إياهم من بعد مماتهم تكذيباً منهم بذلك هم بظهر أرض المحشر بعد أن كانوا في بطن أرض الدنيا ، ولا يتخلف منهم أحد ولا يستطيع التخلف إن أراد ، ولا نوم لهم يومئذ فيها ، بل هم في سهر دائم بعد بعثهم من نومهم في القبور ، فهم محضرون لعرض الحساب وموقف الجزاء كما أن الخلائق كلهم بارزون يومئذ لله الواحد القهار

قال الله تعالى: «ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون» (يس ٥١ - ٥٣)

وقال: «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار» (إبراهيم ٤٨)

وقال: «ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعداً» (الكهف ٤٧ - ٤٨)

وقال: «يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار» (غافر ١٦)

١٥- (هل أتاك حديث موسى)

قد [illegible] حديث موسى بن عمران عليه السلام مع فرعون [illegible] مصر وقومه

وقد جاء الاستفهام بداعي ترغيب السامع في استماع الحديث ليتسلى به هو عليه السلام ويكون للمنكرين إنذاراً بما فيه من ذكر العذاب وإتماماً للحجة ولا ينافي هذا النوع من الاستفهام تقدم على السامع بالحديث لأن الغرض هو توجيه

نظر السامع إلى الحديث دون السؤال والاعلام بحقيقته. وقد سبقت في هذه السورة إحدى وعشرون سورة ولم يذكر فيها موسى عليه السلام وفرعون مقترنين على طريقي الاجمال والتفصيل.

ولذلك نظائر منها: قصة ضيف إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ الخ. كما فيها أنه لقوم لا يعلمون (الذاريات ٢٤ ـ ٣٧) وهي مبسوطة مفصلة في سورة الحجر من آية ٥١ ـ ٨٤.

١٦ ـ (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى)

حين يدي الله جل وعلا موسى عليه السلام واصطفاه لرسالته، وهو بالواد المبارك المطهر طوى من جانب الطور الأيمن الذي هو أقرب إلى مصر من غيره، وهو الموضع الذي كلمه فيه وأرسله، وأول ما أوحى إليه.

قال الله تعالى في سياق حديث موسى إذ رأى ناراً: ﴿فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ (طه ٩ ـ ١٤).

﴿وقال ويا إبراهيم من عندنا وذكرى للعابدين وقربناه نجياً﴾ (مريم: ٥٢)

وقال ﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾ (القصص: ٣٠)

١٧ ـ (اذهب الى فرعون انه طغى)

قال الله عز وجل لموسى بن عمران: ﴿اذهب يا موسى إلى فرعون طاغية مصر ناصحاً ومرشداً، واعظاً ومنذراً لأنه تجاوز الحد في بغيه وعدوانه في خطيئته وطغيانه، في استعلائه واستكباره في كفره وضلاله، وفي تمرده وفساده في الحرث والنسل في استعباده عباد الله تعالى واستعبادهم وسحقهم واستحمارهم،

في إضلالهم وصدّهم عن سواء السبيل

قال الله تعالى: «نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين - وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري» القصص: ٣ - ٣٨)

وقال: «ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملأئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين - وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين» يونس: ٧٥ - ٨٣)

وقال: «وأضل قومه وما هدى» طه: ٧٩)

وقال: «إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين» القصص: ٨

١٨- (فقل هل لك إلى أن تتزكى)

إذا ذهبت يا موسى عليه السلام إلى فرعون مصر فقل له: هل لك رغبة إلى أن تتزكى نفسك من قذارة الكفر والطغيان، من قذارة العيوب والعصيان، من قذارة الرذائل والاستكبار، ومن قذارة الفساد والإضلال، وأن تطهر نفسك من الآثام التي انغمست فيها بالإيمان والهداية، وبالطاعة وصالح الأعمال

إنه إرشاد ساء ذكره القرآن الكريم ليكون مثالاً يحتذى به في كل وقت وظرف، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا صاحبهما اللين كانا أفعل وأشد أثراً في النفس في ردّها عن غيّها، لأنه يترك لها فرصة التفكر والتأمل في الوضع الذي هي فيه، وفي فائدة النصيحة التي ألقيت إليها

وهذا ما يرضي كرامتها وكبريائها، ويجعلها طيّعة لقبول ما يعرض عليها من الخير وخاصة إذا لازمه الإقناع بخلاف طريقة القسر والشدة والقول الغليظ فإنه يحملها على التمرد والنفور وعدم تقبل النصيحة

قال الله تعالى: «إذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر

أو يخشى » طه : ٣٣ ـ ٤٤)

١٩ـ (واهديك الى ربك فتخشى)

وأن أدلك يا فرعون إلى معرفة ربك بالأدلة والبراهين وهو الخالق وأنت المخلوق وأنه الرب وأنت المربوب ، وأنه الرازق وأنت المرزوق ، وانه القادر وأنت العاجز وهل لك ميل إلى أن ارشدك يا فرعون إلى طريق الحق والصواب إلى طريق السعادة والرشاد ، إلى طريق العزة و الكمال و إلى سبيل الخير والسلام الذي إذا سلكته وصلت إلى رضا الله جل وعلا و ثوابه ، فتخشاه و تخاف من مخالفة أمره وتتقيه حتى تأمن من عقابه

ومن المعلوم ان الخشية لا تحصل إلا بمعرفة الله جل وعلا وعزه وجلاله ، عظمته وقدرته إذ قال « انما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر ٢٨)

فجعل الخشية نتيجة للهداية لأنها ملاك الأمر إذ من خشي الله جل و علا أتى بكل خير ، ومن أمن اجترأ على كل شيء ، و كلها متفرع على المعرفة بالله تعالى

وأمر الله جل و علا موسى عليه السلام أن يخاطب فرعون ، لاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ، ويستميله بالمداراة عن عتوه و سطوته و تعبده بني إسرائيل لنفسه

قال الله تعالى « فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ، لا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك و السلام على من اتبع الهدى » طه ٤٧)

٢٠ـ (فاراه الآية الكبرى)

فجاء موسى عليه السلام إلى فرعون مصر ، و دعاه في رفق ولطف إلى الله جل و علا فلما لم يقنع فرعون بالدليل القولي وما كان من فرعون إلا أن رد موسى عليه السلام رداً قبيحاً و أغلظ له القول و رماه بالكذب والجنون أراد موسى أن يدفع هذه التهم عنه ويثبت لفرعون انه رسول رب العالمين تحداه فرعون بأن يأتي به

يدل على أنه رسول من عند الله جل وعلا أظهر موسى عليه السلام لفرعون آية محسوسة ودليلاً ظاهراً يراه بعينه وهي إنقلاب العصا حية تسعى أظهرها على يده.

وأخرج يده بيضاء للناظرين وهاتان برهانان قد تمرّن بهما موسى عليه السلام بالواد المقدس طوى. ولما جاء فرعون ودعاه إلى ما دعاه فطلب منه آية فأبرزهما موسى عليه السلام بمرئى فرعون وملائه زمناً واحداً.

قال الله تعالى: «فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولّى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوماً فاسقين» القصص (٢٩-٣٢)

وقال: «ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين» الأعراف (١٠٣ - ١٠٨)

وقال: «قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين قال أو لو جئتك بشيء مبين قال فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين» الشعراء (٢٩ - ٣٣)

٢١- (فكذب وعصى)

فكذّب فرعون مصر ما رآه من الآية الكبرى بيد موسى عليه السلام من عصاه ويده بأنها من الله جل وعلا وجائيها رسول عليه السلام تكذيباً بالقلب واللسان إذ نسب

المعجز إلى السحر ، واتهمه بأنه ساحر ، وما أتاه ليس من الله جل وعلا من غير تأمل وتفكر في عاقبة التكذيب ، وعصى فرعون ربه إذ تمرد و أظهر التجبر و الطغيان ، وعصاه فيما أمره به من طاعته ربه وخشيته إياه وعصى بني الله إذ جحد نبوته و فيما تراه .

قال الله تعالى: «ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى» طه : ٥٦-٥٧)

وقال «فقال للملا حوله ان هذا لساحر عليم» الشعراء ٣٤)

٢٢- (ثم أدبر يسعى)

ثم أدبر فرعون وتولى إذ رأى الآية الكبرى لتبطل ما يكيد به حجة موسى عليه السلام في المعجزة العظيمة، فما ازداد إلا غوايه . وكان يجتهد في إبطالها بعد أن كان يطلب منه الآية لصدق نبوته .

٢٣- (فحشر فنادى)

فجمع فرعون مصر الناس من أهل مملكته . وسلمهم السحرة لابطال أمر موسى عليه السلام و غيرهم ليتشاوروا على الابطال و غير ذلك ، فنادى فيهم

قال الله تعالى حكاية عن فرعون «قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب و قد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما و يذهبا بطريقتكم المثلى فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفاً » طه ٥٧ ٦٤)

٢٤- (فقال أنا ربكم الاعلى)

فقال فرعون إذ جمع قومه أنا ربكم الاعلى و ان أريد الذي يدعيه

إليه موسى عليه السلام هو رب دونه منزلة وعلواً ، فلا سلطان يعلو سلطانى

وقد كان فرعون في تضاد الآلهة ، فإنه كان قد يعترف بوجود أرباب ولكنه أعلاهم : « فقال أنا ربكم الأعلى » وكان قد يعبد آلهة كما يعبدها غيره « وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك » الأعراف : ١٢٧)

وكان قد ينفي الألوهية لغيره ويهدد موسى عليه السلام أن يتخذ إلهاً غيره توحيداً لنفسه في الألوهية « قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين » الشعراء : ٢٩) « وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري » القصص : ٣٨)

ومن غير أن يكون فرعون يدعي العلو في الربوبية عند إبتداء دعوة موسى عليه السلام إياه وقومه إلى الله تعالى وحده ، وإن كان هو يعبد آلهة ، وكان يأمر الناس أن يعبدوه كما أمر موسى عليه السلام بذلك فلما طال عليه الأمر واستمرت الحكومة إدعى إنحصار الألوهية لنفسه كما أن هذا هو دأب الحكام الجائرين إذا طالت حكومتهم على الناس

٢٥- (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى)

فأخذه الله جل وعلا فرعون مصر بسبب كفره وطغيانه بعذاب نار جهنم في الآخرة ، كما أخذه بعذاب الاستئصال والإغراق في الحياة الدنيا

فقد انتهت قصة موسى عليه السلام وفرعون بهمزيمته وخزيه ، وفضح ربوبيته على أعين الناس ثم لم يقف الأمر عند هذا بل أخذه الله تعالى بالعذاب في الآخرة بأن أعد له أسوأ مكان في جهنم كما أخذه بالعذاب في الدنيا بأن أماته شر أميته بأن أهلكه غرقاً ، ثم ألقى جثته المتعفنة على الشاطئ ، وقد عافت حيوانات البر أن تطعم منها بل ظلت هكذا عبرة وعظة في هذا الإله المتعفن الذي يزكم الأنوف ريحه النتن

قال الله تعالى « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون و جنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم » طه : ٧٧ ـ ٧٨)

وقال « وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب » غافر ٤٥ ـ ٤٦)

٢٦ـ (ان في ذلك لعبرة لمن يخشى)

ان في حديث موسى عليه السلام وفي قصة فرعون مصر ونكاله في الدنيا والآخرة لاعتباراً لمن عقل ، ويرى به مصير أهل البغي والضلال ، واعتبر ، فيخشى على نفسه مثل هذا المصير فيباعد بينها وبين السوء والضلال ، وفي ذلك عظة لمن فكر وتدبر في عواقب الكفر والطغيان والاستكبار والعصيان والتمرد ، ويخشى نكاله العاجل و الآجل ، ويخاف عقابه وبطشه من أهل الاعتبار والاتعاظ ومن أهل التقوى واليقين ومن أولي الابصار والالباب ، ومن أصحاب العلم ، و إلا فلا شأن للكفر والمنافق في ذلك باعتبار

قال الله تعالى « إنما تنذر من اتبع الذكر و خشي الرحمن بالغيب » يس : ١١)

وقال « فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » التوبة ١٣)

وقال « إنما أنت منذر من يخشاها » النازعات : ٤٥)

وقال « انما يخشى الله من عباده العلماء » فاطر ٢٨)

وقال « ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار » آل عمران ١١٣

وقال « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب » يوسف : ١١١)

٢٧ـ (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها)

وأنتم أيها المنكرون للبعث والحساب والجزاء بعد الموت أشد خلقاً و قد خلقتهم من ماء مهين ضعافاً عاجزين لا تملكون لانفسكم نفعاً ولا ضراً ولا موتاً

ولاحياة . وأصعب إبداعاً وإنشاء فى تقديركم ؟ أم هذه السماء التى ترون خلقها وبديع تركيبها وعظمة شأنها بناها الله جل وعلا ورفع أجرائها المتفرقة بعضها إلى بعض وربطها بما يمسكها حتى حصل من جميعها بنية واحدة ؟

انكم أيها المكذبون بالبعث لاتنازعون فى أن السماء أشد منكم خلقاً و قوة وصلابة ورسوخاً وعموماً ، بدءاً وعوداً ، وأصعب إنشاءاً ، ومع ذلك لم تعجز إبداعها ، فكيف تظنون انا نعجز عن إعادتكم بعد موتكم ، فمن قدر على خلق السماء قدر على الاعادة

ومن البين ان خلق السماء أعظم وأبلغ فى القدرة ، فاذا كان الله عز وجل قادراً على إنشاء العالم الاكبر يكون على العالم الاصغر بل على إعادته أقدر .

فالله تعالى هو الذى خلق السموات على عظمها و إتقانها على تعاجيب البدائع التى تحار العقول عن ملاحظة أدناها ، وأودع فيها النواميس اللازمة ، و التى تفوق فى العظمة خلق الناس عليه أهون أن يخلقهم تارة بعد أخرى

قال الله تعالى « أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم و جعل لهم أجلاً لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً » الاسراء : ٩٩)

و قال « أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم » يس : ٨١)

وقال « لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون » غافر : ٥٧)

وقال « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله » الزمر:٣٨)

وقال « فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب» الصافات : ١١)

وقال « أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن

قادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير » الاحقاف ٣٣)

٢٨- (رفع سمكها فسواها)

رفع الله جل وعلا سقف السماء ، فعدلها مستوية ملساء بلا نتوءات ولا فتور لما فيها من ترتيب أجرائها وتركيبها بوضع كل جزء في موضعه الذي تقتضيه الحكمة الالهية ، وسواها على هذا النظام البديع وما ترى به من كواكب ونجوم ، وأبدع في خلق الكواكب وجعل كل كوكب منها على نسبة من الاخر وجعل لكل منها ما يمسكه في مداره وكل في فلك يسبحون

قال الله تعالى : « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها » الرعد ٢)

وقال « والسماء رفعها ووضع الميزان » الرحمن ٧)

وقال : « وإلى السماء كيف رفعت » الغاشية : ١٨)

وقال : « والسقف المرفوع » الطور : ٥)

وقال « الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور » الملك : ٣)

وقال « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم » البقرة ٢٩)

٢٩- (وأغطش ليلها وأخرج ضحيها)

وأظلم الله تعالى ليل السماء بغروب الشمس ، وأخرج ضياء السماء ونورنهارها بطلوع الشمس

قال الله تعالى « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى » الزمر ٥)

وقال « والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى » الليل ١ - ٢)

وقال « والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس » التكوير ١٧ - ١٨)

وقال « والله يقدر الليل والنهار » المزمل : ٢٠)

وقال : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » الاسراء : ١٢)

و قال : « يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار » النور : ٤٤)

و إنما أضاف الله تعالى الليل والضحى إلى السماء لأن منها منشأ الظلام والضياء بغروب الشمس وطلوعها على ما دبّرها الله عزوجل ، فجعل الليل مظلماً والنهار نوراً بالسبب السماوي

٣٠- (والارض بعد ذلك دحاها)

وبسط الله جل وعلا الارض ومدّها ومهّدها وجعلها قابلة للسكنى والاستقرار بعد ما بنى السماء ورفع سمكها وسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها فقد كانت الارض مخلوقة غير مدحوة قبل خلق السماء ، بأن خلقها الله تعالى و ما فيها خلقاً ثم خلق السماء و سواها ، ثم دحا الارض و يسّرها للسير والاستقرار ، فلا تنافي بين دحو الارض تقدم خلقها على خلق السماء وإستوائها في قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى إلى السماء » البقرة ٢٩) كما توهم بعض المفسرين

قال الله تعالى « قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين و تجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك و قدّر فيها أقواتها في أربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللارض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات في يومين و أوحى في كل سماء أمرها و زينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم » فصلت : ٩ - ١٢)

٣١- (أخرج منها ماءها ومرعاها)

أخرج الله تعالى من الارض ماءها من البحار والعيون المتفجرة الجارية في الانهار وأخرج نبات الارض مما ترعاه النعم من الشجر والعشب ، و ما يأكله

الناس من الاقوات والثمار . .

قال الله تعالى « الذى جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً و أنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لاولى النهى » طه : ٥٣ ـ ٥٤)

وقال « أولم يروا إلى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » الشعراء ٧ ـ ٨)

وقال « وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب و فجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون » يس ٣٤ ـ ٣٥)

وقال « سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى أخرج المرعى » الاعلى : ١ ـ ٤)

وقال « أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً » النمل ٦١)

٣٢ـ (والجبال أرساها)

وأثبت الله جل وعلا فوق الارض الجبال فى أماكنها أوتاداً لها لتمسكها ، تحفظ توازنها ، لئلا تميد بمن على وجهها ، ولا تضطرب بهم

قال الله تعالى « ألم نجعل الارض مهاداً والجبال أوتاداً » النبأ : ٦ و ٧)

وقال « وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً » النحل ١٥)

و قال « و جعلنا فى الارض رواسى أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً » الانبياء ٣١)

٣٣ـ (متاعاً لكم ولانعامكم)

ان الله تعالى خلق الارض وبسطها وأخرج منها الماء والمراعى و أنبت عليها الجبال بما فيها من أنواع المعادن ليمسككم و أنعامكم متاعاً لكم لتحسنوا لتعرفوا ربكم وتحافوا مقامه ، وتنهوا النفس عن الهوى وتذكروا نعمته عليكم وتشكروه عليها

قال الله تعالى « فلينظر الانسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صباً ثم شققنا

الارض شقاً فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم » عبس : ٢٤ - ٣٢)

وقال « الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » البقرة ٢٢

وقال « فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون » النحل : ١١٤)

٣٤- (فاذا جاءت الطامة الكبرى)

فاذا وقعت الواقعة ، و جاء اليوم الموعود الذي هو طامة كبرى و داهية عظمى تغلب على كل داهية هائلة من الدواهي ، و تضمر ما سواها من الاهوال بعظيم هولها فتنسى الدواهي والاهوال كلها لعظيم بلائها و بلاغة هولها التي لا تدفع عن أهل الكفر والضلال ، عن أهل البغي والفساد ، عن أهل المعصية والطغيان عن أهل العناد والجماح ، و عن أصحاب الاستكبار والاستعداد وطلاقة العنان

قال الله تعالى « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى و أمر ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر » القمر ٤٦ - ٤٨)

وقال « ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون » الجاثية ٢٧)

وقال « ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد » سبأ : ٥١ - ٥٢)

وقال « ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاؤا و كانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون » الروم ١٢، ١٤،

وقال « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله و كل أتوه داخرين » النمل : ٨٧)

و قال « ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى و ماهم بسكارى و لكن

عذاب الله شديد » الحج : ١ ـ ٢)

٣٥- (يوم يتذكر الانسان ما سعى)

يوم القيامة يوم يتذكر فيه كل إنسان ما سعى في الحياة الدنيا من خير أو شر ، من كفر أو إيمان ، من إخلاص أو نفاق من صلاح أو فساد ، من إصلاح أو إفساد ، من صدق أو كذب ، من أمانة أو خيانة ، من طاعة أو معصية ، من إحسان أو إساءة ، من بر أو فجور ، وما قدمت يداه من أعمال ليؤدى عليها الحساب والجزاء ، إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً

قال الله تعالى « يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد » المجادلة : ٦)

وقال « يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى » الفجر ٢٣)

وقال : « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه » النبأ : ٤٠)

وقال « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء » آل عمران : ٣٠)

وقال « إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى » طه ١٥)

وقال « وأن ليس للانسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » النجم : ٣٩ ـ ٤١)

وما ورد في المقام فمن باب التأويل فتدبر جيداً

٣٦- (وبرزت الجحيم لمن يرى)

« وظهرت الجحيم وهي نار الله الموقدة التي يراها يوم القيامة من الغاوين إذا تجلى

قال الله تعالى « وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون » الشعراء ٩١ ـ ٩٤)

وقال «ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون وإذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون» النحل ، ٨٤ ـ ٨٥)

وقال «ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً» الكهف : ٥٢ـ٥٣) .

وقال «وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً» الفرقان : ١٢) .

وقال : «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب» البقرة : ١٦٦)

وقال : «وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون» يونس : ٥٤)

وقال : «ولو ترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي» الشورى ٤٤ـ٤٥) .

وقال : «ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» التكاثر : ١ـ٨) .

٣٧ـ (فأما من طغى)

فأما من طغى على ربه بالشرك والكفر والعصيان ، طغى على نبيه بالتكذيب والإيذاء والعناد ، طغى على نفسه بالانحطاط والشقاء والخسران ، وعلى الناس بالأضلال والافساد وصدهم عن سواء السبيل　　وتجاوز حدود الحق في حياته ، وسلك مسلك فرعون طاغية مصر واستكبر ، وتجاوز الحد في العتو والبغي والضلال ، وتجاوز حدود الله جل وعلا ، فترك أوامره وارتكب نواهيه

قال الله تعالى «وقالوا إن هذا إلا سحر مبين «إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً «إنا لمبعوثون - وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون - وهل كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين «إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون» الصافات ١٥ - ٣٥).

وقال «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون و نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون» الأنعام: ١٠٩ و١١٠)

وقال «وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين» البقرة ١٣ - ١٦).

وقال «اذهب إلى فرعون إنه طغى» النازعات ١٧)

وقال «وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد» الفجر ١٠ - ١٢)

وقال «كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون» الذاريات ٥٢ - ٥٣)

وقال «إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون» القلم: ١٧ - ٣٣)

وقال «ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها» النساء ١٤)

٣٨- (وآثر الحياة الدنيا)

الإيثار إرادة الشيء على سبيل التفضيل له على غيره و المعنى «تتفق

قلبه بالحياة الدنيا، وفضّل لذاتها الفانية وشهواتها الزائلة على كرامة الآخرة الدائمة ونعيمها الباقية باتباع الهوى، فاختار متاع الحياة الدنيا ورضي عن زخارفها واطمأن بها وسعى لها سعيه، وترك الآخرة وغفل عن الجنة ونعيمها ولم يعمل لها عملاً.

قال الله تعالى: «بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى» الأعلى ١٦ ـ ١٧)

وقال: «ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون» النحل ١٠٧ ـ ١٠٩)

وقال: «الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد» ابراهيم: ٣)

وقال: «إن الذين لا يرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون» يونس: ٧)

وقال: «فأعرض عن من تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم» النجم: ٢٩ ـ ٣٠)

٣٩ـ (فإن الجحيم هي المأوى)

فإن جهنم مسعّرة هي مأوى الطاغي الذي لا ينهى نفسه عن الهوى، وما كان خائفاً مقام ربه، وكان يعمل في الحياة الدنيا طلاقة العنان، فهذه منزلة الذي يأوي إليه، ومصيره الذي يصير إليه يوم القيامة، ومثواه الذي هو اللائق به، ومستقره الذي هو يستحقه.

الجحيم: نار الله الموقدة الشديدة التأجج، يقال: جحم النار أوقدها فجحمت: اضطرمت وكثر جمرها ولهبها وتوقّدها والمراد بها جهنم إذا سعّرت.

قال الله تعالى: «أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون» يونس: ٨)

وقال: «وإذا الجحيم سعرت» التكوير ١٢) وقال: «فمأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا» الإسراء ٩٧)

وقال: «إن جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآباً» النبأ ٢١ - ٢٢)

وقال: «وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون» الجاثية ٣٤ - ٣٥)

وقال: «وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون» السجدة ٢٠)

وقال: «جهنم يصلونها وبئس القرار» ابراهيم: ٢٩)

٣٠- (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)

وأما من خاف قيام الله جل وعلا عليه بالحفظ والمراقبة فيما يعمل في الحياة الدنيا، فيخاف منه عند مواقعة الذنب فيقلع ويتركه، وعند مواقع ترك الطاعات فيصنعه، ويخاف قيام الله تعالى بالعدل في الجزاء يوم الحساب، فهو يستشعر بخوف الله عز وجل وحسابه وعذابه، ونهى نفسه الأمارة بالسوء عن هواها وزجرها عن إتباعها، وضبطها ووطّنها على متاعب التكاليف من الأفعال والتروك إبتغاء لوجه الله تعالى

فكلما دعته نفسه إلى أمر يخالفها ويزجرها عن إتباع الهوى والباطل، وسار في سبيل الله جل وعلا وطريق الحق والصواب والفلاح

قال الله تعالى: «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت» الرعد: ٣٣)

وقال: «ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد» إبراهيم ١٤)

وقال: «من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب» ق ٣٣).

وقال: «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون»

النور : ٥٢)

وقال حكاية عن إحدى إبني آدم لأخيه «لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين» المائدة ٢٨)

وقال «قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم» الأنعام ١٥)

وقال حكايه عن الأبرار «إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً» الانسان : ١٠)

٣١- (فان الجنة هي المأوى)

فان الجنة هي مأوى الخائف مقام ربه ، ومنزل المتقي الصالح ، ومستقر المنهي نفسه عن الهوى ومثوى المؤمن الذي نهمأ فيه نعيم الله جل و علا ، وصدائه وله فيها حور طيبة سعيدة آمنة أنيسة باقية ولها وفيها نحيه وسلام

قال الله تعالى «ولمن خاف مقام ربه جنتان» الرحمن ٤٦)

وقال «جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً» مريم ٦١ ـ ٦٣)

وقال «من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون» النحل : ٩٧)

وقال «والذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون» السجدة ١٩)

وقال «ومن يق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم» غافر: ٩)

وقال «ولمن خاف مقام ربه جنتان لا تتكذبان مدهامتان فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان هل جزاء الاحسان إلا الاحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فيهما عينان نضاختان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام» الرحمن ٤٦ ـ ٧٨)

وقال «إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون» الدخان ٥١ ـ ٥٢)

وقال « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون » العنكبوت ٦٤)

وقال « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » يونس : ٩ - ١٠)

٤٢ - (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها)

يسئلك أيها الرسول ﷺ هؤلاء المنكرون للبعث والحساب والجزاء والمكذبون بالساعة التي تبعث فيها الموتى من قبورهم ، والمستهزؤن بها وغيرهم من الناس عن الساعة متى قيام الساعة وظهورها ؟ متى إثباتها وإقرارها ؟ متى وقوعها وموعدها ثابتة على ما وصفتها ؟ متى تلقي مراسيها على الشاطئ الموعود ومتى يكون زوال الزمان وصناعة بكائناته ، والانتقال إلى زمان لا زوال له ولا انتهاء بتبدل نواميس الكون

قال الله تعالى « وقالوا : إذا كنا عظاماً ورفاتاً إنا لمبعوثون خلقاً جديداً فسيقولون من يعيدنا ، ويقولون متى هو » الإسراء ٤٩ - ٥١)

وقال « قل هو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » الملك ٢٤ - ٢٥)

وقال « الذين هم في غمرة ساهون يسئلون أيان يوم الدين » الذاريات ١١ - ١٢)

وقال « يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله » الأحزاب ٦٣

٤٣ - (فيم أنت من ذكراها)

في أي شيء أنت يا محمد ﷺ من ذكرى الساعة لهم ؟ فإنك لست في شيء من العلم بحقيقة الساعة ولا تحيط بوقتها ، ولم يؤت علمها بأحد من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، فأنت بعيد عن ذكرها كل البعد ، فإنها خفية شديدة عمن سوى الله جل وعلا ، فإنها من إختصاصات الربوبية علمها وإقامتها وموعدها ،

فليس عندك علمها حتى تذكر وتجيب عن وقت وقوعها، وليس ذكرها مما يرتبط برسالتك ودعوتك، إنما بعثت أنت لتنذر من يخشاها.

فلا حاجة إلى الاستفهام عن وقتها بعد العلم باقترابها فإن هذا القدر من العلم يكفي في وجوب الاستعداد لها، بل لا يتم الغرض من التكليف إلا بإخفاء وقته كالموت، وليلة القدر، وغضب الله تعالى في المعاصي، ورضاه في الطاعات وعبده الصالح بين الناس، والساعة من ساعات الجمعة، وما إليها من الأمور الخفية ولإخفائها علل وحكم وأسرار أوردناها في محلها.

قال الله تعالى: «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير» لقمان: ٣٤)

وقال: «إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى» طه: ١٥)

وقال: «يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون» الأعراف: ١٨٧)

وقال: «ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير» النحل: ٧٧)

وقال: «يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدرك لعل الساعة تكون قريباً» الأحزاب: ٦٣)

٣٣ـ (إلى ربك منتهاها)

إلى ربك أيها الرسول ﷺ أمر الساعة ومنتهى علمها، فموعدها عند الله تعالى وحده وفي علمه، فلا يوجد عند غيره إذ لم يؤته أحداً من خلقه، فليس في وسع أحد غيره أن يجيب عنها، وهو جل وعلا أخفاها لحكمة إلهية تقتضي إخفائها من غيره.

فلا يعلم أحد متى يكون ذلك، ولا وقت قيامها وحقيقتها ولا صفاتها إلا هو، فلست يا محمد ﷺ تعلم وقت قيامها، فتجيبهم عنه، وليس لهم أن يسألوك عنها

قال الله تعالى: «وعنده علم الساعة وإليه ترجعون» الزخرف: ٨٥)

وقال: «إليه يردّ علم الساعة» فصلت: ٤٧)

٤٥- (إنما أنت منذر من يخشيها)

إنما أنت يا محمد ﷺ مبعوث بإنذار الساعة وأهوالها من يخافها فينتفع بإنذارك ويعمل حسابها ويعدّ نفسه ليومها، دون أن تعلم أو تقدر على شيء منها أو تخبر بوقت قيامها وتبيّن حقيقتها حتى تجيبهم عن وقتها إذا سألوك عنه إذ ليس ذلك غرضاً من رسالتك ولا من مهماتها، فليس لك أن تسأل عنها، ولا أن تجيب السائلين عن سؤالهم عن وقتها

فلا يؤثّر إنذارك بالساعة وأهوالها إلا فيمن يستشعر بالخوف منها، ويريد أن يتحاشى أسبابه بالإيمان وصالح الأعمال لها، ويتوقعها في موعدها الموكول إلى صاحبها، فمن لم يؤمن فلا يخشاها، فكأنك لم تنذره، وإن كنت منذراً لكل مكلف، فتخصيص الإنذار بمن يخشى لأنهم المنتفعون به

قال الله تعالى: «إنما تنذر من تبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب» يس: ١١)

وقال: «إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة» فاطر: ١٨)

وقال: «وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون» الأنعام: ٥١)

وقال في عموم الإنذار: «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا» الفرقان: ١)

وقال: «قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين» الحج: ٤٩)

وقال: «ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العلم عند الله

وإنما أنا نذير مبين » الملك : ٢٥ - ٢٦)

٣٦- (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أوضحيها)

كأن هؤلاء المكذبين الذين يسئلون عن الساعة ويستعجلون يومها إستهزاء وإستخفافاً دون أن يعدّوا أنفسهم لها ، هم يوم يرون الساعة قد قامت من عظيم أهوالها وفزعها صغرت الدنيا في أعينهم حتى كأنهم لم يلبثوا في الحياة الدنيا ولم يقيموا فيها إلا مقدار عشية ليلة أومقدار ضحى هذه العشية

فهم يرونها حتماً وفي برهة أقرب بكثير مما يظنون ، وهم سيعلمون حين يطلع عليهم أن رحلتهم إليها لم تطل ، وسيظنون من شدة هذا الأمر أنهم لم يلبثوا في دنياهم إلا عشية ليلة أوضحى هذه الليلة

قال الله تعالى : « فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين - قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فسأل العادين قال إن لبثتم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون » المؤمنون (١٠١-١١٣)

وقال : « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم » يونس (٣٥)

وقال : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون » الروم (٥٥ - ٥٦)

وقال : « كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار » الأحقاف (٣٥)

﴿ جملة المعاني ﴾

٥٧١٣- (والنازعات غرقا)

أقسم بالملائكة الذين ينزعون نفوس الكفار نزعاً شديداً من أقاصي أجسادهم

٥٧١٤- (والناشطات نشطا)

وأقسم بالملائكة الذين يحلون أرواح الكافرين من بين الجلد واللحوم

٥٧١٥- (والسابحات سبحا)

وأقسم بالملائكة الذين يقبضون أرواح المؤمنين برفق وسهولة

٥٧١٦- (فالسابقات سبقا)

فأقسم بالملائكة الذين يسوقون بعضهم بعضاً بأرواح المؤمنين إلى الله تعالى ورضوانه

٥٧١٧- (فالمدبرات امرا)

فأقسم بالملائكة الذين يدبرون أمر الكون بإذن الله تعالى

٥٧١٨- (يوم ترجف الراجفة)

ليبعثن المكذبون بالبعث ويحاسبن يوم ترجف الأرض بالصيحة العظيمة عند نفخ الصور

٥٧١٩- (تتبعها الرادفة)

تتبع النفخة الأولى ، النفخة الثانية عند تحقق البعث

٥٧٢٠- (قلوب يومئذ واجفة)

قلوب المكذبين على طوائفهم يوم القيامة خائفة وجلة .

٥٧٢١- (أبصارها خاشعة)

أبصار أصحاب تلك القلوب الواجفة يوم القيامة منكسرة ذليلة .

٥٧٢٢- (يقولون ء انا لمردودون في الحافرة)

يقول هؤلاء المكذبون - على طريق الاستنكار - ء إنا لراجعون إلى حالتنا الاولى قبل الموت بعد الموت

٥٧٢٣- (ءاذا كنا عظاما نخرة)

يقولون - على سبيل الاستبعاد - أنرد أحياء بعد أن صرنا عظاماً بالية متفتتة ؟

٥٧٢٤- (قالوا تلك اذا كرة خاسرة)

قال هؤلاء المكذبون - على طريق الاستهزاء - إن صحت الرجعة كما تقول يا محمد ﷺ فتلك إذاً رجعة ذات خسران علينا

٥٧٢٥- (فانما هي زجرة واحدة)

فلا تحسبوا أيها المكذبون تلك الرجعة سهلة على الله تعالى ، فان هذه الرجعة ليست إلا صيحة واحدة

٥٧٢٦- (فاذاهم بالساهرة)

فحين الرجعة بالصيحة الثانية هؤلاء المكذبون ظاهرون على وجه أرض المحشر بعد أن كانوا في بطن أرض الدنيا

٥٧٢٧- (هل أتاك حديث موسى)

فداناك يا أيها الرسول ﷺ قصة موسى عليه السلام مع فرعون مصر وقومه

٥٧٢٨- (اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى)

حين نادى الله تعالى نبيه موسى عليه السلام وهو بالواد المبارك المطهر طوى من طور سيناء

٥٧٢٩- (اذهب الى فرعون انه طغى)

إذهب يا موسى إلى فرعون مصر ناصحاً وقل له قولاً لينا لانه تعدى الحد في بغيه

٥٧٣٠- (فقل هل لك الى أن تزكى)

فقل يا موسى لفرعون هل لك رغبة إلى أن تتزكى نفسك من قذارة الكفر والطغيان .

٥٧٣١- (وأهديك الى ربك فتخشى)

وأن أدلك يا فرعون إلى معرفة ربك فتخشاه حتى تأمن من عذابه

٥٧٣٢- (فاراه الآية الكبرى)

فأرى موسى عليه السلام فرعون و أظهر له آيته محسوسة عظيمة من إنقلاب العصا حية وإخراج يده بيضاء للناظرين .

٥٧٣٣- (فكذب وعصى)

فكذب فرعون ما رآه من الآية الكبرى ، وعصى ربه

٥٧٣٤- (ثم أدبر يسعى)

ثم أدبر فرعون و أعرض عن موسى عليه السلام وآيته ليبطل ما شاهد به حجة موسى عليه السلام

٥٧٣٥- (فحشر فنادى)

فجمع فرعون ناس مصر من أهل مملكته ، فنادى فيهم

٥٧٣٦- (فقال أنا ربكم الاعلى)

فقال فرعون لهم . أنا ربكم الاعلى

٥٧٣٧- (فأخذه الله نكال الاخرة والاولى)

فأخذ الله تعالى فرعون مصر بسبب كفره وطغيانه بعذاب نار جهنم في الاخرة كما أخذه بعذاب الاستيصال والاغراق في الحياة الدنيا

٥٧٣٨- (ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى)

ان فى حديث موسى عليه السلام وفرعون مصر، ونكاله فى الدنيا والاخرة لاعتباراً لمن عقل فيخشى الله جل وعلا

٥٧٣٩- (ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها)

ءأنتم أيها المنكرون للبعث أشد خلقاً بعد الموت ؟ أم هذه السماء بناها الله جل وعلا؟.

٥٧٤٠- (رفع سمكها فسواها)

رفع الله تعالى سقف السماء ، فعدلها مستوية ملساء بلا تفاوت ولا فتور

٥٧٤١- (وأغطش ليلها وأخرج ضحاها)

وأظلم الله تعالى ليل السماء بغروب الشمس ، وأخرج ضياء السماء وأبرز نهارها بطلوع الشمس

٥٧٤٢- (والارض بعد ذلك دحاها)

وبسط الله تعالى الارض ومدّها ومهّدها وجعلها قابلة للسكنى والاستقرار

٥٧٤٣- (أخرج منها ماءها ومرعاها)

أخرج الله جل وعلا من الارض ماءها من البحار والينابيع ، وأخرج نبات الارض مما ترعاه النعم وما يتغذاه الانسان

٥٧٤٤- (والجبال أرساها)

وأثبت الله تعالى فوق الارض الجبال فى أماكنها أوتاداً لها لتمسكها وتحفظ توازنها

٥٧٤٥- (متاعا لكم ولانعامكم)

لمتعكم وأنعامكم متاعاً كلاً بحسبه لتعرفوا ربكم وتخافوا مقامه

٥٧٤٦- (فاذا جاءت الطامة الكبرى)

فاذا وقعت الواقعة ، وهى داهية عظيمة تغلب على كل داهية ، هائلة تغمر

ما سواها من الأهوال .

٥٧٢٧- (يوم يتذكر الانسان ما سعى)

يوم القيامة يوم يتذكر فيه كل إنسان ما سعى في الحياة الدنيا

٥٧٢٨- (وبرزت الجحيم لمن يرى)

وظهرت الجحيم لمن يراها يوم القيمة من الغاوين إذا تتجلى

٥٧٢٩- (فأما من طغى)

فأما من طغى على ربه بالكفر ، و على نفسه بالتكذيب ، و على الناس بالاضلال ، وعلى نفسه بالخسران

٥٧٣٠- (وآثر الحياة الدنيا)

واعتنى فيه بالحياة الدنيا ، وفضّل منافعها الفانية على نعيم الآخرة الباقي

٥٧٣١- (فان الجحيم هي المأوى)

فان جهنم مستقر وهي مأوى الطاغي المنهمك في شهوات الدنيا ولذاتها

٥٧٣٢- (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى)

وأما من خاف قيام ربه بالحفظ والمراقبة فيما يصدر في الحياة الدنيا ، ونهى نفسه عن إتباع هواها

٥٧٣٣- (فان الجنة هي المأوى)

فان الجنة هي مأوى الخائف مقام ربه ، ومستقر الناهي نفسه عن الهوى

٥٧٣٤- (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها)

يسئلك أيها الرسول ﷺ هؤلاء المكذبون عن الساعة متى قيامها ووقوعها

٥٧٣٥- (فيم أنت من ذكراها)

في أي شيء أنت يا محمد ﷺ من ذكرى الساعة لهم ؟

٥٧٣٦- (الى ربك منتهاها)

إلى ربك أيها الرسول ﷺ أمر الساعة ، منتهى علمها

٥٧٥٧- (انما أنت منذر من يخشاها)

إنما أنت يا محمد ﷺ مبعوث بإنذار الساعة وأهوالها من يخافها

٥٧٥٨- (كأنهم يوم يرونها لهم يلبثوا الا عشية اوضحاها)

كأن هؤلاء المكذبين يوم يرون الساعة قد قامت من عظيم أهوالها لم يقيموا في الحياة الدنيا إلا مقدار عشية ليلة أو ضحاها

﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي في قوله تعالى «والنازعات غرقاً» قال نزع الروح و «الناشطات نشطاً» قال الكفار ينشطون في الدنيا، و«والسابقات سبقاً» قال: يعني أرواح المؤمنين تسبق أرواحهم إلى الجنة مثل الذي ، وأرواح الكافرين مثل ذلك إلى النار

وفي المجمع في قوله تعالى «والنازعات غرقاً» قال يعني الملائكة لأنهم ينزعون أرواح الكفار عن أبدانهم بشدة كما يغرق النازع في القوس ، فيستوفي بها غاية المدى و روى ذلك عن علي عليه السلام

وفيه: وقيل هو الموت ينزع النفوس وروى ذلك عن الصادق عليه السلام

وفيه: في قوله تعالى «والناشطات نشطاً» قال انها الملائكة تنشط أرواح الكفار بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أجوافهم بالكرب والغم عن علي عليه السلام

وفي البرهان الشريف في نهج البلاغة عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال «والنازعات غرقاً» قال: الملائكة تنزع أرواح نفوس الكفار إغراقاً كما يغرق النازع في القوس

وفي الدر المنثور عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى «والنازعات غرقاً» قال: هي الملائكة تنزع أرواح الكفار «والناشطات نشطاً» هي الملائكة تنشط أرواح الكفار ما بين الأظفار و الجلد حتى تخرجها «والسابحات سبحاً» هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين بين السماء و الأرض «والسابقات سبقاً» هي الملائكة يسبق بعضها بعضاً بأرواح

المؤمنين إلى الله «فالمدبرات أمراً» قال : هي الملائكة تدبر أمر العباد من السنة إلى السنة .

قيل لو صحت الرواية فتحمل على ذكر بعض المصاديق ،وقوله «تنشط أرواح الكفار» ضرب من التمثيل لشدة العذاب

وفيه عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ لا تمرق الناس فتمرق كلاب النار قال الله . «والناشطات نشطاً» أتدري ما هو ؟ قلت يا نبي الله ما هو ؟ قال : كلاب في النار تنشط العظم واللحم .

وفي المجمع في قوله تعالى «والسابحات سبحاً» انها الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين سلونها سلاً رفيقاً ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرمى به عن أمير المؤمنين على عليه السلام

وفيه في قوله تعالى «فالسابقات سبقاً» وقيل . انها تسوق بأرواح المؤمنين إلى الجنة عن علي عليه السلام

وفي تفسير القمي في قوله تعالى «والسابحات سبحاً» قال المؤمنون يسبحون الله

وفيه وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى «فالسابقات سبقاً» يعني أرواح المؤمنين تسوق أرواحهم إلى الجنة مثل الدنيا وأرواح الكفار يسوق ذلك إلى النار

وفي المجمع في قوله تعالى «فالمدبرات أمراً» انها الملائكة تدبر أمر العباد من السنة إلى السنة عن علي عليه السلام

وفي الدر المنثور أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب عليه السلام ان ابن الكواء سئله عن المدبرات أمراً قال الملائكة يدبرون ذكر الرحمان و أمره

قيل ان ذكر الرحمان إشارة إلى الامر التشريعي وأمره إلى التكويني

وفي العيون : باسناده عن الامام علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام قال كان قوم من خواص الصادق عليه السلام جلوساً بحضرته في ليلة مقمرة مصحية (مصحية خ) فقالوا فيما بين رسول الله ما أحسن أديم هذه السماء ونورها هذه النجوم والكواكب ؟ فقال الصادق عليه السلام انكم لتقولون هذا ، وان المدبرات الاربعة جبرئيل وميكائيل و اسرافيل وملك الموت عليهم السلام ينظرون إلى الارض ، فيرونكم وإخوانكم في أقطار الارض ويرونكم إلى السمادات وإليهم أحسن من نور هذه الكواكب ، وأنهم ليقولون كما تقولون ما أحسن أنوار المؤمنين ؟

وفي كنز الفوائد للكراجكي رضوان الله تعالى عليه بالاسناد عن سليمان بن خالد قال قال أبو عبدالله عليه السلام في قوله تعالى «يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة» الراجفة الحسين بن علي عليه السلام والرادفة علي بن أبيطالب عليه السلام وأول من ينفض عن رأسه التراب الحسين بن علي عليهما السلام في خمسة وسبعين ألفاً ، وهو قوله تعالى «انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار»

اقول وفي رواية «في خمسة وتسعين ألفاً» بدل «في خمسة وسبعين ألفاً» رواه الكليني في الروضة وفرات الكوفي في تفسيره، والمحلسي في البحار، والبحراني في البرهان

وفي تفسير القمي في قوله تعالى «يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة» قال : تنشق الارض بأهلها والرادفة الصيحة

وفي البرهان : عن شهر بن حوشب عن الامام زين الائمة علي بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء في قوله تعالى «تتبعها الرادفة» قال إذا زلزلت الارض فتبعها خروج الدابة ، وقال في قوله جل وعلا «وأخرجنا لهم دابة من الارض» علي بن أبي طالب عليه السلام

وفي تفسير القمي في قوله تعالى «قلوب يومئذ واجفة» قال: خائفة. وفي قوله تعالى: «يقولون أإنا لمردودون في الحافرة» قال: قالت قريش: أنرجع بعد الموت؟ و«أإذا كنا عظاماً نخرة» أي بالية؟ و«تلك إذاً كرة خاسرة» قال: قالوا: هذه على حد الاستهزاء، فقال الله: «إنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة» قال: الزاجرة: النفخة الثانية في الصور والساهرة موضع بالشام عند بيت المقدس.

وفي نهج البلاغة قال الإمام مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة: «وصارت الأجساد شحبة بعد نضرتها والعظام نخرة بعد قوتها».

أقول: الشحب: الهلاك والنص: الرخص الجسد الرقيق الجلد الممتلئ.

وفي تفسير القمي: عن الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «أإنا لمردودون في الحافرة» يقول: في الخلق الجديد، وأما قوله: «فإذا هم بالساهرة» والساهرة: الأرض كانوا في القبور فلما سمعوا الزجرة خرجوا من قبورهم فاستووا على الأرض.

وفي كنز الفوائد: بالإسناد عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والكرة المباركة النافعة لأهلها يوم الحساب ولايتي واتباع أمري، وولاية علي والأوصياء من بعده واتباع أمرهم يدخلهم الله الجنة بها، ومعي علي وصيي والأوصياء من بعده، والكرة الخاسرة عداوتي وترك أمري وعداوة علي والأوصياء من بعده يدخلهم الله بها النار في أسفل السافلين.

وفي الاختصاص: بإسناده عن محمد بن عبد الله بن الحسين قال: دخلت مع أبي على أبي عبد الله عليه السلام فجرى بينهما حديث، فقال: إني لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول في الكرة؟ قال: أقول فيها: ما قال الله عز وجل، وذلك أن تفسيرها: الكرة: صار إلى رسول الله قبل أن يأتي هذا الحرف بخمسة وعشرين ليلة قول الله عز وجل: «تلك إذاً كرة خاسرة» إذا رجعوا إلى الدنيا ولم يقضوا دخولهم.

فقال له أبي يعود الله عز وجل «فتمامها زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة» أي بشيء أرد بهذا؟ فقد إذا تقدم منهم وأنت بقية الأرواح ساهرة الأبدان «لا تموت

قوله عليه السلام: «فجولهم» الدحول جمع الدحل وهو طي الماء

وفي العلل: بإسناده عن يزيد بن سلام في حديث طويل يذكر فيه سؤال رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبرني عن أول ذنب المقدس لم سمي المقدس؟ قال لأنه قدست فيه الأرواح، وصفيت فيه للأبدان وكلم الله عز وجل موسى تكليماً الحديث

وفي تفسير القمي في قوله تعالى «فحشر فنادى» يعني فرعون فنادى «فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى» والنكال العقوبة «الآخرة» هو قوله «أنا ربكم الأعلى» «الأولى» قوله «ما علمت لكم من إله غيري فأهلكه الله بالغرق

وفي الخصال بإسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «أملى الله عز وجل على موسى عليه السلام تسعين سنة ثم أخذه الله نكال الآخرة والأولى» فقلت له: أن الناس يقولون: «قد أجبت دعوتكما» و بين أن عرف الإجابة أربعين سنة ثم قال أبو جعفر عليه السلام قال ربي في فرعون مسألة شديدة فعجل له ما سألته فقال أنا ربكم الأعلى» فقلت إنما يقول هذا عبد مثلك

وفي المجمع في قوله تعالى «فأخذه الله نكال الآخرة والأولى» قال وجاء في تفسير عن أبي جعفر عليه السلام قال بين الأخذين أربعون سنة

وفيه وروى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال جبرئيل عليه السلام لفرعون وقد قال «أنا ربكم الأعلى» فقال له يقول هذا عبد مثلك من تحاف الفوت

وفي روضة الكافي بإسناده عن محمد بن عيسى قال جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام من أهل الشام فقال له أبو جعفر حتى متى تلك منك فهم فقال له أبو جعفر حتى متى تلك عن مسألته قد كنت على أن أحد أحداً يعترض علي فيما أتيت عنه ثلاثة أصناف من الناس فقال

كل صنف منهم شيئاً غير الذي قال الصنف الآخر، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ما ذاك قال: فإني أسألك عن أول ما خلق الله من خلقه، فإن بعض من سألته قال: القدر، وقال بعضهم: القلم، وقال بعضهم: الروح، فقال أبو جعفر عليه السلام: ما قالوا شيئاً أخبرك أن الله تبارك وتعالى كان، ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا أحد كان قبل عزه، وذلك قوله: «سبحان ربك رب العزة عما يصفون».

وكان الخالق قبل المخلوق ولو كان أول ما خلق من خلقه الشيء إذا لم يكن له انقطاع أبداً، ولم يزل الله إذاً ومعه شيء ليس هو يتقدمه ولكنه كان إذ لا شيء غيره، وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء الذي خلق الأشياء منه فجعل نسب كل شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه وخلق الريح من الماء ثم سلط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ليس فيها صدع ولا نقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة.

ثم طواها فوضعها فوق الماء ثم خلق الله النار من الماء فشققت النار متن الماء حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولا نقب، وذلك قوله: «والسماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها» قال: «ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب ثم طواها فوضعها فوق الأرض» ثم نسب الخليقتين، فرفع السماء قبل الأرض فذلك قوله عز ذكره: «والأرض بعد ذلك دحاها» يقول: بسطها فقال له الشامي: يا أبا جعفر قول الله تعالى: «أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما» فقال له أبو جعفر عليه السلام: فلعلك تزعم أنهما كانتا رتقاً ملتزقتين ملتصقتين ففتقت إحداهما من الأخرى؟ فقال: نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: استغفر ربك فإن قول الله جل وعز: «كانتا رتقاً» يقول: كانت السماء رتقاً لا تنظر المطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت الحب، فلما خلق الله تبارك وتعالى الخلق

وبث فيها من كل دابة فتق السماء بالمطر والأرض بنبات الحب. فقال الشامي أشهد انك من ولد الانبياء وان علمك علمهم.

أقول ولعل السائل كان يريد أول ما خلق الله تعالى من المادّيات فأجاب الامام عليه السلام عنه، فلا تنافي بينه وبين ما ورد ان أول ما خلق الله تعالى هو نور محمد صلى الله عليه وآله أو العقل.

وفي نهج البلاغة: قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة يذكر فيها إبتداء خلق السموات السبع: «جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً وعلياهن سقفاً محفوظاً وسمكاً مرفوعاً».

وفي الكافي باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام انه قال كذلك ذكر البيت العتيق ان الله خلقه قبل الارض، ثم خلق الارض من بعده فدحاها من تحته.

وفي الاحتجاج: عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في حديث وفيه قال السائل: فخلق النهار قبل الليل؟ قال: نعم خلق النهار قبل الليل والشمس والقمر والارض قبل السماء.

وفي نهج البلاغة: قال امام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة: «وجبل جلاميدها ونشوز متونها وأطوادها فأرساها في مراسيها فألزمها قرارها فمضت رؤوسها في الهواء وأرست أصولها في الماء فأنهد جبالها عن سهولها وأساخ قواعدها في متون أقطارها ومواضع أنصابها فأسهق قلالها وأطال أنشازها وجعلها للارض عماداً وأرزها فيها أوتاداً فسكنت على حركتها من ان تميد بأهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها».

قوله عليه السلام: «وجبل جلاميدها» أي خلق صخورها، و«نشوز» جمع نشز هو المرتفع من الارض، و«متونها» جوانبها، و«أطوادها» جبالها، و«فأرساها في مراسيها» أثبتها في مواضعها، و«فألزمها قرارها» أمسكها حيث استقرت، و«فأنهد جبالها» أعلاها من نهد ثدي الجاري إذا أشرف وكعب، و«أساخ

« عيب قواعد الجبال في جوانب أقطار الأرض ، و« أنصابها » الأنصاب الأجسام المنصوبة ، و« فأشهق قلالها » جعلها عالية والقلال جمع قلة وهي ما علا من رأس الجبل ، و« أرزها » : أثبتها فيها

وفي إكمال الدين بإسناده عن النزال بن سيارة عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يذكر الدجال ومن يقتله ، وأين يقتل ، ألا إن بعد ذلك الطامة الكبرى قلنا : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : خروج دابة الأرض من عند الصفا معها خاتم سليمان وعصى موسى عليه السلام تضع الخاتم على وجه كل مؤمن فينطبع فيه هذا مؤمن حقاً وتضعه على وجه كل كافر ، فيكتب هذا كافر حتى أن المؤمن لينادي : الويل لك حقاً يا كافر ، وإن الكافر لينادي : طوبى لك يا مؤمن ، ددت أني كنت بك مثلك ، فأفوز فوزاً عظيماً ثم ترفع الدابة رأسها فتراها من بين الخافقين بإذن الله جل جلاله وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها

فعند ذلك ترفع التوبة فلا تقبل توبة ولا عمل يرفع ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ثم قال عليه السلام : لا تسألوني عما يكون بعد هذا فإنه عهد إلي حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا أخبر به غير عترتي

وفي تفسير القمي : في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله قال : كفر بالموت طامة يا جبرئيل فقال جبرئيل إن ما بعد الموت أطم وأطم من الموت قوله « يوم يتذكر الإنسان ما سعى » قال : يذكر ما عمله كله « وبرزت الجحيم لمن يرى » قال : أحضرت

وفيه في قوله تعالى « وأغطش » قال : أي أظلم و« وأخرج ضحيها » قال : الشمس « ودحاها » قال : أي بسطها « والجبال أرساها » قال : أي أثبتها و« يتذكر الإنسان ما سعى » قال : أي يذكر ما عمله و« برزت الجحيم » قال : أي أحضرت و« فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى » قال : هو العبد إذا وقف على معصية الله وقدر عليها ثم تركها مخافة الله ونهى النفس

عنها فمكافأته الجنة

وفي الكافي بإسناده عن داود الرقي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله «ولمن مقام ربه جنتان» قال: من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

وفيه بإسناده عن مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام في حديث قال: ومن يلقى ضل على عمل بلا حجة.

وفي رواية: عن عبدالله بن مسعود في قوله تعالى: «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى» قال: أنتم في زمان يقود الحق الهوى، وسيأتي زمان يقود الهوى الحق، فنعوذ بالله من ذلك الزمان.

وفي نور الثقلين بالإسناد عن عبدالرحمن بن الحجاج قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام: ابق المرتقى السهل إذا كان منحدره وعراً، قال: وكان أبو عبدالله عليه السلام يقول: لا تقول النفس وهواها فإن هواها في رداها، وترك النفس وما تهوى داءها، وكف النفس عما تهوى دواءها.

قوله عليه السلام: «وعراً» الوعر: المكان الصلب ضد السهل، وإن المراد بضد الحديث النهي عن طلب الجاه والرئاسة والاشتهار وسائر شهوات الدنيا ومرتفعاتها، فإنها وإن كانت مواتية على اليسر والخفض إلا أن عاقبتها عاقبة سوء ومآل أمرها إلى ذلة وهوان، كما رأينا في زماننا هذا كيف آل أمر أصحاب الجاه والرئاسة والشهرة إلى الهوان والذلة والفرار والهزيمة بأيدي الأذلاء فصارت الأعزاء أذلاء والعكس بالعكس فعلى أذلاء الأمس وأعزاء اليوم الاعتبار، أعاذنا الله جل وعلا وسائر المؤمنين من شرور الدنيا وغرورها بحق محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «يسئلونك عن الساعة أيان مرساها» قال: متى تقوم؟ فقال الله: «إلى ربك منتهاها» أي علمها عند الله. قوله: «كأنهم

يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها » قال بعض يوم

وفي الدر المنثور : عن النبي ﷺ قال « إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال لأهل الجنة كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟ قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قال نعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم برحمتي ورضواني وجنتي اسكنوا فيها خالدين مخلدين ، ثم يقول يا أهل النار كم لبثتم في الأرض عدد سنين » قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فيقول بئس ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم بدار وسخطي ، اسكنوا فيها خالدين

﴿ بحث فقهي ﴾

وقد استدل بعض المتفقهين بقوله تعالى: «والنازعات غرقاً، فالمدبرات أمراً» (النازعات: ١ ـ ٥) على جواز القسم بغير الله تعالى إذا قسم الله تعالى في كتابه العزيز بذاته وبمخلوقاته كما في هذه السورة، وفي ذلك دليل على جواز القسم بها لغير الله تعالى.

أقول: وقد اتفق الفقهاء قديماً وحديثاً على أن لا ينعقد اليمين إلاّ إذا كان القسم به هو الله جل وعلا للروايات الواردة منها صحيح محمد بن مسلم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله عز وجل: «والليل إذا يغشى» «والنجم إذا هوى» ما أشبه ذلك؟ فقال: إن الله عز وجل أن يقسم من خلقه بما يشاء وليس لخلقه أن يقسموا إلاّ به.

وفي صحيحة [illegible] سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا تتبعوا خطوات الشيطان [illegible] من خطوات الشيطان.

وغيرهما من الروايات. وقد استقصينا البحث في باب الأيمان فراجع.

ولا يخفى أن الله تعالى أقسم ـ بمواضع عديدة في القرآن الكريم ـ تارة بذاته المقدسة وأخرى بصفاته العليا، وثالثة بأفعاله الحكيمة، ورابعة بمخلوقاته مما يراه وما لا يراه من عوالم شتى: عالم الجماد والنبات، عالم الإنسان والحيوان، عالم الأرواح والملائكة والجن، والعالم العلوي والسفلي وغيرها من الأزمنة والأمكنة والأعيان والأعراض والصفات. كالطور والنجم والتين

والزيتون والصافات والذاريات والمرسلات والنازعات ، والقرآن والرسول والشمس والقمر والعصر والفجر والليل والنهار

وان الغرض بالقسم هو تحقيق الخبر و تؤكيده وايجاد اليقين في قلب الانسان إذا لم يكن متيقناً بما اقسم به ولا زيادة نفياً واثباتاً لو كان ، ولما فيه من الدلالة على قدرة الله تعالى وعظمته وتدبيره ، و لتعظيم ما احتقره الانسان أو لم ينتبه إلى ما فيه من الدلائل على علمه وحكمته ، وللاستشهاد بمقسم به لما فيه على المقسم عليه ، ولتعظيم المقسم به وتشريفه ، ولتوجيه إليه ، ولتعريف جلال الله تعالى وهيبته وتذكير نعمته

﴿ بحث مذهبي ﴾

وقد تشبثت المفوضة بقوله تعالى : « فالمدبرات أمراً » النازعات : ٥) على عقيدتهم المحقة بأن الله سبحانه فوّض أمور الكون بعد خلقه إلى غيره من الملائكة والأنبياء والأولياء.

أقول : إن تدابير الملائكة - كما تشير إليها هذه الآية الكريمة - في فعالهم هم مأمورون بها من الله عز وجل لا تخرج أمور الكون عن تدبير الله جل وعلا، كما أن الإمام يدبر في أمور الأمة ثم يولي بعض الناس في البلاد ويأمره بتدبير أمور أهلها والحكم بينهم ، وهذا لا يخرج الإمام عن تدبير الأمور ، فإن تدبير النواب ليس إلا تدبير الإمام وليس حكمهم بين الناس إلا حكمه.

وكذلك يأمرنا الله تعالى بتدبير معيشتنا ، والتدبير في آياته التكوينية والتدوينية وفي الاعتقادات ، وفي الأمور الدنيوية والأخروية.

وإنما الملائكة وسائط بين الله تعالى وبين الأشياء بدءاً وعوداً بأنهم أسباب للحوادث فوق الأسباب المادية في العالم المشهود قبل حلول الموت والانتقال إلى نشأة الآخرة وبعده ، بل إنهم خلقوا وشأنهم أن يتوسطوا بين الخالق جل وعلا وبين خلقه ، ويرسلوا لإنفاذ أمره إذ قال الله تعالى : « الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع » فاطر ١)

وقال : « بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » الأنبياء ٢٦ - ٢٧)

وقال: «يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون» النحل (٥٠)

فلا شغل للملائكة إلا التوسط بين الله تعالى وبين خلقه بإنفاذ أمره فيهم وليس ذلك على سبيل الاتفاق بأن يجري الله سبحانه أمراً بأيديهم ثم يجري مثله لا بتوسطهم فلا اختلاف ولا تخلف في سنته عز وجل: «إن ربي على صراط مستقيم» هود (٥٦)

وقال: «فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً» فاطر (٤٣)

وإن من وساطة الملائكة حفظهم عباد الله تعالى من بين أيديهم ومن خلفهم «له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» الرعد (١١) وكتابة أعمالهم: «وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون» الانفطار (١٠-١٢) وقبض أرواحهم وسؤالهم في القبر ونفخ الصور، وإعطاء الكتاب ووضع الموازين والحساب والسوق إلى الجنة أو النار

ومن وساطتهم نزول الوحي ودفع الشياطين عن المداخلة فيه، وتسديد النبي ﷺ وتأييد المؤمنين وتطهيرهم بالاستغفار

فلا تنافي وساطتهم بين الله تعالى وبين خلقه بكونهم أسباباً تستند إليها الحوادث إستناد الحوادث إلى أسبابها القريبة المادية، فإن السببية طولية لا عرضية أي السبب القريب سبب للحادث والسبب البعيد سبب للسبب

فليس لشيء من الأسباب إستقلال فيه جل وعلا حتى ينقطع عنه، فيمنع ذلك إستناد ما استند إليه إلى الله عز وجل على ما تقول به الوثنية من تفويضه سبحانه تدبير الأمر إلى الملائكة المقربين. فالتوحيد القرآني ينفي الاستقلال عن كل شيء من كل جهة: لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً، لا موتاً ولا حياة ولا نشوراً

فمثل الأشياء في إستنادها إلى المترتبة القريبة والبعيدة وإنتهائها إلى الله عز وجل بوجه بعيد كمثل الكتابة يكتبها الإنسان بيده وبالقلم، فللكتابة إستناد

إلى القلم ثم إلى اليد التي توسّلت إلى الكتابة بالقلم ، وإلى الانسان الذي توسّل إليها باليد والقلم . والسبب بحقيقة معناه هو الانسان المستقل بالسببية من غير أن ينافي سببيته إستناد الكتابة بوجه إلى اليد وإلى القلم

ويستدل بقوله تعالى . « وبرّزت الجحيم لمن يرى » النازعات : ٣٦) على أن الجحيم خلقت قبل يوم القيامة ، وإنما تظهر يومئذ ظهوراً بكشف الغطاء عنها وفي ردّ على منكرى تجسّم الاعمال . وعلى منكرى خلق الجنة والنار ، و على من زعم ان أحوال الآخرة غير محسوسة ، و إنما هي راحة الروح أو تألمها من غير حس .

وتشبث أهل العصر بقوله جل وعلا : « إنما أنت منذر من يخشاها » النازعات ٤٥) على مذهبهم السخيف لاختصاص الانذار بالخائفين

اقول ان وجه الاختصاص انهم هم الذين إستعدّوا بأنفسهم للانتفاع بما ينذرهم النبي الكريم ﷺ ولاشك انه ﷺ جاء منذراً للخلق كلهم، كما ان كتابه جاء منذراً لجميعهم

قال تعالى « وما أرسلناك إلا كافة للناس » سبأ ٢٨) وقال « تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً » الفرقان ١)

﴿ الخوف وحقيقته ﴾

قال الله عز وجل: «وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» النازعات: ٤٠ و٤١)

ونحن نرى المقام مناسباً لبحث الخوف، فنأخذ بذكر حقيقته أولاً، ثم بما يتعلق به ثانياً تحت عناوين عديدة على ما يسعه المقام بحول الله تعالى وقوته

ان الخوف هو عبارة عن تألم القلب وإحتراقه بسبب مكروه في الاستقبال. وهو أيضاً ينتظم من علم و حال وعمل

أما العلم فهو أن يعلم بالسبب المفضي إلى المكروه كمن جنى على ملك ثم وقع في يده وهو يخاف القتل ويجوز العفو والافلات، ولكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالاسباب المفضية إلى قتله، وهو تفاحش جنايته، و كون الملك عصوباً منتقماً، و كون هذا الجاني عاطلاً عن كل حسنة تمحو أثر جنايته عند الملك

فالعلم بتظاهر هذه الاسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب، و لسبب ضعف هذه الاسباب يضعف الخوف، فهذا العلم سبب لاحتراق القلب وتألمه وخوفه وهو الحال وهذا الحال يثمر فعلاً بالاستعداد والتهيؤ لما يصلح للعفو.

وان الخوف من الله جل وعلا تارة يكون بمعرفة الله عز وجل و معرفة صفاته

واخرى يكون بكثرة الجناية من العبد بارتكاب المعاصي والبغي و الظلم على الناس بسفك الدماء وهتك الاعراض ونهب الاموال. و ثالثة يكون بهم

جميعاً

ومن غير مراء أن خوف الأنبياء والمعصومين صلوات الله عليهم أجمعين من القسم الأول من أقسام الخوف، وقد ورد: إن أخوف الناس أعرفهم بربه جل وعلا، وأعرفهم بنفسه، وقد قال رسول الله الأعظم ﷺ: أنا أخوفكم لله.

وقال الله تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» فاطر (٢٨)

ومن تقييد العلماء بالعبودية يظهر أن ليس كل عالم يخشى الله تعالى، وليست عبودية العلماء مقصورة في الصلاة والتزهد، والصوم والتهجد، وإنما هي العمل بما علم من غير أن يكون له في تعلمه غرض إلا الله جل وعلا وكذلك في تعليمه ودعوته وإرشاده وإلا كان عالماً يفسد به العوالم

قال الإمام علي عليه السلام: «إذا فسد العالم فسد العوالم»

فإذا تمت المعرفة حصل للإنسان خوف من الله جل وعلا واحترق قلبه فيقضي أثر الاحتراق من قلبه على قلبه، وعلى بدنه وجوارحه، وعلى أحواله وصفاته

أما البدن فبالنحول والصفار والبكاء ونحو ذلك

وأما الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافياً لما فرط منه في الماضي، وإستعداداً للمستقبل

ولذلك قيل: ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه، وإنما الخائف من يترك ما يخاف بأن يعاقب عليه

وأما الصفات فهو أن يقمع الشهوات بالخوف، ويؤدب الجوارح ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة واللذات المشتهية عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سماً فتحرق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد

بل يصير مستوعب الهمة بخوفه والنظر في خطر عاقبته، فلا يتفرق لغيره

ولا يكون له شغل إلاّ المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات، فيكون ظاهره وباطنه مشغولاً بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره.

قال الله تعالى: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون» السجدة: ١٦)

وقال: «الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب» الرعد: ٢٠ و٢١)

وقال: «رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار» النور: ٣٧)

وقال: «الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» الزمر: ٢٣)

هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه، وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال: الامتناع من المحظورات، ويسمى الكف الحاصل من المحظورات ورعاً فإن زادت قوته، وكف عما يتطرق إليه إمكان التحريم فيسمى ذلك تقوى قال الله عز وجل: «ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون» النور: ٥٢)

إذ التقوى أن يترك لمرء ما يريبه إلى ما لا يريبه، وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس، وهو الصدق في التقوى، فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه، ولا يصرف إلى غير الله نفساً من أنفاسه، فهو الصدق وصاحبه جدير أن يسمى باراً صديقاً.

ويدخل في الصدق التقوى وفي التقوى الورع وفي الورع العفة، فإنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فإذاً الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والإقدام

قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لاسحق بن عمار : «يا إسحق خف الله كأنك تراه وإن كنت لاتراه فانه يراك، وإن كنت ترى انه لايراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين إليك».

وفي نهج البلاغة: قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - في خطبة يصف المتقين الخائفين -«قد برأهم الخوف بري القداح ينظر إليهم الناظر، فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول، لقد خولطوا، ولقد خالطهم أمر عظيم لايرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون إذا زكّي أحد منهم خاف مما يقال له، فيقول انا اعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي مني بنفسي اللهم لاتؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي مالايعلمون».

ومن البين ان الخوف مقام جليل من مقامات المتقين وهو أحد الاركان التي هي اصول هذا الفن، وهو التقوى التي حث الله جل وعلا

وما ورد في الخبر «ان أكرم الناس أشدهم خوفاً له»

قال الله تعالى حكاية عن الابرار «انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً» (الانسان: ١٠)

وفي الآية الكريمة وحدها كفاية فيما تقدم، وإذا نظرت القرآن المجيد وجدت ان المتقين هم الخائفون

وفي رواية «أتقاكم عقلاً أشدكم لله خوفاً وأحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظراً».

وعن بعض الظرفاء مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة

وعن بعض العلماء إذا قيل له من آمن الخلق غداً؟ قال أشدهم خوفاً

اليوم

وقيل للحسن : يا أبا سعيد كيف تصنع بمجالسة أقوام من أصحابك يخوّفونك حتى تكاد قلوبنا تطير ؟ فقال : إنك والله لأن تصحب قوماً يخوّفونك حتى تدرك الأمن خير لك من أن تصحب قوماً يؤمّنونك حتى يدركك الخوف

وقيل لرسول الله ﷺ في قوله تعالى «والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة» المؤمنون ٦٠) هم الذين يعصون ويخافون المعصية ؟ قال : لا بل الرجل يصوم ويتصدّق ويخاف ألاّ يقبل منه

وقول الامام علي عليه السلام «ولقد خالطهم أمر عظيم» أي مازجهم خوف عظيم بولهوا لاجله فصاروا كالمجانين

ثم ذكر عليه السلام انهم لا يستكثرون في كثير من أعمالهم ولا يرضيهم إجتهادهم وانهم يتهمون أنفسهم وينسبونها إلى التقصير في العبادة، وهم مشفقون من عباداتهم إلاّ تقبل

قيل لبعض الظرفاء : متى يكون العبد خائفاً ؟ قال : إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام

وقال عمر بن عبدالعزيز لأبي حازم : يا أبا حازم ! إني أخاف الله مما قد دخلت فيه ، فقال : لست أخاف عليك أن تخاف ، وأنا أخاف عليك ألاّ تخاف وقال إبن السماك : خف الله حتى كأنك لم تطعه قطّ وارجه حتى كأنك لم تعصه قطّ

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن أبي حمزة الثمالي قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام : ارج الله رجاء لا يجرئك على معاصيه ، وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته

وفي نهج البلاغة : سئل الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام عن الفرق بين الغم والخوف ؟ فقال عليه السلام : «الخوف مجاهدة الامر المخوف قبل وقوعه ، والغم ما يلحق الانسان من وقوعه»

وقيل: إن الفرق بين الخوف والحزن: أن الخوف عم يلحق الإنسان ليتوقع، والحزن عم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به. فقوله تعالى: «ألا تخافوا» أي لا تخافوا فيما تنتظرون بوقوعه في المستقبل، و«لا تحزنوا» أي لا تحزنوا فيما فات عنكم في الماضي.

وقيل: إن الخوف هو انحراف يعتري لمس سبب توقع ما يحذر كما أن النجدة هي ثقة من نفس لا يخامرها خوف.

﴿ كلام في حدوث الخوف وازدياده ﴾

ومن المعلوم ان الانسان وكذلك الحيوان يرثان إستعداداً عاماً للخوف والابتعاد عن الاشياء والمواقف التي تؤلم الجسم وتؤذيه أو التي يتوقع منها الألم والأذى حيث ان أغلب الدوافع الفطرية تصحبها إنفعالات مميزة . فان الحاجة إلى الطعام يصحبها إنفعال الجوع ، ودافع الهرب يصحبه إنفعال الخوف، ودافع المقاتلة يصحبه إنفعال الغضب ، والدافع الجنسي يصحبه إنفعال الشهوة ، و دافع الاستطلاع يصحبه إنفعال التعجب

فكل شيء أو موقف يهدد بهذا الألم والأذى يشكل لدى الفرد خطراً أو مخافة . و أما الأخطار الفطرية التي تثير هذا الدافع عند الانسان ، أي تثير فيه الخوف وسلوك الابتعاد والتجنب والهرب ، فمن نوع بدائي وعددها محدود

من ذلك ان الطفل الرضيع في الستة الاشهر الاولى من حياته لا تبعث في نفسه الخوف إلا الاصوات العالية والاحداث المباغتة والازاحة المفاجئة له من مكان إلى آخر ، وفقد السند أي أن يكون متكئاً أو محمولاً على شيء ثم يهوى به هذا الشيء أو يتخلى عنه . أما بعد ذلك فالرضيع لا يخاف شيئاً مما يخيف نحن الكبار . فالطفل بفطرته لا يخاف الكلاب أو الظلام أو البرق أو أمواج البحر أو الموت أو القانون ، ثم تزداد مخاوفه بعد ذلك عن طريق النضج الطبيعي و عملية التعلم . وأما السلوك البدائي الذي يصدر عن هذا الاستعداد ، فيتخلص في الانتفاض والاحتفال والصياح ومحاولة القبض باليد والابتعاد ولو بدرجة طفيفة

ومحاولة الهرب ، مع تغيرات الوجه المعروفة للخوف والتي لا تبدو في العادة بشكل واضح متميز قبل نهاية العام الأول من العمر .

فتظهر بعض المخاوف لدى الطفل نتيجة لعملية النضج الطبيعي ، ويقصد بها عملية النمو التي تتوقف على وراثة الفرد وتكوينه البيولوجي ولا تحتاج إلى ممارسة أو تدريب أو تعلم خاص ، فالطفل كلما تقدم في العمر زادت قدراته الحسية وإدراكه ما بين الأشياء من علاقات ، وقدرته على تذكر الماضي . وهذا من شأنه أن يجعله يخاف من أشياء لم يكن يخافها من قبل ، وأن يتوقع وقوع الأخطار قبل حدوثها فعلاً

من ذلك أنه يبدأ في الخوف من رؤية الأشخاص الغرباء عنه حوالي الشهر السادس أو السابع من عمره أي عند ظهور قدرته على التمييز بين الوجوه الغريبة والوجوه المألوفة له ، كذلك نرى الطفل متقدمه في العمر يحرص على ألا يطل من النافذة إلا بقدر معلوم ، وألا يحاول أن يثب من فوق المائدة أو الكرسي الذي يجلس عليه إلا بعد شيء من التلبث والتحرج . فكلما زاد فهمه زاد حرصه .

أما القسط الأكبر من المخاوف فيكتسبه الطفل عن طريق التعلم ، فقد يصيبه الخوف من الكلاب مثلاً لأن كلباً عضّه أو لأنه حذر من الكلاب أولأنه رأى علامات الخوف منها على وجوههم ، أولأنه سمع قصة عن ذلك ، وقد ظهر من تجربة عرض فيها المجرب تمثالاً كبيراً غير ضار على مجموعة من الأفراد وطلب إليهم أن يلمسوا جلده .

ظهر منها أن ليس هناك طفل دون الثانية من العمر يبدي خوفاً أو توجساً منه أما الأطفال الذين في الثالثة أو الرابعة ، فيبدو عليهم بعض التوجس من ذلك في حين أن طلبة الجامعة قد بدا عليهم خوف ملحوظ

والتعلم يحدث في تلك الأحوال عالماً عن طريق الاقتران أو الارتباط Conditioning إرتباط شيء مخيف بآخر غير مخيف ، وقد اتضح ذلك بملاحظ

التجربة التي أجريت على طفل كان صحيح الجسم، عمره أقل من عام بقليل، وكان يألف اللعب مع الكلاب والأرانب والفيران البيضاء فقدّم له المجرب ذات يوم فأراً أبيض وبينما هو يهم بأمساكه أحدث المجرب صوتاً حاداً مرتفعاً وراء الطفل، فخاف الطفل وابتعد، وبتكرار هذه التجربة بضع مرات قليلة لم يعد الطفل يجرؤ على اللعب مع الفأر بل كان يتهيبه ويتراجع عند رؤيته، بل بدأ فضلاً عن ذلك يخاف الأرانب والكلاب حتى الملابس القطنية وقطع القطن

وهكذا إنتشر الخوف وإمتد أثره إلى كثير من الاشياء التي لاتخيف ولكنها ترتبط بالشيء المخيف لشبهها به، وعلى هذا النحو يكتسب الفرد مخاوف جديدة كثيرة يتقدمه في العمر مخاوف مادية كالخوف من الوالدين أو من المدرس أو الظلام أو رؤية الدم أو الميكروبات والمرض والفقر . . . و مخاوف معنوية كالخوف من الضمير و من العار ومن القانون أو شعوره أنه منبوذ مكروه من المجتمع

والتعلم عن طريق الاقتران (الارتباط) ليس الطريقة الوحيدة للتعلم، فهناك التعلم عن طريق المحاولات والاخطاء والتعلم عن طريق الملاحظة والفهم والاستبصار وعن طريقهما نتعلم الخوف من الشيء المفاجيء والغريب والمجهول لأننا لا نعرف كيف نتصرف حياله تصرفاً ملائماً مأموناً، أولا يكون لدينا وقت لذلك أو لأنه ينطوي على إحتمال الخطر كذلك نتعلم الخوف من كل ما يهدد حياتنا و كل ما نملكه أو نهتم له من مادات ومعنويات

وصفوة القول اننا نرث إستعداداً عاماً للخوف وتجنب ما يؤذينا لكننا لا نرث مخاوف نوعية غير تلك القلائل التي أشرنا إليها

فكما نتجوز هذا الدافع الفطري من ناحية مثيراته كذلك نتجوز من ناحية السلوك الصادر عنه، فنحن لا نعود نعبر عن جميع مخاوفنا بالاحتفال أو الهرب الجسمي، بل بمراعاة القانون والمحافظة على الصحة وحسن معاملة الناس وإلتماس التقدير

الاجتماعي أو الانتماء إلى جماعة تشد أزرها وتؤكد فيها الشعور بالأمن ، بل تمتد مظاهر هذا الدافع لدى بعض الناس في تجنب المخاطرات والمغامرات ، والحرص والحذر الشديد والمحافظة على القديم ، والتشبث بمعتقدات الطفولة والأساطير الشائعة بالرغم من الأدلة على زيفها .

وذلك لحاجتنا الشديدة إلى مجاراة المجتمع من جهة ، وللخوف من المجهول من جهة أخرى والمجهول يخيف لأنه ينطوي على إحتمال الخطر ، بل إن إعراض كثير من الناس عن إبتكار الجديد قد يكمن وراءه دافع قوي إلى إلتماس الأمن .

ومن المخاوف مخافة شديدة أو فوبيا هي خوف شاذ من شيء معين ، أو من فعل معين لا يثير الخوف عند أغلب الناس في العادة ، وهي خوف شديد دائم لا يعرف الفرد له سبباً كما لا يستطيع ضبطه والسيطرة عليه بالإرادة ، ومن هذه المخاوف الخوف من الكلاب أو الغيران أو الظلام أو التلوث الميكروبي ، ومنها الخوف من الوحدة أو عبور الشوارع أو الأماكن المقفلة كقاعات المحاضرات أو صالات العرض المسرحي

ومن تلك الحالات ان رجلاً كان يخاف أن يبتعد عن بيته ، وقد كان خوفه هذا عنيفاً بحيث أرغمه على ألا يتجاوز البيت إلا في محال ضيق ولم يعرف سبباً لهذا الخوف إطلاقاً . وقد عرض الرجل نفسه على محلل نفسي ، وأثناء جلسات التحليل النفسي تذكر الرجل انه لما كان في الثالثة من عمره خرج مع امه لكنه ضل عنها فذهب إلى محطة السكة الحديد وبينما هو هناك إذا القطار يدفع إلى المحطة ، وهو يبعث دخاناً اللافح الشديد ، فأصابه الدخان بما كاد يحرق جلده ومع أنه نسي هذه الحادثة نسياناً تاماً منذ طفولته حتى سن الكبر إلا أن ما أثارته في نفسه من خوف عميق أرغمه على ملازمة بيته لا يتركه إلا بمقدار

﴿ القلق والخوف ﴾

إعلم أن القلق عبارة عن إنفعال مركب من الخوف ، وتوقع الشر والخطر أو العقاب غير أنه يختلف عن الخوف من جهتين

أحدهما ـ ان القلق هو خوف من خطر محتمل غير مؤكد الوقوع كخوف الطالب من نتيجة الامتحان ، أو خوف مذنب من إفتضاح أمره ، أو خوف المريض من الموت ، فهو خوف من المجهول والخفي والغريب وغير المتوقع

ثانيهما ـ انه خوف معتقل محبوس لا يستطيع أن ينطلق في مجراه الطبيعي كالهرب أو الاختفاء أو الهجوم . انه إنفعال مؤلم يشعر به حين لا يستطيع أن يفعل شيئاً حيال موقف مخيف يتهددنا بالخطر

وان القلق على أنواع

منها قلق موضوعي عادي . وفيه يكون مثير الخوف خارجياً كخوف الجنود في الخنادق ، وخوف التاجر من الافلاس ، أو قلقنا على شخص عزيز مصاب بمرض خطير . هنا يكون مصدر الخطر خارجياً ويكون للخوف ما يبرره لكنه ليس خوفاً بالمعنى الدقيق لأنه خوف معتقل لا تتاح له فرصة الانطلاق ، ومخاوف صغار الاطفال من هذا النوع لأن الرضيع الخائف أو المذعور لا يستطيع أن يفعل شيئاً محدداً إزاء ما يخيفه

ومنها قلق ذاتي عادي . وفيه يكون مصدر الخطر داخلياً يشعر الفرد بوجوده ، فالانسان لا يخاف فقط من القنابل أو المرض أو من فقد عمله ، بل يخاف

أيضاً من ضميره حين يهم بالقيام بعمل غير مشروع ، ويخاف من إنطلاق دوافعه المحظورة ، الجنسية والعدوانية ، حين تلح في الاشباع ، لكن الانسان لايستطيع أن يهرب من نفسه ، وهنا يندلع القلق

وهذا النوع من القلق يتميز بأنه

١ـ قلق داخلي المصدر ، لكن الفرد لايعرف له أصلاً ولايستطيع أن يجد له مبرراً موضوعياً أو سبباً صريحاً واضحاً ، فهو خوف أسبابه لاشعورية مكبوتة

٢ـ ثم انه قلق تثيره مثيرات غير كافية أي ضغوط بيئية خفيفة ، فان كانت المثيرات كافية بدا الخوف عنيفاً مشتطاً مستمراً

٣ـ وبما أنه خوف غير ذي موضوع معين لذا فهو يبدو في صورة توجس هائم طليق يتأهب لأن يلقي بنفسه على كل شيء يستطيع أن يتخذ منه تعلة لوجوده ويلاحظ ان بعض العلماء يقصرون القلق في القلق الذاتي العادي كما أن كثيراً منهم يخلطون بين القلق الذاتي والعصابي

و منها ـ قلق عصابي ، و هو عرض مشترك في جميع الأمراض النفسية والعقلية ، ولكنه في عصاب القلق أظهر الاعراض وأكثرها بروزاً ، فهو أشد عنفاً وأطول بقاء وأكثر تعطيلاً للفرد ، فترى المريض بهذا العصاب يتوقع الشر من كل شيء ومن كل مصدر ، ويرى في كل حدث يدبر سوء ، و يؤول كل ظن على أسوء وجه ، لايرى الجانب المفرح من الامور ولا يترقبه ولايتصوره إن سافر قدر أن القطار سيصطدم أو أن الباخرة ستغرق أو ان الطائرة ستسقط ، وإن رأى في الطريق سيارة الحريق فهي داهمة إلى بيته ، وإن تبعه أحد في السير فهو مكلف بمراقبته ، دائم القلق على صحته وعمله ومستقبله ، حياته كلها خوف وحذر وتشاؤم وإرتياب

ومن الأعراض النفسية الاخرى لهذا العصاب سرعة الاهتياج وضعف القدرة على التركيز وشرود الذهن والهبوط بين آن وآخر ، هذا فضلاً عن التردد الشاذ والتشكك و تزاحم الأفكار المزعجة على المريض ، مع فقد الشهية للطعام و أرق

وأحلام كابوس متواترة يرى فيها ان أحداً يطارده أو يهاجمه أو بأنه يسقط أو يفشل في مشروع قام به ، ومن الطبيعي أن يؤدي به هذا القلق الموصول والتوتر الدائم وصعوبة النوم إلى شعور شديد بالتعب والارهاق إلى غير ذلك من الاعراض التي كانت تتدرج فيما كان يسمى « النورستنيا » .

و أما الأعراض الجسمية التي تصاحب حالات القلق العصابي فهي أعراض الخوف إضطراب التنفس ، وتقلص القلب و خفوقه ، و إرتفاع ضغط الدم ، مع شحوب وعرق وإرتجاف هذا إلى كلال في العضلات وتوتر شديد و كثرة في التبول وإسهال وإنتفاخ في البطن ، وعسر في الحلق وعدم إستقرار حركي ، وقد يخطيء المريض فيظن أن ما يشعر به من خوف نتيجة طبيعية لاضطراب حالته الجسمية بل قد يخطيء الطبيب نفس خطأ المريض

ومن العوامل التي تهيء الفرد لهذا العصاب بعد الاستعداد الوراثي المخاوف الشديدة في الطفولة المبكرة من جراء مرض أو إختناق ، أو فقدان الام أو القسوة في المعاملة ، أو تلهف الوالدين وقلقهم الزائد على الطفل ، و لنذكر ان حرمان الطفل من العطف أكثر شيء يفقد الطفل شعوره بالأمن ويبث في نفسه الخوف

على أن مخاوف الطفولة لا تكفي وحدها لخلق عصاب القلق عند الكبر خاصة إن بادر بالعلاج هذه المخاوف وأشعر الأمن في حياة الطفل ، أما إن عززتها في الكبر مخاوف أخرى موضوعية أو خلقية ، زاد إحتمال الاصابة بهذا العصاب ومن العوامل المباشرة لاندلاع هذا المرض مصادر الخطر والاحباط الشديد عائلية كانت أم مالية أم مهنية أم جنسية ، و كذلك المواقف التي تسبب توتراً نفسياً شديداً كالاستعداد للامتحان مثلاً .

وإلى جانب السمات الخاصة التي يتميز بها كل طراز عصابي عن غيره ، هناك سمات عامة يشترك فيها العصابيون بوجه عام من أظهرها :

١ أن العصابي لا يجد للحياة طعماً ، فهو لا يعيش حياته بل يكابدها ، وذلك

لكثرة ما يعانيه من توترات وصراعات غير محسوسة ، وما يقترن بهذه الصراعات من مشاعر أليمة بغيضة ، ثم لعسر صلاته الاجتماعية بالناس ، ولأن طاقته وجهوده لا تنصب في العادة على أهداف واقعية يجد في بلوغها أشباعاً حقيقياً .

٢ـ وكل عصابي يتسم بعدم النضج الانفعالي ، فهو يتسم بأنانية الطفولة وعصبها ومخاوفها وقسوتها وسرعة إهتياجها ، ومن سماته الرئيسية الخوف من تحمل التبعات ومن مواجهة مشاكل الحياة ، وضعف الثقة بالنفس ، كما أن حبه من النوع الاستحواذي الطفلي الذي يأخذ ولا يعطي ، ومن هذه السمات «مركزية الذات» أي إنشغاله الزائد بحاجاته وشئونه الخاصة دون إهتمام كاف بمشاعر الآخرين . فشخصيته تطغى عليها عواطف الطفولة وإنفعالاتها وأنماطها السلوكية ، انه يريد من رئيسه أن يكون أباً له ، ومن زوجته أن تكون أماله ، ومن زملائه أن يكونوا اخوة يغفرون له أخطاءه ويتغاضون عن عيوبه .

٣ـ والعصابي شخص جعلته خبرات طفولته شديد الحساسية لمواقف معينة لمواقف النقد أو الاحباط أو للمواقف التي يشتم منها رائحة الكراهية أو الاذلال أو فقدان العطف أو الذنب . فاذا به يستجيب لهذه المواقف إستجابة مشتطة أو شاذة ، انه شخص يحس وخز الابرة طعنة خنجر ، ويرى الحبة بجسمها قبة ، ويسمع الهمسة صيحة مثل الحساسية النفسية الزائدة كمثل الحساسية الجسمية الزائدة سواء بسواء .

فمدخن التبغ يألف جسمه السكونين تدريجاً حتى يصبح قادراً على إحتمال مقدار منه كان يكفي لقتله وهو مبتدىء ، على أن إسرافه في التدخين قد يؤدي به ذات يوم إلى رد فعل عنيف . فاذا بالمدخن الذي اعتاد أن يدخن عدداً ضخماً من اللفافات في اليوم الواحد قد أصبح لا يطيق على حين فجأة تدخين واحدة منها .

٤ـ والتعب بعد المجهود القليل عرض يشكو منه أغلب العصابيين ، فالشخصية العصابية شخصية هدتها الصراعات النفسية واستنفد الكبت الشديد حيويتها وهو تعب

لايجدى فيه اللوم أوالاستحسام أو غيرذلك من ضروب الترويح لأنه نعت نفسى المنشأ

والامراض العصبيه شائعة بين الناس أكثرمما نظن ، وكلما اشتدت زحمة الحياة وراد الصراع بين الناس ، وعنف المجتمع بأفراده ، فاشتد فى مطالبه كلما زاد شيوعها وتضاعفت أسرارها ، غيرأنها أكثرشيوعاً من الامراض العقلية. وأصحابها لايعزلون فى العادة فى معازل خاصة ، بل ينتشرون فى كل مكان ، و مع أنهم مصدرمتاعب كثيرة لمن يتصلون بهم إتصالاً قريباً ، إلا أنهم لايكونون فى العادة خطراً على غيرهم أو على أنفسهم

﴿ الخوف وأقسامه ﴾

وما يستفاد من الآيات القرآنية حول الخوف : ان الخوف من الله تعالى على قسمين

احدهما - خوف ممدوح وهو الذي يسوق العبد إلى المواظبة على العلم والعمل ليتوسل بهما القرب من الله جل وعلا والفوز ، فتكف جوارحه عن المعاصي و تقيدها بالطاعات ، ومن آثار هذا الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والتفكر في آيات الله التكوينية ، والتدبر في آياته التدوينية والتوجه إلى الله عز وجل قلباً وقالباً ، وكل ذلك يستدعي الكمال والحياة مع صحة البدن وسلامة العقل والعيش الهنيء

قال الله تعالى « وأما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى » (النازعات : ٤٠)

وقال « يخافون ربهم من فوقهم و يفعلون ما يؤمرون » (النحل ٥٠)

ثانيهما - خوف مذموم ، وهذا إذا خرج عن حد الاعتدال ودخل في اليأس والقنوط ، وقد يستتبعه المرض والضعف والوله والدهشة وزوال العقل و أحيانا إلى الموت وغيره من المفاسد ومن هنا ورد كثيراً انه لابد أن يكون الانسان بين الخوف والرجاء

قال الله تعالى « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » (الزمر ٥٣)

وان الخوف من الله تعالى أيضاً باعتبار آخر على نوعين

أحدهما . الخوف من عذابه في الحياة الدنيا بالهلاك والدمار　　و في الآخرة بالخلود فيها، وتقوى هذا الخوف بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أحوال الهالكين، و في أهوال القيامة وأصناف عذابها، والنظر في أحوال الخائفين ومآل أمرهم

قال الله تعالى « إذهب إلى فرعون إنه طغى - فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى - فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» النازعات : ١٧ - ٤١)

ثانيهما - وهو الأعلى - أن يكون الله عز وجل هو المخوف بأن يخاف لبعد المعدو الحجاب عنه، وترجوا القرب منه، وهو خوف من عرف الله تعالى بنعوت جلاله وصفات كماله من الأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء العاملين ممن عرفوه من صفاته العليا ما يقتضي الهيبة و الخوف والحذر، لمطلعين على سر قوله تعالى « ويحذركم الله نفسه » آل عمران : ٢٨)

وقال « الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه و لا يخشون أحداً إلا الله » الأحزاب : ٣٩)

وقال « فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » آل عمران ١٧٥)

ثم إن الخوف لا يتحقق إلا بتقدير مكروه، والمكروه إما أن يكون مكروهاً في ذاته كالنار، وإما أن يكون مكروهاً لأنه يفضي إلى المكروه كما تكره المعاصي لأدائها إلى العذاب .

قال الله تعالى « إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة » هود ١٠٣)

وقال « إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » يونس . ١٥)

وإن الخائفين من النوع الأخير منهم من يغلب عليه خوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة، أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله عز

وجل، وخوف زوال رقة القلب وتبديلها بالقساوة، أو خوف الميل عن الاستقامة، أو خوف إستيلاء العادة في إتباع الشهوات المألوفة، أو خوف أن يكلهالله تعالى إلى حسبانه التي إتكل عليها وتعزز بها في عباد الله سبحانه

أو خوف النظر بكثرة نعم الله جل وعلا عليه، أو خوف الاشتغال عن الله تعالى بشكر الله أو خوف الاستدراج بتواتر النعم، أو خوف إنكشاف عوائل طاعاته حتى يتبدله من الله عزوجل مالم يكن يحتسب، أو خوف تبعات الناس عنده في الغيبة والنمامة والحسد والغش وإضمار السوء، أو خوف مالا يدري أن حدث في بقية عمره، أو خوف تعجيل العقوبة في الحياة الدنيا والافتضاح قبل الموت، أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا ومتاعها، أو خوف خاتمة السوء وشر العاقبة، أو خوف إطلاع الله تعالى على سريرته جل جلاله من الاحوال سبقته من قبل

هذه كلها مخاوف الذين عرفوا الله عزوجل بصفاته العليا وأسمائه الحسنى ونعوت جلاله تعالى وأن الخائفون من المكروه لذاته، فمنهم من غلب عليهم خوف سكرات الموت وشدته، أو خوف سؤال منكر ونكير أو خوف عذاب القبر وضغطه، أو خوف أهوال القيامة وفزعها أو خوف هيبة الموقف بين يدي الله سبحانه وشدته أو خوف الحياء من كشف الستر، أو خوف السؤال عن النقير والقطمير، أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية المرور عليه

أو الخوف من النار وأغلالها وأهوالها وسلاسلها أو الخوف من حرمان الجنة ونعيمها أو الخوف من نقصان الدرجات ومنازلها، أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى ورحمته الخاصة، وهو أعلاها رتبة وهو خوف العلماء العاملين والصلحاء الصديقين، وهم الذين عنّاهم بالعلماء في القرآن الكريم «إنما يخشى الله من عباده العلماء»

﴿ المؤمن بين المخوفين ﴾

إعلم ان الروايات الواردة في هذا الباب كثيرة جداً لايسعها المقام، نحن على جناح الاختصار، فنشير إلى لبذة منها

١- في الكافي باسناده عن حمزة بن حمران قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ان مما حفظ من خطب رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، و بين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب وما بعدها من دار إلا الجنة أو النار

٢- وفيه باسناده عن أبي عبدة الحذاء عن أبي عبدالله عليه السلام قال المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك فلا يصبح إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف

٣- وفيه باسناده عن داود الرقي عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل « ولمن خاف مقام ربه جنتان » قال: من علم أن الله يراه و يسمع ما يقول ويعلم ما يعمله « يعمله خ » من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الاعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى

٤- في العقبه، باسناده عن الهيثم بن واقد قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام

يقول : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء

٥ـ في الكافي باسناده عن حميل بن دراج عن أبي حمزة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا

٦ـ وفيه عن صالح بن حمزة رفعه قال قال أبو عبد الله عليه السلام إن من العبادة شدة الخوف من الله عزوجل يقول الله عزوجل « انما يخشى الله من عباده العلماء » وقال جل ثناؤه « فلا تخشوا الناس واخشون » وقال تبارك و تعالى « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » قال وقال أبو عبدالله عليه السلام ان حب الشرف و الذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب .

قوله عليه السلام « حب الشرف » أي السمو و الحسب ، و « الذكر » أي حب الحمد والمدح والاشتهار

٧ـ في العلل عن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام قال من أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله : رأس الحكم مخافة الله عزوجل

٨ـ وفيه باسناده عن علي بن عراب قال قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام من خلا بذنب فراقب الله تعالى فيه و استحيى من الخطيئة غفر الله عزوجل له جميع ذنوبه وإن كانت مثل ذنوب الثقلين

٩ـ في معاني الاخبار : عن عبدالله بن القاسم الجعفي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول الخائف من لم يدع له الرجاء لساناً ينطق به

١٠ـ في محاسن البرقي باسناده عن سعد الاسكاف عن أبي جعفر عليه السلام ـ في حديث ـ قال وانما المخبتات فخوف الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر ، و كلمة العدل في الرضا والسخط

١١ـ وفيه عن ابن أبي عمير عن أبي عبدالله عليه السلام قال ان قوماً أصابوا ذنوباً ، فخافوا منها وأشفقوا فجاءهم قوم آخرون فقالوا مالكم ؟ فقالوا إنا

أصبنا ذنوباً فخفنا منها وأشفقنا ، فقالوا لهم : نحن نحملها عنكم ، فقال الله تعالى يخافون ويجترون عليّ فأنزل الله عليهم العذاب

١٢- في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لابن مسعود : يا ابن مسعود خف الله في السرّ والعلانية ، فإن الله تعالى يقول : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » ولا تؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة باللذات والشهوات فإنه تعالى يقول في كتابه « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى » يعني الدنيا والملعون ما فيها إلا ما كان لله

١٣- في وصية النبي الكريم صلى الله عليه وآله لأبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه : يا أبا ذر يقول الله تبارك وتعالى : لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإذا خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة

١٤- في مجالس الحسن بن محمد الطوسي قدس سرّهما بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : إن المؤمن لا يصبح إلا خائفاً وإن كان محسناً ولا يمسي إلا خائفاً وإن كان محسناً لأنه بين أمرين : بين وقت قد مضى لا يدري ما الله صانع به ، وبين أجل قد اقترب لا يدري ما يصيبه من الهلكات ألا وقولوا خيراً تعرفوا به ، واعلموا به تكونوا من أهله صلوا أرحامكم وإن قطعوكم ، وعودوا بالفضل على من حرمكم ، وأدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم ، وأوفوا بعهد من عاهدتم وإذا حكمتم فاعدلوا

١٥- في الكافي بإسناده عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : قال : إن الرجل ركب البحر بأهله ، فكسر بهم ولم ينج ممن كان في السفينة إلا امرأة الرجل ، فإنها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى انحنت إلى جزيرة من جزائر البحر ، وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلا انتهكها ، فلم يعلم إلا وامرأة قائمة على رأسه فرفع رأسه إليها ، فقال : إنسية أم جنية ؟

فقالت: إنسيه فلم يكلمها حتى جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلما أن هم بها إضطربت، فقال: مالك تضطربين؟ فقالت: أفرق من هذا وأومت بيدها إلى السماء، قال: فصنعت من هذا شيئاً؟ قالت: لا وعزته، قال: فأنت تفرقين هذا الفرق، ولم تصنعي من هذا شيئاً، وإنما استكرهتك إستكراهاً، فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف وأحق منك، قال: فقام، فلم يحدث شيئاً ورجع إلى أهله، وليست له همة إلا التوبة والمراجعة فبينا هو يمشي

إذ جاء راهب يمشي في الطريق، فحميت عليها الشمس، فقال الراهب للشاب ادع الله يظلنا بغمامة، فقد حميت علينا الشمس، فقال الشاب مالي عند ربي حسنة فأتجاسر على أن أسئله شيئاً قال: فأنا أدعو وتؤمن أنت؟ قال: نعم، فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمن، فما كان بأسرع من أن أظلتهما غمامة فمشيا تحتها ملياً من النهار ثم تفرقت الجادة جادتين، فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة، فإذا السحابة مع الشاب

فقال الراهب: أنت خير مني لك استجبت ولم يستجب لي، فخبرني ما قصتك؟ فخبره بخبر المرأة، فقال: غفر الله لك ما مضى حيث دخلك الخوف، فانظر ما تكون فيما تستقبل

قوله عليه السلام حكاية عن المرأة: «أفرق» الفرق - بالتحريك - الخوف و «ملياً» أي ساعة طويلة من النهار

﴿الخوف وآثاره﴾

ان من أهم آثار خوف الخائفين أمرين أحدهما ـ الطاعة وصالح الاعمال وخوفها ومندوبها ثانيهما ـ ترك المعاصي والاجتناب عن المحارم كلها صغيرها وكبيرها ومن المعلوم ان رقي كل اسرة، وتقدم كل ملة لاتتمان إلا بالائتمار بأوامر الله جل وعلا والانتهاء عن نواهي الله تعالى، وان الأوامر والنواهي لاتنفذ إلا بالوعد والوعيد، وهما لا يتمكنان إلا بالترغيب والترهيب، وهما لا ينجعان إلا فيمن يخاف ويرجو

ولاتظهر آثار الخوف والرجاء ولاتعرف إلا بالائتمار بالأوامر والانتهاء عن النواهي، فمن لايخاف ولايرجو فمن لايرغب ولايرهب، فلا ينجع فيه الوعد ولا الوعيد، ولا الامر والنهي، فكيف إذاً فلاح لمرء؟ ورقي لاسرة؟ وتقدم لامة؟؟

في مجالس المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عمرو بن جميع قال قال لي أبو عبدالله عليه السلام من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن والتفسير فدعوه، ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله فنحّوه، فقال له رجل من القوم جعلت فداك أذكر حالي لك؟ قال إن شئت قال والله اني لمقيم على ذنب منذ دهر اريد أن أتحول منه إلى غيره، فما اقدر عليه، قال له إن تكن صادقاً فان الله يحبك وما يمنعك من الانتقال عنه إلا أن تخافه

وفي تحف العقول: في وصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام لهشام ياهشام لايكون الرجل مؤمنا حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى

يكون عاملاً لما يخاف ويرجو .

قال الله تعالى . « ويرجون رحمته ويخافون عذابه » الاسراء : ٥٧)

وفيه . قال الامام مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام من خاف الوعيد قرب عليه البعيد . وقال عليه السلام لرجل . كيف أنتم ؟ قال . نرجو ونخاف ، فقال عليه السلام من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه ، ما أدري ما خوف رجل عرضت له شهوة فلم يدعها لما خاف منه ، وما أدري ما رجاء رجل نزل به بلاء فلم يصبر عليه لما يرجو .

وفي قرب الاسناد : باسناده عن علي عليه السلام قال لرجل وهو يوصيه . حدثني حبيباً . لا يرجون أحدكم إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحيي أن يتعلم ما لا يعلم ، ولا يستحيي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ، واعلموا أن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد .

أقول . ولعمري لو خاف الناس من الله عز وجل مما يخافون من الفقر لما وجدت معصية ولا فقر

قال الله تعالى . « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » النازعات : ٤٠ ـ ٤١)

وقال « ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد » إبراهيم : ١٤)

وفي نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام لابي ذر رحمة الله تعالى عليه لما اخرج إلى الربذة « يا أبا ذر انك غضبت لله فارج من غضبت له ان القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك فاترك في أيديهم ما خافوك عليه وفررت منهم بما خفتهم عليه ، فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك واستعلم من الرابح غداً والاكثر حسداً ، ولو ان السموات والارض كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً . لا يؤنسنك إلا الحق ، ولا يوحشنك إلا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لاحبوك ، ولو قرضت منها لأمنوك »

وفي الكافي باسناده عن سماعة قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب يجتمع حتى يصير كثيراً وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف، وبادروا إلى طاعة الله و اصدقوا الحديث وأدوا الأمانة فانما ذلك لكم ولا تدخلوا فيما لا يحل لكم، فانما ذلك عليكم

وفي تحف العقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي ثلاث موبقات وثلاث منجيات، فأما الموبقات فهوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات فالعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، و خوف الله في السر والعلانية كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك،

وفيه قال الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، إبن آدم! انك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، و ما كانت المحاسبة من همتك، و ما كان الخوف لك شعاراً والحذر لك دثاراً

وفي الخصال باسناده عن إبن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله سبعة في ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل تصدق بصدقة فأخفاها عن شماله و رجل ذكر الله عز وجل خالياً ففاضت عيناه من خشية الله ورجل لقي أخاه المؤمن، فقال: اني لاحبك في الله عز وجل و رجل خرج من المسجد و في نفسه أن يرجع إليه، و رجل دعته إمرأة ذات حمال إلى نفسها، فقال اني أخاف الله رب العالمين

وفي المختار في وصية لقمان لابنه فمن يؤمن بالله يصدق ما قال الله، ومن يصدق ما قال الله يعمل ما أمر الله، ومن لم يعمل ما أمر الله لم يصدق ما قال الله، فان هذه الأخلاق يشهد بعضها لبعض، فمن يؤمن بالله ايماناً صادقاً يعمل لله خالصاً ناصحاً، ومن يعمل لله خالصاً ناصحاً فقد آمن بالله صادقاً، ومن أطاع الله خافه، ومن خافه فقد أحبه، ومن أحبه اتبع أمره ومن اتبع أمره استوجب

حتفه ومرساته

قال الله تعالى حكايه عن قابيل وهابيل إبني آدم عليه السلام « لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين » (المائدة ٢٨)

وقال « قل اني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » الزمر ١٣.

﴿الخوف والايمان﴾

و أعلم أن التدبر في الآيات القرآنية والروايات الواردة في الخوف يلهمنا بأن المؤمن حقاً يخاف الله جل وعلا وحده في كل حال ، ولا يخاف غيره في كل حال ، كما أن المؤمن حقاً لا يعتمد إلا على الله تعالى وحده

قال الله تعالى « و إذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم و لا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون و على الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين » المائدة : ٢٠ ـ ٢٣)

هما سر قيمة الانسان لله عز وجل والخوف منه، وهذا الرجلان من الذين يخافون الله تعالى قد ألهما الخوف من الله جل وعلا إستهانتهما بالجبارين ، و بزهقهما شجاعة في وجه الخطر الموهوم ، وهذا هما يشهدان بقولتهما هذه بقمة الايمان في سعة النفس، وقمة الخوف من الله تعالى في مواطن الخوف من الناس، فالله عز وجل لا يجتمع في قلب واحد بين مخافتين مخافة الله عز وجل ، و مخافة الناس ، والذي يخاف الله تعالى لا يخاف أحداً بعده ، ولا شيئاً سواه

قال الله تعالى « فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين » آل عمران ١٧٥)

وفيه تعريض على أنه صادق الايمان لا يكون جباناً فان الشجاعة في سبيل الله تعالى وصف للمؤمن وإن العلة لحقيقة للجبن هي الخوف من الموت والحرص على الحياة الدنيا وقلب المؤمن لا يتسع لهما .

قال الله تعالى « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً » طه : ١١٢)

وقال « فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً » الجن ١٣)

وقال « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم و اخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » المائدة ٣)

وقال « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » التوبة : ١٨)

وقال « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا و كانوا يتقون » يونس : ٦٢ - ٦٣)

وقال « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة ٣٨)

فالمؤمن حقاً لا يخاف غير الله تعالى، ويخافه غيره من الكفار ، ولا يزال العالم إلى اليوم يشهد شجاعة الجيوش الاسلامية مع ما مني به المسلمون من ضعف في ايمانهم وجهل كثير من شئون دينهم فضلاً عن المؤمنين حقاً الذين هم أشداء على الكفار رحماء بينهم

قال الله تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » الفتح ٢٩)

وقال « سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله » آل عمران ١٥١

وقال « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » النساء ١٤١)

وقال « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين » آل عمران

١٣٩)

في الكافي: باسناده عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبدالله عليه السلام «إذا أردت أن تعرف أصحابي فانظر إلى من اشتد ورعه وخاف خالقه ورجاثوابه، وإذا رأيت هؤلاء أصحابي».

فمن علائم حقيقة الايمان أن لايخاف المؤمن ولا يرجو إلا الله عز وجل و يعمل ما يؤمر كما ان الملائكة لايخافون إلا من ربهم ويفعلون ما يؤمرون

قال الله تعالى «يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون» النحل: ٥٠)

وقال في المؤمنين «رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله و إقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار» النور ٣٧)

و في الخصال في وصايا أبي ذر رحمه الله عليه قال. أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن لاأخاف في الله لومة لائم

وفي أمالي شيخ الطوسي قدس سره عن الصدوق عن آبائه عليهم السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام. لاتأخذكم في الله لومة لائم يكفكم الله من أرادكم و بغى عليكم

قال الله تعالى «يجاهدون في سبيل الله ولايخافون لومة لائم» المائدة: ٥٤)

و في تحف العقول و سئل الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن حد التوكل؟ فقال عليه السلام أن لاتخاف أحداً إلا الله

و في شرح الجديد قال العميد «ربي اني لاستحيي أن أقول توكلت عليك لو توكلت عليك ما خفت إلا منك ولا رجوت إلا إياك

و في تحف العقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله مالي أرى حب الدنيا قد غلب على كثير من الناس حتى كأن الموت في هذه الدنيا على غيرهم كتب، و كأن الحق في هذه الدنيا على غيرهم وجب وحتى كأن ما يسمعون من خبر الاموات قبلهم عندهم كسبيل قوم سفر عما قليل إليهم راجعون: وبيوتهم أحداثهم وتأكلون تراثهم و

أنتم مخلدون بعدهم هيهات هيهات أما يتعظ آخرهم بأولهم لقد جهلوا و نسوا كل موعظة في كتاب الله ، و أمنوا شر كل عاقبة سوء ولم يحاذروا نزول قادحه ولا بوائق كل حادثة

و في رواية قال رسول الله ﷺ طوبى لمن شغله خوف الله عن خوف الناس

وعن بعض الظرفاء إذا قيل لك تخاف الله ؟ اسكت عنك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم كذبت ، فليس وصفك وصف من يخاف

وفي اعيان الشيعة : قيل للامام المظلوم سيد الشهداء سبط المصطفى الحسين بن علي عليه السلام ما أعظم خوفك من ربك ؟ فقال عليه السلام «لا يأمن من يوم القيامة إلا من قد خاف الله في الدنيا »

﴿ أخوف الناس من الله تعالى أعرفهم به ﴾

وقد ظهر سابقاً أن المعرفة بالله عز وجل هو سبب الخوف منه، فمن كان أعرف الناس به تعالى فهو أخوفهم منه، فأخوفهم الأنبياء والأوصياء صلوات الله عليهم أجمعين مع جلالة قدرهم ومقام عصمتهم ثم العلماء العاملون والصلحاء المؤمنون على درجات معارفهم بنعوت جلاله وكماله، ومن لا معرفة له بالله عز وجل لا يخافه، ويستتبعه خلو القلب من الإيمان، والتوكل على الله تعالى، وخلو الصحيفة عن صالح الأعمال، ومن لا يخاف الله تعالى فهو يخاف من كل شيء حتى من حجر ومدر، ومن كل هنا كل مصنوعة وهيئات موهومة ويخاف من زوال الدنيا وفنائها وهو في متاع الدنيا غريق، ومن الآخرة وأهوالها غير خوف.

في الكافي بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس شيء إلا وله حد، قال: قلت: جعلت فداك فما حد التوكل؟ قال: اليقين، قلت: فما حد اليقين؟ قال: ألا تخاف مع الله شيئاً.

وفي نهج البلاغة: قال الإمام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - في عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر - «وإن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله وأن يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه، وإن أحسن الناس ظناً بالله أشدهم خوفاً لله».

وفيه: في كلام له عليه السلام «أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل

لكانت لذلك أهلاً. لا يرجون أحد منكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحيين أحد منكم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستحيين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا خير في إيمان لا صبر معه

وعن بعض الظرفاء: إن الخائف هو الذي لا يخاف غير الله أي لا يخاف لنفسه، وإنما يخاف إجلالاً له، والخوف للنفس خوف العقوبة، وإن كمال الإيمان بالعلم وكمال العلم بالخوف، وإن العلم كسب، والخوف كسب المعرفة، ولا يسقى المحب كأس المحبة إلا من بعد أن ينضج الخوف قلبه، ومن عرف الله تعالى حق معرفته خافه بالضرورة

قال رسول الله ﷺ «رأس الحكمة مخافة الله تعالى».

إن المراد بالمعرفة معرفة الذات والجلال والعزة والغنى والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الجلال والكمال، وإن المعرفة بها تورث الهيبة لا محالة، ومن كان خوفه أكثر كان رجاؤه أيضاً أكثر، وإن ثمرة الخوف الإعراض من الذنوب وثمرة الرجاء تكثير الطاعة والعبادة والتوبة وبقدر المعرفة يخاف من الله عز وجل وبقدر الخوف يعرض عن المعاصي، وبقدر الرجاء يكثر الطاعة

ولحصول الخوف طريقان أحدهما أعلى من الآخر

فلنفرض مثلاً تقريباً، وهذا إن الصبي إذا كان في بيت، فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف، بل ربما يمد يده إلى الحية ليأخذها ويلعب بها، ولكن إذا كان معه أبوه ورآه الصبي قد ارتعدت فرائصه وهو يحتال في الهرب وقد غلب عليه الخوف حصل له الخوف من ذلك لعلمه بأنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه، فخوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وسطوة السبع وبطشه، وخوف الولد إنما كان بمجرد التقليد لأنه يحسن الظن بأبيه، ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف، فيعلم أن السبع والحية مخوفان، ولا يعرف وجههما

وخوف الأنبياء والمعصومين عليهم السلام من القسم الأول ، وخوف العلماء العاملين والصلحاء المؤمنين من القسم الثاني مع درجات خوفهم ، وعدم خوف أكثر الناس كعدم خوف الصبي من الحيّة و السبع إما لأن الله لم يرزقه بخوفه منهما وإما تخلّف عن تخويف أبيه

وقد كان الأنبياء والمرسلون والأولياء المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين مع جلالة قدرهم وعظم عصمتهم أخوف الناس من الله عزوجل لكونهم أعرفهم به تعالى .

قال الله تعالى «ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً اولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته و يخافون عذابه» الاسراء : ٥٦ ـ ٥٧)

وقال «قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم» الانعام ١٥)

وقال «واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين» الاعراف . ٢٠٥)

وقد كان رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل

وروي ان داود عليه السلام كان يقول في مناجاته إلهي إذا ذكرت خطيئتي صفقت على الأرض برجلها وإذا ذكرت رحمتك إرتدت إلى وجهي ، سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك لدوواء خطيئتي فكلّهم عليك يدلني هيئاً للقانطين من رحمتك

وروي انه عليه السلام كان يعاتب في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي فمن خروج يوم البكاء ، قبل تحريق العظام ، وإشتعال الحشا ، وقبل أن يؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون

ويكفيك في ذلك بكاء أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم

أجمعين وحوفهم ومناحاتهم

قال الله عز وجل فيهم «ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ـ إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً» (الانسان : ٧ ـ ١٠).

فاذا كانوا هم كذلك فما بالنا لا نخاف ؟ وكيف نحن معاشر العصاة ؟؟؟

ألكثرة طاعاتنا ؟ أم لقلة معاصينا ؟ أو لعقلنا وقوتنا ؟ فلا قرب الرحيل يسهب ، ولا كثرة الدنوب تحركنا ، ولا مشاهدة أحوال الخائفين تخوفنا ، ولا خوف سوء الخاتمة يرعبنا ، ولا هلاك المستكبرين يردعنا ، ولا دمار الظالمين يعظنا فما لنا ؟ ومالنا ؟؟؟

الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة عليهما السلام وخوفهما من الله تعالى

كافيك القرآن الكريم أن يحكي خوف أهل بيت الوحي عليهم السلام، وقد أشار إليه بقوله تعالى حكاية عنهم: «إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً» (الإنسان: ١٠).

وقد وردت روايات كثيرة عن الطريقين في خوف كل واحد من أئمتنا المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، ونحن نشير في المقام إلى نبذة ما ورد في خوف الإمامين سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام.

وما ورد عن طريق العامة:

١- روى الراغب الأصبهاني في (محاضرات الأدباء ج ٣ ص ٣٩٤ ط بيروت) ما لفظه: وبكى الحسن بن علي عليهما الرضوان، فقيل له: ما يبكيك وقد ضمن لك رسول الله صلى الله عليه وآله الجنة؟ فقال: إني أسلك طريقاً لم أسلكها، وأقدم على سيد لم أره.

٢- روى الخطيب الخوارزمي في (مقتل الحسين ص ١٣٧ ط الغري) بإسناده عن الباقر عليه السلام قال: لما حضر الحسن بن علي عليه السلام الموت بكى بكاء شديداً فقال له الحسين عليه السلام: ما يبكيك يا أخي إنما تقدم على رسول الله وعلي وفاطمة وخديجة عليهم السلام فهم ولدوك وقد أخبرك الله على لسان نبيه صلى الله عليه وآله أنك سيد شباب أهل الجنة، وقد قاسمت الله (لله ح) مالك ثلاث مرات، ومشيت إلى بيت الله على

قدميك خمس عشرة (خمس وعشرين ط) مرة حاجاً ، وإنما أراد أن يطيب نفسه؟ قال فوالله ما رده إلا بكاء وإنتهاباً ! وقال يا أخي اني اقدم على أمر عظيم و هول لم اقدم على مثله قط

٣ روى الصفدي في (نكت الهميان ص ٨٢ ط بيروت) ما لفظه

قال أبو الحسن وكان أي الحسن بن علي من أحسن الناس وجهاً و توسعاً وأكثرهم موعظة ، فبينما هو في صلاته حتى ذكر الموت ، فتحدر دموعه ويأخذ في العظة حتى كأنه غير ذلك الرجل

٤ روى الزمخشري في (ربيع الابرار ص ١٩٣) ما لفظه

كان الحسن بن علي عليه السلام إذا فرغ من وضوئه تغيّر لونه ، فقيل له :فقال: حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغيّر لونه

٥ـ روى السمرقندي الحنفي في (تنبيه الغافلين ص ١٩٤ ط القاهرة) ما لفظه

روي ان الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما كان إذا أراد أن يتوضأ تغيّر لونه ، فسئل عن ذلك ! فقال إني اريد القيام بين يدي الملك الجبار وكان إذا أتى باب المسجد رفع رأسه ويقول :إلهي عبدك ببابك المحسن قد أتاك المسيء قد أمرت المحسن منا أن يتجاوز عن المسيء فأنت المحسن وأنا المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك ياكريم، ثم دخل المسجد

٦ـ روى أبو نعيم الاصبهاني في (اخبار اصبهان ج١ ص٧٤ ط ليدن)

باسناده عن محمد بن علي عليه السلام قال قال الحسن بن علي عليه السلام اني لاستحيي من ربي إن ألقاه ولم أمش إلى بيته، فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه

رواه جماعة من أعلام العامة وحملة أسفارهم

١ أبو نعيم الاصبهاني أيضاً في (حلية الاولياء ج ٢ ص ٣٧ ط السعادة بمصر)

٢- الزمخشري في (ربيع الابرار ص ٢٠٨)

٣- محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ١٣٧ ط القدسي بمصر)

٤- أبو الفرج في (صفة الصفوة ج ١ ص ٣٢٠ حيدرآباد) وغيرهم.

٧- روى الحاكم النيشابوري في (المستدرك ج ٣ ص ١٦٩ ط حيدرآباد) بسنده عن عبدالله بن عبيد بن عمير قال: لقد حجّ الحسن بن عليّ خمساً و عشرين حجة ماشياً وان النجائب لتقاد معه

رواه جماعة منهم

١- ابن حجر في (الصواعق ص ١٣٧ ط عبد اللطيف بمصر).

٢- سبط ابن الجوزي في (التذكرة ص ٢٣٤ ط الغربي)

٣- الخطيب الخوارزمي في (مقتل الحسين ص ١٠٢ ط الغربي)

٤- الطبري في (ذخائر العقبى ص ١٣٧ ط القدسي بالقاهرة) وغيرهم

٨- روى البيهقي في (السنن الكبرى ج ٤ ص ٣٣١ ط حيدرآباد) باسناده عن ابن عباس قال: ما ندمت على شيء فاتني في شبابي إلاّ اني لم احج ماشياً و لقد حجّ الحسن بن علي رضي الله عنهما خمسة وعشرين حجة مشياً وان النجائب لتقاد معه

رواه الذهبي في (سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ١٧٣ ط مصر)

وغير ذلك من الروايات الواردة عن طريق العامة. وأما الروايات الواردة حول خوف الامام المجتبى سبط المصطفى الحسن بن علي عليه السلام فكثيرة لا يسعها المقام. وكذلك الروايات الواردة عن الطريقين في خوف الامام سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام فسيأتي ذكر كلام منه عليه السلام

في مهج الدعوات ومن دعاء سبط المصطفى الامام المظلوم الحسين بن علي عليهما السلام «اللهم إني أسئلك توفيق أهل الهدى، وأعمال أهل التقوى، ومناصحة أهل التوبة، وعزم أهل الصبر، وجد أهل الخشية، وطلب أهل العلم، وربة

أهل الورع ، وحذر أهل الجزع ، حتى أخافك

اللهم مخافة تحجزني عن معاصيك وحتى أعمل بطاعتك عملاً أستحق به كرامتك ، وحتى أناصحك في التوبة خوفاً لك ، وحتى أخلص لك في النصيحة حباً لك ، وحتى أتوكل عليك في الأمور حسن ظن بك ، سبحان خالق النور ، وسبحان الله العظيم وبحمده .

﴿ الامام زين العابدين عليه السلام وخوفه ﴾

وقد وردت روايات كثيرة عن الطريقين في خوف الامام سيد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام، أما الروايات الواردة عن طريق العامة وجملة آثارهم في أسفارهم فكثيرة جداً لا يسعها المقام، فنشير إلى نبذة منها

١- روى عبدالوهاب الشعراني في (الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٧ ط القاهرة) قال: وكان -علي بن الحسين- إذا توضأ اصفر وجهه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم.

رواه الغزالي في (مكاشفة القلوب ص ٣٥ ط مصطفى ابراهيم تاج بالقاهرة) إلا أن فيه «لونه» بدل «وجهه» و «يعتريك» بدل «يعتادك».

وروى محمد بن طلحة الشافعي في (مطالب السئول ص ٧٧ ط طهران) ما في الطبقات ورواه الحافظ الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ٣٠٠ ط الغري)

٢- روى الحمراوي في (مشارق الانوار ص ١١٩ ط مصر) قال: ولقب بزين العابدين لكثرة عبادته وحسنها كان شديد الخوف من الله تعالى بحيث انه إذا توضأ اصفر لونه وارتعد، فيقال له: ما هذا؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أقف، و كان إذا هاجت الريح سقط مغمى عليه

رواه عبدالله بن سعيد الشافعي في (مرآة الجنان ج١ ص١٩١ ط حيدر آباد)

٣- روى عبدالله بن سعيد الشافعي في (روض الرياحين ص ٥٥ ط القاهرة)

قال وكان (علي بن الحسين عليه السلام) إذا توضأ إصفر لونه، وإذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فقيل له مالك؟ فقال ما تدرون بين يدي من أقوم، وكان إذا هاجت الريح سقط مغشياً عليه

رواه جماعة من أعلام العامة باختلاف يسير

منهم: حواجه بارسا في (فصل الخطاب) على ما في (ينابيع المودة ص ٣٧٧ ط اسلامبول)

و منهم: الشبلنجي في (نور الأبصار ص ١٢٩ ط مصر)

ومنهم: ابن الصباغ المالكي في (إسعاف الراغبين المطبوع بهامش نور الأبصار ص ٢٣٩ ط العثمانية بمصر)

ومنهم: ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة ص ١٨٣ ط الغري)

٣ روى ابن حجر في (الصواعق المحرقة ص ١١٩ ط القاهرة) قال وكان إذا توضأ للصلاة إصفر لونه، فقيل له في ذلك، فقال ألا تدرون بين يدي من أقف

٤ روى القرماني في (أخبار الدول وآثار الأول ص ١٠٩ ط بغداد) ما لفظه:

كان إذا توضأ للصلاة يصفر لونه، فقيل له ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول ألا تدرون بين يدي من أريد أن أقف

رواه ابن الأثير في (المختار في مناقب الأخيار ص ٢٧ مخطوط)

٥ روى ابن عبد ربه في (عقد الفريد ج ١ ص ٢٧٨ ط الشرقية بمصر) قال وكان علي بن الحسين عليه السلام إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة فسئل عن ذلك، فقال ويحكم أتدرون إلى من أقوم ومن اريد أن اناجي

رواه ابن سعد الواقدي في (الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٢١٦ ط دار الصدر

بيروت) باختلاف يسير ، وروى الذهبي في (تاريخ الإسلام ج ٣ ص ٣٥ ط مصر) ما في الطبقات

٦ـ روى أبو نعيم الأصبهاني في (حلية الأولياء ج ٣ ص ١٣٣ ط مطبعة السعادة بمصر) قال : كان علي بن الحسين عليه السلام إذا فرغ من وضوئه للصلاة و صار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة تنفضه ، وعيب له في ذلك ، فقال : وبحكم أتدرون إلى من أقوم ، ومن أريد أن أناجي

ورواه ابن حجر المكي الهيثمي في (الصواعق المحرقة ج ١ ص ٥ ط القاهرة) إلا أنه أسقط كلمة «وتنفضه» وروى الزبيدي في (اتحاف السادة المتقين ج ٩ ص ٢٥١ ط مصر) مثله عن (حلية الأولياء)

٧ـ روى القرماني في (أخبار الدول وآثار الأول ص ١٠٩ ط بغداد) قال : سقط ابن له (علي بن الحسين) في بئر فجمع أهل المدينة لذلك حتى أخرجوه و كان قائماً يصلي في المحراب فأزال عن مكانه ، فعيل له في ذلك ، فقال : ما شعرت لأني كنت أناجي ربا عظيماً

٨ـ روى الحمزاوي في (مشارق الأنوار ص ١١٩ ط مصر) قال : ووقع في بيته (أي علي بن الحسين) حريق وهو ساجد فجعلوا يقولون له : النار فما رفع رأسه حتى طفئت فقيل له : أشعرت ؟ قال : ألهتني عنها النار الكبرى

ورواه المناوي في (الكواكب الدرية ج ١ ص ١٣٩ ط الأزهرية بمصر) و ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) المطبوع بهامش (نور الأبصار ص ٢٣٩ ط العثمانية بمصر)

٩ـ روى ابن طلحة الشافعي في (مطالب السئول ص ٧٧ ط طهران) قال : و وقع الحريق والنار في البيت الذي هو فيه ، وكان ساجداً في صلاته فجعلوا يقولون له : يا ابن رسول الله النار يا ابن رسول الله النار فما رفع رأسه من سجوده حتى اطفئت ، فقيل له ما الذي ألهاك عنها ؟ قال : نار الآخرة

١٠- روى الخواجه پارسا في (فصل الخطاب) على ما في (الينابيع ص ٣٧٧ ط اسلامبول) قال ووقع حريق في بيت هو ساجد ، وقالوا : يا ابن رسول الله النار النار ، فما رفع رأسه ، وطفي النار فقيل له في ذلك قال : ألهتني عنها نار الاخرى .

١١- روى ابن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٠٦ ط حيدر آباد) قال وقال مصعب الزبيري عن مالك : لقد أحرم علي بن الحسين ، فلما أراد أن يقول لبيك قالها فأغمي حتى سقط من ناقته فهشم .

رواه الذهبي في (تاريخ الاسلام ج ٤ ص ٣٧ ط مصر) و ابن سعد في (الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٢ ط مصر)

١٢- روى الخوارزمي في (مقتل الحسين ج ٢ ص ١٢٤ ط مطبعة الزهراء) بالاسناد عن حسان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال كان أبي علي بن الحسين عليه السلام إذا حضرت الصلاة يتشعر جلده ويصفر لونه وترتعد فرائصه ويقف شعره ، ويقول ودموعه تجري على خديه : لو علم العبد من يناجي ما انفتل

١٣- روى الزبيدي الحنفي في (الاتحاف ج ٣ ص ١٢٥ ط الميمنية بمصر) قال وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم عند القيام إلى الصلاة : منهم علي بن أبي طالب ومنهم علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم

١٤- روى الذهبي في (تاريخ الاسلام ج ٤ ص ٣٧ ط مصر) قال : و قال ابن عيينة حج علي بن الحسين فلما أحرم اصفر لونه ، وانتفض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له مالك لا تلبي ؟ قال أخشى أن أقول : لبيك ، فيقال لي لا لبيك فلما لبى غشي عليه ، وسقط من راحلته ، ولم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجته

رواه جماعة من أعلامهم في أشعارهم مع إختلاف يسير

منهم إبن الأثير في (المختار في مناقب الأخيار ص ٢٧ نسخة الظاهرية بدمشق)

ومنهم الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ٣٠١ ط الغري)

ومنهم: العسقلاني في (تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٣٠٥ ط حيدر آباد)

ومنهم: خواجه پارسا في (فصل الخطاب) على ما في (ينابيع المودة ص ٣٧٧ ط اسلامبول)

ومنهم: الساعاتي في (بلوغ الأماني) المطبوع بذيل (الفتح الرباني ج ١٠ ص ٢٥٣ ط القاهرة)

١٥- روى الخواجه پارسا في (فصل الخطاب) على ما في (ينابيع المودة ص ٣٧٨ ط دار الكتب العراقية سنة ١٣٨٥ هـ) قال: وكان شديد الاجتهاد في العبادة فأضر ذلك جسمه، فقال له إبنه محمد الباقر: يا أبت كم هذا الجد والجهد والذوب؟ فقال: ألا تحب أن يزلفني ربي، وكان إذا ناول المسكين الصدقة قبّله ثم ناوله وكان له مسجد في بيته يتعبّد فيه، وإذا كان من الليل ثلثه أو نصفه نادى بأعلى صوته: اللهم إن هول المطلع والوقوف بين يدك أوحشني من وسادتي ومنع رقادي، ثم يضع خديه على التراب، فيجيء إليه أهله وولده يبكون حوله ترحماً له وهو لا يلتفت إليهم ويقول: اللهم إني أسئلك الروح والراحة حين ألقاك وأنت عني راض.

وغيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة في ذلك تركناها للاختصار.

وفي الصحيفة السجادية: ومن دعاء الإمام سيد الساجدين زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام: «اللهم صل على محمد وآله، وهب لي ما يجب علي لك وعافني مما استوجبه منك وأجرني مما يخافه أهل الإساءة فإنك مليء بالعفو مرجو بالمغفرة معروف بالتجاوز ليس لحاجتي مطلب سواك ولا لذنبي غافر غيرك حاشاك ولا أخاف على نفسي إلا إياك»

وفيها ، ومن دعائه عليه السلام : « اللهم ياكافي الفرد الضعيف وواقي الامر المخوف أفردتني الخطايا فلاصاحب معي وضعفت عن عملك ، فلا مؤيد لي وأشرفت على حوف لقائك فلامسكن لروعتي ، ومن يؤمنني منك وأنت أخفتني ومن يساعدني وأنت أفردتني ومن يقويني وأنت أضعفتني »

وفيها ومن دعائه عليه السلام في ذكر التوبة وطلبها : « اللهم يامن لايصعد بحت لواصعين ويامن لايحاوره رجاء الراجين ، ويا من لايضيع لديه أجر المحسنين، ويامن هومنتهى خوف العابدين ، و يا من هوعند خشية المتقين هذا مقام من تداولته أيدى الذنوب وقادته أزمة الخطايا واستحوذ عليه الشيطان ، فقصّر عما أمرت به تفريطاً و تعاطا مانهيت عنه تمريراً كالجاهل بقدرتك عليه أو كالمنكر فضل إحسانك إليه حتى إذا انفتح له بصراتهدى وانقشعت عنه سحائب العمى أحصى ما ظلم به نفسه وفكّر فيما خالف به ربه ، فرآى كبير عصيانه كبيراً و جليل مخالفته جليلاً

فأقبل نحوك مؤمّلاً لك مستحيياً منك ووجّه رغبته إليك ثقة بك وأمّك بطمعه يقيناً ، وقصدك بحوبته إخلاصاً ، قد خلا طمعه من كل مطموع فيه غيرك وأفرح روعه من كل محذور منه سواك ، فمثّل بين يديك متضرعاً و عفّر بسره إلى الارض متخشّعاً وطأطأ رأسه لعزتك متذللاً ونكّس من سره ما أنت أعلم به منه خضوعاً وعدّد من ذنوبه ما أنت أحصى لها خشوعاً ، واستعاذ بك من عظيم ماوقع به في علمك وقبيح ماقصحه في حكمك من ذنوب أدبرت لذاتها ، فذهبت وأقامت تبعاتها فلزمت لاينكر . . » الدعاء

وفيها ومن دعائه عليه السلام في الالحاح على الله تعالى « إلهي أسئلك بحقك الواجب على جميع خلقك ، وباسمك العظيم الذى أمرت رسولك أن يسئلك به بجلال وجهك الكريم الذى لايبلى ولايتغيّر ولايحول ولا تعني أن تصلي على محمد وآل محمد ، و أن تعيني عن كل شيء بعبادتك ، و أن تسلّي نفسي عن

الذب بمعرفتك وأن تتسبى بالكثير من كرامتك برحمتك ، واليك أفر منك أخاف ، منك أستجير وإياك أرجو ، ولك أدعو وإليك المآب أثق ، وإياك أستعين ومنك ومن وعليك أتوكل ، وعلى جودك وكرمك أتكل »

وغير ذلك من الروايات الواردة ودعائه ومناجاته عليه السلام لا يسعها المقام

﴿ الدعاء عند الخوف ﴾

في الكافي باسناده عن أبي حمزة قال: قال محمد بن علي عليهما السلام: يا أبا حمزة مالك إذا أتى بك أمر تخافه أن لا تتوجه إلى بعض زوايا بيتك يعني القبلة، فتصلي ركعتين ثم تقول: يا أبصر الناظرين ويا أسمع السامعين ويا أسرع الحاسبين ويا أرحم الراحمين سبعين مرة كلما دعوت بهذه الكلمات مرة سئلت حاجة.

وفيه باسناده عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام أن الذي دعا به أبو عبدالله عليه السلام على داود بن علي حين قتل المعلى بن خنيس وأخذ مال أبي عبدالله عليه السلام: «اللهم إني أسئلك بنورك الذي لا يطفى وبعزائمك التي لا تخفى وبعزتك الذي لا ينقضي وبنعمتك التي لا تحصى وبسلطانك الذي كففت به فرعون عن موسى عليه السلام».

وفيه باسناده عن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا خفت أمراً فقل: اللهم إنك لا يكفي منك أحد، وأنت تكفي من كل أحد من خلقك فاكفني كذا وكذا.

وفيه باسناده عن بشير بن سلمة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: ما أبالي إذا قلت هذه الكلمات لو اجتمع علي الإنس والجن: بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم إليك أسلمت نفسي وإليك وجهت وجهي وإليك ألجأت ظهري وإليك فوضت أمري. اللهم احفظني بحفظ الإيمان من بين يدي ومن خلفي وعن يميني

وعن شمالي ومن فوقي ومن تحتي ومن قبلي (مافقلي ح) وادفع عني بحولك و قوتك فانه لاحول ولاقوة إلا بك .

وفيه باسناده عن عبدالله بن عبدالرحمن عن أبي جعفر عليه السلام قال قال لي ألا اعلمك دعاءاً تدعو به ؟ إنا أهل البيت إذا كربنا أمر وتخوّفنا من السلطان أمر لاقول لنا به تدعو به ، قلت : بلى بأبي أنت وامي يا ابن رسول الله قال قل ياكائناً قبل كل شيء ، ويا مكوّن كل شيء ويا باقياً بعد كل شيء صلّ على محمد وآل محمد وافعل بي كذا وكذا .

وفيه . باسناده عن علي بن مهزيار قال : كتب محمد بن حمزة العلوي إلي يسألني أن أكتب إلى أبي جعفر عليه السلام في دعاء يعلّمه يرجو به الفرج ، فكتب إلي أما ما سئل محمد بن حمزة من تعليمه دعاءاً يرجو به الفرج ، فقد له : يلزم يا من يكفي من كل شيء ولا يكفي منه شيء اكفني ما أهمّني مما أنا فيه ، وافني أرجو أن يكفي ماهو فيه من الهم إن شاءالله تعالى ، فأعلمته ذلك فما أتى عليه إلا قليل حتى خرج من الحبس .

وفيه . باسناده عن سعيد بن يسار قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام يداخلني الهم فقال . وأكثر من أن تقول : الله الله ربي لا اشرك به شيئاً ، فداخلت وسوسة أوحديث نفس فقل اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن امتك ، ناصيتي بيدك،عدل في حكمك ، ماض في قضاؤك ، اللهم إني أسئلك بكل إسم هو لك أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل على محمد وآل محمد ، وأن تجعل القرآن نور بصري و ربيع قلبي وجلاء حزني ، و ذهاب همّي ، الله الله ربي لا اشرك به شيئاً .

وفيه باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان دعاء النبي صلى الله عليه وآله ليلة الاحزاب يا مريح المكروبين ويا مجيب المضطرين ، و يا كاشف عمي أكشف عنّي همي وكربي ، وانت تعلم حالي وحال أصحابي و اكفني هول عدوي

﴿ نكات ولطائف ﴾

هنا تنبيه إلى مابين الخوف والتخويف ، و بين الحذر والخشية والفزع والهلع والاذدار والرهبة والهول والوجل والبأس من اللطائف الفارقة والنكات الدقيقة لابد للقارىء الكريم من التأمل جيداً والاعتنام جداً

إعلم ان الخوف هو علماً توقع الضرر المشكوك في وقوعه ، فمن تيقن الضرر ولم يكن خائفاً . وكذلك الرجاء لا يكون علماً إلا مع الشك ، فمن تيقن النفع فلم يكن راجياً له ، وأما الحذر فهو توقي الضرر سواء كان مظنوناً أو متيقناً والحذر يدفع الضرر ، و الخوف لا يدفعه ، ولهذا يقال احذر حذرك ، ولا يقال احذ خوفك

قال الله تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أ يصيبهم عذاب أليم » النور : ٦٣)

وقال « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة و يرجوا رحمة ربه » الزمر . ٩)

وقال « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم » النساء ٧١)

و أما الخوف والخشية - فان الخوف يتعلق بالمكروه و بترك المكروه تقول خفت زيداً كما قال الله تعالى « يخافون ربهم من فوقهم » النحل ٥٠ وتقول خفت المرض كما قال تعالى « ويخافون سوء الحساب » الرعد ٢١)

وان الخشية تتعلق بمتعلق المكروه ، ولا يسمى الخوف من نفس المكروه

خشية ، ولهذا قال تعالى « يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب » الرعد : ٢١)

ان تسئل : أليس قد قال الله جل وعلا حكاية عن هارون أخي موسى عليه السلام « إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي » طه ٩٤)؟

تجيب : ان هارون خشي القول المؤدي إلى الفرقة ، والمؤدي إلى الشيء بمنزلة من يفعله .

وقال بعض الظرفاء من الأدباء يقال خشيت زيداً ولا يقال خشيت ذهاب زيد

فإن قيل ذلك ، فليس على الأصل ولكن على وضع الخشية مكان الخوف وقد يوضع الشيء مكان الشيء إذا قرب منه

وأما الخوف والفزع والهلع فإن الفزع مفاجأة الخوف عند هجوم غارة أو صوت هدة قال الله تعالى « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » النمل : ٨٩)

وما أشبه ذلك ، وهو إنزعاج القلب بتوقع مكروه عاجل أو بوقوعه قال تعالى « لا يحزنهم الفزع الأكبر » الحج ١٠٣)

وتقول فزعت منه فتعديه ، « من » أي هو إبتداء فزعي لأن من لابتداء الغاية وهو يؤكد ما ذكرناه ، وقال تعالى : « إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف » ص ٢٢) وتعديه بنفسه ، فمعنى خفته أي هو نفسه خوفي

وأما الهلع فهو أسوأ الجزع وقيل الهلوع على ما فسره الله تعالى في قوله : « إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً » المعارج ١٩ ، ٣١) ولا يسمى هلوعاً حتى يجتمع فيه هذه الخصال

وأما التخويف والإنذار فإن الإنذار تخويف مع إعلام موضع المخافة من قولك أنذرت بالشيء إذا علمته ، فاستعددت له ، فإذا خوف الإنسان غيره ، أعلمه حال ما يخوفه فقد أنذره وإن لم يعلمه ذلك لم يقل أنذره ، والنذر ما يجعله الإنسان على نفسه إذا سلم مما يخافه ، والإنذار إحسان من المنذر ، وكلما

كانت المخافة أشد كانت النعمة بالابد وأعظم . ولهذا كان النبي ﷺ أعظم الناس منة بالنذارة لهم عقاب الله جل وعلا

وأما التخويف فهو جعل الخوف في غيره سواء عُلم موضع المخافة أم لا قال الله تعالى « إنا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً » النبأ : ٤٠)

وقال « وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » الأنعام ١٩)

وقال « وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً » الإسراء ٥٩)

وقال « لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ـ أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه » الزمر ١٦ ـ ٣٦)

وقال « إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه » آل عمران ١٧٥)

وأما الخوف والرهبة فإن الرهبة طول الخوف واستمراره ومنه تسمى الراهب راهباً لأنه يديم الخوف والخوف أصله من قولهم خمل رهبته إذا كان طويل العظم مشوح الخلق . والرهبانة العظم الذي على رأس العضد يرجع إلى هذا

قال الله تعالى « وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون » البقرة ٤٠

وقال « لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون » الحشر : ١٣)

وقال « إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين » الأنبياء : ٩٠)

وعن بعض الأدباء اللغويين الرهبة خوف يقع على شريطة لا محالة والشاهد أن فيه الرهبة وهي الملامة من المخوف مع حصول فائدة والخوف مع الشك بوقوع الضرر والرهبة من العلم به يقع على شريطة كذا ، وإن لم

يكن تلك الشريطة لم تقع .

قال الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم » الأنفال ٦٠)

و أما الخوف والهول : فان الهول هو المخوف من الأمر لا يدرى ما يهجم عليه منه كهول الليل وهول البحر، وهول القبر والقيامة . .

و أما الخوف والوجل : فان الوجل خلاف الطمأنينة ، و وجل الرجل يوجل وجلاً إذا قلق ولم يطمئن، ويقال أناهدا على وجل ومن ذلك على طمأنينة ولا يقال على خوف في هذا الموضع ، وفي القرآن الكريم : « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » الأنفال : ٢)

أي إذا ذكرت عظمة الله تعالى وقدرته لم تطمئن قلوبهم إلى ما قدموه من الطاعة ، و ظنوا انهم مقصرون فاضطربوا من ذلك ، و قلقوا فليس الوجل من الخوف في شيء وخائف متعد ووجل غير متعد ، وصيغتاهما مختلفتان أيضاً، و ذلك يدل على فرق بينهما في المعنى .

و أما الخوف واليأس . فان اليأس كل شيء يخاف المرء أن يأتي منه شر ، وان اليأس يجري على العدة من السلاح و العذاب الشديد والخوف الشديد في الحرب والفقر الشديد والجوع وغيرها ويقال رجل يئيس شجاع يخاف منه غيره ، ويستعمل في موضع الخوف مجازاً ، فيقال لا يأس عليك ، و لا بأس في هذا الفعل أي لا خوف ولا كراهة فيه

قال الله تعالى . « قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد » النمل ٣٣)

وقال . « عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً النساء : ٨٤)

وقال « فيما ليبدر بأس شديداً من لدنه » الكهف ٢)

وقال « فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده » غافر ٨٤)

وقال « بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً و قلوبهم شتى » الحشر ١٤)

﴿ كلمات قصار حول الشرف ﴾

عز وحكم ودرر كلم في الخوف عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نشير إلى سدة منها

١ـ قال الامام عليه السلام « أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه »

٢ـ وقال عليه السلام « أعظم الناس علماً أشدهم خوفاً لله سبحانه »

٣ـ وقال عليه السلام « تعنوا الوجوه لعظمة الله و تجل القلوب من مخافة الله و تهل لك النفوس على مراسه »

٤ـ وقال عليه السلام « غاية المعرفة الخشية »

٥ـ وقال عليه السلام « أعلم الناس بالله سبحانه أخوفهم منه »

٦ـ وقال عليه السلام « أعلمكم أخوفكم »

٧ـ وقال عليه السلام « أخوفكم أعرفكم »

٨ـ وقال عليه السلام « غاية العلم الخوف من الله سبحانه »

٩ـ وقال عليه السلام : « كل عالم خائف » أي كل عالم عامل

١٠ـ وقال عليه السلام « أطلع الله سبحانه في كل حال ولا تجعل قلبك من خوفه و حذره طرفة عين وألزم الاستغفار »

١١ـ وقال عليه السلام « إذا خفت الخالق فررت إليه » إذ لا مفر إلا إليه جل علا . وقال عليه السلام « إذا خفت المخلوق فررت منه »

١٢ـ وقال عليه السلام « عجبت لمن عرف الله كيف لا يشتد خوفه »

١٣- وقال عليه السلام «ينبغي لمن عرف الله سبحانه أن لا يخلو قلبه من رجائه وخوفه»

١٤- وقال عليه السلام «الخوف حلية العارفين»

١٥- وقال عليه السلام «البكاء من خيفة الله للعبد عن الله عبادة العارفين»

١٦- وقال عليه السلام «أعقل الناس محسن خائف»

١٧- وقال عليه السلام «أفضل المسلمين إسلاماً من كان همه للاخرة واعتدل خوفه ورجاه»

١٨- وقال عليه السلام «من خاف ربه كف عن ظلمه»

١٩- وقال عليه السلام «من خاف العقاب انصرف عن السيئات»

٢٠- وقال عليه السلام «المؤمن حذر من ذنوبه يخاف البلاء ويرجو رحمة ربه»

٢١- وقال عليه السلام «السعيد من خاف العقاب فأمن ورجا الثواب فأحسن»

٢٢- وقال عليه السلام «الخوف سجن النفس عن الذنوب ورادعها عن المعاصي»

٢٣- وقال عليه السلام: «ان المؤمنين خائفون»

٢٤- وقال عليه السلام «طوبى لمن راقب ربه وخاف ذنبه»

٢٥- وقال عليه السلام «طوبى لمن ألزم نفسه مخافة الله وأطاعه في السر والجهر»

٢٦- وقال عليه السلام «طوبى لمن خاف العقاب وعمل للحساب وساحب العفاف وقنع بالكفاف ورضي عن الله سبحانه»

٢٧- وقال عليه السلام «طوبى لمن خاف الله فأمن»

٢٨- وقال عليه السلام «من خاف الله سبحانه أمنه الله من كل شيء، ومن خاف الناس أخافه سبحانه من كل شيء»

٢٩- وقال عليه السلام: «الخوف أمان»

٣٠- وقال عليه السلام «الخوف إستظهار»

٣١- وقال عليه السلام «الخوف من الله في الدنيا يؤمن الخوف في الآخرة منه»

٣٢- وقال عليه السلام «إنما السعيد من خاف العقاب فأمن ورجا الثواب فأحسن واشتاق إلى الجنة فأدلج»

٣٣- وقال عليه السلام «من خاف الوعيد قرّت على نفسه البعيد»

٣٤- وقال عليه السلام «أمسك عن طريق إذا خفت ضلالته»

٣٥- وقال عليه السلام «ألا إن أخوف ما أخاف عليكم إتباع الهوى وطول الأمل»

٣٦- وقال عليه السلام: «إن من أحب العباد إلى الله سبحانه عبداً أعانه على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه وأعدّ القرى ليومه النازل به»

٣٧- وقال عليه السلام «كم من خائف وقدته خوفه على قرارة الأمن»

٣٨- وقال عليه السلام «كم من عبط تجرّع محذوره ما هو أشد منه»

٣٩- وقال عليه السلام «لخائف لا عبث له» أي خائف غير الله تعالى

٤٠- وقال عليه السلام «الناس من خوف الذل متعجّلوا الذل»

٤١- وقال عليه السلام «إني أخاف عليكم كل عليم اللسان منافق الجنان يقول ما تعلمون ويفعل ما تنكرون»

٤٢- وقال عليه السلام «إن خفت سموه أمر فاصعب له بدلاً لك وخادع الناس عن أمثاله تهن عليك»

٤٣- وقال عليه السلام «من خاف الله قلّت مخافته» أي من غير الله تعالى

٤٤- وقال عليه السلام «من كثرت مخافته قلّت آفته» أي من كثرت مخافته من الله تعالى

٤٥- وقال عليه السلام «خافوا سطوة الأجل فانه لن يرجى من رجعة العمر ما

يرجى من رحمة الرزق»

٤٦- وقال عليه السلام: «من خاف الله لم تشف غيظه»

٤٧ وقال عليه السلام «من قدّس مخافته كثرت آفته» أي من قدّت خوفه من الله تعالى، كثرت آفته على نفسه وعلى المجتمع البشري وعلى دينه

٤٨- وقال عليه السلام «من لم يصدق من الله خوفه لم ينل منه الأمن»

٤٩- وقال عليه السلام في ذم أهل الدنيا - «يخاف على غيره أكثر من دينه و يرجو لنفسه أكثر من عمله يرجو الله سبحانه في الكبير و يرجو العبد في الصغير، فيعطي العبد مالا يعطي الرب يخاف العبد في الرب و لا يخاف في العبد الرب»

٥٠- وقال عليه السلام «إدراكي أحد من المتقين خاف مما يقال له فيقول أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم بي مني اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنّون واغفر لي مالا يعلمون»

٥١ - وقال عليه السلام «بادروا الأمل و خافوا بغته الأجل تدركوا أقصر الأمل»

٥٢ وقال عليه السلام «توخّ رضا الله وتوقّ سخطه وزعزع قلبك بخوفه»

٥٣ وقال عليه السلام «تأمل الناس خيرك خير من خوفهم شرّك»

٥٤- وقال عليه السلام - في حق من دمّته - «جعل خوفه من العباد نقداً و من خالقه ضماناً ووعداً»

٥٥- وقال عليه السلام «خف ربك وارج رحمته بقدر ما تخاف وبقدر ما ترجو»

٥٦- وقال عليه السلام - «خف تأمن ولا تأمن فتخف»

٥٧ - وقال عليه السلام : «خف ربك خوفاً يشغلك عن رجائه وارجه رجاء من لا يؤمن خوفه»

٥٨- وقال عليه السلام : «خير الاعمال إعتدال الرجاء والخوف» .

٥٩- وقال عليه السلام «خف الله خوف من شعل بالفكر قلبه فان الخوف معطية الامن وسجن النفس عن المعاصي»

٦٠- وقال عليه السلام «خف الله يؤمنك ولاتأمنه فيعدبك» .

٦١- وقال عليه السلام «خوف الله يجلب الله لمستشعره الامان» .

٦٢- وقال عليه السلام : «رب أمن إنقلب خوفاً» .

٦٣- وقال عليه السلام «من أخافك لكي يؤمنك خير لك ممن يؤمنك لكي يخيفك»

٦٤- وقال عليه السلام «من أمن خائفاً من مخوفه أمنه الله سبحانه من عقابه»

٦٥- وقال عليه السلام : «ثمرة الخوف الأمن» .

٦٦- وقال عليه السلام «حارالله سبحانه آمن وعدوه خائف» .

٦٧- وقال عليه السلام «حلاوة الأمن تنكدها مرارة الخوف والحذر»

٦٨- وقال عليه السلام : «رب خوف يعود بالأمان»

٦٩- وقال عليه السلام «شر الناس من يتقيه الناس مخافة شره» .

٧٠- وقال عليه السلام «صوم العبد الامساك عن الأعذية بارادة وإختيار خوفاً من العقاب ورغبة في الثواب والأجر» .

٧١- وقال عليه السلام «عجبت لمن خاف البيات فلم يكعد» أي عن المعاصي و«البيات» أي الموت.

٧٢- وقال عليه السلام «يا نوف إن طال بكائك مخافه من الله عزوجل قرّت عيناك غداً بين يدي الله عزوجل ، يا نوف انه ليس من قطرة قطرات من عين رجل إلا أطفأت بحاراً من النيران يا نوف انه ليس من رجل أعظم من رجل بكى من

خشية الله وأحب في الله»

٧٣ وقال ﷺ «العبادة الخالصة أن لا يرجو الرجل إلا ربه ولا يخشى إلا ذنبه»

تمت سورة النازعات والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى ١ ان جاءه الاعمى ٢ وما يدريك لعله يزكى ٣ او يذكر فتنفعه الذكرى ٤
اما من استغنى ٥ فانت له تصدى ٦ وما عليك الا يزكى ٧ واما من جاءك يسعى ٨
وهو يخشى ٩ فانت عنه تلهى ١٠ كلا انها تذكرة ١١ فمن شاء ذكره ١٢ في صحف مكرمة ١٣
مرفوعة مطهرة ١٤ بايدي سفرة ١٥ كرام بررة ١٦ قتل الانسان ما اكفره ١٧ من اي شيء خلقه ١٨
من نطفة خلقه فقدره ١٩ ثم السبيل يسره ٢٠ ثم اماته فاقبره ٢١ ثم اذا شاء انشره ٢٢
كلا لما يقض ما امره ٢٣ فلينظر الانسان الى طعامه ٢٤ انا صببنا الماء صبا ٢٥ ثم شققنا
الارض شقا ٢٦ فانبتنا فيها حبا ٢٧ وعنبا وقضبا ٢٨ وزيتونا ونخلا ٢٩ وحدائق غلبا
٣٠ وفاكهة وابا ٣١ متاعا لكم ولانعامكم ٣٢ فاذا جاءت الصاخة ٣٣ يوم يفر المرء
من اخيه ٣٤ وامه وابيه ٣٥ وصاحبته وبنيه ٣٦ لكل امرئ منهم يومئذ شان
يغنيه ٣٧ وجوه يومئذ مسفرة ٣٨ ضاحكة مستبشرة ٣٩ ووجوه يومئذ عليها غبرة ٤٠
ترهقها قترة ٤١ اولئك هم الكفرة الفجرة ٤٢

«فضلها و خواصها»

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الأعمال بإسناده عن معاوية بن وهب عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: من قرأ «عبس و تولى» و «إذا الشمس كوّرت» كان تحت جناح الله من الجنان، وفي ظل الله وكرامته وفي جنانه، ولم يعظم ذلك على الله إن شاء الله.

رواه الطبرسي في المجمع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار وغيرهم.

و ذلك من قرأ السورة متدبراً و تذكّر ما فيها من مآل الانسان يوم القيامة إما إلى الجنة و المتنعم بنعيمها، وإما إلى جهنم والمعذب بنارها، فآمن بالله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وآله وكتبه واليوم الآخر وعمل صالحاً واتقى واجتنب عن المعاصي، فهو يوم القيامة من الذين وجوههم يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة، وهو في الجنة في ظلال ونعم ويدخله الله عز وجل مدخلاً كريماً.

قال الله تعالى: «إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم و ندخلكم مدخلاً كريماً - والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلاً ظليلاً» النساء: ٣١-٥٧)

وقال: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» الحجرات: ١٣)

وقال: «وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود» الواقعة: ٢٧-٣٠)

وقال «إلاّ المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ـ اولئك في جنات مكرمون» المعارج: ٢٢ـ٣٥)

وقال «ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون انا كذلك نجزي المحسنين» المرسلات ٤١و٤٤)

ولايخفى ان معاوية بن وهب أربعة نفر

١ـ معاوية بن وهب البجلي أبو الحسن الكوفي، وهو ثقة حسن الطريقة، وروايته صحيحة على ما في الكتب الرجالية

٢ـ معاوية بن وهب بن جبلة له كتاب ٣ـ معاوية بن وهب بن فضال له كتاب أيضاً

٤ـ معاوية بن وهب التميمي (التميمي ح) وله أيضاً كتاب وإنما المراد بمعاوية بن وهب في المقام هو الاول

وفي المجمع: عن ابي إبن كعب عن النبي ﷺ قال: ومن قرأ سورة «عبس» جاء يوم القيامة، ووجهه ضاحك مستبشر

أقول: ان هذه الرواية غير صحيحة عندنا لمكان ابي ولكنها لاتنافي الرواية الصحيحة المتقدمة

وفي البرهان وقال رسول الله ﷺ من أكثر قرائتها خرج يوم القيامة، ووجهه ضاحك مستبشر، ومن كتبها في رق غزال وعلقها عليه لم يلق إلاّ خيراً أينما توجه

وفيه: وقال الصادق عليه السلام إذا قرأ المسافر سورة عبس ـ في طريقه يكفي ما يليه في طريقه في ذلك السفر.

أقول ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة معاني الروايتين الاخيرتين، وذلك لاهل التقوى واليقين

قال الله تعالى : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً و أن الذين لايؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ـ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفوراً ـ ونترّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلاّ خساراً» الاسراء : ٩-٨٢)

﴿الغرض﴾

غرض السورة تقرير لمهمة الدعوة من أنها إنما هي تذكير للناس لا إلزام فيه ولا إبرام فمن شاء الخير تذكر وانتفع، ومن لم يشأ فعليه ونال أمره والإعراض عنه، مع تقرير الأفضلية بين الناس لذوي النيات الحسنة والرغبات الصالحة في الخير بقطع النظر عما يكونون عليه من فضل أو تأخر في الدرجات الاجتماعية

وإن الخطاب وإن كان متوجهاً إلى النبي الكريم ﷺ ظاهراً من غير أن يكون فيه شيء يناقض العصمة النبوية، ولكن الغرض عتاب رباني على من يقدم الأغنياء المترفين على الضعفاء من المؤمنين، فيرفع أهل الدنيا، ويضع أهل الآخرة، وخاصة أصحاب الدعوات الإصلاحية والاجتماعية الدينية، فعليهم أن يسيروا على ضوء الحق في دعواتهم الناس إلى الله عز وجل والإيمان وصالح الأعمال

وفي السورة تلقينات ومبادئ أخلاقية واجتماعية وسلوكية جليلة مستمرة المدى وإشادة بذوي النيات الحسنة من الناس الذين يسعون وراء الخير والمعرفة صادقي الرغبة في الاستفادة والاستنارة، وصالح الأعمال، وإيجاب الاهتمام لهم والعناية بهم وتشجيعهم ومساعدتهم مهما كانت صفتهم وترجيحهم على الذين يترفعون عن كلمة الحق والدعوة إليه مهما علت مراكزهم وإيجاب معاملة هؤلاء بالإهمال والاستهانة تأديباً لهم ولأمثالهم

وفيها تنديد بالإنسان وجحوده وتعداد نعم الله تعالى عليه وإنذار بالآخرة وأهوالها ومصائر الصالحين والمجرمين فيها

«النزول»

سورة «عبس» مكية نزلت بعد سورة «النجم» وقبل سورة «القدر» وهي السورة الرابعة والعشرون نزولاً، والثمانون مصحفاً

وتشتمل على ثنتين وأربعين آية، سقطت عليها /٣٩٧ كلمة نزولاً و/٥٧٥٨ آية مصحفاً على التحقيق

وهي مشتملة على /١٣٠ كلمة وقيل /١٣٣ كلمة، و ٥٣٠ حرفاً و قيل: /٥٣٣ حرفاً على ما في بعض التفاسير

ولهذه السورة أربعة أسماء ١- سورة عبس ٢- سورة الأعمى ٣- سورة السفرة ٤- سورة الصاخة

ولكل وجه ولكن المشهور هو الأول ثم الثاني

في أسباب النزول للواحدي النيسابوري قوله تعالى «عبس وتولى أن جاءه الأعمى» وهو ابن أم مكتوم وذلك أنه أتى النبي ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام وعم بن المطلب وأمية بن خلف ويدعوهم إلى الله تعالى ويرجو إسلامهم، فقام ابن أم مكتوم، وقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله وجعل ينادي ويكرر النداء ولا يدري أنه مشتغل معهم على غيره حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه فأنزل في شأنه.

يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسفلة و لعله عبس رسول الله ﷺ وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله تعالى هذه

الآيات ، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه ، وإذا رآه يقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي

وفي اسباب النزول للسيوطي أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت أنزل «عبس وتولى» في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول يا رسول الله أرشدني ، وعند رسول الله رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ، فيقول له أترى بما أقول بأسا ؟ فيقول لا ، فنزلت «عبس وتولى أن جاءه الأعمى»

أقول رواه الواحدي في أسباب النزول إلا أنه ذكر «رجال» بدل «رجل» و«الآخرين» بدل «آخر» ثم قال بعد «الآخرين» فهي هذا نزلت «عبس وتولى» ولا يخفى على القارئ الخبير أن هذه الرواية من الموضوعات ، فإن عائشة بنت أبي بكر لم تولد عند نزول هذه السورة ، فضلا عن كونها زوجة النبي الكريم ﷺ لأن هذه السورة نزلت في أوائل البعثة على ما اتفقت عليه الروايات

وفي السيرة النبوية لابن هشام ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله ﷺ ورسول الله يكلمه وقد طمع في إسلامه ، فبينا هو في ذلك إذ أقبل إليه ابن أم مكتوم الأعمى فكلم رسول الله ﷺ وجعل يستقرئه القرآن ، فشق ذلك عليه على رسول الله ﷺ حتى أسفر ، وذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه ، فلما أكثر عليه إعرض عنه عابسا وتركه ، فأنزل الله تعالى فيه «عبس وتولى أن جاءه الأعمى» إلى قوله تعالى - في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة» أي إنما يعتنك بشيرا ونذيرا لم أحصر بك أحدا دون أحد ، فلا تمنعه من استماع ولا تتصد بن له لمن لا يريده قال ابن هشام ابن أم مكتوم أحد بني عامر بن لؤي وإسمه عبدالله ويقال : عمرو

ويقال عمر بن أم مكتوم ، وإسم أم مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم ، وعمرو هذا هو ابن قيس بن زائدة بن الأصم وهو ابن خال خديجة عليها السلام .

و في الدر المنثور: عن ابن عباس في قوله: عبس و تولى أن جاءه الأعمى، قال: بينما رسول الله ﷺ يدعو عتبة بن ربيعة و أبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب، و كان يتصدى لهم كثيراً و يحرص عليهم أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم يمشي وهو بحيالهم، فجعل عبد الله يستقرىء النبي ﷺ آية من القرآن، وقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله فأعرض عنه رسول الله ﷺ و عبس في وجهه و تولى وكره كلامه، و أقبل على الآخرين

فلما قضى رسول الله ﷺ و أحد منقلب إلى أهله أمسك الله بصره ثم صفق برأسه ثم أنزل الله: عبس و تولى أن جاءه الأعمى و ما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى، فلما نزل فيه أكرمه رسول الله ﷺ و كلمه وقال له ما حاجتك؟ هل تريد من شيء؟ وإذا دهب من عنده قال له: هل لك حاجة في شيء؟ وذلك لما أنزل الله: أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى،

وفيه: عن عكرمة في قوله تعالى: قتل الإنسان ما أكفره، قال: نزلت في عتبة بن أبي لهب حين قال: كفرت برب النجم إذا هوى فدعا عليه النبي ﷺ فأكله الأسد بطريق الشام

و في الجامع لأحكام القرآن: و روى الضحاك عن ابن عباس قال: نزلت في عتبة بن أبي لهب، و كان قد آمن فلما نزلت: والنجم إذا هوى، قال: آمنت بالقرآن إلا النجم فأنزل الله جل ثناؤه فيه: قتل الإنسان، أي لعن عتبة حيث كفر بالقرآن، و دعا عليه رسول الله ﷺ فقال: اللهم سلط عليه كلبك العاصره، فخرج من فوره متجارة إلى الشام، فلما انتهى إلى العاصرة تذكر دعاء النبي ﷺ فجعل لمن معه ألف دينار إن هو أصبح حياً، فجعلوه في وسط الرفقة، وجعلوا المتاع حوله، فبينما هم على ذلك أقبل الأسد، فلما دنا من الرجل وثب فإذا هو فوقه فمزقه، وقد كان أبوه بكاه وبكى و قال: ما قال محمد شيئاً قط

إلا كان.

وفيه أقبل ابن امكتوم و النبي ﷺ مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم إلى الله تعالى، و قد قوى طمعه في إسلامهم و كان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم فجاء ابن مكتوم وهو أعمى، فقال: يا رسول الله علّمني مما علّمك الله، وجعل يناديه ويكثر النداء ولا يدري انه مشغول بغيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه، وقال في نفسه يقول: هؤلاء إنما أتباعه العميان و السفلة و العبيد، فعبس و أعرض عنه فنزلت الآية.

وفي المجمع قيل نزلت الآيات في عبدالله بن امكتوم وهو عبدالله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي، و ذلك انه أتى رسول الله ﷺ وهو يناجي عتبة بن ربيعة و أبا جهل بن هشام و العباس بن عبدالمطلب و أبيّ و امية ابني خلف يدعوهم إلى الله و يرجو إسلامهم، فقال: يا رسول الله اقرئني و علّمني مما علّمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري انه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه

وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والعبيد فأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فنزلت الآيات و كان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه وإذا رآه قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة؟ و استخلفه على المدينة مرتين في غزوتين وقال أنس بن مالك، فرأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء

وفيه قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ليس في ظاهر الآية دلالة على توجهه إلى النبي ﷺ بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه، و فيها ما يدل على أن المعني بها غيره، لأن العبوس ليس من صفات النبي ﷺ مع الأعداء المباسل فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثم الوصف بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمة ويؤيد هذا القول قوله سبحانه في وصفه ﷺ

« وانك لعلى خلق عظيم » وقوله : « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » فالظاهر ان قوله : « عبس وتولى » المراد به غيره

و قد روى عن الصادق عليه السلام انها نزلت في رجل من بني اميه كان عند النبي صلى الله عليه وآله فجاء إبن ام مكتوم فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه وعبس و أعرض بوجهه عنه ، فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه

وفي تفسير القمي : قال علي بن إبراهيم قال نزلت في عثمان وابن ام مكتوم و كان إبن ام مكتوم مؤذناً لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان أعمى ، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و عنده صناديد اصحابه و عثمان بين يديه فقدمه رسول الله صلى الله عليه وآله على عثمان ، فعبس عثمان وجهه و تولى عنه فأنزل الله « عبس و تولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى » أي يكون طاهراً زكياً

وفي المجمع قال قيل في وجه الحكمة الاولا يكون العبوس دائماً لا فالحيوان لا يتمالك من العبوس و لا يستطيع الاعمى سواء إذ لا يشق عليه ذلك فلا يكون ذنباً فيحتاج أن يكون عاتبه الله سبحانه بذلك بل إنما أراد به تأديب محاسن الاخلاق وسنّه بذلك في نظم حال المؤمن المسترشد ويعرفه أن تأليف المؤمن ليقيم على ايمانه أولى من تأليف المشرك طمعاً في إيمانه

وفيه و قال الجبائي في هذا دلالة على أن الفعل يكون معصية فيما بعد لامكان النهي عنه في الماضي فلا دليل على أنه كان معصية قبل أن نهي عنه و لله سبحانه لم ينهه إلا في هذا الوقت

وقيل ان ما فعله الاعمى لم يكن من سوء الأدب فحسن تأديبه بالاعراض عنه إلا انه كان يجوز أن يتوهم انه أعرض عنه لفقره ، وأقبل عليهم لرياستهم تعظيماً لهم فعاتبه الله سبحانه على ذلك

وفيه و روى عن الصادق عليه السلام انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى عبدالله بن ام مكتوم قال مرحبا مرحبا لا والله لا يعاتبني الله فيك أبداً وكان

يصنع به من اللطف حتى كان يكفّ عن النبي ﷺ مما يفعل به أي كان إبن ام مكتوم يكفّ عن الحضور عند النبي ﷺ لكثرة صنيعه ﷺ به إنفعالاً منه وخجلاً

أقول إن الله عزوجل عظّم خلق رسوله الكريم ﷺ بمواضع عديدة في كتابه منها قوله تعالى «وإنك لعلى خلق عظيم» القلم (٤) وهي السورة الثالثة نزولاً على النبي ﷺ على ما اتفقت عليه الروايات الواردة في ترتيب السور القرآنية نزولاً

وكيف يعقل أن يعظّم الله جل وعلا خلق نبيه ﷺ في أول بعثته إطلاقاً ثم يعود فيعاتبه على بعض ما ظهر من أعماله الخلقية من العبوس والإعراض عن المؤمنين المسترشدين فيذمّه ﷺ بمثل التصدي للأغنياء وإن كفروا والتولي عن الفقراء وإن آمنوا واسترشدوا؟

وقد أمر الله تعالى بالإعراض عن المكذب والمنهمك في شهوات الدنيا ومتاعها إذ قال «واهجرهم هجراً جميلاً وذرني والمكذبين أولي النعمة» المزمل: ١٠ و١١) وهي السورة الرابعة نزولاً عليه ﷺ

وقال «فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا» النجم ٢٩) وهي نزلت قبل سورة «عبس» نقلاً وإجماعاً

وقد نهاه الله جل وعلا عن تنحي السائل فكيف المؤمن المسترشد إذ قال «وأما السائل فلا تنهر» الضحى ١٠) وهي السورة الحادية عشر نزولاً

وقد وبّخ المشركين من قبل على إلهاهم التكاثر إذ قال «ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون» التكاثر: ١-٤) وهي السورة السادسة عشر نزولاً على النبي الكريم ﷺ

وقد أمره الله تعالى بإعلان خطته بالنسبة إلى دينهم وعبادتهم وإظهاره براءته من دين المشركين ومعتقداتهم إذ قال «قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما

تعبدون لكم دينكم ولي دين » الكافرون ١-٦) وهي السورة الثامنة عشر نزولاً على رسول الله ﷺ وغيرها من السور النازلة قبل هذه السورة فتدبر جيداً .

فحوطب النبي الكريم ﷺ بهذا العتاب الرباني تعليماً لأصحاب الدعوة والارشاد و الاصلاح . وبما ذكرنا ظهر الجواب عما قيل ان الله تعالى ما نهى نبيه ﷺ عن هذا الفعل إلاّ في هذا الوقت . فلا يكون معصيته منه إلاّ بعده وأما قبل النهي فلا

وفي اسباب النزول للواحدي باسناده عن عائذ ابن شريح الكندي قال سمعت أنس بن مالك قال قالت عائشة لنبي ﷺ أتحشر عراة ؟ قال : نعم قالت و سوآتاه فأنزل الله تعالى: «لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» .

أقول ان الكلام في هذه الرواية الموضوعة هو الكلام في الرواية الموضوعة السابقة عن عائشة فراجع و تأمل و أمعن جداً

﴿القراءة﴾

قرأ عاصم «فتمعه» بالنصب ، بناءاً على أنه جواب [«لعل» لانه غير موجب كقوله تعالى حكاية عن فرعون : «لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع» غافر ٣٦-٣٧) وقرأ الباقون بالرفع عطفاً على «يزكى» .

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير «تصدى» بتشديد الصاد بادغام تاء التفعل في الصاد ، فالاصل تتصدى والباقون بتخفيفها بتاء على حذف تاء التفعل أو تاء المخاطب وقد روي في قراءة الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام «تصدى» بضم التاء وفتح الصاد مبنياً للمفعول وكذلك الكلام في «تلهى»

وقرأ نافع «نشره» ثلاثياً ، والباقون «أنشره» بالالف من باب الافعال

وقرأ عاصم وحمزة «أنا» بالفتح بدل إشتمال من الطعام لان هذه الاشياء مشتملة على كون الطعام وحدوثه كقوله تعالى «يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه» فالمعنى إلى كون طعامه وحدوثه وهو موضع إعتبار وقيل على تقدير إلى أنا أو بامعان هو أنا فالجملة في حال رفعها مترجمة عن الطعام وقيل على تقدير لانا صببنا وقرأ الباقون «إنا» بالكسر بناءاً على أن الجملة تفسير للنظر إلى طعامه وقيل : على الاستيناف

«الوقف والوصل»

« م لي لا » لتمام الكلام بالآية التالية . و « لاعمى ط » لتمام الجملة و « يزكى لا » لتردد العطف الآتي والحوال . و « الذكرى ط » لتمام الكلام . وتفصيله . و « استغنى لا » لمكان الحوال الآتي و « تصدى ط » لتمام الجملة . و « يزكى ط » كالمتقدم . و « يسعى لا » للعطف . و « يخشى لا » لمكان الحوال التالي . و « تلهى ج ى » لأن « كلا » يحتمل أن يكون للردع فلا يوقف . أو يكون بمعنى حقاً فيوقف و « ى » علامة العشر . يوضع عند إنتهاء عشر آيات . و « تذكرة ج » للشرط بعده مع الفاء

« مكرمة م » لأن الظرف لا يجوز أن يتعلق بما قبله من خبر المبتدأ المحذوف أي هو . و « مكرمة لا » لمكان الصفات الآتية و « مطهرة لا » لاتصال الصفات . « سفرة لا » لما تقدم و « بررة ط » لتمام الكلام . و « أكفره ط » لتمام الاستفهام والاستفهام التالي و « خلقه ط » لتمام الاستفهام الثاني و « نطفة ط » لتمام الحوال هيأه . و « قدره لا » للعطف . و « يسره لا » و « فأقبره لا » لتقدم و إتصال الكلام . و « أنشره ط » لتمام الكلام بمعنى أن « كلا » بمعنى حقاً لا يصلح للردع و « أمره ط » كالسابق

« طعامه لا » إلا على قراءة « بالفتح فلا وقف لتعلق . و « صبا لا » لمكان العطف . و « عنبا لا » لما تقدم . و « حدائق لا » و « غلبا لا » و « أبا لا » كالسابق و « أبا لا » لمكان التعليل . و « لأنعامكم ط » لتمام الكلام . و « الصاخة » وإن الأوضح أن يكون « يوم » ظرفاً لـ « جاءت » ويجوز أن يكون مفعولاً لاذكر محذوفاً على

تقدير العامل أى فاذا حانت الصاخة كان ماكان

« أخيه لا » و « أمه لا» للعطف، و « بنيه ط » لتمام الكلام . و « يغنيه ط» لم تقدم . و « مسفرة لا» للوصف التالى ، و « مستبشرة ج » فصلاً بين حالتى العريس مع تعدد المجلس ، و«غبرة لا» للوصف الآتى . و « فجرة ط »لا ستيناف التالى

﴿ اللغة ﴾

٥- العبس والعبوس- ٩٧٠

عبس وجهه يعبسه عبساً وعبساً وعبوساً - من باب ضرب - قبض وجهه وقطّبه ولوى بشرته وجمعها من ضيق الصدر لازم ومتعدٍّ

قال الله تعالى : «ثم عبس وبسر» المدثر : ٢٢)

اليوم العبوس. الشديد الكريه قال الله تعالى «يوماً عبوساً» الانسان ١٠،

العبوس : الجمع الكثير

العبس الصيد البوّال في فراشه إذا تعوّده وبان أثره على بدنه

التعبّس : التجهّم

العابس . الأسد . العباس فعال للمبالغة والأسد الذي يهرب منه الأسد وبه سمي الرجل عبّاساً

في المفردات : العبوس تجلوب الوجه من ضيق الصدر

وفي النهاية في صفة رسول الله ﷺ «لا عابس ولا مقيّد» العابس الكريه الملقى

وفي القاموس وشرحه العبس - محركة ما يعلّق بأذناب الابل من أبوالها وأبعارها يجف عليها وعلى أفخاذها

٨١ - العمى - ١٠٤٦

عمى يعمى عمياً و عمياناً وعماية . من باب علم . خفي

قال الله تعالى : «فعميت عليهم الانباء» القصص ٦٦) أي خفيت .

يدور معنى المادة على الستر والتغطية ومن ذلك عمى الشيء خفي وعماه أخفاه

والعمى ذهاب البصر كله و لعمى ذهاب نظر القلب كذلك .

قال الله تعالى فيهما : «فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور» الحج : ٤٦)

والصفة فيهما أعمى ثم يقال في عمى ا ا مع ذلك عم

وعمي عليه الامر إلتبس وإشتبه لعماء بالفتح والمد السحاب

وقد ورد منها المصدر والفعل للعماء وتجمع العمى على عمى وعميان و عميس .

قال تعالى «انهم كانوا قوماً عمين» الاعراف : ٦٤)

وكل ما ورد ذماً للعمى فهو ذم لعمى البصيرة .

عمّاه وأعماه أي صيّره أعمى .تعامى الرجل أظهر من نفسه العمى

إعتمى الشيء إعتماء إختاره وقصده . العميّة بضم العين وفتحها الغواية واللجاج . الأعماء جمع أعمى : الجهّال .

في المفردات العمى يقال في إفتقاد البصر والبصيرة و يقال في الاول أعمى و في الثاني أعمى وعم وعلى الاول قوله «ان جاءه الاعمى» وعلى الثاني ما ورد من ذم العمى في القرآن نحو قوله «صم بكم عمى» .

و قوله «فعموا وصمّوا» بل لم يعدّ إفتقاد البصر في جنب إفتقاد البصر

عمى

حتى قال : «فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور»

وفى اللسان العماية والعماعة السحابة الكثيفة المطبقة

١٨ ـ الصدى والتصدية ـ ٨٤٨

صدى يصدى صدى ـ من باب علم ـ إستقبل إليه بوجهه

تصدّى له تصدياً تعرّض وهو الذى يستشرفه ناظراً إليه وتصدى للامر رفع رأسه إليه

قال الله تعالى «فانت له تصدى» عبس ٦) أى ترتفع إليه رأسك وتستقبلك ناظراً اليه . المصاداة : العناية بالشىء

والتصدية مصدر صدّى الرجل : صفّق بيديه قال الله تعالى : «وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء و تصدية» الانفال : ٣٥)

فى المفردات: الصدى صوت يرجع إليك من كل مكان صقيل والتصدية كل صوت يجرى مجرى الصدى فى ان لاعناء فيه

وقوله «وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية» أى عناء مايوردونه عناء الصدى ومكاء الطير

والتصدى أن يقابل الشىء مقابلة الصدى أى الصوت الراجع من الجبل

وفى النهاية الصدى العطش والصوت الذى يسمعه المصوّت عقيب صياحه راجعاً إليه من الجبل والبناء المرتفع الصدى الهلاك والدماغ وموضع السمع

وفى اللسان الصدى شدة العطش رجل مصداء كثير العطش والصوادى النجد التى لاتشرب الماء صدين أى عطش الصدى جسد الانسان بعد موته الصدى طائر يصيح فى هامة المقتول إذا لم يثأر به

وفي القاموس وشرحه الصدى له إثنا عشر وجهاً

الاول : الصدى : الرجل اللطيف الجسد

الثاني الصدى الجسد من الآدمي بعد موته مما يبقى من الميت في قبره وهو جثته

الثالث . الصدى حشوة الرأس يقال لها الهامة وكانت العرب تقول ان عظام الموتى تصير هامة فتطير وكانوا يسمون ذلك الطائر الذي يخرج من هامة الميت إذا بلي الصدى وجمعه : أصداء

الرابع : الصدى : الدماغ نفسه

الخامس الصدى طائر يصرّ بالليل ويقفز قفزاناً ويطير والناس يرونه الجندب وإنما هو الصدى فأما الجندب فهو أصغر من الصدى

والسادس الصدى طائر يخرج من رأس المقتول إذا بلي

في اللسان : الصدى الذكر من البوم وكانت العرب تقول إذا قتل قتيل فلم يدرك به الثأر خرج من رأسه طائر كالبومة وهي الهامة فيصيح على قبره اسقوني اسقوني فإن قتل قاتله كفّ عن صياحه

السابع . الصدى هو فعل المتصدي وهو الذي رفع رأسه وصدره يتصدى للشيء ينظر إليه وقد تصدى له إذا تعرض

الثامن الصدى العالم بمصلحة المال يقال هو صدى مال إذا كان رفيقاً بسياسته وعالماً بمصلحته

التاسع : الصدى العطش الشديد

العاشر . الصدى : ما يرجع عليك من صوت الجبل

الحادي عشر التصدية التصفيق وصدّى الرجل صفّق بيديه

الثاني عشر : الصدى : سمكة سوداء طويلة

التصدى : التعامل والتلهى .

٢٩ - الخشية - ٤١٧

خشى يخشى خشياً وخشية - من باب علم - : خاف مع تعظيم المخوف أو الشعور بخطره

قال الله تعالى : «سيذكر من يخشى» الاعلى : ١٠) .

والخشية من الله وخشية الله : الخوف من غضبه وعقابه .

قال الله تعالى . «يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة» المائدة ٥٢) .

وقال : «إنما أنت منذر من يخشاها» النازعات ٤٥)

وتسند خشية الله إلى ما لا يعقل تصويراً لخضوعه

قال الله تعالى «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله» البقرة : ٧٤)

وقال «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله و تلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون» الحشر ٢١)

فى المفردات: الخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ولذلك خص العلماء بها فى قوله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماء»

وقال : «و أما من جاءك يسعى وهو يخشى»

وفى النهاية - قد يجىء - خشيت بمعنى رجوت وبقد خشيت فلانا أى تركته

وفى اللسان: «قوله عز وجل «فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا» قال الفراء معنى فخشينا أى فعلمنا وقيل معناه كرهنا

١٣ - الذكر - ٥١٨

ذكر يذكر ذكراً - من باب نصر - الذكر : حضور المعنى في الذهن و قد يستعمل بمعنى القول لان من شأنه أن يذكر به المعنى

وللذكر معان

١- الذكر : النطق ذكر شيئاً أي نطق به قال الله تعالى «وذكر اسم ربه فصلّى» الاعلى : ١٥) أي نطق به

٢- الذكر : الحديث والخبر والقصة بخبر أو بشر قال الله تعالى «علم الله أنكم ستذكرونهن» البقرة : ٢٣٥) أي تتحدثون عنهن حديث الخطبة

وفي الحديث «ان عليا عليه السلام يذكر فاطمة عليها السلام» أي يخطبها و يتعرض لخطبتها

وقال «ذكر رحمة ربك عبده زكريا» مريم : ٢) أي حديث رحمة ربك وقصتها وقال «حتى احدث لك منه ذكراً» الكهف : ٧٠) أي خبراً وقصة

وقال «قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم» الانبياء : ٦٠) أي يتحدث عنهم بالسوء و يعيبهم

٣- الذكر : الاستحضار وذكر النعمة أي إستحضرها مع القيام بواجبها

قال الله تعالى «لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه» الزخرف : ١٣) أي تستحضروها مع القيام بواجب الشكر

ذكر الله : إستحضره في قلبه مع تدبّر صحبه ذكر اللسان أم لا

قال الله تعالى «وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على إدبارهم نفوراً» الاسراء : ٤٦) أي إستحضرته ونطقت به

وقال «وذكر الله كثيراً» الاحزاب : ٢١) أي استحضره مع تدبر

٤- الذكر : الكتب المنزلة ومنها القرآن لانها تذكر الناس بالله والدين

قال الله تعالى « أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم » الأعراف ٦٣) بمعنى الكتاب المنزل

وقال « ان الذين كفروا بالذكر » فصلت ٤١) أي بالقرآن

٥ ـ الذكر النبي ﷺ لذي جاء بالذكر قال الله تعالى « قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولا » الطلاق ١٠) فالذكر وصف له ﷺ

٦ ـ الذكر الشرف، العز، الفخر والثناء قال الله تعالى « ص والقرآن ذي الذكر » ص : ١) أي ذي الشرف .

وقال « ورفعنا لك ذكرك » الشرح ٤) أي صيتك

وقال « وانه لذكر لك ولقومك » الزخرف ٤٤) أي فخر وثناء لك ولقومك ومنه « له ذكر في الناس » إي صيت

٧ ـ الذكر الدعاء، الصلاة في الحديث « كانت الأنبياء عليهم السلام إذا حزبهم أمر فزعوا إلى الذكر » أي إلى الصلاة يقومون فيصلون

٨ ـ الذكر : الرجل القوي الشجاع الأبي

٩ ـ الذكر : المطر الوابل الشديد

١٠ ـ الذكر القول الصلب المتين

١١ ـ الذكر، الوجود قال الله تعالى « ولم يكن شيئا مذكورا » الانسان ١) أي موجوداً

ذكر الشيء يذكر ذكراً « تذكاراً » حفظه في ذهنه لذكر التلفظ بالشيء وإحضاره في الذهن بحيث لا يغيب عنه « الذكر نقيض النسيان

وهو متعد بنفسه و بتعدى إلى المفعول الثاني بالباء واللام نحو قوله تعالى « إن هو إلا ذكر للعالمين » ص ٨٧) يقال « ذكرته له » بمعنى ذكرته اخرى نحو قوله تعالى : « ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » الحج : ٣٤)

و بغي ثالثة نحو قوله تعالى « و اذكر ربك في نفسك تضرعاً و خيفة » الاعراف: ٢٠٥)

الذكر بفتح الدال والكاف . ضد الانثى وجمعه ذكور و ذكران

قال الله تعالى « اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى » آل عمران : ١٩٥) .

وقال : « يهب لمن يشاء اناثاً ويهب لمن يشاء الذكور » الشورى : ٤٩)

وقال « أتأتون الذكران من العالمين » الشعراء : ١٦٥) .

ذاكره في الامر مذاكرة كالمه فيه وخاض معه في حديثه .

تذاكروا في الامر : تفاوضوا فيه .

الذاكرة : قوة في الدماغ

ذكّره إياه و اذكره إياه : جعله ذاكراً .

تذكّر : بمعنى ذكر

الذكر بضم الدال - التذكر و الذكرة الحدّة يقال ذهبت ذكرة الرجل و ذكرة السيف أي حدّتهما و الذكرة : السبت و قطعة من الفولاد في رأس القاش ونحوه

الذكار : فعال للمبالغة بمعنى كثير الذكر

في المفردات الذكر تارة يقال و يراد به هيئة للنفس بها يمكن للانسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ إلاّ ان الحفظ يقال إعتباراً باحرازه

« الذكر يقال إعتباراً باستحضاره وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، و لذلك قيل الذكر ذكران ذكر بالقلب وذكر باللسان و كل واحد منهما ضربان ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ و كل قول يقال له ذكر فمن الذكر باللسان قوله تعالى « لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم »

ومن الذكر عن النسيان قوله «فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره».

ومن الذكر بالقلب واللسان معاً قوله تعالى «فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً» وقال «وادّكر بعد أمه» أي ذكر بعد نسيان

والذكرى كثرة الذكر وهو أبلغ من الذكر قال تعالى «رحمة منا وذكرى لأولي الألباب».

والتذكرة مما يتذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة والأمارة قال تعالى «كلا إنها تذكرة».

وفي المجمع الذكرى العبرة قال تعالى «ذكرى لأولي الألباب» المؤمن ٥٣) وقال «لنجعلها تذكرة» أي عبرة وموعظة والذكر التوبة قال تعالى: «يتذكر الإنسان» أي يتوب وأنّى له التوبة

الذكر العضو المعروف ويعبّر عنه بالقضيب وجمعه ذكرة والمذاكير ومنه الحديث «وقطع مذاكيره» ومنه «غسل مذاكيره»

وفي اللسان الاستذكار الدراسة للحفظ والتذكر تذكر ما أنسيته والتذكير خلاف التأنيث والذكر خلاف الأنثى ويوم مذكّر إذا وصف بالشدة والصعوبة وكثرة القتل

٥٥ ـ النطفة ـ ١٥٣٠

نطف الماء ينطف نطفاً ونطافة ـ من باب نصر ونصرت ـ سال قليلاً قليلاً

والنطفة: الماء الصافي قلّ أو كثر وسمي ماء الرجل وماء المرأة أي مميهما نطفة لقلّته وهي المراد بالنطفة في القرآن الكريم حيث وقع وجمعها نطف ونطاف

نطف الرجل نحو علم ونطف مجهولاً اتهم بريبة و تلطّخ بعيب

نطف الشيء : فسد . نطّفه : قذفه بالفجور

النطفة : الماء القليل الذي يبقى في دلو أو قربة .

في المفردات وليلة نطوف يجيء فيها المطر حتى الصباح والناطف السائل من المائعات

١١ - الطعام - ٩٢٨

طعم يطعم طعماً وطعاماً - من باب علم - تناول وأكل

قال الله تعالى «فإذا طعمتم فانتشروا» الأحزاب ٥٣)

وقال : «لا يطعمها إلا من نشاء» الأنعام : ١٣٨)

مدار المادة تناول الغذاء طعم الطعام أكله أو ذاقه

ويسمى ما يتناول منه طعم وطعام

قال الله تعالى «فلينظر الإنسان إلى طعامه - متاعاً لكم ولأنعامكم» عبس ٢٤ - ٣٢)

و يقال طعم بمعنى شبع ويقال فلان قلّ طعمه أي أكله .

والطعم والطعام إسم جامع لكل ما يؤكل وقيل هو البرّ خاصة

وجمع الطعام أطعمة الطعمة بضم الطاء والسكون - المأكلة و الرزق يقال «جعلت ضيعتي طعمة لفلان» الطعومة الشاة تحبس لتؤكل وتستعمل معنوياً . فيقال انك مطعم مودتي أي مرزوقها ويقال هو ذو طعم أي ذو عقل وحزم

أطعمه الطعام أي آكله إياه قال الله تعالى «ويطعمون الطعام على حبه» الإنسان ٨) إستطعم سئل أن يطعم قال تعالى : «إستطعما أهلها» الكهف ٧٧)

وفي الحديث «فاستطعمته الحديث» أي طلبت منه ان يحدثني وأن يذقني

طعم حديثه .

و قال الامام على عليه السلام : « و إذا إستطعمكم الامام فاطعموه » أى إذا أرتج عليه فى قراءة الصلاة و استفتحكم فافتحوا عليه و لقنوه

وهو من باب التمثيل تشبيهاً بالطعام كأنهم يدخلون القراءة فيه كما يدخل الطعام فى فيه

رجل مطعام : كثير الاضياف و القرى　رجل مطعم : كثير الطعم

فى المفردات　الطعم　تناول الغذاء و يسمى ما يتناول منه طعم و طعام

و فى النهاية . الطعام　عام فى كل ما يفتات من الحنطة و الشعير و التمر و غير ذلك

و فى اللسان　الطعم　الشهوة و هو الدوق　فلان طعم أى ذو شهوة

٣ - الصب - ٨٣٣

صبّ الماء يصبّه صبّاً - من باب نصر - أرافه من أعلى　وصببت الماء سكبته وصبب الشيء : أعمق و ذهب

قال الله تعالى : « انا صببنا الماء صباً » عبس : ٢٥)

و ورد من هذه المادة « فصبّ عليهم ربك سوط عذاب » الفجر　١٣)

والعرب تقول　صبّ عليه السوط و غشاه وقمعه وعندهم ان الجلد بالسياط مثل لأليم العذاب

وتصبّب الماء من الجبل　تحدّر　وصبّ إلى كذا صبابه　مالت نفسه نحوه محبة له　ومنه حديث الصلاة　« لم يصبّ رأسه » أى لم يمله إلى أسفل .

و يشترك إسم الفاعل و المفعول منه بالصبّ . فيقال　فلان صبّ بكذا أى صاب و فلان صبّ أى مصبوب

وفى وصف الامام على عليه السلام　« وكنت على الكافرين عذاباً صبّاً » أى مصبوباً

في المفردات : صبّ الماء : إراقته من أعلى . يقال : صبّه فانصبّ و صببته فتصبّب . و الصيب : المصبوب من المطر و من عصارة الشيء ومن الدم . و الصبة و الصبّة : البقيّة التي من شأنها أن تصبّ .

وفي اللسان : صبّ الرجل إذا عشق . الصيب : فرس من خيل العرب . تصبصب ما في سقائك أي قلّ . صبصابه : ما بقي منه أو ما صبّ منه .

و في النهاية : الصبة : الجماعة ومنه حديث شقيق انه قال لابراهيم النخعي « ألم أنبّأ انكم صبّتان صبّتان » أي جماعتان جماعتان .

و في حديث « ألا هل عسى أحد منكم أن يتّخذ الصبّة من الغنم » أي جماعة منها تشبيهاً بجماعة الناس .

و في القاموس و شرحه : صبصب : محق والتصبصب : ذهاب أكثر الليل . تصبصب الليل و كذا النهار : تصبصبا ذهب إلاّ قليلاً . المتصبصب : الذاهب المحق . الصبصاب : ما بقي من الشيء .

٤ - النبت و النبات - ١٤٧٩

نبت الزرع و الشجر ينبت نبتاً و نباتاً - من باب نصر - برز و ظهر من الارض و أخذ في سبيل النمو .

النبات يقع مصدراً في موقع الانبات و يقع إسماً في معنى ما يخرج من الارض و ينمو من زرع أو شجر . النبات : ما نبت من الارض أنبت الله الزرع أو الشجر هيّأ له أن ينبت أو جعله ينبت قال الله تعالى « ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الاعناب » النحل : ١١)

يقال : أنبت الله ثدي الجارية أي جعله ينبت وينمو .

وقد يسند الانبات إلى غير الله تعالى على سبيل التوسع والمجاز فيسند إلى الارض والبذر وغيرهما قال الله تعالى « كمثل حبة أنبتت سبع سنابل » البقرة ٢٦١) فاسند الانبات إلى الحبّة تجوّزاً

و قال : « اهتزّت وربت و أنبتت من كل زوج بهيج » الحج ، ٥) فأسند الانبات إلى الارض تجوزاً فان المنبت في الحقيقة هو الله تعالى

ويستعمل الانبات في الانشاء والايجاد فيقال أنبت الله الناس من الارض ، أنبت الحيوان من الارض و أنبت الجواهر وغيرها و هذا أيضاً على سبيل التجوز قال الله تعالى « والله أنبتكم من الارض نباتاً » نوح ١٧) أي أنشأكم

فالانسان نبات من حيث ان بدأه وأنشأه من التراب وانه ينمو نمو النبات و إن كان له وصف زائد على النبات .

وقال تعالى « فأنبتنا فيها حباً » عبس ٢٧) أي أنشأنا .

أنبت الغلام : راهق واستبان شعر عانته ونبت وهذا من أحد علائم البلوغ

ويستعمل الانبات أيضاً في التربية وتعهّد المربي بما يصلحه من غذاء وغيره

قال الله تعالى « فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً » آل عمران ٣٧) أي نشّأها وربّاها يقال نبّت الصبي تنبيتاً : ربّيته

علم النبات : علم يبحث فيه عن حقيقة النبات وأقسامه وخواصه ومنابته

النباتي : نسبة إلى النبات والعارف به

المنبات ـ بكسر الميم ـ : المكان الكثير النبات .

في المفردات: النبت : النبات ما يخرج من الارض من النامنات سواء كان له ساق كالشجر أم لم يكن له ساق كالنجم لكن إختص في التعارف بما لا ساق له بل قد اختص عند العامة بما يأكله الحيوان و على هذا قوله « لنخرج به حباً ونباتاً »

ومتى اعتبرت الحقائق فانه يستعمل في كل نام نباتاً كان أو حيواناً أو إنساناً والانبات يستعمل في كل ذلك

و في القاموس و شرحه : التنبيت : الغرس يقال نبت الناس الشجر إذا غرسوه ونبتوا الحب : حرثوه والتنبيت أيضاً إسم لما ينبت على الارض من النبات

من دق الشجر بكسر الدال أي صغاره وكباره . وأهل بيت أي شرف

٨٢ـ العنب ـ ١٠٤٧

العنب ثمر الكرم المعروف ويقال على الكرم نفسه وجمعه أعناب

وورد في القرآن للثمر والشجر مفرداً وجمعاً

قال الله تعالى : « وعنباً وقضباً » عبس : ٢٨)

وقال : « من نخيل وعنب » الاسراء : ٩١)

وقال : « حدائق وأعناباً » النبأ : ٣٢)

وقال : « ينبت لكم به الزرع والزيتون والاعناب » النحل : ١١)

عنّب الكرم صلاه داعنب [illegible] عنّاب . يبيع العنب وعنّاب . ذو عنب

ورجل معنّب : طويل

والعناب ـ بالتخفيف ـ : الرجل العظيم الأنف .

وعنابة ـ بالتخفيف ـ قارة سوداء بين مكة والمدينة كان الامام زين العابدين عليه السلام يسكنها

٤٣ ـ القضب ـ ١٢٣٥

قضب الشيء يقضبه قضباً ـ من باب ضرب ـ : قطعه

القضب ما يأكله الانسان من النبات غضاً كالبقول

القضب كل شجرة طالت وبسطت أغصانها والقضب القضقضة وهي البرسيم الحجازي

قال الله تعالى « وعنباً وقضباً » عبس ٢٨) فسّر القضب في الآية بأنه القضقضة وقيّدها الخليل بالرطبة أي البرسيم الحجازي الرطب سمي كذلك

لانه يقطع مرة بعد اخرى

قصّبه: قصّعه: شدد للمبالغة والتكثير. قصّب الكرم: قطع أسنانه أيام الربيع. قصّبت الشمس: إمتدّ شعاعها.

إقتصب: قطع. يقال: كان فلان يحدّثنا فجاء زيد واقتصب حديثه، أي إقتطعه وانتزعه.

القصبة - بالكسر: القطعة من الأبل ومن الغنم. القصّاب: فعّال للمبالغة والسيف القطّاع. رجل قصابة: قطّاع للأمور مقتدر عليها. رجل مقصّب: كثير القطع. القصب: الذكر وهو آلة الرجولية المعروفة.

في المفردات: قوله تعالى: «وعنباً وقضباً» أي رطبة. والمقاضيب الأرض التي نبتها والقضيب نحو القصب لكن القضيب يستعمل في فروع الشجر والقصب يستعمل في النقل.

وروي أن النبي ﷺ كان إذا رأى في ثوب نصارى قضبة أي قطعة.

وفي المجمع: القضب: كل نبت إقتضب وأكل طرياً. والقضبة: الرطبة. والقضب: إسم يقع على ما قضب من أغصان يتخذ منه سهام أو قسي.

وفي النهاية: في حديث الحسين بن علي عليه السلام: «فجعل ابن زياد لعنه الله يقرع فمه بقضيب» أراد السيف اللطيف الدقيق وقيل أراد العود.

وفي اللسان: القضب شجر سهلي ينبت في مجامع الشجر له ورق كورق الكمثرى إلا أنه أرق وأنعم وشجره كشجره يرعى لأنه ورقه وأطرافه فإذا شبع منه البعير هجره حتى وذلك أنه يضرّسه ويخشّن صدره ويورثه السعال.

وفي القاموس وشرحه: جمع القضب. القضبان بضم القاف وكسرها.

٢٢ - النحل - ١٤٩٥

نحل الشيء ينحل نحلاً من باب نصر: صفّاه واختاره. نحل الدقيق

عربه وأزال نحالته . نخل السحاب الثلج والودق : صبّه نخل الودّ والنصيحة لفلان : أخلصهما له ناخل الصدر : الناصح . نصيحة ناخلة : مخلصة . النحلة - بالضم - ما نحل أي سعّى أو عربل وما بقي في المنخل. تنخّل الشيء : صفاه واختاره وأخذ أفضله .

وفي الحديث « لا يقبل الله إلا أنخال القلوب » أي النيات الخالصة .

النخل شجر الرطب والنمر له ساق مستقيم طويل ذو عقد و عليها ليف كشعر الانسان

واحدة النخل نخلة قال الله تعالى : « فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة» مريم : ٢٣) وجمع النخل : نخيل كسعد وعبيد .

والنخل يؤنث ويذكّر يقال نخل باسق ونخل باسقة .

وجاء في القرآن الكريم بكلا الوجهين : قال الله تعالى : « ومن النخل من طلعها قنوان دانية » الانعام : ٩٩)

وقال « تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر » القمر ٢٠)

وأما النحيل فمؤنث عند الجميع قال الله تعالى : « أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب » البقرة : ٢٦٦)

وقيل : النحيل إسم جمع لا جمع النخل .

في المفردات - النحل معروف وقد يستعمل في الواحد والجمع وجمعه نحيل

والنحل نحل الدقيق بالمنحل وانتحلت الشيء : إنتقيته فأخذت خياره .

و في اللسان : كل ما صفّي ليعزل لبابه فقد إنتخل كتحليك الدقيق بالمنخل لتنزل نخالته عن لبابه

انتخلت الشيء : إستخصيت أفضله و تنخّلته : تخيّرته

وفي المجمع : بطن نخل : بين مكة والطائف .

١٦ - الحدق والحديقة - ٣٠٤

حدق القوم بشيء يحدقون حدقاً - من باب ضرب - أطافوا به

وأحدقوا به : أحاطوا به وحتفّوا حوله

وحدق فلان الشيء بعينه نظر إليه وحدّق إليه شدّد النظر إليه وأدار الحدقة الحدقة سواد العين الأعظم وجمعها حدق وحدقات وأحداق وحداق الرقبة ورقاب يحادقوا أحدق بعضهم ببعض أحدقوا به أحد يداق أطافوا به

الحديقة الروضة ذات الشجر وقيل كل بستان عليه حائط والجمع حدائق قال الله تعالى « فأنبتنا به حدائق ذات بهجة » النمل ٦٠)

في المفردات حدائق ذات بهجة جمع حديقة وهي قطعة من الأرض ذات ماء سميت تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها

وفي النهاية الحديقة كل ما أحاط به البناء من البساتين وغيرها ويقال للقطعة من النخل : حديقة وإن لم يكن محاطاً بها

والتحديق شدة النظر ومنه حديث الأحنف : « نزلوا في مثل حدقة البعير » شبّه بلادهم في كثرة مائها وخصبها بالعين لأنها توصف بكثرة الماء والبداوة

وفي اللسان حدق به الشيء وأحدق إستدار وكل شيء إستدار بشيء وأحاط به فقد أحدق به

والحديقة من الرياض كل أرض إستدارت وأحدق بها حاجزاً أو أرض مرتفعة البساتين والشجر الملتف

٥٤ - الفاكهة والفواكه - ١١٧٣

فكه يفكه فكهاً وفكهاً وفكاهة - من باب علم - أكل الفاكهة وتمتع بها ومزح وتعجب

ومن إستطابة الفاكهة وإستطرافها قالوا: رجل فكه أي طيب النفس مزاح سخوك أو تحدث أصحابه فيضحكهم

فاكهة: مازحه. تفاكه القوم: تمازحوا. الفاكهة: صاحب الفاكهة، وقيل: ذو الفكاهة

من الحمى الفاكهة: الثمار كلها وقد وردت مفردة وجمعاً

قال الله تعالى: «وفاكهة وأبّاً» عبس (٣١) وقال: «فيها فواكه» المؤمنون (١٩) الفاكهة: الثمار كلها مما يتفكه به الإنسان أي يتنعم بأكله رطباً كان أو يابساً كالزبيب والرطب والتين والبطيخ والرمان وما إليها من الثمار وقيل: هي الثمار ما عدا العنب والرمان

تفكه: أكل الفاكهة وتمتع بشيء ومزح وتعجب. الفكاهة: إسم من التفكه والمزح لانبساط النفس بها. هو فكه بأغراض الناس: تبدد باعتنائهم وفي الحديث: «أنه ليس عليهن بينة منهم المتفكهون بالأمهات وهم الذين يشتمونهن مما حين»

ومن الاستطراف والإعجاب فقالوا: أمر فكه أي معجب

قال الله تعالى: «فظلتم تفكهون» الواقعة (٦٥) أصلها تتفكهون أي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم، وقيل: تتعاطون الفكاهة، وقيل: تتناولون الفاكهة، وقيل: تندمون من تفكه: ندم

على أن من هذه الصيغة معنى ينتهي إلى التدبر والاعتبار وهو قولهم: تفكه بمعنى ندم

في المفردات : الفاكهة قيل هي الثمار كلها وقيل : بل هي الثمار عدا العنب والرمان وقائل هذا كأنه نظر إلى إختصاصهما بالذكر وعطفهما على الفاكهة .

وفي اللسان : تفكّهت بالشيء : تمتّعت به .

وفي القاموس وشرحه : الفاكهة التحفة المنعمة ورجل فكه : يحدّث صحبه فيضحكهم .

١ - الأب - ١

أبّ للمرعى يؤبّ وأبّ وأبيباً وأباباً وأبه - من باب ضرب ونصر - تهيّأ له وتحهّز للذهاب

أبّ إلى وطنه إشتاق وقصده أبّ يده إلى سيفه حرّكها ليستلّه

أبّ : صاح . تأبّب : تعجب إلتهب : تهيّأ واشتاق

الأبّ العشب يرعاه الانعام او هو كل ما ينبت على وجه الارض

قال الله تعالى «وفاكهة وأبّا متاعا لكم ولانعامكم» عبس ٣١)

في المفردات: الأبّ المرعى لتهيّئه للرعي والحرّ وإبّان ذلك فعلان منه وهو الزمان المتهيّأ لفعله ومجيئه

وفي النهاية في حديث أنس إن عمر بن الخطاب قرأ قول الله تعالى «وفاكهة وأبّا» قال فما الأبّ ؟ ثم قال ما كلفنا أو ما أمرنا بهذا

الأبّ : المرعى المتهيّء للرعي والقطع .

وفي القاموس وشرحه الأبّ الكلاء وهو العشب رطبه ويابسه

وفي المجمع : الأبّ في كلام العربيين ما رعته الأنعام وهو للبهائم كالفاكهة للانسان

٢ ـ المتاع ـ ١٤٠٠

متع يمتع متعاً ومتعاً ومتعة ومتوعاً ـ من باب منع ـ : طال وجاد ومتع النهار : إرتفع وبلغ غاية إرتفاعه قبل الزوال ومتع السراب : إرتفع في أول النهار ومتع الجبل : إشتدّ ومتع السيد : إشتدّ حمرته ويقال للجبل الطويل مانع

متّعه : جعله ينعم وهيّأ له ما يحبّ وما ينتفع به ويقال : متعه بكذا مما يحبّ ومتعه الله : أطال حياته في عافية وخير ومتع الله القوم : مدّ في أعمارهم ولم يستأصلهم كما استأصل بعض الأمم

قال الله تعالى : «بل متّعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين» (الزخرف : ٢٩) أي مدّ لهم في الحياة الدنيا مع إسباغ النعم وتحسين النقم

التمتيع : بمعنى الإعاشة في عافية قال تعالى : «نمتّعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ» (لقمان : ٢٤)

تمتّع تمتعاً : عاش في رغد وسلامة من النعم وتمتّع بالطيبات : إنتفع بها وإلتذّ

وتمتّع المحرم بالعمرة : أحرم بالعمرة في أشهر الحج فإذا أدّاها وتحلّ منها وإنتفع بما كان محرماً عليه من الطيب وما إليه

قال الله تعالى : «فإذا أمنتم فمن تمتّع بالعمرة إلى الحج» (البقرة : ١٩٦)

إستمتع به : إنتفع به وإلتذّ

قال الله تعالى : «فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة» (النساء : ٢٣) أي إنتفعتم بوطئهن

المتعة : العقد المنقطع ونكاح المتعة هي النكاح بلفظ التمتع إلى وقت معين بصداق معلوم كأن يقول لامرأة : أتمتع بك كذا مدة بكذا من المال

وقد كانت في زمان الرسول ﷺ جائزاً ولم ينسخ حكمه فحكمه بعده ﷺ كحكمه في زمانه ﷺ .

المتاع : ما ينتفع به إنتفاعاً قليلاً أو كثيراً و لكنه غير باق

قال الله تعالى « إنما هذه الحياة الدنيا متاع » غافر ٣٩) أي بلغة يتبلّغ بها من غير بقاء لها. وقيل كل ما ينتفع به من الحوائج كالطعام و البر و أثاث البيت و الأدوات و السلع

و قيل في اللغة - كل ما ينتفع به من عروض الدنيا كثيرها و قليلها سوى الفضة و الذهب و عرفاً : كل ما يلبسه الناس و يبسطه

في المفردات المتوع الامتداد و الارتفاع يقال مع النهار و متع النبات إذا إرتفع في أول النبات

و متعة النكاح هي ان الرجل كان يشارط المرأة بمال معلوم يعطيها إلى أجل معلوم فاذا إنقضى الأجل فارقها من غير طلاق

و متعة الحج ضم العمرة إليه قال الله تعالى «فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى »

١١ - الصاخة - ٨٤١

صخّ الحديد بالحديد و العصا بشيء مصمت صخّاً - من باب ضرب - ضربه به و صخّ الصوت الآذان أصمّها يقال صاح بهم صيحة تصخّ الآذان تقرعها و تصمّها و قد قلب عنه أصاح يصيح

الصاخّ الضرب بشيء صلب على شيء مصمت الصحيح صوت الحجر إذا قرع و صوت الغراب إذا قرع

الصاخة شدة صوت ذي النطق لأنها تصخّ الأسماع الصاخة صيحة تصم لشدتها

في المفردات : «فاذا جائت الصاخة» وهي عبارة عن القيامة حسب المشار إليه بقوله : «يوم ينفخ في الصور»

وفي النهاية : الصاخة : الصيحة التي تصخ الأسماع أي تقرعها وتصمّها

وفي المجمع : يقال : رجل أصخ إذا كان لا يسمع

وفي اللسان : «فاذا جائت الصاخة» فإما أن يكون إسم فاعل من صخ يصخ وإما أن يكون مصدر .

وفي القاموس وشرحه : الصاخة : الداهية الشديدة ومنه سميت القيامة

وعن بعض : الصاخة : صوت ذو جرس عنيف نافذ يكاد يخرق سماخ الأذن وهو شق الهواء شقاً حتى يصل إلى الأذن صاخاً ملحاً .

٢٢ - الفر والفرار - ١١٤١

فرّ يفرّ فرّاً وفراراً - مثلثة الفاء - ومفرّاً - من باب ضرب - هرب من عدوه ومما يخاف منه

تفارّ القوم : تهاربوا

إفترّ المحبوب : تبسّم وضحك ضحكاً حسناً . إفترّ البرق : تلألأ

في صفة النبي الكريم ﷺ «ويفترّ عن مثل حبّ الغمام» أي كان يتبسّم حتى تبدو أسنانه من غير قهقهة وأراد بحب الغمام : البرد فشبّه بياض أسنانه به

أفررته : جعلته فاراً

الفر : مصدر قد يوضع موضع الفاعل يقال : رجل فرّ أي فارّ فوصف بالمصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع

وقد يكون الفر جمع فارّ كراكب وركب

ومن المادي الفرفرة : كبّ الشيء ونقصه وشقّه والصياغ ومن هذه

يجيء - قرب - السرعة و الطيش و الخفة و كثرة الكلام و الكشف عن الشيء و بحثه

و من هنا الفرار أي الروغان و الهرب و الانكشاف في الحرب . و منه المفر للفرار نفسه أو لزمانه أو لمكانه و بهذه الثلاثة يمكن تفسيره في «أين المفر» القيامة : ١٠)

و ورد من هذا المعنى المصدر و الفعل و المفعل - المفر في قوله تعالى «لو ليت منهم فرارا» الكهف : ١٨)

و قال «ففروا إلى الله» الذاريات ٥٠) أي من معصية الله إلى طاعته

الفرّة - بالضم - الاختلاط و الشدة

في المفردات أصل الفر الكشف عن سنّ الدابة يقال فررت فراراً و منه فرّ الدهر خدعاً و منه الافتراز و هو ظهور السن من الضحك و فرّ عن الحرب فراراً

١٨ - المرء و امرء و امراة و مرىء - ١٤١٦

مرء الطعام يمرؤه مراءة فهو مرىء - من باب منع - طعم و سهل في الحلق و حمدت عاقبته و خلا من التنغيص قال الله تعالى «فكلوه هنيئاً مريئاً» النساء ٤) المرىء - كأمير - مجرى الطعام و الشراب و هو رأس المعدة المتصل بالحلقوم و به يكون إستمراء الطعام

مرء الرجل يمرء مرء - كعلم صار كالمرأة هنيئة أو حديثاً أي كلاماً

و مرء الرجل مروءة - ككرم - : صار ذا مروءة و إنسانية رجل مرىء أي ذو مروءة أرض مريئة أي حسنة الهواء

المرء الانسان الذكر قال الله تعالى «يوم يفرّ المرء من أخيه» عبس . ٣٤)

منتهى مرآن وجمعه مرؤون . في الحديث: «أحسنوا املاءكم أيها المرؤون»

امرء : هو المرء بأي منكر غير مقرون بأل أو مضافاً و هذا في الأكثر فلا يكادون يقولون الامرء و تحرك الراء فيه بحركة الاعراب فيقال : هذا امرؤ و رأيت امرءاً و نظرت إلى إمرئ.

قال الله تعالى: «لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم» النور ١١)

وقال : «و كل امرئ بما كسب رهين» الطور ٢١)

وامرءة ومرأة : هي الانثى من بنات آدم و امرأة الرجل زوجته وأكثر ما تستعمل غير مقرونة بأل منكرة أو مضافة مثناها مرأتان .

قال الله تعالى : «انا منجوك و أهلك إلا إمرأتك كانت من الغابرين» العنكبوت : ٣٣)

وقال : «ووجد من دونهم إمرأتين تذودان» البقرة ١٠٢)

المريئة : هي تصغير المرأة

في المفردات : المرؤة كمال المرء كما أن الرجولية كمال الرجل و مرء الطعام و امرأ إذا تخصص بالمرئ لموافقة الطبع قال : «فكلوه هنيئاً مريئاً»

وفي المجمع : مرء الطعام مثلثة الراء مرءاً فهو مرئ صار لذيذاً ومنه في حديث الدعاء : «اسقنا غيثاً مريئاً»

و في النهاية : قال : مرأني الطعام وامرأني إذا لم يثقل على المعدة وانحدر عنها طيباً المرئ مجرى الطعام و الشراب من الحلق ضربه مثلا لضيق العيش و قلة الطعام

و في حديث علي عليه السلام لما تزوج فاطمة عليها السلام «قال له يهودي أراد أن ينتزع منه ثياباً ألقاه تزوجت إمرأة» يريد إمرأة كاملة كما يقال : فلان رجل أي كامل في الرجال

١ - الغبر - ١٠٧٠

غبر يغبر غبراً وغبوراً - من باب نصر - مكث و ذهب وبقي ومضى فيكون من الأضداد

و ورد منه قوله تعالى «وجوه يومئذ عليها غبرة» عبس (٤٠) كناية عن تغيّر الوجه للنعم

من الحسي الغبار : مايبقى من التراب المثار والغبرة الغبار

و الغبرة و الغبر - كقفل - البقيّة من اللبن في الضرع ، بقية كل شيء

و إذا لحظ مضيّ الغبار عن الأرض قيل للماضي غابر و إذا لحظ تخلف الغبار عن الذي يعدو قيل للباقي : غابر فكان الغابر بمعنى الماضي وبمعنى الباقي فهو من الأضداد

يقال هو غابر بني فلان أي بقيتهم غبّر الشيء بقيّته جمعه غبّرات وغبر المرض : بقاياه

قال الله تعالى «إلاّ امرأته كانت من الغابرين» الأعراف (٨٣) أي الماكثين الباقين وقد فسّر غبر بمعنى هلك أي الهالكين أي كانت من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا

غبّر آثار الغبار و غبّر الشيء لطّخه بالغبار الغبار التراب أو ما دقّ منه غبر الناس المتأخرون منهم في المرتبة و غبر الليل أي آخره و بقاياه

و في حديث الهدي «نحر رسول الله ﷺ ثلاثاً و ستين و نحر علي عليه السلام ما غبر» أي ما بقي من البدن و في الحديث «إنه اعتكف العشر الغوابر» أي البواقي أي الأواخر من شهر رمضان

في المفردات الغابر الماكث بعد مضيّ ما هو معه قال «إلاّ عجوزاً

في القاموس » يعني فيمن طال أعمارهم و قيل فيمن بقي و لم يمر مع لوط ، و قيل : فيمن بقي بعد في العذاب

وفي المجمع العمر ـ بالضم ـ الأرض و العمر شيء فيه عمار

و في القاموس العمراء : انثى الحجل

و في النهاية في الحديث « ما أظلت العمراء ولا أقلت الحمراء أصدق لهجة من أبي ذر » العمراء الأرض و الحمراء السماء للونهما أراد انه متناه في الصدق إلى الغاية

و جاء في رواية « في عمراء الناس » بالضم: أي فقرائهم ومنه قيل للمحاويج من عمراء كأنهم نسبوا إلى الارض و التراب

و في اللسان العمراء و العميراء نبات سهلي وقيل العمراء شجرته و العمر ء ثمرته و هي فاكهة و العمراء و العمرة أرض كثيرة الشجرة

﴿ النحو ﴾

١- (عبس وتولى)

« عبس » فعل ماض ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى النبوس ، على حذف المفعول أى عبس وجهه أو وجهه ، والواو للعطف ، و « تولى » فعل ماض من باب التفعل ، عطف على « عبس » على حذف الجار والمجرور أى أعرض عنه.

٢- (أن جاءه الاعمى)

« أن » حرف مصدرية ، و« جاءه » فعل ماض ، وضمير الوصل في موضع نصب مفعول به ، و« الاعمى » في موضع رفع ، فاعل الفعل ، على سبيل وصف الفاعل بأخص أوصافه وأعرفها ، والجملة في موضع نصب لانه مفعول له على تقدير لان جاءه الاعمى الذى لا يبصر بعيبه ، فحذف اللام فاتصل الفعل به ، والجار والمجرور بعد الاسك إلى المصدر متعلق بقوله « عبس » على قول الكوفيين ، وبقوله « تولى » عند البصريين على إختلاف في باب تنازع العاملين

وقيل في موضع جر باعمال حرف الجر مع الحذف لكثرة حذفها معها ، وهي وحرف الجر في موضع نصب بالفعل الذى قبلها

٣- (وما يدريك لعله يزكى)

الواو للاستئناف بناءاً على أن العاصى غير النبى المعصوم ﷺ و « ما » إستفهامية في موضع رفع على الابتداء بمعنى أى شيء ، و « يدريك » الفعل المضارع من باب الافعال ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « ما » وكاف الخطاب

للنبي ﷺ في موضع نصب ، مفعول به ، والجملة في موضع رفع خبر للمبتدأ

وقيل : الواو للحال و « ما » نافية والجملة في موضع نصب ، حال من فاعل : « عبس وتولى » أي حالكون العاس لايدري

و في « لعل » وجوه أحدها ـ التعليل . ثانيها ـ للتوقع والترجي في المحبوب ثالثها ـ للاستفهام . وعلى أي تقدير فالضمير في موضع نصب ، إسم لحرف الترجي ، راجع إلى « الاعمى » و « يزكى » فعل مضارع من باب التفعل على إدغام التاء في الأصل في الزاء ، فأصله يتزكى ، والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف الترجي

٤ـ (أو يذكر فتنفعه الذكرى)

« أو » للترديد ، و « يذكر » فعل مضارع من باب التفعل ، على إدغام التاء في الذال ، عطف على « يزكى » و « فتنفعه » الفاء للجواب ، و مدخولها فعل مضارع ، منصوب على جواب التمني في المعنى لان « لعل » غير موجب ، وتقديره فأن تنفعه وضمير المتصل في موضع نصب ، مفعول به ، والضمير راجع إلى « الاعمى » و « الذكرى » فاعل لـ « تنفع »

٥ـ (أما من استغنى)

« أما » حرف تفصيل و « من » موصوليه في موضع رفع على الابتداء ، و « استغنى » فعل ماض من الاستفعال ، صلة الموصول ، والعائد هو الضمير المستتر فيه ، والتقدير : إستغنى بالمال أو إستغنى عنك

٦ـ (فانت له تصدى)

الفاء جواب لحرف « أما » و « أنت » مبتدأ ، و « له » متعلق بـ « تصدى » وهو فعل مضارع من باب التفعل من الصدى وهو الصوت ، فحذفت إحدى التائين

ويحتمل أن يكون من الصدد ، وهو الناحية والجانب ، فالألف المقصورة بدلاً من دال فأصله تتصدد والجملة خبر للمبتدأ

٧- (وما عليك ألا يزكى)

الواو للحال ، و « ما » نافية ، و « عليك » متعلق بمحذوف ، خبر « ما » وخبره محذوف أى ولبس عليك بأس فى أن لا يزكى ذلك المستعى ، وقيل إستفهامية أى وأى وبال يعود عليك أو أى شىء يلزمك إن لم يتطهر فى الكفر والفجور ، وأصل « ألا » « أن لا » حرف مصدرونفى و « يزكى » فعل مضارع ، منصوب المحل ، من باب التفعل بادغام التاء فى الزاء

٨- (وأما من جاءك يسعى)

الواو للعطف ، و « ما » مدخولها عطف على « أما من استغنى » و « يسعى » فعل مضارع ، فاعله ضمير مستترفيه ، راجع إلى « من » والجملة فى موضع رفع ، صفة « من » وقيل ، فى موضع نصب ، حال من « من »

٩- (وهو يخشى)

الواو للحال ، و « هو » مبتداء و « يخشى » خبره ، والجملة حال « من »

١٠- (فأنت له تلهى)

الفاء جواب « أما » و « أنت » مبتداء و « عنه » متعلق « تلهى » فعل مضارع على حذف إحدى التائين ، وأصله تتلهى ، والجملة خبر للمبتداء

١١- (كلا انها تذكرة)

فى « كلا » وجهان أحدهما كلمة ردع وزجر ، والثانى - أن تكون بمعنى حقاً

« انها » حرف تأكيد ، وضمير التأنيث فى موضع نصب ، إسمها ، راجع إلى هذه السورة أو إلى الآيات القرآنية ، أو إلى « الذكرى » والمراد بها القرآن الكريم ، تأنيثه باعتبار الخبر ، وهو « تذكرة » وقيل الضمير راجع إلى الموعظة

١٢- (فمن شاء ذكره)

الفاء للتفريع ، و « من » شرطية ، و « شاء » فعل شرط ، و « ذكره » جزائه ، والضمير في موضع نصب ، مفعول به . راجع إلى القرآن الكريم المستفاد من السياق وقيل : راجع إلى الله تعالى وقيل راجع إلى الوعظ وقيل إلى ما يذكر به القرآن الكريم من المعارف والحكم

١٣- (في صحف مكرمة)

« في صحف » جمع صحيفة ، و في موضعها وجوه أحدها - في موضع النصب ، حال من ضمير المتصل في « ذكره » ثانيها - في موضع رفع ، خبر ثان لـ « انها » ثالثها - في موضع رفع ، نعت لـ « تذكرة » رابعها - في موضع رفع ، خبر لمحذوف ، على تقدير هو أو هي في صحف و « مكرمة » صفة لـ « صحف » و « مكرمة » إسم مفعول من باب التفعيل .

١٤- (مرفوعة مطهرة)

« مرفوعة » إسم مفعول ثلاثياً ، نعت ثان لـ « صحف » و « مطهرة » إسم مفعول من باب التفعيل ، صفة ثالثة من « صحف » .

١٥- (بأيدي سفرة)

في « بأيدي » ما في « صحف » من الوجوه ، و « أيدي » جمع يد ، من جموع القلة ، أضيفت إلى « سفرة » جمع سافر ، مثل كتبة وكاتب

١٦- (كرام بررة)

« كرام » : جمع كريم ، نحو صغار جمع صغير ، وكبار جمع كبير ، و « كرام » صفة لـ « سفرة » باعتبار ذواتهم ، و « برزة » جمع بار ، مثل كافر وكفرة وفاجر وفجرة ، و « برزة » صفة لـ « سفرة » باعتبار عملهم وهو الإحسان في الأعمال

١٧- (قتل الانسان ما أكفره)

« قتل » فعل ماض ، مبني للمفعول ، و « الانسان » نائب مناب الفاعل ، وفي « ما » وجهان أحدهما - أن تكون تعجبية ، و « أكفر » فعل تعجب ومن عادة

العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا قاتله الله تعالى ما أحسنه وأجزاه ثانيهما - أن تكون إستفهامية توبيخية أي أي شيء أكفره وحمله على الكفر ، و«أكفر» فعل ماض من باب الأفعال ، وضمير الوصل في موضع نصب ، مفعول به

١٨- (من أي شيء خلقه)

«أي» إستفهامية ، مجرورة بحرف «من» اضيفت إلى «شيء» متعلقة ، «خلقه» قدمت لصدارة الاستفهام ، و فاعل الخلق هو الله تعالى ، وضمير المتصل في موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى الانسان

١٩- (من نطفة خلقه فقدره) .

«من نطفة» متعلق بمحذوف وهو الجواب على تقدير خلق الله تعالى هذا الانسان من نطفة ، وقيل متعلق «خلقه» التالي . و «فقدره» الفاء للتعريج ، و مدخولها فعل ماض من باب التفعيل ، وضمير المتصل في موضع نصب ، مفعول به ، على تقدير قدّر الله تعالى خلق الانسان على الاستواء ، وحذف الجار والمجرور لقوله تعالى : «ثم سوّاك رجلا» الكهف : ٣٧) .

٢٠- (ثم السبيل يسره) .

«ثم» حرف تراخ ، و في «السبيل» وجوه أحدها - منصوب ، مفعول به لفعل محذوف اى ثم يسر السبيل للانسان ثانيها - مفعول ثان لـ «يسره» أي يسّر الانسان السبيل أي هداه له كقوله تعالى «وإنا هديناه السبيل» ثالثها - منصوب على شريطة التفسير و «يسّر» فعل ماض من باب التفعيل ، وضمير المتصل في موضع نصب ، مفعول به .

٢١- (ثم أماته فاقبره)

«ثم» حرف عطف للتراخي ، و «أماته» فعل ماض من باب الافعال ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الله تعالى فاعله الميت ، وضمير الوصل في موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى الانسان ، والفاء للعطف من غير فصل ، و مدخولها عطف على «أماته»

٢٢- (ثم اذا شاء أنشره)

«إذا» شرطية للاستقبال ، و «شاء» فعل ماض، وفاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى، و «أنشره» جزاء الشرط .

٢٣- (كلا لما يقض ما أمره)

«كلا» حرف ردع وزجر أي ليس الأمر كما يقوله الكافر و يحتمل أن يكون بمعنى حقاً أي حقاً لم يقض أي لم يعمل هذا الانسان الكافر بما أمره الله تعالى به ، فما في «لما» عماد للكلام كقوله تعالى «فبما رحمة من الله لنت لهم» وقوله «عما قليل ليصبحن نادمين» و «لما» حرف جزم ، معناه النفي لما قرب من الحال و «يقض» فعل مضارع منفي بـ «لما» مجزوم بحذف اللام ، أصله يقضي ، و «ما» موصولة ، و «أمره» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى، وضمير المتصل في موضع نصب ، مفعول به، و الجملة صلة الموصول على حذف العائد أي الذي أمره الله تعالى به كقوله تعالى «فاصدع بما تؤمر» أي به

٢٤- (فلينظر الانسان الى طعامه) .

الفاء تفريعية ، واللام للأمر الغائب ، والفعل للاستقبال ، مجزوم بلام الأمر و «الانسان» فاعل الفعل ، و «إلى طعامه» متعلق بفعل النظر

٢٥- (أنا صببنا الماء صبا) .

«أنا» حرف تأكيد مع إسمها ، بدل إشتمال من «طعامه» أو على تقدير «لا» ، و «صببنا» فعل ماض للتكلم مع الغير في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد، و «الماء» مفعول به ، و «صبا» منصوب على المصدر للنوع ، وقيل العدد أي مرة بعد مرة

٢٦- (ثم شققنا الارض شقا) .

«ثم» حرف عطف للتراخي و «شققنا» كـ «صببنا» .

٢٧- (فأنبتنا فيها حبا) .

الفاء تفريعية، ومدخولها فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الأفعال، و«فيها» متعلق، «أنبتنا» والضمير راجع إلى «الأرض» و«حبا» مفعول به

٢٨- (وعنبا وقضبا)

معطوفان على «حباً» منصوبان على المفعولية

٢٩- (وزيتونا ونخلا)

كالمتقدمين .

٣٠- (وحدائق غلبا) .

«حدائق» جمع حديقة، عطف على «حباً» و«غلباً» جمع غلباء، صفة للحدائق، ويحتمل الحال

٣١- (وفاكهة وأبا)

عطفان كالسابقة

٣٢- (متاعا لكم ولأنعامكم).

«متاعاً» مفعول له لفعل الإنبات أي أنبتنا ما أنبتنا مما تطعمونه ليكون تمتيعاً لكم وقيل منصوب على المصدر المؤكد لأن إنبات هذه الأشياء إمتاع لجميع الحيوانات، و«لكم» متعلق، «متاعاً» و«لأنعامكم» عطف على «لكم»

٣٣- (فإذا جاءت الصاخة) .

الفاء تفريعية تفصيلية و«إذا» حرف شرط و«جاءت» فعل ماض، و«الصاخة» فاعل الفعل وفي عامل «إذا» وجهان أحدهما معنى قوله تعالى «يوم يفر» ثانيهما جوابها وهو قوله تعالى «لكل امرئ منهم» على تقدير إستقر «لكل امرئ منهم»

٣٤- (يوم يفر المرء من أخيه)

«يوم» مفعول فيه، و«يفر» فعل مضارع من باب المضاعف و«المرء»

فاعل الفعل ، و « من أخيه» متعلق بفعل الفرار

٣٥- (وامه وابيه)

معطوفان على «أخيه»

٣٦- (وصاحبته وبنيه)

معطوفان كالمتقدمين

٣٧- (لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه)

«لكل» متعلق بمحذوف ، وهو جواب «إذا» والتقدير إستقر أو ثبت لكل و « كل» مضاف إلى «امرئ» « منهم» متعلق بمحذوف وهو وصف لـ«امرئ» و « يومئذ» مفعول فيه ، متعلق بالمحذوف أيضاً ، و «شأن» فاعل للمحذوف الاول و المعنى فاذا جاءت الصاخة ثبت شأن لكل امرئ مستقر يوم الصاخة . « يغنيه» فعل مضارع من باب الافعال ، وضمير المتصل في موضع نصب مفعول به ، والجملة صفة لـ «شأن»

٣٨- (وجوه يومئذ مسفرة)

« وجوه» جمع وجه ، مبتداء ، و لابتداء ، لنكرة لانها في حيز التنويع و « يومئذ» متعلق بمحذوف أي وجوه كائنة يومئذ وقيل متعلق بـ «مسفرة» وهي خبر المبتداء وقيل ان الجملة جواب لـ «إذا» أي فاذا جاءت القيامة فأمر الناس فيها مختلف ، فهم فريقان

٣٩- (ضاحكة مستبشرة)

« ضاحكة» إسم فاعل نعت من «وجوه» و « مستبشرة» إسم فاعل من باب الاستفعال صفة ثانية لـ «وجوه»

٤٠- (و وجوه يومئذ عليها غبرة)

الواو للعطف والجملة عطف على «وجوه مسفرة» و «عليها» متعلق بمحذوف وهو نعت لـ «غبرة» وقيل : متعلق بـ «غبرة»

٤١- (ترهقها قترة)

الفعل للاستقبال ، وضمير التأنيث في موضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى «وجوه» الاولى ، و «قترة» فاعل الفعل ، والجملة صفة لـ «وجوه»

٤٢- (اولئك هم الكفرة الفجرة)

« اولئك» مبتداء ، و«هم» ضمير الفصل ، وقيل مبتداء ثان ، و «الكفرة» جمع كافر جمع للاول على الاول ، وللثاني على الثاني ، و«الفجرة» جمع فاجر ، صفة لـ «الكفرة» .

﴿البيان﴾

١ - (عبس وتولى).

إخبار عما وقع في مجلس النبي المعصوم ﷺ، وإن السياق، وإن كان ظاهره موجهاً إلى النبي الكريم ﷺ بأنه كان في موقف الجد فيما رآه الأولى ومستغرقاً في دعوته ونشرها والنجاح فيها، وليس في موقف الممتنع عن تعليم الأعمى وتنويره، فليس في هذا شيء يناقض العصمة النبوية، وفي هذا الإخبار وأسلوبه ومفهومه وروحه تهذيب رباني عظيم المدى للنبي الكريم ﷺ وفي إعلان النبي ﷺ هذا يتجلى الصدق النبوي العميق الذي يملك النفس والقلب، ويملأهما بالإعظام والإجلال، ولكن في هذا السياق تلقينات ومبادئ أخلاقية وإجتماعية وسلوكية جليلة مستمرى المدى لدعاة الدين الإسلامي.

وفيه إشادة بذوي النيات الحسنة من الناس الذين يسعون وراء الخير والمعرفة، صادق الرغبة في الاستفادة والاستنارة وصالح الأعمال، وإيجاب الاهتمام لهم والعناية بهم، وتشجيعهم ومساعدتهم مهما كانت طبقتهم، وترجيحهم على الذين يترفعون عن كلمة الحق والدعوة إليه، ويظهرون الغرور والاستغناء مهما علت مراكزهم، وإيجاب معاملة هؤلاء الزعماء الكفرة، والنبعاة السفلة بالإهمال والاستهانة تأديباً لهم ولأضرابهم ...

وفي هذا السياق تقرير الأفضلية بين الناس لذوي النيات الحسنة والرغبات الصادقة في الخير بقطع النظر عما يكونون عليه من فضل أو تأخر في الدرجات

الاجتماعية ، و فيه تلقين جليل مستمر ى المدى يجب على المسلمين في كل وقت و مكان و خاصة قادتهم و أصحاب الدعوات الاجتماعية و الاصلاحية و السياسية أن يسيروا على ضوئه في صلاتهم بالناس .

و لو سلمنا بتوجيه السياق إلى النبي المعصوم ﷺ حقيقة ، ففي توجيهه إليه ﷺ بضمير الغائب تكريم له ﷺ و حماية لذاته الشريفة من أن يواجه بالعتاب ، و أن يلتفت إليه الانظار ، ولذلك لم يقل عبست و توليت وهو ﷺ في تلك الحال التي يكون فيها بموضع العتاب، فالذي عبس غائب هنا عن محضر هذه المواجهة ، ويذكر النبي الكريم ﷺ من هذا العتاب الرفيق من ربه انه كان في مواجهة جماعة من عتاة المشركين و زعمائهم، ومن قادة الحملة المسعورة عليه وعلى دعوته، وقد انتهزها رسول الله الاعظم ﷺ فرصة لاسماعهم كلمات الله جل و علا ، لعل شعاعات من نورها تصافح قلوبهم المظلمة ، فيستضيء بنور الحق و تفيء إلى أمر الله عز وجل ، و تتقبل الهدى المهدى إليها

فان ذلك لو حدث لانفتح هذا السد الذي يقف حائلاً بين الناس وبين الايمان بالله جل وعلا . و لدخل الناس في دين الله أفواجاً .

فالتدبر في واقع القصة يلهمنا انه ليس فيها شائبة عتاب على النبي المعصوم ﷺ بل فيها توبيخ و إحتقار ، وإستهانة وتذليل للزعماء المشركين والفجار المترفين الذين كانوا عند رسول الله الاعظم ﷺ ، فكأنها تقول له أعرض يا أيها النبي ﷺ عن هؤلاء الارجاس و اغلظ عليهم ، فانهم أحقر من أن ينصر الله جل وعلا بهم دينه ، وأقبل على هذا الاعمى الطيب المؤمن، سليم القلب، المستشعر بخوف الله تعالى الذي جاءك ساعياً للاستفادة و الاستنارة و قيل في ايثار الماضي من غير ذكر الفاعل تنبيه على عدم تكرار الفعل منه فلا خوف على الاسلام، فان الله القادر المتعال سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون، و يذل أعدائه مهما بلغوا من الجاه و المال ، و من العدد و العدد . .

٢- (أن جاءه الأعمى) .

ظاهر السياق يقرر أن النبي الكريم ﷺ كان في مجلسه هذا مع عتاة قومه، فورد عليه هذا الأعمى ، و لم يكن يعلم من أمر رسول الله ﷺ ما هو مشغول به فجعل يسأل النبي ﷺ أن يقرأه شيئاً من آيات الله تعالى ، فلم يلتفت إليه النبي ﷺ لاستغراقه في دعوته و نشرها ، و هذا الأعمى يسأل و يسأل حتى كره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه فضاق به و ظهر ذلك على وجهه الشريف

و في تعرض عنوان العمى إما لتمهيد عذره و إشعار به في الإقدام على قطع كلامه ﷺ حين تشاغله بالقوم لاستماعهم كلمات الله جل وعلا رجاء لإسلامهم فلعل شعاعات من نورها تصافح قلوبهم الكدرة ، فتستضيء بنور الحق وتفيء إلى أمر الله جل وعلا ، و للإيذان باستحقاقه بالرفق و الرأفة ، و إما لزيادة الإنكار كأنه قيل : تولى لكونه أعمى ، فيكون ذلك لذكر العلة التي اقتضت الإعراض عنه ، فيكون تعليلاً لما ذكر من العبوس بتقدير لازم التعليل

و لا يخفى عليك ما بين الإقبال و المجيء من الفرق ، حيث أن الإقبال هو الإتيان من قبل الوجه ، و المجيء هو الإتيان من أي وجه كان ، وما بين قولك جئته و جئت إليه ، حيث أن في قولك : جئت إليه معنى الغاية من أجل دخول « إلى » و جئته قصدته بمجيء ، و إذا لم تعده لم يكن دلالة على القصد كقولك جاء المطر

٣- (و ما يدريك لعله يزكى)

إنتقال من حال الغيبة إلى حال الحضور ، فكأن النبي المعصوم ﷺ فبعد أن كان ينظر إلى ذاته من وجه ، و كأنه مع ذات غير ذاته ، فإذاً يرى ذاته مماثلة بين يدي ربه الرؤف الودود ، و كأنه هو الذي يحاسبها برفق و يراجعها برأفة ، و كأنه هو الذي يخاطب نفسه ، و يقول لذاته : « وما يدريك »

فتوجيه الخطاب من الله تعالى إلى النبي الكريم ﷺ أولاً بضمير الغائب

فكان فيه شائبة عقاب، وخطابه له ﷺ ثابت بنص الحاضر، إظهار رضى عنه ﷺ.

ولا يخفى ما بين العلم والدراية من الفرق، حيث أن الدراية بمعنى الفهم، وهو ليفي السهو عما يرد على الإنسان فيدريه أي فيفهمه، وأن الدراية علم يشتمل على المعلوم من جميع وجوهه، وذلك أن الفعالة للاشتمال نحو العصابة والعمامة والقلادة، ولذلك جاء أكثر أسماء الصناعات على فعالة نحو القصارة والخياطة ومثل ذلك العبارة لاشتمالها على ما فيها.

فالدراية تفيد ما لا يفيده العلم من هذا الوجه، والفعالة أيضاً تكون للاستيلاء كالخلافة والإمارة فيجوز أن يكون بمعنى الاستيلاء، فتفارق العلم من هذه الجهة.

وقوله تعالى «أمله يزكى» مستأنف سيق لبيان ما يلوح به ما قبله.

وفي الآية الكريمة وما يليها إيماء إلى أن من تصدى لتزكيتهم وتذكيرهم من عتاة المشركين لا يرجى منهم التزكي ولا التذكر.

٣- (أو يذكر فتنفعه الذكرى)

في الترديد إيماء إلى مراتب الاهتداء، وفي المقام من الأعلى إلى الأدنى، وفي التفريع ما لا يخفى على المتأمل الخبير.

٥- (أما من استغنى)

تفصيل لمجمل الحديث المتقدم الذي جاءت من أجله سائبة، اعتاب وزيادة تصريح لما تقدم.

٦- (فأنت له تصدى)

إشارة إلى ملاك ما ذكر من العبوس والتولي.

٧- (وما عليك ألا يزكى)

تحريض على دعوة الناس إلى الهدى، وإلى الخط المرسوم النبي ﷺ والنبوة، وقادة الناس ودعاتهم في كل وقت ومكان.

٨- (وأما من جاءك يسعى)

تقرير لما فيه شائبة العتاب، وإشارة إلى الرغبة المنبعثة من صدر هذا الأعمى والتي تدفعه دفعاً إلى أن يحث الخطا، وأن يسعى إلى النبي المعصوم ﷺ في إطلاق وشوق مع أنه في قيد العمى والعجز.

٩- (وهو يخشى)

حال أخرى من أحوال هذا الأعمى إذ جاء ساعياً في مشيه إلى النبي الكريم ﷺ خاشياً لله جل وعلا خادماً الوقوع في الغواية.

١٠- (فأنت عنه تلهى)

إشارة إلى أن كان فيه النبي الكريم ﷺ من حديث، جاداً فيه كل الجد مقبلاً عليه كل الإقبال، مع هؤلاء المشركين المعاندين من قومه، وأنه حديث لا محصل له ولا ثمرة من ورائه، إذ كان القوم معرضين عنه متكرهين له، فكأنه إنما يتلهى بهذا الجائي ساعياً خاشياً لله تعالى لإعراضه عنه.

وهذا ما يظهر بالنظر البدوي من سياق القصة من غير أن يكون في هذا الظاهر شيء يناقض العصمة السوية على ما زعمه بعض المفسرين، ولكن لب القصة تعليم لقادة الأمة الإسلامية، وتلقين جليل مستمر المدى يجب على المسلمين وخاصة أصحاب الدعوات الإصلاحية والاجتماعية والسياسية الحقة أن يسروا على سوئه في صلاتهم، الناس إشادة بذوي النيات الحسنة من الناس الذين يسعون [illegible] المعرفة، صادقي الرغبة في الاستفادة والاستنارة، صالح الأعمال.

وإيجاب الاهتمام لهم والعناية بهم وتشجيعهم ومساعدتهم مهما كانت طبقتهم وتأجيجهم على الذين يترفعون عن كلمة الحق والدعوة إليه، ويظهرون الغرور والاستغناء مهما علت مراكزهم، وإيجاب معاملة هؤلاء بالإهمال والاستهانة تأديباً لهم ولأمثالهم، وبالجملة في هذه القصة تقرير الأفضلية بين الناس لذوي النيات الحسنة والرغبات الصادقة في الخير بقطع النظر عما يكونون عليه من فضل

أو تأخر في الدرجات الاجتماعية.

١١- (كلا انها تذكرة)

«كلا» كلمة ردع يقصد بها زجر المخاطب عن الأمر الذي يعاتب عليه لئلا يعاوده، وهنا هو التصدي للمستغني عما دعاه إليه من الإيمان والطاعة، وما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغاً في الاهتمام بأمره متهالكاً على إسلامه معرضاً بسبب ذلك عن إرشاد من يخشى ويستهدي ويسترشد.

وفي المجمع: وقوله: «كلا» قال: فيه دلالة على أنه ليس له أن يفعل ذلك في المستقبل وأما الماضي فكم يتقدم النهي عن ذلك فيه فلا يكون معصية.

وقوله تعالى: «انها تذكرة» تقرير لمهمة الرسالة وهي تذكير للناس لا إلزام فيه ولا إبرام، مع كون الجملة بمنزلة التعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة الوحي السماوي وتحقيق لشأنه أن يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها، فمن رغب فيها إتعظ بها كما نطق به قوله تعالى: «فمن شاء ذكره».

وفي التبيان: قال الشيخ الطائفة قدس سره في قوله تعالى: «كلا انها تذكرة»: «الفرق بين التذكرة والمعرفة أن التذكرة سد الغفلة والمعرفة ضد الجهل والسهو، فكلاهما يتعاقبان على حال الذكر دون السهو كتعاقب العلم وأضداده على حال الذكر دون السهو، والذكر معظم لأنه طريق إلى العلم بالحق من الباطل والصحيح من الفاسد، قال تعالى: «فذكر إن نفعت الذكرى» وقال: «فذكر إن الذكرى تنفع المؤمنين».

١٢- (فمن شاء ذكره)

تقرير لمشيئة الإنسان واختياره في شئونه بعد بيان طريق الهدى والضلال والحق والباطل، وتقرير مسئولية كل امرئ عن عمله: فمن اهتدى فقد نجى نفسه، ومن ضل فقد أهلكها، فمع كل إنسان فطرته التي من شأنها أن تدعوه إلى الحق والخير وتصرفه عن الباطل والشر، وإن رسالة الرسل ليست إلا إيقاظاً

لهذا العقل إذ عقل، وتذكيراً لهذه الفطرة إذ نسيت، وإنه ليكفي بهذا أن يؤذن مؤذن الحق في الناس، فمن شاء أجاب ومن شاء أعرض.

وقيل: إن الجملة معترضة لازمة، وفي هذا التعبير تلويح إلى أن لا إكراه في الدعوة إلى التذكر، فلا نفع فيها يعود إلى الداعي، وإنما المنتفع بها هو المتذكر فليختر ما يختاره.

١٣ـ (في صحف مكرمة)

كلمة «صحف» تعني الصور القرآنية التي كانت توحى إلى النبي الكريم ﷺ على تعبير مجازي لأن الوحي السماوي لم يكن يحمل على رسول الله ﷺ شيئاً مكتوباً في صحف، وإنما كان يلقي ما يحمله من وحي رباني عليه إلقاء، ولعل في التعبير تلقيناً بوجوب تدوين ما يلقيه الوحي في الصحف أو إشارة إلى مصيره إلى ذلك، والمأثور المتواتر أن النبي الكريم ﷺ كان يأمر بتدوينه ما كان يعرف به الوحي من صور القرآن المجيد في صحف حين نزوله حيث يكون قد لمح ذلك التلقين وعمل به.

وإن الآية الكريمة وما يليها من الآيات تبين لماهية هذه التذكرة وتنوه بها بأنها صحف مكرمة، وفيها تلقين مستمر المدى بما يجب للمدونات القرآنية من التكريم والطهارة، وحرمة الشأن والرفعة، وإخبار عن جلالة هذه التذكرة.

وقد كان هذه الآية في موضع الصفة لـ«تذكرة» وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها أي كائنة في صحف منتسخة من اللوح ويحتمل الحال، وأن يكون خبراً ثانياً لحرف التأكيد في «إنها».

١٤ـ (مرفوعة مطهرة)

في الصفات الثلاث للصحف يصيغ المفعول إشعاراً بأنها من لوازم ذاتها فتدبر واغتنم جداً.

١٥- (بأيدي سفرة)

في ذكر اليد للملائكة الذين يبلغون وحي الله تعالى وقرآنه ما لا يخفى على القارىء الخبير وأن صيغة الجمع لكلمة «سفرة» وأوصاف السفرة وتوصيفهم بوصف السفارة هي بقصد تعظيم شأن ملك الله تعالى جرياً على أسلوب التخاطب البشري عامة والعربي خاصة، وأن إشتقاق السفرة من السفارة لأن الملائكة سفرة بين الله عز وجل ورسوله ﷺ ولا يخفى ما في هذه الصفة من معنى الكشف أيضاً.

١٦- (كرام بررة)

توصيف ملائكة الوحي بالكرامة باعتبار ذواتهم، وتوصيفهم بالبر باعتبار عملهم وهو الإحسان في العمل، وفي الوصفين إيماء إلى أنهم صادقون أمناء، فهم رفيعة القدر يبلغها سفراء كرام على الله جل وعلا بررة صادقون أمناء مخلصون لله تعالى فيما يقومون به من مهمة السفارة بينه وبين أنبيائه.

قيل: إذا اتصف الإنسان بالبر جمع بالأبرار، وإن اتصف به الملائكة جمع بالبررة، ولعل وجهه أن الثاني أبلغ من الأول باعتبار إتصاف الملائكة به ذاتاً، واتصاف الإنسان به إكتساباً.

١٧- (قتل الإنسان ما أكفره)

دعاء على الإنسان الكافر، وهذا الدعاء من أشنع دعوات العرب إذ لا أفظع من القتل، ولأنه قصارى شدائد الدنيا وفظائعها، وإنشاء على صورة الفعل الماضي على ما هو المعروف في لسانهم، إذ يقولون إذا تعجبوا من إنسان: قاتله الله ما أحسنه، وأخزاه الله ما أظلمه.

والدعاء عليه بالقتل هنا هو جار على مألوف عادة العرب من دعائهم على من يكون على بدع من الأمر، وذلك في الاستهجان أو الاستحسان على السواء، وههنا بيان لقبح حال هذا الإنسان، وأنه بلغ حداً من العتو والطغيان، من الكفر

والضلال لايستحق معها أن يبقى حياً فموته خير من حياته مع لاخير له في حياته ولافي موته .

والمراد بالانسان هنا هو جنس هذا الانسان الضال العنيد في كل عصر و مكان وإن كان نزول الآية الكريمة في كافر فإن المورد لايكون مخصصاً لأكل الانسان على إطلاقه

وهذا قد ورد على اسلوب كلام العرب ، وأنه لا يمكن أن يحمل في حقه جل وعلا إلا على إرادة إيصال أليم العذاب وشديد العقاب ، وليكون لفظاً للمعتبرين المتعجبين المتأملين في مراتب جدوبهم التي أولها نطفة وآخرها جيفة . وهذا الاسلوب أغلظ اسلوب وأخشن متن وأدل دليل على سخط الله تعالى على الانسان الكافر في كل وقت ومكان وليس كلام أبعد شوطاً في المذمة من هذه العبارة مع قصر متنها . وفيه تنبيه شديد على إستحقاقه أعظم أنواع العقاب ، كما في قوله تعالى « ما أكفره » تنبيه شديد على أنه اتصف بأعظم أنواع القبائح والمنكرات .

فالمراد من الدعاء إظهار السخط على الكافر . وفيها كناية عن أنه قد بلغ من القبح بسبب الكفر والعصيان مبلغاً لا يستحق معه الحياة ، ومنشأ الشناعة بسبابه لما يتقلب فيه من النعم وذهوله عن مسديها حتى إذا ذكّر بالحق أعرض عن الذكرى .

وقوله تعالى « ما أكفره » في الجملة وجهان : أحدهما ـ تعجب من حال إفراط هذا الانسان في الكفران وتلقي نعم خالقه بالجحود والطغيان ، و تعجيب من مبالغته في الكفر بربوبيته ربه مع إحسانه إليه وإفاضة نعمه عليه ، وفيها بيان لاستحقاقه للدعاء عليه

ثانيهما : للتصيير أي أي شيء جعله كافراً . وفيه ايماء بأن النعم ليست باعثة له على الكفر والطغيان ، بل هو يجعلها وسيلة لشقائه وخسرانه . كالسكين مثلاً ليس بنفسه سبب طغيان وقتل نفس بغير حق ، بل قد يجعله الانسان وسيلة لقتل

مظلوم ، ثم يصلب بذلك العمل أو يقتل بهذا السكين

وفي الآية الكريمة وما يليها من الآيات إستطراد تنديدي بالإنسان الذي يجحد الله تعالى ويتمرد على أوامره ولا يقوم بواجبه نحوه على صالة شأنه في كون الله عز وجل ، وشمول تصرفه تعالى فيه إنشاء وإحياء وإماتة ونشراً بعد الموت مع إحتمال أن يكون التنديد بالكفار على مواقف المكابرة والعناد التي وقفوها ، فإن أسلوب الآيات المطلق يجعلها في نفس الوقت تنديداً عاماً ذا تلقين مستمر المدى بكل إنسان يجحد الله تعالى ويتمرد عليه كما هو المتبادر .

١٨- (من أي شيء خلقه)

تفصيل لما تقدم من الإجمال ، وبيان لما أفاض الله عز وجل على هذا الإنسان من النعم في مراتب ثلاث : المبدأ والوسط والمنتهى ، فأشار إلى الأولى بقوله تعالى « من أي شيء خلقه » وفيه كشف عن شناعة ضلال هذا الضال وكفر بربه ، إنه من ضلاله البعيد ، ينسى أن له خالقاً خلقه من عدم أو ما يشبه العدم

ففيه تقرير لإفراطه في الكفر بتفصيل ما أفاض الله تعالى عليه من مبدأ فطرته إلى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالإيمان والطاعة وصالح الأعمال ، فأجل بذلك ، ففي الاستفهام عن مبدأ خلقه مع بيانه بقوله عز وجل « من نطفة »

وفي الاستفهام زيادة تقرير في التحقير ، أي من شيء حقير ، فلا ينبغي له العتو والطغيان ، ولا التكبر والعصيان ، ولا التجبر والكفران . وإن الاستفهام يداعي تأكيد ما في قوله جل وعلا « ما أكفره » من العجب والعجب إنما هو في الحوادث التي لا يظهر لها سبب - فأفيد أولاً أن من العجب إفراد الإنسان في كفره ، ثم سئل ثانياً في خلقته إذ خلقه الله عز وجل ما يوجب له الإفراط في الكفر فأجيب بنفيه ، وأن لا حجة له يحتج بها ولا عذر يعتذر به فإنه مخلوق من ماء مهين حقير لا يملك شيئاً من خلقته ، ولا من تدبير أمره في حياته ومماته ونشره

وبالجملة ان الاستفهام توطئة للجواب الذى فى قوله عزوجل « من نطفه خلقه . . . »

و فى حذف الفاعل فى « خلقه » و مايليه من الافعال إشعار بظهوره فمن المعلوم بالفطرة وقد إعترف به المشركون - أن لاخالق إلاّ الله عز و جل ، و كذلك المقدر والتدبير الربوبى الذى أحاط به

١٩- (من نطفة خلقه فقدره)

جواب عن السؤال المتقدم الذى كان من شأن الانسان أن يجيب عنه ، و لو أنه أجاب عنه جواباً صحيحاً لآمن بربه وأطاعه وشكر له . ولكنه لم يسئل نفسه هذا السؤال ، ولم يحب أو لم يحسن الاجابة على هذا السؤال إذا سئل ، و إلاّ فليسمع الجواب الصحيح إن كان له اذنان يسمع بهما « من نطفة خلقه فقدره » فهذا هو الجواب ، وفيه تحقيره وتجهيل فيه .

والمعنى من أىّ شئ حقير مهين خلقه ؟ خلقه من نطفه مذرة ، مهينه حقيرة فلا يحق له أن يطغى بكفره ، و يستكبر عن الطاعة ، وأصله هذا الاصل

وفى تنكير « نطفة » تحقيره

٢٠- (ثم السبيل يسره)

فى كلمة « ثم » دلالة على الترتيب بين الخلق والتقدير وبين تيسير السبيل إطلاقاً ، وفى تعريف « السبيل » باللام دون الاضافه إشعار بعمومه أى سبيل الحق والباطل ، سبيل الخير والشر ، سبيل الهدى والضلاله ، سبيل النجاة والهلاكه سبيل الفلاح والخسران ، سبيل السعادة والشقاء ، وسبيل الجنة والنار ومكّنه من السلوك فيهما باختياره .

« تتضمن الايه الكريمه تقرير كون الله عز و جل قد بيّن للناس الطريق القويم والصراط المستقيم ويسّر لهم سلوكه ، وأوجد فيهم قابلية القدرة على هذا السلوك وفى هذا تؤكيد للتعريرات القرآنية السابقة فى هذا الصدد، وإشارة

إلى المرتبة الوسطى من المراتب الثلاث ..

وان الآية الكريمة تصدد نفي العذر من الانسان الكافر في تجبّره وطغيانه، وفي استكباره وكفرانه أولاً، وتصدد دفع شبهة ثانياً.

وذلك ان الله عز وجل لما قال في جواب السؤال السابق «من نطفة خلقه فقدره» أمكن أن يتوهم سامع ان الخلق والتقدير إذا كانا محيطين بالانسان من كل جهة كانت أفعال الانسان لذاته وصفاته مقدّرة مكتوبة، ومتعلقة للمشيئة الربوبية التي لا تتخلف، فتكون أفعال الانسان ضرورية الثبوت، واجبة التحقق، ويكون الانسان مجبراً عليها، فاقداً للاختيار، فلا صنع للانسان في عتوه إذا عتى، في كفره إذا كفر، في طغيانه إذا طغى، في عصيانه إذا عصى ولا في فسقه إذا فسق ...

فان ذلك كله بتقدير الله سبحانه وإرادته، فلا ذمّ ولا لوم على الانسان، فلا تتعلق دعوة دينية بالانسان لان ذلك كله فرع للاختيار ولا إختيار له في ذلك.

فدفع الله عز وجل هذه الشبهة الواهية التي إعتلقت بها الأشاعرة المجبرة بقوله: «ثم السبيل يسّره» ومحصله ان الخلق والتقدير لا ينافيان كون الانسان مختاراً فيما امر به من الايمان وصالح الاعمال، إذ له طريق مفتوح إلى السعادة والكمال وإلى الصلاح والفلاح التي خلق لها، فكل ميسّر لما خلق له، وذلك ان التقدير واقع على الافعال الانسانية من طريق إختياره والارادة الربوبية متعلقة بأن يفعل الانسان بارادته واختياره كذا وكذا، فالفعل صادر عن الانسان باختياره وهو بما أنه إختياريّ متعلق للتقدير، فالانسان مختار في فعله مسؤول عنه وإن كان متعلقاً للقدر.

٢١ـ (ثم أماته فأقبره)

إشارة إلى المرتبة الأخيرة، وفي «ثم» دلالة على التراخي بين تيسير السبيل والاماتة، وفي الفاء دلالة على ترتب الاقبار على الاماتة هي ايقاع الموت على الانسان، والمراد بالاقبار دفنه في القبر وإخفاء جثته في بطن الارض، وهذا

بالثناء على الفعل الذي جرى عليه وبدن الناس ، و بهذه المناسبة نسب إلى الله تعالى لأنه جل وعلا هو الذي هداهم إلى ذلك ، وألهمهم إياه ، فللفعل نسبة إلى الله تعالى كما أن له نسبة إلى الناس .

٢٢- (ثم اذا شاء أنشره)

إشارة إلى عرض بيان تلك الانتقالات الدقيقة في الآيات الثلاث المتقدمة بأنها دلالات واضحة على أنه جل وعلا إذا شاء أن ينشر الانسان بعثه من قبره

والمعنى إذا شاء الله تعالى إنشاره أنشره على حذف مفعول المشيئة و في تعليق الانشار بمشيئته جل وعلا إيذان بأن وقته غير متعين بل هو تابع لها وهو لا يعلمه إلا الله تعالى

وفي قوله تعالى : « إذا شاء » إشعار بأن وقت الساعة لا يعلمه إلا هو جل وعلا وحده ، فهو الذي يستأثر بعلمه وهو القادر على تقديمه وتأخيره

٢٣- (كلا لما يقض ما أمره)

تأكيد لكفران هذا الانسان بالنعم الالهية ، ومعنى النفي في كلمة الردع والزجر « كلا » هو جواب عن معنى سؤال يرد عند عرض هذه الآيات تتحدث عن قدرة الله سبحانه وعن آثارها في هذا الانسان الذي كفر بربه ، بعد أن خلقه من خلقه ثم سوّاه رجلاً

وإن السؤال هو هل آمن هذا الكافر الذي تمثل فيه وجوه هؤلاء المشركين كلهم ، بعد أن عرضت عليه هذه الآيات القرآنية ؟

فجاء الجواب « كلا » ثم بيّن سبب الردع بقوله تعالى « لما يقض ما أمره » الله تعالى ودعاه إليه من الايمان وصالح الاعمال وفي نفي هذا الحبر عن الانسان بحرف النفي « لما » التي تفيد إمتداد النفي إلى الوقت الحاضر ، و ربما لا يتجاوزه إلى المستقبل الذي لم يحكم عليه إلى الآن بالنفي ولا بالايجاب ، ففيه إشارة إلى أن هؤلاء المعاصرين من المشركين في شخص هذا الانسان ، وإن لم يؤمنوا

بالله تعالى بعد ، ولكنهم في عرصة الايمان ، ولم ينقطع بهم الطريق إليه، فيرجى منهم أن يؤمنوا أو يؤمن معظمهم ، وقد آمنوا بعد و دخلوا في دين الله أفواجاً وخاصة بعد الفتح

والمراد بالامر في قوله جل وعلا «ما أمره» هو الامر التكليفي لا الامر الخلقي التقديري .. إذ لو كان أمراً تقديرياً لكان نافذاً لا يرد ، ولما كان للمأمور أن يخرج عن هذا الامر

ولا يخفى على القارىء الخبير أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم الالهي

٢٤- (فلينظر الانسان الى طعامه)

شروع في تعداد النعم الالهية المتعلقة ببقاء الانسان بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه، فالآية الكريمة متفرعة على ما تقدم تفرع التفصيل على الاجمال و هذا مشهد آخر من مشاهد قدرة الله تعالى ، و في هذا المشهد دلائل آفاقية عليها كما كان في المشهد السابق دلائل أنفسية عليها ، إذ عرضت على الانسان ذاته الانسانية وما لله تعالى فيها من عجيب الخلق وبديع الصنع وفي هذا المشهد يرى الانسان دلائل قدرة الله جل و علا فيما هو خارج عن ذاته الانسانية ، إذ قد يرى الانسان ما هو خارج عن ذاته ، دون أن يرى هذه الذات ولا ما بداخلها

فعلى هذا الانسان الجاحد المتمرد على الدعوة إلى الله تعالى و على كل إنسان في كل وقت وزمان أن ينظر و يفكر فيما يتمتع به مما يسره الله تعالى له من أسباب الغذاء المتنوع له ولانعامه ليرعوي هذا الجاحد عن موقفه، وليشكر لله تعالى غيره لانه سوف يرى ان كل هذا إنما يتم له بتيسير الله تعالى ورعايته فعليه أن ينظر إلى هذا الطعام الذي يأكله من أين جاء ؟ و كيف وجد ؟ و من جاء به ؟ وما كان سببه ؟ وما كان تدبيره و تهيئته ؟ حتى يكون غذاء صالحاً تقوم به بنيته و يجد في تناوله لذة تدفعه إليه ليحفظ بذلك قوته مدى الحياة التي

قدرت له ، وكيف هيأته أسباب المعاش ليستعدها للمعاد ؟

٢٥- (انا صببنا الماء صبا)

مستأنف بياني لكيفية إحداث الطعام على سبيل بدل إشتمال من طعامه لأن الماء سبب لحدوث الطعام ، فهو مشتمل عليه ، وإن الاية الكريمة و تاليها بيان تفصيلي على حد مرحلة إبتدائية من التفصيل لتدبير الله جل وعلا طعام الانسان ، و إنما البيان المستوفى لخصوصيات النظام الذي هيأه هذه الامور و النظام الوسيع الجاري في كل من تلك الامور والروابط الكونية التي بين كل واحد منها وبين الانسان مما لا يسعه نطاق البيان عادة

٢٦- (ثم شققنا الارض شقا)

في العطف بحرف التراخي « ثم » دلالة على الترتيب بين الامطار و الشق بالنبات على التراخي المعهود

٢٧- (فانبتنا فيها حبا)

شرع ببيان أنواع النبات النافعة ، فمنها الحب الذي يشمل الحنطة و الشعير والارز وسائر ما يحصد ويدخر مما يقتات به الانسان و قدم ذكره على غيره من أنواع النبات لانه الاصل في الغذاء ، و أصل المأكولات كلها ، ولانه أول ما نبت على وجه الارض ومن اوليات ضروريات الحياة و أشملها ، ولانه غذاء الانسان وهو أشرف خلقه ، فقدمه لتعظيمه وتكريمه

وفي الفاء دلالة على الترتيب بين الشق المذكور و إنبات الحب بلا مهلة وحشه إذا كان المراد بالنبات ما ينبت من الارض إلى أن تتكامل النمو و تنعقد الحب

٢٨- (وعنبا وقضبا)

إشارة إلى نوعين آخرين من أنواع النبات ، وهما العنب ، وخصه بالذكر لكثرة منفعته و لانه غذاء من وجه و فاكهة من وجه آخر والاخر هو القضب

كالحس والعصل والحمراوات . تتخدمنه المحلات ، أو العلف بعينه تعلف به الدواب أو القت يقطع بعد ظهوره مرة بعد مرة ، أو الرطب أو الثمار العصة التي يتكرر قطف أشجارها أو ما يؤكل من النبات عاطرياً من البقول وما إليها ، و غيرها من الاقوال الواردة في معنى القضب . . .

٢٩- (وزيتونا ونخلا)

الزيتون : ما يتخذ منه الزيت ، والنخل ما يؤخذ منه التمر ، و من تلك الانواع الخمسة تتألف مائدة كاملة بين يدي الانسان : فيها الطعام والادام ، وما يتحلى به أثناء طعامه ، وما يتفكه به بعد الطعام

٣٠- (وحدائق غلباً)

وصف الحدائق بالغلب . والغلب جمع غلباء وهي في الاصل الرقبة الغليظة

يقال . رجل أغلب بيّن الغلب إذا كان غليظ الرقبة و أسد أغلب لانه مصمت العنق لايلتفت إلا جميعاً ثم استعير للحدائق أنفسها لتكاثف أشجارها و لا شجارها لعظمها وغلظها وفي ذكر الحدائق بهذا الوصف ايماء إلى أن النعمة في الاشجار وحملتها و ليست في ثمرها خاصة ، فمن خشبها تتخذ أرفى أنواع الاثاث وأدق النعم و آلاته لمختلف الحرف والصناعات ، و كذا الوقود لتدبير الطعام والتدفئ على مرور الشتاء ، وتشتمل في سهر الحديد وأنواع المعادن المختلفة

وفي هذه الحدائق كثيرة الأشجار ذات الظلال والفواكه متعة العين وبهجة النفس و مسرة القلب يجيء إليها الانسان ليتنعم و يتهنأ بالاستظلال بظلها بعد أن يستوفي حاجته من الطعام فتتم بذلك النعمة وتكمل النعيم

٣١- (وفاكهة وأبا)

في تنكير أنواع النبات الثمانية دلالة على التكثير والتنويع ، وفي إفراد بعض وجمع بعض آخر مالايخفى على الفطن الخبير

وما يتبادران من عدده الآيات من نعم الله جل وعلا على الانسان من أنواع الغذاء لم يكن على سبيل الحصر ، وإن كان يتضمن التنويه بما فيه قوام حياة الانسان والانعام تقوية للتذكير وإحكاماً للتشديد كذلك فان الآيات الكريمة ليست بسبيل بيان نواميس الطبيعة ، وانما هي بسبيل الوعظ والتذكير بما هو ماثل للناس و واقع تحت مشاهدتهم و حاصل بين أيديهم ، و فيه متاع متنوع الاشكال والصور لهم ، وقد استهدفت انعطاف العنصر الانساني ، وحمله على الاعتراف بفضل الله تعالى وحمده وربوبيته ، وهذا وذاك مما يلحظ في جميع الفصول القرآنية المماثلة

و قيل أُحمل « فاكهة » ليعم الكل و أُحمل العطف بقوله « أباً » للعموم وهو مرعى الدواب وقوله « أباً » يدل على أنه ليس مرزقا لابن آدم وانه مما تختص به البهائم .

٣٢- (متاعاً لكم ولانعامكم)

إشارة إلى الحكمة في خلق تلك الانواع المتماثلة ، كما أن في الالتفات عن الغيبة إلى الخطاب تأكيداً للامتنان بالتدبير الربوبي أو بانعام النعم على الانسان إطلاقاً « للأنعام المخصصة به أو إطلاقاً وهذا المقطع ضرب مثل ضربه الله عز وجل لبعث الموتى من قبورهم كنبات الزرع بعد ذبوله ، كما أنه تضمن إمتناناً عليهم بما أنعم به

وقيل « متاعاً لكم » بيان لقوله تعالى « فاكهة » وقوله « ولانعامكم » لقوله « أباً »

٣٣- (فاذا جاءت الصاخة)

شروع في بيان أحوال المعاد إثر بيان مبدإ الخلق والمعاش ليترود الانسان لأمر معاده بالايمان وصالح الاعمال وبالانفاق مما عاش به عليه وفي الآية الكريمة إشارة إلى ما ستنتهي إليه التدبير العام الربوبي للانسان بما أن فيه أمراً ربوبياً

إلهياً بالعبودية ، إمتثل به الإنسان أم لم يمتثل ، وهو يجزى يوم القيامة بما عمل به في الدنيا إن كان خيراً فخيراً وإن شراً فشراً

و في الفاء دلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من كون النعم على قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب إضمحلالها والصاخة الصاكة للآذان من شدة الصوت ، والكلمة كناية عن يوم القيامة ، وتتضمن الاشارة إلى هولها ، وتتضمن الآية إنذاراً بيوم القيامة ، ووصفاً لهوله الذي يذهل المرء عن أقرب الناس إليه .

وقيل الصاخة النفخة الأخيرة ووصف النفخة بالصاخة مجاز لان الناس يصخون لها أي يستمعون وقيل الصاخة الاحداث السرلزلة التي تقع يوم القيامة ، وسميت صاخة لانها تصخ الآذان أي تقرعها قرعاً شديداً عاتياً بما يكون من صراخ وعويل وصرير أسنان في هذا اليوم العظيم

٣٤- (يوم يفر المرء من أخيه)

تفصيل لبعض أهوال يوم القيامة وشدته ، و تصنيف الناس يومئذ ، هول نفسي يفرغ النفس ويفصلها عن محيطها وعنها أيضاً

٣٥- (وأمه وأبيه)

قدم الاخ على الابوين لانهما أقرب منه ، والفرار إنما يقع من الأبعد ثم من الأقرب ، وأخر الصاحبة لانها روحه وسكنه معاً إلى آخر الحياة وذات صفات خاصة ، ثم ذكر البنين لانهم الأقرب والأحب فكأنه قيل يفر من أخيه أولاً بل من أمه ، بل من أبيه ، بل من صاحبته التي يأنس بها في الحياة الدنيا ، بل من بنيه وهم قرة عينه وجمعه وذاده

قيل وعلى هذا القول يستلزم أن تكون الصاحبة أقرب وأحب من الابوين وهذا خلاف العقل والشرع فالاصوب أن يقال أراد أن يذكر بعض من هو محيط بالمرء في الدنيا من أقاربه في مقر في الصعود والنزول ، فبدأ بطرف الصعود

لان تقديم الاصل أولى من تقديم الفرع ، وذكر أولاً في كل من الطرفين من هو معه في درجة واحدة . وهو الأخ في الاول والصاحبة في الثاني على أن وجود البنين موقوف على وجود الصاحبة ، فكانت بالتقديم أولى .

والأظهر ان الفرار المعنيّ هو قلة الاهتمام بشأن هؤلاء بدليل قوله تعالى « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » .

٣٦- (وصاحبته وبنيه)

« صاحبته » كنى به عن زوجته مع تعممها التوافق بينهما و في الآيات الثلاث تصوير لشدة يوم البعث وأهواله بأن الذين عدّوا من أقرباء الانسان و أحسّائهم الذين كان يأوي الانسان إليهم ، ويأنس بهم ويتحدهم أعضاداً و أنصاراً على ودهم في الحياة الدنيا ، وهو في الدار الآخرة يفرّ منهم لما أن الشدة يومئذ إذا أحاطت به لا تدعه يشتغل بغيره ، و يمتنى مما سواه كائناً من كان . فان البلية إذا عظمت واشتدت وأحاطت على الانسان حدسته إلى نفسه وصرفته عن كل شيء

٣٧- (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)

مستأنف بياني سيق لبيان سبب الفرار بأن لكل واحد من المذكورين شغلا يشغله و خطباً هائلا يكفيه في الاهتمام به ، فليس لأحد يومئذ فرصة ليشتغل بغيره

٣٨- (وجوه يومئذ مسفرة)

شروع بتقسيم الناس يوم القيامة على فريقين . بعد ذكر وقوع الاشقياء في داهية دهياء . فريق كاملون تلوح على وجوههم أنوار الكمال من أسفر الصبح إذا أضاء فهم فرحون مغتبطون، وجوههم مشرقة مضيئة قد علمت عالها من النور والنعيم ، وهذه علامة الفرح والطمأنينة

والوصف قوي من شأنه إثارة الطمأنينة في هؤلاء السعداء و على الثبات فيما هم فيه

وفي الآية الكريمة دليل إشارة إلى أن هؤلاء المؤمنين الصالحين يعرفون بسيماهم ، فان الوجه مرآة القلب في سروره و مسرته ، و فيهما توصيف و بيان حال لهم .

٣٩- (ضاحكة مستبشرة)

وصفان آخران لهؤلاء المؤمنين الصالحين يوم القيامة ، فهم يستبشرون بأنواع المسرة ويضحكون بدل ما كانوا يبكون في الدنيا خوفاً من عقاب الله تعالى

٤٠- (ووجوه يومئذ عليها غبرة)

إشارة إلى أحوال فريق آخرين ، يوم القيامة وهم الكفرة الفجرة وهم يعرفون يومئذ بسيماهم لما يظهر من وجوههم من الوسخ والاسوداد والهم والغم والذل والهوان والقتر والكدورة من شدة البلاء والهول الذي يصيبهم في الآخرة والوصف قوي من شأنه إثارة الفزع والرعب في هؤلاء الاشقياء المعاندين ، و حملهم على الارعواء و تلافي المعاقبة الوخيمة الرهيبة وهم في متسع من الوقت

٤١- (ترهقها قترة)

وصف آخر لوجوه الكفرة الفجرة الكدرة المحاطة بالسواد والظلمة ، و في ذكر الوجوه خاصة دون ذكر أصحابها لما في الوجوه من قدرة التعبير عما في الصدور من مشاعر وعواطف حيث يتطبع عليها كل ما يقع على الانسان مما يسوء أو يسر ، ومما يضحك أو يبكي

والغرض من الآية الكريمة وما قبلها بيان لشدة ما يلحق بوجوه الكفار الفجار من إسوداد و سواد وسوء حالهم يوم القيامة إنذاراً لهم بذلك ليرعوا عما هم فيه من الكفر والفجور ومن التحزب والضلال

٤٢- (أولئك هم الكفرة الفجرة)

إشارة إلى أصحاب تلك الوجوه الحيتة المسكدرة المظلمة المسودة مع الاشعار باستحقاقهم ذلك بسبب الكفر والفجور ، ومعنى البعد في الاشارة و ضمير

العمل ابتداء بعد ما حتم في سوء الحال وفصلهم عن دائرة الانسانية والكمال الانساني

وقد عرّف الله جل وعلا الطائفة الثانية - وهم أهل الشقاء - ولم يعرّف الطائفة الاولى - وهم أهل السعادة - لان الكلام مسوق للابتداء على أهل الشقاء وللاعتناء بشأن الابتداء ولم يعطف الفجرة على الكفرة تنبيهاً إلى أنهم جمعوا بين الكفر والفجور

﴿الاعجاز﴾

واعلم ان من عجائب النظم القرآني وضع كل كلمة من كلماته بموضعها الذي هي له بحيث لو قدمت أو أخرت لذهب شيء كثير مما كان لها في إقامة المعنى على الوجه الذي أحرزه القرآن الكريم عليه من الكمال والدقة والروعة

وفي كلام معاشر الأدباء - يقع النظم على صور وأشكال وتراكيب شتى في المعنى الواحد، من غير أن يلحظ بين صور النظم تفاوت كبير مع بدل الكلمات وتغير أوضاعها وذلك لان الكلام الذي يتعامل به الناس هو مجرد أدوات للتفاهم ونقل الخواطر والافكار وتصويرها في أية صورة ملائمة لها تعين على نقلها إلى عقول الناس .

وذلك أشبه شيء بأدوات النقل التي تحمل رسائلهم وتحملهم هم من مكان إلى مكان فالطائرة، والقطار، والباخرة، والحيوان، والمشي .. كلها وسائل لا يتأثر كثيراً بها الشيء المحمول له ما دامت قادرة على حمله والوصول به سليماً إلى غايته . ولكن الشأن غير هذا مع كلام الله جل وعلا

كل كلمة لها وجودها الذاتي وهي قادرة بهذه الحيوية التي فيها على أن تصل إلى الغاية التي تتجه إليها ما دامت في صورتها التي نظمت بها مع كلمات الله عز وجل فاذا بدل وضعها أو زايلت مكانها أحس النظم كله بفقدها وشعر بحاجته إليها دون غيرها حتى ينتظم أمره ويعود إليه سلامته التي كان

عليها .

و انما الجمل القرآنية و كلماتها و آيها و سورها أشبه شيء بالانسان و أجزائه .. و كل كلمة ، و كل حرف عضو في هذا الجسد ... يؤدي وظيفته حينما يكون في موضعه .. فاذا اخذ موضعاً غير موضعه أو ترك هذا الوضع - فانظر أي حال يكون عليه ذلك الجسد ؟ .

ان النظم القرآني هو بهذا التدبير الذي صنعه العليم الخبير ، فما وضعت كلمة أو حرف فيه إلا بحكمة وحساب وتقدير ، وان هذا الكتاب السماوي كله شاهد لهذا

و منها ما جاء في هذه السورة الكريمة ، فاستمع إلى قوله تعالى في عرض مشهد من مشاهد يوم القيامة ، وما يكون الناس عليه من فزع و كرب ، و هول وفزع ..!

« يوم يفر المرء من أخيه وامه و أبيه و صاحبته و بنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » عبس : ٣٤ - ٣٧)

أجل! إنما المرء يفر من كل هؤلاء الذين كانوا هم في الحياة الدنيا ملاذه وأعوانه ، مأمنه وأنصاره ... طالباً النجاة لنفسه من هذا الهول ... من هذا الفزع ومن هذه الروعة التي لا تدع فرصة لاحد أن ينظر إلى غير نفسه : « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » فكل كافر عاص ... وكل فاجر ... وكل فاسق ضال في هذا اليوم همه الذي يشغله ، و يستغرق كل ذرة في كيانه ... فلا يبقى عنده فضل لغيره ، ولو كان أحب الناس إليه وآثرهم عندهم

وهذه هي صورة تطلع عليك منها أشتات من صور الهول والفزع ، والكرب والهلع التي تشهد الناس يوم القيامة ، حيث ترى الانسانية كلها ، و قد تدافعت مناكبها ، وانقطعت علائق المودة والقرابة بينها ، فلا أحد ينظر إلى أحد ولا تعطفه عليه عاطفة إلا أن تكون بينهما علقة الايمان والتقوى وصالح الاعمال . « فلا

أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون » المؤمنون - ١٠١) « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه» عبس ٣٧) و « الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين» لزخرف ٦٧) فأنت ترى ان هذا الانسان الطاغى الكافر ، والداعى الفاجر ، والعاصى الجاحد يدور فى مجال نفسه يبحث عن طريق الخلاص من هذا البلاء المطبق الذى يأخذ بالنواصى والاقدام فى هذا اليوم العظيم

فهناك يفر هذا الانسان من كل من كانت تعطف عليه عاطفة ، بل و كل من كان يقطع له قطعة من نفسه . من ولد و والد وزوج وأهل . ! ! !

ومن الاعجاز النفسى للقرآن الكريم فى هذه الآيات الشريفة انه غاص فى أعماق النفس الانسانية ، و رتب مشاعرها على مر ن دقيق محكم ، فجاء هذا الترتيب لموقف الانسان ممن يفر منهم فى رحمة هذا البلاء حسب درجة شعوره بهم و ورثه لكل منهم انه يفر أولاً من الناس جميعاً حمله واحدة لاينظر إلى أحد ثم هو بعد نفسه مع أشخاص قد إرتبط بهم إرتباط الجسد بأعضائه هم أهله الذى هو فرع من شجرة جمعتهم وإياه أخوه و امه و أبوه وزوجه وبنوه !

ثم هو من جهة أخرى محمول بالاكراه . تحت قوة الموقف - أن يفر منهم جميعاً مع أن رحمة الاحداث ، وشدة البلاء لاتدع له فرصة للاختيار إلا أنه فى لحظة خاطفة من أجزاء الزمن أشبه بالدرات - يفر منهم على صورة تأخذ هذا الترتيب التصاعدى : القريب فالاقرب ، فمن هو أشد قرباً . فيفر أولاً من أخيه ، ثم من امه وأبيه ثم من زوجته ثم يكون آخر من ينفصل عنه أسرته الذين هم بضعة منه ، والدين لايبقى بعدهم من ينفصل منه إلا أجزاء جسمه هو ! !

وليس هناك كما ذكرنا - زمن يقع فيه هذا الفرار على آيات متتابعة ، و إنما هى وحدة شعورية بالفرار ، إنقسمت فى داخلها كما تنقسم الذرة

و نلاحظ ان الزوجة ، لم تأخذ مكانها من هذا الترتيب ، ولم تفصل الأبوين

إلاّ وهي روحة ذات صفات خاصة ، وهي انها صاحبه وروح معاً ، والروحتين تكون بهذه الصفة هي أقرب مخلوق إلى نفس الانسان وآثره بعد الأنبياء !

هذه هي حركة النفس المدسوسة الفاجرة ، و تلك معطيات شعورها في حال الفرار من الخطر والتماس سبل النجاة .. فاذا كان الانسان الفاجر واقعاً ليد الخطر فعلا ، وقد أحاط به من كل جانب ، و علقت به النار من رأسه إلى أخمص قدمه ـ فما الحركة الشعورية للنفس في دفع هذا الخطر و إصداء تلك النار المشتعلة فيه ؟

يجيب القرآن عن هذا في قوله تعالى « يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه و صاحبته و أخيه و فصيلته التي تؤويه و من في الارض جميعاً ثم ينجيه كلاانها لظى » المعارج : ١١ـ ١٥)

ان الحركة الشعورية لهذا الانسان هنا تأخذ إتجاهاً عكس الاتجاه الاول الذي أخذته في موقف الفرار ، ففي موقف الفرار ، هناك شيء من السعة ، يتيح للانسان أن يتحرك فيه نحو الجهة التي يتوهم أن له سبيلا إليها وإن لم يكن ثمة سبيل أما في موقفه وقد أحاط به البلاء ، واشتملت عليه النار ، فانه ليس ثمة إلاّ أن يمد يده إلى أقرب شيء يمكن أن يصل إليه ، ليقيم منه سداً على جسده الذي تأكله النار ، و قد يكون هذا الشيء بعض أعضاء جسده هو كبده التي يدفع بها النار عن وجهه مثلا !!

وأقرب شيء إلى الانسان بعض أعضائه هم بنوه ، ثم صاحبته (زوجه) ثم اسرته من أعمام وأبناء أعمام ، ثم أهل الارض جميعاً كل هؤلاء يتمنى منهم دروعاً واقية له ، يرى بهم في وجه البلاء واحداً بعد واحد ، ولكن هيهات أن ينجو من أي واحد من هذا البلاء انه مجرد أماني يراوده لو أمكنته الفرصة من تحقيقه ولكن ليس إلى ذلك من سبيل .. !

فهذا وجه من وجوه الاعجاز القرآني الذي يستولي سلطانه على حقائق

الاشياء وينفذ إلى أعماقها وخفاياها ، فاذا هي في وجه صبح مشرق مبين !!

وعد إلى الآيات الكريمة وانظر فيها نظراً مجدداً كل آية على حدة تجد عجائب وأسراراً تطلع عليك من كل حرف ومن كل كلمة . ! « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه » .

فهذا مشهد ترى الانسان فيه ، وقد أخذ يلقي بكل ما في يديه من علائق المودة والقربى ويقطع حبالها حبلاً حبلاً . وهو في هذا إنما يقطع أوصاله وينفصل عن بعض أعضائه .

وان الانسان الطاغي في مثل هذا الموقف الذي يستدعي تضحية منه بما هو عزيز عليه يبدأ بها بدءاً تصاعدياً ، وينزل عن أقلها درجة عنده ثم التي فوقها وهكذا يتخلى عنها واحدة واحدة العزيز فالأعز . حتى لا يبقى معه شيء يمكنه أن يتخلى عنه لينجو بنفسه فهو يفر أولاً من الناس جميعاً ، ولم يذكر القرآن الكريم هذا ولم يشر إليه . لأن ذلك هو الواقع الذي لا يحتاج إلى بيان في هذا اليوم الذي لا يلتفت فيه إنسان إلى إنسان

أما هؤلاء الأقارب الذين يخيل إلى المرء انه لا ينفصل عنهم أبداً لانهم بعض نفسه فانه في هذا اليوم سيرمي بهم من خالق غير مبق مع أحد منهم . « يفر من أخيه ثم امه وأبيه ثم صاحبته وبنيه »

ان هؤلاء جميعاً وإن كانوا بعض نفسه ، فانهم على درجات عنده كما أن أعضاء جسده درجات عنده أيضاً ، فليست الاصبع كالعين مثلا ولا القدم كاللسان ! فهو يضحي بأعضاء أسرته على هذا التقدير ، انه يبدأ بالأخ وهو عزيز على النفس ولكنه دون الاب والام

ثم يحمله الامر أن يضحي مرة اخرى ، فيضحي بالام والأب وهما عزيزان على نفسه كذلك ولكنهما دون الزوج والابن للذين لا يزال في النفس أمل في النجاة بهما أو على الاقل في ألا يوردا موارد الجحيم بيده هو الذي من شأنه أن يقذفهما

نفسه ، ولكن لا زال الأمر محتاجاً إلى تصحيب ، فيمحى بالروح ثم بالأمين وهو آخر ما يملكه المرء دون نفسه ، و أعز شيء يحرص عليه بعد دينه ! .

أرأيت إذن إلى هذا النظم ، و إلى سر هذا الترتيب في مواقع الكلمات ؟ ثم أرأيت كيف قدم الأم للتصحيب بها على الأب لأن الرجل عادة يؤثر أمه على أمه بخلاف المرأة ، فإنها تؤثر عادة أمها على أبيها والخطاب هنا للرجل ، والزوجة عند الرجل أقرب إلى نفسه من أبيه و أمه ... وليس ذلك الشأن في كل زوجة ولكنها الزوجة الموفقة التي تعرف قدر زوجها وليدالم يحصها القرآن للكريم مجرد زوجة بل سماها صاحبة ، أي هي روح وصديق معاً ، و بهذا نزلت تلك المنزلة من نفس الرجل

ولا يخفى عليك نحن نسطر - بعد هذا في الآيات الأخرى إذ قال جل وعلا « يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ بنيه و صاحبته و أخيه و فصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه كلا إنها لظى نزاعة للشوى » المعارج. ١١ - ١٦)

وقد جاء ترتيب هؤلاء الأقربين على عكس ما وقع في الآيات السابقة أي أنهم ذكروا في هذه الآيات مرتباً منازلهم الأقرب فالأقرب فمن دون ذلك ، فهو هنا يضحى أقرب ما يضحى بأعز الناس عنده ، و أمكنهم مكانة من قلبه أساساً أولاً ثم صاحبته ، هي في المرتبة الثانية بعد الأبناء ثم بأخيه ، وهو بعد زوجه ثم فصيلته أهل والأقربون الذي يأوي إليهم و يستظل بهم ثم الناس جميعاً ، و كل شيء تمتد إليه يده أو تقع عليه عينه !

فما سر هذا ؟ و كيف تقلب طبيعة الإنسان هذا من المحض إلى النقيض ؟ و كيف لنا أن نعرف أن يوم القيامة هو أول ما يتحلل عن قلدات أكباده ولا ينقيهم أولا ممن هم دونهم منزلة وأبعدهم منه قرابة ؟ إن وراء هذا التدبير سراً لا ريب فيه ، ولكن ليس فيه انقلاب في الطبيعة الإنسانية وما حدث أو يحدث في هذا المشهد الرهيب

هو واقع مع الطبيعة الانسانية، ومع ما تقضي به الفطرة في مثل هذه المواقف المزلزلة المفزعة . فهذا إنسان أحاطت به خطيئته ، فكان مصيره إلى عذاب السعير، وها هو ذا يساق سوقاً إلى هذا العذاب تدعه زبانية جهنم دعّاً إليها، فأي شيء يدفع هذا العذاب و يتقيه ؟ .

ان أول ما يتقي به الانسان الأذى الواقع من لفحة نار أو صدمة يد مثلا هو يده يدفع بها شراً عن وجهه أو عينيه ! وهو في مواجهة هذا العذاب الرهيب الشديد يعدّى بعض جوارحه ببعض ، فهو يدفع لهيب جهنم - إن كان ذلك ممكناً - بكفتي يديه عن وجهه الذي هو أعز عليه من يديه !

ان جهنم تمد إليه يدها لتخطفه و تجويه في كبدها وهو يتراجع إلى الوراء في حركة داخلية تتصل بها شعوره ، وتكمش بها ذاته دون أن يجد مجالاً ليتراجع بقدميه إلى الوراء قيد أنمله ! . وهو يمد إلى جهنم يداً واهية لا تصمد على لفحة من لفحاتها ! ثم هو يمد بصره إلى من كانوا بعض أعضائه، يتناول أقرب شيء إليه يتقي له العذاب نفسه و صاحبته وأخيه و فصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعاً

فالموقفان مختلفان متباينان

فهناك في الحالة الأولى حركة فرار فرار من خطر داهم

وفي مثل هذه الحال يريد المرء أن يأخذ معه كل متعلق و ما جمع فإذا لم تكن الفرصة مواتية تحفّف ، ثم تحفّف ، وهو في كل مرة يترك عزيزاً ليأخذ معه الأعز حتى لقد يصل به الأمر إلى أن يخرج عرياناً ، ليس معه إلا نفسه ! هذا هو موقف الناس يوم القيامة في مواجهة الساعة و زلزلتها ، وفزعها وهولها إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم من فزع يومئذ آمنون

فيوم القيامة تفزع فيه النفس المدسوسة الفاجرة إلى الفرار من هذا الهول وفي مواقف الفرار لا يلقي المرء من يده أول ما يلقي إلا ما يشتد حرصه

عليه ، ثم ما أشد حرصه عليه ثم ما كان أشد شيء حرصاً عليه . وهكذا أما حين تتجدد مواقف الناس ، ويساق المجرمون إلى جهنم ، فقد وقعت الواقعة ولا سبيل إلى الفرار .

وفي مواجهة هذا الهول يواجه الإنسان - المجرم - بأقوى صارخ في كيانه ، وبأعز مدخر عنده كان يدخره ليومه الأسود . رجل مفلس يريد أن يفلت من قبضة غريمه ، وقد أمسك برقبته وكتم أنفاسه ، وكادت ترهق روحه ! إنه يقدم لهذا الغريم ما يظنه منقذاً له من بين يديه . وما يحسبه عدلاً لرقبته التي علق بها الدين . إنهم أبناؤه . فهم الكفلاء عن أبيهم ، وأولى الناس أن يتعلق بهم غريمة من بعده .

ولا تتراخى قبضة الغريم عنه بما قدم من فداء بل تزداد شدة ويزداد هو بلاء وضيقاً واختناقاً . فيدفع مع أبنائه من يخدمن أهل وأقارب لينشدوا ظهرهم في الكفالة عنه . ومع هذا فقبضة الغريم تأخذ بخلاقيمه وتكظم أنفاسه . فيدعو الناس جميعاً . ويهيب بمن في الأرض كلهم أن يعينوه .

وهيهات هيهات !

إن النار قد علقت به ، فهو يعالجها بيديه وبكل ذاته أولاً ، ثم يدعو لها بنيه . ثم زوجه ثم من كان في حيرته من إخوة وعشيرة . ثم يستصرخ لها الناس جميعاً . من أي وجه كانوا ليفلت من هذا العذاب « كلا إنها لظى نزاعة للشوى »

﴿التكرار﴾

ونحن نشير في المقام إلى سبع عشرين لفة ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ التي جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية

١ جاءت كلمة (العمى) على صيغها في القرآن الكريم نحو ثلاث مرات

١ـ سورة عبس : ١) ٢ـ سورة المدثر: ٢٢) ٣ـ سورة الاسراء : ١٠)

٢ـ « « (العمى) « « « : ٣٣ مرة

٣ـ « « (الصدى) « « « : مرتين

إحداهما ـ سورة عبس : ٦) ثانيهما ـ سورة الانفال ٣٥)

٤ـ « « (الخشية) « « « : ٤٨ مرة

٥ـ « « (الذكر) « « « : ٢٩٢ مرة

٦ـ « « (النطفة) « « « : ١٢ مرة .

٧ « « (الطعام) « « « : ٤٨ مرة

٨ « « (الصّ) « « « : خمس مرات

١ـ سورة الفجر ١٣) ٢ـ سورة عبس ٢٥) ٣ـ سورة الدخان : ٤٨) ٥ـ سورة الحج ١٩)

٩ـ « « (التمر) « « « ٢٦ مرة

١٠ « « (العنب) « « « ١١ مرة

١١- « « (القصب) « « « مرة واحدة

وهي في سورة عبس : ٢٨)

١٢- « « (النخل) « « « ٢٠ مرة .

١٣- « « (الحدائق) « « « : ثلاث مرات

١- سوره عبس ٣٠) ٢- سورة النباء ٣٢) ٣- سورة النمل . ٦)

١٤- « « (الفاكهة) « « « : ١٩ مرة .

١٥- « « (الأبّ) « « « مرة واحدة

وهي في سورة عبس ٣١)

١٦- « « (المتاع) « « « ٧٠ مرة

١٧- « « (الصاخه) « « « مرة واحدة

وهي في سورة عبس ٣٣)

١٨- « « (الفرّ) « « « ١١ مرة

١٩- « « (المرء) « « « ٣٨ مرة

٢٠- « « (الغر) « « « ثمان مرات

١- سورة عبس : ٣٠) ٢- سورة الصافات : ١٣٥) ٣و٤- سورة العنكبوت ٣٢ و ٣٣) ٥- سوره النمل : ٥٧) ٦- سورة الشعراء ١٧١) ٧- سورة الحجر ٦٠)٨ - سورة الاعراف : ٨٣)

﴿التناسب﴾

واعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث

احدها التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها التناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً

ثالثها التناسب بين آيات هذه السورة نفسها

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة «النجم» فالتدبر في عرضهما واستهدا فهما يلهمنا على مابينهما من التناسب، فتأمل جيداً واغتنم جداً

وأما الثانية : فان المناسبة بينهما قامور :

احدها ان الله تعالى لما ختم سورة «النازعات» بذكر مهمة الرسالة المحمدية ﷺ في قوله عزوجل « إنما أنت منذر من يخشيها » . ٤٥) من كونه ﷺ منذراً لمن يخشى القيمة وأهوالها وفي ذلك إشارة إلى المقام الذي كان رسول الله ﷺ يأخذه من قومه الذين لجّ بهم الضلال والعناد وجعلوا همهم لمماحكة والمجادلة ، وإلقاء النبي الكريم ﷺ بالأسئلة التي لامحصل لها ولا ثمرة منها . انهم لم يؤمنوا بوقوع يوم القيمة ، يسئلونه عن موعد شئ لا يؤمنون به ولايصدقون بوجوده ، إنه هو ضلال من ضلالهم

أخذ الله عزوجل في سورة «عبس» يذكر من يخشى القيمة ويسمه الذكرى، مع الاشارة إلى الموقف الذي كان بين رسول الله الاعظم ﷺ وبين جماعة من المعاندين الضالين الذين كان النبي ﷺ يرجو إسلامهم و هدايتهم ، فصرف

إليهم وجهه فصرف الله جل وعلا وجهه عنهم بأن هؤلاء الضالين المعاندين لا يخشون الله تعالى ولا يؤمنون باليوم الآخر ولن يؤمنوا أبداً مهما طال وقوفك معهم

ثانيها ـ أن الله عزوجل لما أشار في السورة السابقة إلى ما في قلوب الكفرة الفجرة المكذبين بالبعث من الخوف والرهبة والقلق والاضطراب وما في أبصارهم من الذلة، أشار في هذه السورة إلى ما يعلو وجوههم من غبار الذل والكرب، وسواد الغم والحزن وظلمة الكفر والفجور.

ثالثها ـ أن الله تعالى لما أشار في السورة السابقة إلى أهوال يوم القيامة وأقام الأدلة الآفاقية على وقوعها بقوله «يوم ترجف الراجفة ـ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ـ يوم تتذكر الانسان ما سعى» (٦ـ٣٥) أشار في هذه السورة إلى أحوال المكذبين بها، وأقام الأدلة الأنفسية على وقوعها بقوله عزوجل «من أي شيء خلقه ـ يوم يفر المرء من أخيه ـ وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه» (عبس ١٨ـ ٣٤) مع أن في هاتين السورتين تفصيلاً لما أجمل في الأخرى فتأمل واغتنم

وأما الثالثة - فان الله تعالى لما حكى العبوس والتولي عند مجيء الأعمى وعاتب عليه بقوله «عبس وتولى ـ أن جاءه الأعمى» (عبس ١ـ٢)

أشار إلى تفصيل القول في ملاك ما ذكر من العبوس والتولي والعتاب عليه بقوله: «أما من استغنى ـ فأنت له تصدى» (٨٠ـ٥ـ ١٠)

ثم أخذ بالردع عما عوتب عليه مع التلويح إلى أن الإكراه في الدعوة إلى التذكر، فلا نفع فيها يعود إلى الداعي، وإنما المنتفع بها هو المتذكر، فله الخير فيها مع وصف ما يتذكر به الانسان، ووصف ملائكة الوحي بقوله «كلا إنها تذكرة ـ فمن شاء ذكره» (عبس ١١ ـ ١٦) فالهداية التي يسوقها الله جل وعلا إلى الانسان على ألسنة رسله ليست من الأمور التي يحتال لتقريرها في العبوس وتثبيتها في القلوب، وإنما هي تذكرة يقصد بها تنبيه العقل إلى ما حمل الحق عليه من

معرفة توحيده، فمن أعرض عن ذلك، فإنه معاند يقاوم ما يدعوه إليه حسّه، وتنازعه إليه نفسه.

ثم أخذ بالدعاء على من لم يتذكر مع ما أنعم الله تعالى عليه من النعم إجمالاً والتعجيب من مبالغته في الكفر، والإشارة إلى أمره حدوثاً وبقاء ومآلاً بقوله تعالى «قتل الإنسان ـ كلا لما يقض ما أمره» : ١٧ـ٢٣)

ثم فرّع على ما تقدّم تفرّع التفصيل على الإجمال، فوجّه نظر الإنسان إلى طعامه الذي يقتات به، ويستمد منه في حياته وهو واحد مما لا يحصى مما هيّأه التدبير الربوبي لرفع حوائجه في الحياة الدنيا حتى يتأمله، فيشاهد سعة التدبير التي تدهش لبّه وتحيّر عقله وتعلق العناية الإلهية ـ على دقتها وإحاطتها ـ بصلاح حاله وإستقامة أمره من قوله جل وعلا «فلينظر الإنسان إلى طعامه ـ متاعاً لكم ولأنعامكم» ٢٤ ـ ٣٢)

وفي الآيات الكريمة إشارة إلى ثمانية أنواع من النبات، وفيها بيان دلائل آفاقية بعد ذكر دلائل أنفسية للتوحيد.

فلما فرغ من دلائل أنفسية أخذ بذكر دلائل آفاقية، ولما ذكر تعالى خلق إبن آدم أشار إلى رزقه المعتبر.

ولما ذكر أمر المعاش أخذ بذكر أمر المعاد ليتزود الإنسان لنفسه بالإيمان وصالح الأعمال بقوله تعالى «فإذا جاءت الصاخة ـ يومئذ شأن يغنيه» ٣٣ـ٣٧)

ولما انقسم الناس سابقاً إلى فريقين فريق أهل السعادة والكمال والهداية، هم يسترشدون ويستهدون وفريق أهل الشقاء والانحطاط والضلالة هم يستكبرون ويفجرون مع ما أحاطتهم من نعمة الله تعالى في الحياة الدنيا، أخذ بذكر أحوالهم يوم القيامة، وأن كل واحد من الفريقين يعرفون يومئذ بسيماهم بقوله «وجوه يومئذ مسفرة ـ أولئك في الكفرة الفجرة» : ٣٨ـ ٤٢)

فالأولون بإسفار الوجوه وإشراقها وإستبشارها، والآخرون بانكدار الوجوه وغمها وسوادها وظلمتها.

﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

قيل إن قوله تعالى: « فمن شاء ذكره » (عبس ١٢) منسوخ بقول جل وعلا « إلا أن يشاء الله » (الانسان ٣٠)

أقول: ان الآية الأولى بصدد بيان نفي الاكراه في الدين عقيدة وإخلاصاً بعد وضوح الحق، وبقول جل وعلا « ثم السبيل يسّره » (عبس ٢٠) بأن الله تعالى إنما خلق العباد ليمتحنهم ويختبرهم واطاعته على معصيته، ورضاه على سخطه ومن ثم أقدرهم على كلا الأمرين، ويسّر لهم طرق الامتثال لتكون إطاعتهم عن إختيار وعبادتهم عن رغبة وإرادة، وهكذا كانت منحة الاختيار لحكمة التكليف والاختبار إلا أن من العباد من يستعمل هذه المنحة الالهية في أغراض مخالفة، فيستعمل من قدرته وقواه، في اتجاه معاكس لقصد الله تعالى

« وأما آية الانسان فمقصد الاخبار عن عدم إيمانهم، وهذا لا يصلح نسخاً، والمعنى انكم باختياركم لا تؤمنون ألبتة إذا أكرهناكم على الايمان جبراً، الأمر الذي ينافي الاختيار في الايمان.

« وقد رأى بعض المفسرين قوله تعالى « وأبّا » (عبس ٣١) من المتشابهات تقليداً عن عمر بن الخطاب، حيث سئل عن معنى الكلمة، ولم يعلم معناها

وقال « ان الأولى بنا أن ندعها جميعها وأن نجعل هذه الكلمات من كتاب الله من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله »

أقول: ان جهل عمر بن الخطاب وأمثاله ليس سبباً لكون الآيات القرآنية

أو كلماته متشابهة،وقد كان هو جاهلاً بكثير من معاني الآيات الكريمة،والمعارف الاسلامية والاحكام الدينية . وليست هذه الكلمة أول ما كان عمر بن الخطاب جاهلاً بمعناها ، وقد اورد بعض جهالاته في خلال البحث المناسب في هذا التفسير ، فراجع إلى باب جهالات الخلفاء . .

ومن الاعجب إتباع جماعة من الناس من هؤلاء الجهلة السفلة ، و تركهم أهل بيت الوحي والراسخين في العلم ومن عنده علم الكتاب عليهم السلام

قال الله تعالى « يوم ندعوا كل اناس بامامهم　فمن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » الاسراء : ٧١ ـ ٧٢)

﴿ تحقيق في الأقوال ﴾

١ـ (عبس وتولى)

في الآية الكريمة أقوال ١ـ عن إبن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك و إبن زيد: أي عبس رسول الله ﷺ وأعرض بوجهه عن عبدالله بن ام مكتوم

وذلك بينما كان رسول الله ﷺ يدعو صناديد قريش وهم: عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وأبو جهل بن هشام والعباس عبد المطلب، وأمية بن خلف وأخوه أبي والوليد بن المغيرة، جاءاً أن يسلموا، وكان ﷺ يذكّرهم بأيام الله تعالى ويحذّرهم بطشه وجبروته ويعدهم أحسن المثوبة إن أسلموا، إذ كان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم فإن بيدهم مقادة العرب، وحينئذ جاء عبد الله بن ام مكتوم، وهو يقول: يا رسول الله إقرأني، وعلّمني مما علّمك الله، فجعل يناديه ويكرر النداء، ولا يدري أن النبي الكريم ﷺ مشتغل مقبل على غيره طمعاً منه ﷺ بإسلامهم وإسلام الكثير من قومهم تبعاً لهم، فثقل ذلك على رسول الله ﷺ حتى ظهرت الكراهة في وجهه ﷺ لقطعه كلامه معهم

وقال ﷺ في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد: إنما أتباعه العميان والعبيد، فأعرض عنه وأقبل على القوم الذين كان يكلمهم، لأنه رأى أن ابن ام مكتوم إن لم يتعلم الآن يتعلم في وقت آخر، إذ كان في كل وقت أو أكثره في خدمة الرسول ﷺ، هؤلاء العتاة إذا خرجوا من عند الرسول ﷺ ولم يسلموا فقد أفلتوا، وليس باستطاعة الرسول الاجتماع بهم ثانية، وهذه فرصة سانحة يجب

انتهارها . ولما رأى من ابن ام مكتوم إصراره على تعليمه قطّب في وجهه طلباً للأهم في نظره وهو إسلام هؤلاء العتاة وصناديد قريش حتى نزلت الاية الكريمة و تاليها . . .

فكان نظر النبي الكريم ﷺ على أمر كلي وهو رجاء إسلام قريش ، وانه في الظاهر أهم من إجابة رجل أعمى عجول على الفور ، إلاّ أن الله جل وعلا عدّ هذا الجزئي كلياً من جهة اخرى وهي تطييب قلوب الفقراء والضعفاء ، و إهمال جانب الغنى والثراء فان هذا أدخل في الاخلاص وابتغاء رضوان الله جل وعلا ، وذلك مظنة التهمة والرياء ، مع أن فائدة الارشاد والتعليم بالنسبة إلى هذا الاعمى أمر معلوم ، لانه جاء طالباً مسترشداً ، وأما بالنسبة إلى هؤلاء العتاة فغير معلوم لانهم جاؤا مستهزئين معاندين وإلى هذا أشار تعالى بقوله : « وما يدريك لعله يزكى . . . »

وأما العبوس ـ وهو تقلص عضلات الوجه أو الناصية والحاجبين عند ألم أو حزن أو غضب ـ في وجه الاعمى فلا يكون هنا ذنباً لان العبوس والانبساط مع الاعمى سواء لانه لا يحس بهما فلا يشق عليه ذلك ، فلا يكون ذنباً ، ولكن جاء الكلام بهذا السياق ليأخذ الله عز وجل نبيه ﷺ بأوفر محاسن الاخلاق وينبهه بذلك على عظم حال المؤمن المسترشد ، وليعرّفه ان تأليف المؤمن ليقيم على ايمانه أولى من تأليف زعماء الشرك طمعاً في ايمانهم و انه لا داعي منك إلى هذا الرجاء الأكيد والاصرار الشديد على إسلامهم ، فقد وافتهم الحجة البالغة ، و إن عليك إلاّ البلاغ ، وما عليك من حسابهم من شيء ، وما أنت عليهم بحفيظ فاذا أعرضوا فلا عن تقصير منك ، وإن دخلوا فيما دعوتهم إليه فبحرم أخذوا فدعهم وشأنهم ، و احتفظ بمن معك من المؤمنين

ولا يخفى ان ما فعله إبن ام مكتوم كان نوعاً من سوء الأدب وجفاء منه فحسن تأديبه بالاعراض فكان فيه نوعاً من المصلحة و قيل إنما قصد النبي

ﷺ تأليف الرجل ثقة بما كان في قلب إبن أم مكتوم من الإيمان كما قال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه مخافة أن يكبه الله في النار على وجهه» ومع هذا أنزل الله تعالى في حقه على نبيه ﷺ «عبس وتولى» بلفظ الإخبار عن الغائب تعظيماً له ﷺ ولم يقل: عبست وتوليت.

فليست في الآية الكريمة شائبة عتاب أو لوم على النبي الكريم ﷺ على ما زعم بعض المفسرين، بل فيها توبيخ وإحتقار لزعماء المشركين الذين كانوا عند النبي المعصوم ﷺ وتقول له:

أعرض عن هؤلاء الطغاة السفلة والكفار الفجرة، وأغلظ لهم، إنهم أحقر من أن ينصر الله بهم دينه الحق، وأقبل على هذا الأعمى الطيب المؤمن، ولا خوف على الإسلام فإن الله تعالى سيظهره على الدين كله، ويذل أعدائه مهما بلغوا من الجاه والمال. وفي إعلان النبي الكريم ﷺ ذلك يتجلى الصدق النبوي العميق الذي يملك النفس والقلب ويملأهما بالأعظام والإجلال. وعن إبن زيد: لو أن رسول الله ﷺ كتم عن الوحي شيئاً لكتم هذا عن نفسه.

٢ ـ قيل: ليس في الآية الكريمة دلالة على توجهها إلى النبي المعصوم ﷺ بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه، وفيها ما يدل على أن المعني بها غيره لأن العبور ليس من صفات النبي ﷺ مع الأعداء المتأبين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين المستهدين.

٣ ـ قيل: كان رجل من بني أمية عند النبي الكريم ﷺ فجاء إبن أم مكتوم، فلما رآه تقدر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض عنه بوجهه عنه، فحكى الله تعالى ذلك وأنكره عليه.

٤ ـ قيل: أي عبس عثمان بن عفان وبسر من ضيق الصدر، وأعرض عن إبن أم مكتوم وذلك أن إبن أم مكتوم كان مؤذناً لرسول الله ﷺ بعد بلال، وكان أعمى، فجاء إلى رسول الله ﷺ وعنده أصحابه وعثمان عنده، فقدم رسول الله

ﷺ لاعمى على عثمان ، فعس عثمان في وجهه وتولى عنه سخطاً على عمله و فقره وردا على حكم الله تعالى ورسوله ﷺ

أقول : و على الاول جمهور المفسرين .

٣ (وما يدريك لعله يزكى) .

في ضمير الخطاب «يدريك» قولان . أحدهما ـ قيل ـ خطاب للنبي الكريم ﷺ والمعنى أي شيء يعرفك يامحمد ﷺ حال هذا الاعمى ؟ ثانيهما ـ خطاب لعثمان بن عفان لانه كان عبوساً في مجلس النبي ﷺ إذ جاءه عبدالله بن ام مكتوم و لمعنى مايدريك ايها الاعمى القلب العبوس لعل هذا الاعمى العين تزكى أكثر مما تزكى بما يستفرئه و يستعلمه النبي الكريم ﷺ .

أقول : و على الاول جمهور المفسرين .

و في ضمير « لعله » قولان أيضاً أحدهما ـ قيل راجع إلى عبدالله بن ام مكتوم

ثانيهما ـ قيل راجع إلى الكافر و المعنى أي شيء إدراكك بحال كل من هؤلاء الكفرة العتاة حتى طمعت في تطهرهم من الاوزار و إنتفاعهم بالاذكار

أقول . و على الاول جمهور المفسرين

٥-٦ (أما من استغنى فانت له تصدى) .

في الاستغناء أقوال : ١ ـ قيل أي إستغنى بالمال و الثروة والمستغنى هو العباس فان الاية نزلت فيه قاله سفيان ، عن مجاهد نها نزلت في عتبة بن ربيعه و شيبه بن ربيعه ٢ عن عطاء أي استغنى عن الايمان ٣ ـ عن الكلبي أي استغنى عن الله تعالى

أقول ولكن وجه ، لكن الاوجه هو الاول لانهم كانوا أغنياء ، وماتوجه الخطاب إلا من هذه الجهة ، و ان كان اسلامهم موهوماً . و أما الاخير فظاهر

الاطلاق هو التعميم فتأمل جيداً .

٧ـ (وما عليك ان لايزكى) .

في «ما» أقوال . ١ ـ قيل نافية ، و المعنى : وليس عليك أيها الرسول ﷺ بأس في أن لاتزكي ذلك المستفتي المستكبر حتى يمنعك الطمع في إسلامه إلى الاعراض عمن أسلم واسترشدمنك ٢ـ قيل انها إستفهامية إنكارية، والمعنى و أي شيء ألزمك بذلك ، و إن لم يتطهر من الكفر و الفجور ، و أي و بال يعود عليك إن لم يؤمن بالله تعالى و رسوله ﷺ و ماجاءه به و انما أنت رسول ، وما على الرسول إلا البلاغ . ٣ ـ قيل أي ولاتدل بعدم تطهره من دنس الكفر و رجس الفجور

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين

٩ـ (و هو يخشى) .

في خشيه هذا الاعمى أقوال ١ ـ قيل أي هو يخشى لله تعالى و يخافه ٢ـ قيل أي هو يخاف الكفر وأذاهم في إتيانه ٣ ـ قيل أي وهو يخشى الكبوة والوقوع على الارض لانه أعمى، و كان يسرع في مشيه ، وما كان له قائد .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق

١١ـ (كلا انها تذكرة)

في ضمير «انها» أقوال ١ـ عن الكلبي و الاخفش انه راجع إلى هذه السورة ، المعنى ان هذه السورة تذكرة لمن تذكر، وموعظة لمن اتعظ، وتبصرة لمن استبصر بها وتذكرة لمن ألقى السمع وهو شهيد

٢ ـ قيل إن الضمير راجع إلى القرآن الكريم ، و جيء مؤنثاً لتأنيث الخبر أو باعتبار إشتماله الدعوة الحقه والهداية والموعظة و المعنى ان هذا القرآن الكريم تذكرة للناس أجمعين ودعوة لهم إلى الحق والنور و العلم وإلى العزة والسعادة والكمال فعليك أيها النبي ﷺ أن تدعوهم به، ودعوتك هذه

تذكير للناس من غير الزام فيه ولا إبرام ، فليس لك أن تذهب إلى أبعد من هذا . .

فمع كل إنسان عقله الذى يهديه ، ومع كل إنسان فطرته التى من شأنها أن تدعوه إلى الخير والحق ، و تصرفه عن الشر والباطل ، وان رسالة الرسل ليست إلا ايقاظاً لهذا العقل إذا غفل ، و تذكيراً لهذه الفطرة إذا نسيت .. وانه ليكفى لهذا أن يؤدّن مؤذّن الحق فى الناس .

٣ ـ عن مقاتل : انه راجع إلى الآيات القرآنية أى ان الآيات القرآنية عظة للخلق كلهم ٤ ـ قيل . انه راجع إلى الدعوة السورة تذكرة للغافلين و تنبيه للجاهلين

وقيل : اريد بالتذكرة هنا ان الله جل وعلا لا ينصر الحق بمن يقول ، أو أكثر عدة و عدداً ، بل بالمؤمنين المخلصين الذين تردهم الطعنة الفتاة

٥ ـ قيل : أى ان هذه العظة تذكرة للمتقين

أقول . و الذى هو الانسب بظاهر السياق و خاصه قوله تعالى . « فمن شاء ذكره » كما قال فى موضع آخر « كلا انه تذكرة » المدثر ٥٤)

١٢ـ (فمن شاء ذكره) .

فى الآية الكريمة أقوال ١ ـ قيل أى فمن شاء من الناس إتعظ بهذا القرآن وكان حافظاً له عن ظهر قلب و قيل أى فمن شاء ذكر القرآن أو ذكر ما يذكّر به القرآن وهو الانتقال إلى ما تهدى إليه الفطرة السليمة مما تحفظه فى لوحها من الاعتقاد الحق و صالح العمل ٢ ـ عن ابن عباس أى من شاء الله تبارك وتعالى ألهمه ٣ ـ قيل أى فمن شاء ذكر ربه بهذه التذكرة التى جاءته من آيات الله تعالى التى يتلوها عليه رسول الله ﷺ

أقول : و الاول هو الانسب بظاهر السياق

١٣ـ (فى صحف مكرمة) .

في «صحف» أقوال: ١ ـ عن ابن عباس: أي هذا القرآن او هذه التذكرة في كتب معظمة عند الله تعالى وهي اللوح المحفوظ. ٢ ـ قيل: أي ان هذا القرآن في كتب الانبياء المنزلة عليهم عليهم السلام كقوله تعالى: «ان هذا لفي الصحف الاولى» والمعنى: ان هذا القرآن الذي نبأناك يا محمد ﷺ ولكل الناس مسجّل في الكتب السماوية النازلة على الانبياء الماضية عليهم السلام.

٣ ـ قيل: أي الفصول القرآنية وآيها التي كانت توحى الى النبي الكريم ﷺ هي مكتوبة في صحف متعددة بايدي ملائكة الوحي. والصحف: جمع الصحيفة، والعرب تسمي كل مكتوب فيه صحيفة كما تسميه كتاباً.

أقول: والثالث هو الانسب لانه متسق مع ظروف نزول الآيات الكريمة.

ولكن التعبير بالصحف تعبير مجازي لان الوحي السماوي لم يكن يحمل إلى النبي الكريم ﷺ شيئاً مكتوباً في صحف، وإنما كان يلقي ما يحمله من وحي رباني عليه إلقاءاً، ولعل في التعبير تلقيناً بوجوب تدوين ما يلقيه الوحي في الصحف، أو إشارة إلى مصيره إلى ذلك. والمأثور المتواتر ان النبي ﷺ كان يأمر بتدوين ما كان ينزل عليه الوحي من فصول القرآن الكريم في صحف حين نزوله، حيث يكون قد لمح ذلك التلقين وعمل به. وليس بين هذا القول والقول الاول تناف فتأمل جيداً.

وفي قوله تعالى: «مكرمة» أقوال: ١ ـ قيل: أي مكرّمة في الدين لما فيها من العلوم والمعارف والحكم الربانية. ٢ ـ قيل: مكرمة لانها نزل بها كرام الحفظة أو لانها نازلة من اللوح المحفوظ. ٣ ـ قيل: مكرمة عند الله جل وعلا لانها نزلت من عند كريم، فكرامته من كرامة صاحبه.

أقول: ولكل وجه، ولكن الاوجه هو التعميم من غير تناف بين الاقوال.

١٢ ـ (مرفوعة مطهرة)

في «مرفوعة» أقوال: ١ ـ عن يحيى بن سلام: أي مرفوعة في السماء

[illegible] مرفوعة عن وحي الأرض، فإنها وحي السماء، مترفعة عن تدخل الأرض [illegible] مرفوعة عن أن تنالها أيدي الدس و التعريف و النسخ و التزييف، و مرفوعة عن [illegible] التناقض و الشك ٢ ـ قيل: أي ترتفع أحكامها على كل [illegible] ٣ ـ عن الحسن: أي رفيعة القدر و مرفوعة الذكر عند الله جل و علا ٤ ـ قيل: أي عالية القدر بتعاليمها النافعة.

أقول: و التعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق

و في «مطهرة» أقوال: ١ ـ عن الحسن: أي مطهرة من كل دنس و عيب [illegible] و مطهرة من قذارة الباطل و لغو القول و الريبة و التناقض ... و مطهرة من [illegible] ٢ ـ عن السدي و الجبائي: أي مصونة عن أن تنالها [illegible] فلا يمسها إلا المطهرون لأنها في أيدي الملائكة في أعز مكان ٣ ـ عن الحسن أيضاً: أي مطهرة من أن تنزل على المشركين، و مطهرة من كل دنس فمنزهة عن ذلك، و منزهة عن مس الشياطين، و [illegible] عن أهل الخبائث لا يمسها إلا المطهرون من تلك الملائكة، و من إليهم [illegible]

أقول: و التعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق كالسابق

١٥ ـ (بأيدي سفرة)

في «سفرة» أقوال: ١ ـ عن ابن عباس و مجاهد و قتادة و مقاتل: السفرة هم [illegible] الوحي من الملائكة الذين ينسخونها من اللوح المحفوظ. قيل: هم سفراء الوحي من الملائكة الذين كانوا يتصدون لحمل الصحف و إيحاء ما فيها من القرآن على رسول الله ﷺ. و قيل: هم الملائكة الذين يبلغون وحي الله، جعلهم الله تعالى سفراء بينه و بين رسله. و المعنى: أن التذكرة محمولة من اللوح المحفوظ إلى رسل الله بأيدي ملائكة يسفرون بها بين الله سبحانه و بين رسله فهم سفراء الله تعالى إلى الرسل عليهم السلام

٣- عن الفراء : السفرة هم الذين يسعون بين الناس لاصلاح ذات البين من أسفر الصبح إذا كشف و أضاء . و سفرت المرأة إذا كشفت النقاب عن وجهها

٤- عن مجاهد أيضاً - هم الملائكة الكرام الكاتبون لاعمال العباد في الأسفار التي هي الكتب . ٥- عن ابن زيد : السفرة هم الذين يحصون الاعمال

٦- عن قتادة أيضاً السفرة هاهنا القراء لانهم يقرؤن الاسفار ويكتبونها

٧- عن وهب بن منبه : هم أصحاب رسول الله ﷺ

أقول : والثاني هو الانسب بظاهر السياق و يؤيده طرفا هذه وهما سورة النجم والقدر .

١٦- (كرام بررة)

في الآية الكريمة أقوال ١- عن ابن عباس وعطاء أي يشكرون أن يكونوا مع ابن آدم إذا حلا بروحته أو تبرز لغائطه ٢- قيل بررة جمع بار، وهنا بمعنى الصادق الأمين .

٣- عن الكلبي أي كرام على ربهم ٤- قيل أي كرام خلقهم ، بررة أفعالهم ، طاهرة كامله ٥- قيل أي هم يؤثرون منافع غيرهم على منافع أنفسهم

٦- عن الحسن أي كرام عن المعاصي ، يرعون أنفسهم عنها ، صالحين في أعمالهم ٧- قيل أي كرام على ربهم بطهارة ذواتهم ، برة عند الله تعالى بحسن أعمالهم ، فيطيعون الله جل وعلا ما امروا به ولا يعصونه

أقول : وعلى الاخير أكثر المفسرين

١٧- (قتل الانسان ما أكفره)

في « قتل الانسان » أقوال ١- عن مجاهد أي لعن الانسان والمراد من الانسان كل كافر فالانسان ههنا هو جنس الانسان الضال الكافر العنيد ، لا كل الانسان على إطلاقه .

٢ . عن الضحاك أي قتل الانسان والمراد من هذا الانسان هو أمية بن

حلف . ٣- قيل أي قتل الله تعالى هذا الانسان ، والمراد من الانسان هو عتبة بن ربيعة . وهذا إخبار بأنه مقتول هواه و غباثه ، فتنته نفسه الأمارة بالسوء ، قتلت روحه وضميره وقلبه ، فالجملة ليست دعاء بل إخبار .

٣- عن ابن عباس . أي حسر الانسان وعذب . وهو عتبة بن أبي لهب فان الآية نزلت في عتبة والمعنى : عذب عتبة حيث كفر بالقرآن وقال : كفرت برب النجم إذا هوى ودعا عليه رسول الله ﷺ .

أقول : والأول هو الأنسب بظاهر الاطلاق ، وأما المورد فليس بمخصص إذا لم يكن خاصاً

وفي قوله تعالى : « ما أكفره » أقوال . ١- عن ابن جريج أي ما أشد كفره وأبين ضلاله . وهذا على سبيل التعجب كأنه قد قال : تعجبوا منه ومن كفره مع كثرة الشواهد على التوحيد والايمان . على أن « ما أكفره » تعليل للدعاء على هذا الانسان الضال العنيد بالقتل والعذاب والخزي والخسران .

٢- عن مجاهد أي أي شيء حمله كافراً ، وماذا دعاه إلى الكفر هذا على وجه التوبيخ والتقريع بالاستفهام . ٣- عن مقاتل والكلبي ما أكفره بالله بعد مع إحسان الله تعالى إليه وأياديه عنده وهذا على سبيل التعجب من حال إفراطه في الكفران وتلقي نعم خالقه بالجحود والطغيان . فكأنه قال ليس ههنا شيء يوجب الكفر و يدعو إليه ، فما الذي دعاه إليه من كثرة نعم الله تعالى عليه فالمعنى ما أجحده لنعم الله تعالى مع ظهورها والمراد ، لكفر كفران النعمة

أقول : ولكل وجه ولكن الأوجه هو الثاني .

١٩- (من نطفة خلقه فقدره)

في « فقدره » أقوال ١- قيل أي هيأه لما يصلح له ويليق به من الأعضاء والأشكال ٢- عن ابن عباس أي قدر في بطن امه يديه و رجليه و عينيه و سائر آرابه وقدره حسناً أو دميماً ، وقصيراً أو طويلاً ، وشقياً ، أو سعيداً

٣ ـ قيل : أى قدّره أطواراً من نطفة ثم علقة ـ إلى ـ أن تم خلقه و على حدّ معلوم من طوله وقصره وسمعه وبصره وحواسه و أعضائه ، و مدّ عمره وررقه وجميع أحواله . . ٤ـ قيل : أى سوّاه لقوله تعالى : « الذى خلقك فسواك »

أقول : والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق

٢٠ـ (ثم السبيل يسره)

فى الآية الكريمة أقوال ١ـ عن ابن عباس وعطاء والسدى وقتادة ومقاتل أى يسّره للخروج من بطن امه إذ كان رأسه إلى رأس امه و رجلاه إلى رجليها فسلمه الله تعالى عند الولادة ، فسهّل خروجه منها والمعنى : ثم طريق خروج الانسان من بطن امه يسّره وقيل إن نفس خروج الولد حياً من ذلك المنفذ الضيق من أعجب العجائب وان الآية تعدد الامتنان على الانسان فى خلقه كقوله تعالى : « والله أخرجكم من بطون امهاتكم » النحل ٧٨)

وقوله : « ونقرّ فى الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً » الحج ٥)

وقوله « هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً » غافر : ٦٧)

٢ـ عن مجاهد والحسن أى بيّنا له طريق الحق والباطل وأعلمناه وسهّلنا له العمل به وبيّنا له سبيل الخير والشر والسعادة والشقاء ٣ـ عن ابن زيد : أى يسّر له سبيل الاسلام ، و أعلمه به ، وسهلنا له السبيل إلى الخير والسعادة ، و جعلناه مختاراً فى فعله يسهل به سلوكه سبل السعادة ، وطاعة الله تعالى وإمتثال أوامره وتركه نواهيه ، ووصوله إلى الكمال الذى خلق لأجله .

٤ـ قيل أى يسّر على كل أحد ما خلقه له وقدره عليه . فكأنه قيل إعملوا فكل ميسر لما خلق له ٥ـ قيل أى هديناه هدايته تكوينية و هداية تشريعية فسهّل له طريق الحق والباطل ، طريق الايمان والكفر ، طريق الخير والشر ، وسبيل الجنة والنار

أقول وعلى الثالث جمهور المفسرين ، وفى معناه بعض الاقوال الاخر ، وإن كان الاول غير بعيد عن سياق الامتنان .

٢١- (ثم أماته فأقبره)

فى الاماتة أقوال ١- قيل : الاماتة هى خلق الموت فى الانسان والمعنى خلق الموت فى الانسان ٢- قيل « أماته » أوقع الموت على الانسان . ٣- قيل أى أزال عنه حياته ٤- قيل : أى قبض روحه .

أقول والثانى هو المؤيد بما ورد فى خلق الموت والحياة أورد ذلك فى تفسير سورة الملك فراجع

وفى قوله تعالى « فأقبره » أقوال ١- عن أبى مسلم أى صيّره بحيث يقبر ، وحمله فاقبر يوارى فيه تكرمة له . والمعنى : جعله فى قبر يستره ، فلم يجعله مطروحاً على وجه الارض لتطيره السباع كالحيوان وذلك بالالهام

٢- عن أبى عبيدة أى فأمر الله تعالى بدفن الانسان إكراماً له لتتوارى جثته ، فلا يتأذى به الناس ولا يتسفّر واعن جثته . والمعنى جعل له قبراً وأمر أن يقبر ٣- عن الفراء أى جعله مقبوراً و لم يجعله ممن ملقى إلى الجوارح والكواسر والطير والعوافى .

أقول ولكل وجه من غير تعسف فيه فتأمل جيداً

٢٢- (كلا لما يقض ما أمره)

فى الآية الكريمة أقوال ١- عن مجاهد وقتادة . أى حقاً لم يقض أحد من الانسان من الكافر والمسلم - إطلاقاً - بعد من لدن آدم إلى هذه الغاية مع طول المدى وإمتداده ما أمره الله تعالى به بأسره ، فان أحداً لم يعبد الله عزوجل حق عبادته و لم يؤدّ حقه جل وعلا عليه مع كثرة نعمه ، فلا يخلو أحد عن تقصير ما .

٢- عن إبن عباس أى لم يف الانسان بالميثاق الذى اخذ عليه فى صلب آدم عليه السلام

٣ ـ قيل: أي كلا ليس الأمر كما يدّعي هذا الانسان الكافر من أنه قد أدّى حق الله تعالى عليه في نفسه وماله، بل لم يقض ما أمره به، ولم يؤد ما فرض عليه من فرائض ربه. ٤ ـ قيل: ردع للانسان الكافر عن كفره بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وكتابه وعن إنكاره المعاد. والمعنى: كلا ان الانسان الكافر لم يقض بعد ما أمره الله تعالى من التأمل في دلائل التوحيد والبعث. وان الأمر تشريعي ليس تكويني وإلا لكان نافذاً لا يرد.

٥ ـ قيل: «كلا» ردع وزجر، أي ليس الأمر كما يقول الكافر، فان الكافر إذا أخبر بالنشور قال: «ولئن رجعت إلى ربي ان لي عنده [illegible]» وربما يقول: قد قضيت ما أمرت به، فقال تعالى رداً عليه: كلا لم [illegible] بل هو كافر بي وبرسولي.

٦ ـ عن الحسن: أي حقاً لم يعمل الانسان بما أمره الله [illegible]

٧ ـ عن إبن فورك: أي كلا لما يقض [illegible] من الايمان والطاعة وترك الترفع والتكـ[illegible] إيماناً للحجة [illegible] بمعنى الحكم. والفاعل هو [illegible] الانسان بالخير ونهاه عن الشر [illegible] وهو [illegible] الانسانية وبلاؤها [illegible]

أقول: والرابع هو الانسب بظاهر السياق، لان ما في [illegible] من الذم واللوم انما هو للانسان بما في طبعه من الافراط في الكفر عناداً [illegible]

٢٤ ـ (فلينظر الانسان الى طعامه)

في «الانسان» قولان: أحدهما ـ عن مجاهد ـ الانسان ههنا هو الكافر الذي اشير إليه في قوله تعالى «قتل الانسان ما أكفره» فالمراد به خصوص الانسان المبالغ في الكفر. والمعنى: فلينظر الانسان الكافر المنكر لتوحيد الله تعالى إلى طعامه وشرابه كيف دبّره. ثانيهما: قيل الانسان ههنا هو عام شامل لكل

إنسان ، و لذلك ظهر ، ولم يضمر .

أقول : وما يظهر من سياق الخطاب في قوله تعالى : « متاعاً لكم ولانعامكم » يؤيد الثاني ، وعليه جمهور المفسرين .

وفي قوله تعالى : « طعامه » قولان : أحدهما - قيل : أي فلينظر الانسان كيف خلق الله تعالى طعامه الذي هو قوام حياته ؟ و كيف هيّأ له أسباب المعاش؟ فالآيات بصدد بيان نواميس الطبيعة وسعة التدبير الربوبي التي تدهش اللب ، و تحيّر العقل وتعلق العناية الالهية - على دقتها وإحاطتها - بصلاح حال الانسان و إستقامة أمره . فليسئل كل انسان عقله : من الذي يسّر هذا الطعام ؟ الطبيعة و قوانينها ؟ والطبيعة من طبّعها ؟ أم الله جل وعلا ؟

ثانيهما - عن الحسن و مجاهد : أي فلينظر الانسان إلى مدخل طعامه و إلى مخرجه لما ورد : ان الملك يأتيه في الخلاء فيقول له عندئذ : انظر ما بخلت به إلى ما صار . فالآية بصدد الوعظ و التذكير بما هو مائل للناس و واقع تحت مشاهدتهم و حاصل بممارستهم .

وعن الضحاك بن سفيان الكلابي قال : قال لي النبي ﷺ : « ياضحاك ما طعامك ؟ قلت : يا رسول الله ، اللحم واللبن ، قال : ثم يصير إلى ماذا ؟ قلت : إلى ما قد علمته ، قال : فان الله ضرب ما يخرج من إبن آدم مثلاً للدنيا »

أقول : والاول هو الظاهر لان الآية الكريمة و مايليها بصدد توجيه نظر الانسان إلى طعامه الذي يقتات به ، و يستمد منه لبقائه وهو واحد مما لا يحصى مما هيّأه التدبير الربوبي لرفع حوائجه في الحياة الدنيا حتى يتأمل فيه

٢٨- (وعنباً وقضباً)

في « قضباً » أقوال : ١- عن إبن عباس والحسن : القضب : القتّ والعلف سمي بذلك لانه يقطع بعد ظهوره مرة بعد اخرى . والقضب : الثمار الغضة التي تتكرر قطف أشجارها . وأهل مكة يسمون القت قضباً . والقضب : إسم يقع على

ما يقص من أغصان الشجرة ليتخذ منها سهام أو قسي ويقال قضباً يعني جميع ما يقضب مثل القت والكراث وسائر البقول التي تقطع فينبت أصلها

٢- عن إبن عباس أيضاً القضب الفصفصة و هو القت الرطب . ٣- قيل القضب : الفصفصة الرطبة ، فاذا يبست فهو قت .

أقول والتعميم غير بعيد عن معناه اللغوي ، فشمل كل ما يأكله الانسان من البقول والخضراوات ، فتقطع مرة بعد اخرى لاستنباتها كذلك ، و ما يأكله الانعام من العلف . . .

٣٠- (وحدائق غلباً)

في « غلباً » أقوال عن إبن عباس و مجاهد ، أي عظاماً شجرها . يقال شجرة غلباء ملتفة مجتمعة جدة و يقال للأسد الاغلب لانه مصمت العنق لا يلتفت إلا جميعاً و رجل أغلب بيّن الغلب إذا كان غليظ الرقبة ٢- عن إبن عباس أيضاً « غلباً » جمع غلب ، وغلبه هي الملاط والطوال

٣ - عن إبن زيد وقتادة الغلب النخل الكرام . عن إبن زيد أيضاً و عكرمة : الغلب : عظام الاوساط والجذوع

أقول : ولكل وجه من غير تناف بينها

٣١- (وفاكهة وأباً)

في « فاكهة » أقوال ١- عن الحسن و مجاهد وقتادة وإبن زيد ، أي كل ما يأكله الانسان من ثمار الاشجار فتطلق الفاكهة على الثمار كلها فذكر ما يدخل في الفاكهة أولاً كالعنب والرمان والنخل للاعتناء بشانه

٢ - عن إبن عباس وإبن أبي طلحة الفاكهة الثمار الرطب ٣ - قيل الفاكهة : ماعدا العنب والرمان

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين

وفي قوله تعالى : « أبا » أقوال ١- عن الحسن و مجاهد و قتادة و إبن

ريد الأب . ما تأكله الأنعام من الكلأ والمرعى والعشب ، و ما ترعاه البهائم من النبات .

وقيل : الأب : هو المرعى والكلأ الذى لم يزرعه الناس مما تأكله الأنعام

وقيل : الأب للأنعام كالفاكهة للناس . وعن إبن عباس الأب ما أنبتت الأرض من الكلأ والمرعى وهما مالا يأكله الانسان وتأكلهما الأنعام ، ومما يأكله الانسان هو الحصيد . وقال . عد سبعاً جعل ورقه فى سبعه و جعله من سبعة .

٢- عن إبن عباس أيضاً الأب الثمار الرطبة . وقيل سمى أباً لانه يؤم و ينتجع والأب والام أخوان ٣- عن الضحاك . الأب التبن خاصة . وعنه أيضاً الأب كل شىء ينبت على وجه الأرض . ٤- عن الكلبى الأب هو كل نبات سوى الفاكهة وعن أبى رزين الأب : النبات ٥- عن إبن عباس أيضاً و إبن أبى طلحة الفاكهة رطب الثمار ، والأب يابسها وهو المعد للبقاء .

٦- عن عمر بن الخطاب الأب مالا نعلم معناه . و فى تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبى وقال أنس سمعت عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال: كل هذا قد عرفنا فما الأب ؟ ثم رفع عصاً كانت بيده - أى كسرها عصاً على نفسه و لوماً لها - وقال هذا لعمر الله التكلف ، وما عليك يابن ام عمر ألا تدرى ما الأب ثم قال اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه

٧- قيل الأب الذى يمسك بالأرض ، ويلتصق بها و يتأبى . مع صغره وضعف سوقه - على الرياح والعواصف أن تنتزعه من مكانه

أقول والاول هو المروى عن طريق أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين

٣٣- (فاذا جاءت الصاخة)

فى « الصاخة » أقوال ١- عن إبن عباس هى الصيحة التى تكون عنها القيامة . وهى النفخة الثانية . تصيخ الأسماع أى تصمها فلا تسمع إلا ما يدعى له

للاحياء . سميت بذلك لانها تصخ الآذان أى تبالغ فى أسماعها حتى تكادتصمها
٢- عن إبن العربى . الصاخه هى التى تودث الصمم ، وانها لصيحة تصم عن الدنيا وتسمع امور الآخرة .

٣- قيل الصاخه هى التى تصيح لها الاسماع من قولك أصاخ إلى كذا أى إستمع إليه . ومنه الحديث « ما من دابه إلا وهى مصيخة يوم الجمعة شفقاً من الساعة إلا الجن والانس » وسميت بالصاخه لانها يستمع لها الخلق من صاخ فلان لصوت فلان إذا استمع له .

٤- عن إبن عباس أيضاً الصاخة هى إسم من أسماء القيامة تقع فيها تلك الاحداث المزلزلة والصاخه هى القارعة وهى طامة الكبرى

٥ - عن الخليل : الصاخة هى صيحة تصخ الآذان صخاً أى تصمها بشدة وقعها وأصل الكلمة فى اللغه الحديد الشديد وقيل . هى مأخوذة من صخه بالحجر إذا صكه . وتقول العرب : صختهم الصاخة ، وباتتهم البائتة وهى الداهية

اقول وعلى الاول جمهور المحققين من المفسرين .

٣٤- (يوم يفر المرء من أخيه)

فى الآيه الكريمة أقوال ١. قيل أى يهرب المرء يوم القيامة من موالاة أخيه ومكالمته لانه لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بنفسه . ٢ قيل أى يهرب المرء من دونه الاقربين والأحبين حذراً من مطالبتهم إياه لما بينهم من التبعات والمظالم

أما اذا يفر المرء منهم إلا لأن كلاً ظالم لخوفهم ، فيفر كيلا يطالبوه بظلمهم ، وإن لم يكن ظالماً . فلماذا يفر . وليست الدار الاخرة إلا دار قرار : « و ان الاخرة هى دار القرار » غافر :٣٩)؟

أم لمخافة أن يطالبوه بشفاعة . وانه من أهلها؟ وليسوا إلا أقله قليلة؟ أم لانهم لا ينفعونه شيئاً ؟ « لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم » الممتحنه ٣) و هذا لا

يستوجب الفرار أولانهم لا يعرفونهم « فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » المؤمنون (١٠١) ؟ أولمخافة أن يتعلقوا به لماذا قصرت تجاهنا ؟ وليست الأمور كذلك إذاً فلماذا نفر ؟ إلا لأن كلاً ظالم بحقوقهم فيفر لكيلا يطالبوه بظلمهم

٣- قيل يفر لئلا يروا ماهو فيه من الشدة والفضيحة ، وما ينزل به من العذاب بما عمل في الحياة الدنيا . ٤- قيل . يفر منهم لعلمه بأنهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئاً كما قال تعالى « يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً »

٥- قيل يفر المرء من أقربائه لما تبين له من عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ، ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئاً سوى الله تعالى ٦- قيل يهرب فيه منهم لكونه مؤمناً وأقربائه من أهل النار فيعذبهم ولا يلتفت إليهم ، فيفر منهم لئلا يرى ما نزل بهم من الهوان. وقيل اريد بالفرار قلة الاهتمام بشأن هؤلاء

أقول والتعميم غير بعيد إذ سبب الفرار كثير جداً فتدبر واغتنم .

٣٢- (أولئك هم الكفرة الفجرة)

في « الكفرة الفجرة » أقوال ١- قيل الكفرة في أديانهم والفجرة في أفعالهم ، فهم جامعون بين الكفر إعتقاداً ، والفجور وهو المعصية الشنيعة عملاً ٢- قيل أي الكافرون بالله تعالى ورسوله ﷺ وبما جاء به ، والفاجرون بنعمه جل وعلا والجاحدون بها ٣- قيل أي الكافرون بالله وأنعمه والخارجون عن حدود الله جل وعلا

أقول : والتعميم غير بعيد

«التفسير و التأويل»

١- (عبس و تولى)

قصد النبي الكريم ﷺ وجهه ولوى شرته وجمعها، وأعرض عن عبدالله بن مكتوم لتكريره النداء بالنبي المعصوم ﷺ و هو مشتغل بدعوة صناديد قريش سعياً في إسلامهم ، و خوفاً من إضاعة الفرصه ، وقد كان على النبي ﷺ البلاغ و إن كانوا هم لا يؤمنون

و ان الآيه الكريمة في معنى قوله تعالى . « و إن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا و تراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون» الاعراف ١٩٨)

وقوله تعالى « وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين» يوسف ١٠٣

وقوله «إن تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل و مالهم من ناصرين» النحل : ٣٧)

وقوله « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء » القصص ٥٦)

٢- (أن جاءه الاعمى) .

لأجل أن جاء إلى النبي المعصوم ﷺ الاعمى الذى لا يبصر بعينيه ، وهو عبدالله بن مكتوم . وهو لم يكن عالماً بأمر النبي الكريم ﷺ ما هو مشغول به فجعل يسئل رسول الله ﷺ أن يقرأ من شيئاً مما أوحى الله تعالى إليه ﷺ فيقول علمني يا رسول الله مما علمك الله .

فقطعه عما هو ﷺ مشغول به مما كان النبي الكريم ﷺ و هو اسلام

من زعماء قريش الذين هو ﷺ حريص على إستمالتهم و هداهم ، فعمى ﷺ في حديثه مع هؤلاء الزعماء منصرفاً عن هذا الأعمى فانه ﷺ كان في موقف يراه الأولى ، من غير أن يكون في موقف الممتنع عن تعليم الأعمى و تنويره ، أو طرده و الاعراض عنه بتاً

و ليس في هذا شيء ينافي خلقه ﷺ العظيم ، أو يناقض العصمة النبوية كما زعم بعض القشريين من المفسرين ، و لا فيه من ترفيع أهل الدنيا و أصحاب الرئاسة وصمة أهل الآخرة و أصحاب التقوى و الهداية على ما زعم بعض الآخرين .

٣- (وما يدريك لعله يزكى) .

و أي شيء يعلمك يا أيها النبي الكريم ﷺ ما استحقاق هذا الأعمى لعبوس و التولي عنه لعل هذا الأعمى العالي يتطهر من دنس الجهل بما يسمع منك ، و يتلقى عنك ، فتزول عنه أو صار الآثام ، و يزكى عما لا ينبغي ، و يستفيد بما يتعلمه منك من القرآن الكريم و يتطهر بما يلقى من الشرائع ، و يزداد علماً و صفاء روح ، فيعمل عملاً صالحاً

و نظير الآية الكريمة في العتاب ظاهراً ، وليس بعتاب واقعاً قوله تعالى. «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداوة و العشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين» الأنعام ٥٢)

وقوله « و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة و العشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه وكان أمره فرطاً » الكهف ٢٨)

وقوله « لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً » الطلاق ١)

و قوله « فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك و ضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير » هود ١٢)

و قوله : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » الكهف . ٦) وغيرها من الآيات القرآنية يظهر منها العتاب، وليس فيها شائبة عتب واقعاً ، وإنما فيها تلقينات و مبادىء أخلاقيه وإجتماعية و سلوكيه جليلة مستمرة المدى يجب على المسلمين ، وخاصة أصحاب الدعوات الاصلاحية والاجتماعية أن يسيروا على ضوئه في صلاتهم بالناس وخاصة بالمؤمنين

٣- (أو يذكر فتنفعه الذكرى)

أو يتعظ هذا الاعمى بمواعظ القرآن الكريم وما تقول فيعتبر ، و يتخذ منها منهجاً لصالح الاعمال ، و دليلا في سلوكه في حياته . فيعمل ماينفعه ويترك مالاينفعه ، فتنفعه الذكرى في دينه و دنياه فمهمتك هي التذكير و الدعوة والارشاد لمن استرشد .

قال الله عزوجل «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» ق ٤٥)

وقال « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» الذاريات ٥٥)

وقال : «فذكر إنما أنت مذكر» الغاشية : ٢١)

وقال : «سيذكر من يخشى» الأعلى: ١٠)

٥و٦- (أما من استغنى فأنت له تصدى)

أما من استغنى من الاغنياء و ذوى الثراء والتقدم والرئاسة و العظمة في أعين الناس ، والاستكبار عن إتباع الحق واستماع الوحي السماوى عن الايمان و الهداية ، عن التزكيه « دعوة الله جل وعلا وعما نزل علك من الكتاب الذى يشتمل على المعارف والحكم الالهية . فأنت لهذا المستكبر تتعرض بالاقبال عليه بوجهك والاهتمام بأمره سمعاً في إسلامه ، وتريد الرغبه في اتباعه

أفتطمع في هؤلاء الطغاة الكفرة . و القساة الفجرة أن يسمعوا منك أو يعقلوا قولك و يؤمنوا بالله تعالى و رسوله ﷺ و باليوم الآخر، و إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا ، فلهم قلوب لايعقلون بها ولهم أعين لايبصرون بها،

ولهم آذان لايسمعون بها، وهم أموات لاتسمع الدعاء.

قال الله تعالى «لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها، أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون» الاعراف ١٧٩)

وقال «إنك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون» النمل: ٨٠-٨١)

٧- (وما عليك ألا يزكى)

ولاباس عليك أيها النبي المعصوم ﷺ في أن لايتزكى بالايمان وصالح الاعمال من ركب الجهل والضلال، والكفر والطغيان ولايهتدي بهدى الله عزوجل، إنما أنت الرسول وما على الرسول إلا البلاغ المبين

قال الله تعالى «فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ» الشورى: ٤٨)

وقال «فهل على الرسول إلا البلاغ المبين» النحل ٣٥)

٨- (وأما من جاءك يسعى)

وأما من جاءك يا أيها الرسول ﷺ - والجائي هو عبدالله بن امكتوم- وهو يسرع إلى النبي المعصوم ﷺ في إنطلاق وشوق في الايمان وطلب الهداية والقرب منه وفي الاسترشاد إلى الخير وطلب العلم ومعارف الدين وصالح الاعمال ... مع أنه في قيد العمى والعجز

٩- (وهو يخشى)

وحالكون هذا الاعمى الفاجر يخشى الله تعالى ويخافه ويتقيه، لانه كان متذكراً بالقرآن الكريم حيث ان الخشية آية التذكر به

قال الله تعالى «إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب» يس ١١)

وقال «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى» طه ٢و٣)

وقال «فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى» الاعلى ٩-١٠)

و قال : « إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ـ إنما أنت منذر من يخشيها » النازعات : ٢٦ـ٤٥)

ولايخفى على القارئ الخبير مابين الخوف و الخشية و الشفقة و الاتقاء من الفروق

و ذلك أن الخوف [illegible] تعالى «يخافون ربهم من فوقهم» النحل: ٥٠) وتقول: خفت المرض [illegible] «ويخافون سوء الحساب» الرعد ٢١) و أما الخشية [illegible] يسمى الخوف من نفس المكروه خشية، ولهذا قال تعالى «يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب» الرعد : ٢١)

ان تسئل : أليس الله سبحانه يقول حكاية عن [illegible] «إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل» طه ٩٣)

تجيب : ان هارون خشي القول المؤدي إلى الفرقة والمؤدي إلى الشيء بمنزلة من يفعله

وقال بعض الظرفاء يقال خشيت زيداً ، ولايقال خشيت [illegible] فان قيل ذلك فليس على [illegible] على وضع [illegible] بوضع الشيء مكان [illegible]

[illegible] الشفقة فهي ضرب من الرقة وضعف القلب [illegible] للام [illegible] شفق على [illegible] له ، وليست هي من الخشية و الخوف [illegible] لقوله تعالى «إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون» المؤمنون [illegible] كانت الخشية هي الشفقة لما حسن أن يقول ذلك كما لايحسن أن يقول يخشون من خشية ربهم [illegible] من هذا الاصل قولهم : ثوب شفق إذا كان رقيقاً شبهت به النداة لانها جوزة ليست بالمحكمة ، فقولك : أشفقت من كذا معناه ضعف قلبي عن إحتماله

وأما الانقاء ففيه معنى الاحتراس مما يخدش ، وليس ذلك في الحشية .

١٠- (فانت عنه تلهى)

فأنت تعرض وجهك عن هذا الاعمى ، وتتغافل عن إحاشه إلى مطلبه ، و تشتغل بغيره من زعماء المشركين طمعاً في إسلامهم . ورجاء في هدايتهم بأنهم لو آمنوا واهتدوا وأصلحوا لآمنت مردتهم كلهم وأصلحت أدنائهم أجمعون ، و لكن هؤلاء الطغاة الكفرة والبغاة الفجرة من ذوى الثراء والرئاسة لا يخشون ربهم ولا يخافون الآخرة ، فأقبل على من فتح للهدى قلبه ، وللاسلام صدره .

والله عزوجل يسدد نبيه بالعلم الهداة على الكثرة الطغاة وقد قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام « إن هذا الامر- يريد الاسلام- لم يكن نصره ولا خذله لانه بكثرة ولا بقلة وهو دين الله الذى أظهره وجنده الذى أعده وأمده حتى بلغ ما بلغ » .

١١- (كلا انها تذكرة)

ليس الامر كما فعلت مع الفريقين من الاقبال على الطغاة ذوى الثراء والرئاسة طمعاً في إسلامهم ، والاعراض عن المؤمن الاعمى ، ان هذا القرآن الكريم المشتمل للمعارف والحكم والمواعظ تذكرة للناس أجمعين ، و إنما أنت مذكرهم بهذا الوحي السماوى من غير إكراه ولا إلزام في الدين ، ولا إجبار في القبول على التذكر

قد الله تعالى « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين و ما تسئلهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين » يوسف : ١٠٣ و ١٠٤)

وقال : « كلا انه تذكرة » المدثر : ٥٤)

وقال « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر » الغاشية ٢١ و ٢٢)

وقال « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر » القمر ١٧)

و في المجمع في قوله تعالى « كلا » قال فيه دلالة على أنه ليس له

أن يعمل ذلك في المستقبل وأما العاصي فلم يتقدم النهي عن ذلك فيه فلا يكون معصية ، إنتهى كلامه ورفع مقامه .

وهذا التعميم لاينافي كون القرآن الكريم مذكراً للمتقين و من يخاف وعيد الله تعالى ، ومن جاء بقلب منيب . باعتبار تذكرهم بهذا الكتاب الكريم في قوله تعالى : « وانه لتذكرة للمتقين » الحاقة ٤٧)

وقال « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » ق ٤٥)

وقال « كتاب انزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به و ذكرى للمؤمنين » الاعراف : ٢)

وقال : « وما يتذكر إلا من ينيب » غافر : ١٣)

١٢ - (فمن شاء ذكره)

فمن شاء أن يتذكر بهذا القرآن الكريم تذكر به ، وحفظ بما فيه من المعارف والحكم والمواعظ ، و من الاوامر والنواهي ، والترغيب والترهيب والوعد والوعيد ، و ما تهدي إليه الفطرة البشرية من الاعتقاد الحق ، و صالح الاعمال فانتفع واتخذ إلى ربه سبيلاً ومن لم يشأ عمليه وبال أمره .

والآية الكريمة في معنى قوله تعالى « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً » المزمل ١٩)

و قوله « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها » الكهف ٢٩)

١٣ - (في صحف مكرمة)

ما ذكرناه من أن هذا القرآن الكريم تذكرة منتسخ من اللوح المحفوظ ، و مكتوب في الصحف المتعددة والسور القرآنية وآياتها هي معظمة منجله عند الله جل وعلا ، مكرمة لانها نزل بها كرام الحفظة ، ومكرمة في الدين لما فيها من العلوم والمعارف الالهية والحكم الربانية ولما تهدي المجتمع البشري إلى

مافيه كماله وسعادته وعزته وسيادته في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: «إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم» الزخرف: ٣و٤)

وقال: «بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ» البروج: ٢١ - ٢٢)

وقال: «رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة فيها كتب قيّمة» البينة: ٢-٣)

١٤- (مرفوعة مطهرة)

رفيعة القدر عند الله جل وعلا، وعالية المنزلة بتعاليمها النافعة، مطهرة من قذارة الباطل، ولغو القول والهزل، مطهرة من الشكوك والشبهات، من الاختلاف والضلالات، ومن التناقض والجهالات، ومطهرة من مس غير المتطهرين

قال الله تعالى: «تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين» السجدة: ٢)

وقال: «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً» النساء: ٨٢)

وقال: «ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين» البقرة: ٢)

وقال: «إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لايمسّه إلا المطهرون» الواقعة: ٧٧ - ٧٩)

وقال: «إنه لقول فصل وماهو بالهزل» الطارق: ١٤)

وقال: «وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد» فصلت: ٤١ - ٤٢)

وقال: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» الحجر: ٩)

١٥- (بأيدي سفرة)

السفرة هم السفراء الربانيون الذين أرسلهم الله تعالى للبلاغ من جبرئيل أمين الوحي وأعوانه من الملائكة الذين كانوا ينزلون على رسول الله ﷺ

والمعنى: أن هذا القرآن الكريم تذكرة مكتوبة في صحف متعددة، رفيعة

القدر ، مطهرة من كل عيب و نقص أنزلها الله تعالى بأدق سفرائه من أمين الوحي وملائكته على محمد رسوله الخاتم ﷺ فهم الذين كانوا يتعهدون لحمر الصحف وايحاء ما فيها من المعارف والحكم على النبي الكريم ﷺ بأمر الله عز وجل

قال الله تعالى « الله يصطفي من الملائكة رسلاً » الحج ٧٥)

وقال : « جاعل الملائكة رسلاً » فاطر : ١)

وقال « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » القدر ٤)

ولا تخفى على القارىء الخبير : ان نسبة إلقاء الوحي إلى الملائكة وهم أعوان جبرئيل عليه السلام لا تنافي نسبته إلى جبرئيل عليه السلام نفسه في نحو قوله تعالى « قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله » البقرة ٩٧

فيقال لهم . سفرة إملائهم يبينون ما امروا به ويكشفونه من أسفر الصبح إذا أضاء ، وسفرت المرأة إذا كشفت النقاب عن وجهها ، وإملائهم كانوا يطهرون بعد ما كانوا يحجبون عن الأعين ، فيبلغون وحي الله تعالى وقرآنه

١٦ـ (كرام بررة)

كرام عند الله عز وجل بطهارة ذواتهم ، أطهار لم يتدنسوا بمعصية ولم يقارفوا دنساً بررة امناء عند الله تعالى بحسن أعمالهم ، مخلصون له عز وجل فيما يقومون من مهمة السفارة بينه سبحانه وبين رسوله ﷺ ، مطيعون له تعالى صادقون في أعمالهم

قال الله تعالى فيهم « لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون» الانبياء ١٩٠ ـ ٢٧)

وما ورد في المقام فمن باب التأويل وهو الله فتأمل واغتنم جداً

١٧ـ (قتل الانسان ما أكفره)

قتل الله تعالى كل إنسان كافر صار عبد الطاغوت ما أبين كفره وضلاله .

ما الذي دعاه إلى العناد واللجاج . فخالف فطرته ، وبالغ في الكفر بربوبيته ربه مع كثرة الشواهد والدلائل على التوحيد ؟ وما أشد كفرانه وجحده نعمة الله عز وجل وقد أحاطته ! « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » ابراهيم . ٣٤)

فالمراد بالكفر مطلق ستر الحق ، فينطبق على إنكار الربوبية وترك العبادة وكفران النعمة والعصيان .

فمحل محل من يدعى عليه بالقتل بسبب كفره وكفرانه ، فيخرج الكلام مخرج الدعاء عليه فدعا الله تعالى عليه بالقتل على سبيل التعجيب أي اعجبوا من كفر الانسان وكفرانه مع ما شاهده من دلائل توحيد ربوبية ربه ومقدار رحمته أو المعنى - قتله الله تعالى ما الذي دعاه إلى الكفر و ما حمله على الكفران على سبيل التوبيخ والتقريع

ونظير المقام في الدعاء قوله تعالى « قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون » الذاريات : ١٠ ـ ١١)

وقوله : « هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون » المنافقون ٤)

وقوله. «ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين و شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطمع ان أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيداً سأرهقه صعوداً انه فكر وقدر فقتل كيف قدر» المدثر ١١ ـ ١٩)

١٨- (من اى شيء خلقه)

من أي شيء حقير لا قوام له ، ومهين لا قيمة له ، وضعيف لا بقاء له ، خلق الله عز وجل هذا الانسان الكافر الضال العنيد المعوج ؟ فمن كان هذا أصله فلا ينبغي له التجبر والتعظم والتكبر والتمرد على الاقرار بتوحيد خالقه وعن طاعة ربه . وليس له أن يعاند الحق ، ويحاول القفز فوق الحدود والمقاييس فلم لا ينظر هذا الانسان إلى أصل خلقته ومادته من أي شيء خلقه ليدله على وحدانية خالقه؟

قال الله تعالى « أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل و لم يك شيئاً »

مريم ٦٧٠)

وقال ٠ « فليظر الانسان مم خلق » الطارق : ٥)

١٩- (من نطفة خلقه فقدره)

من ماء مهين يسير ، من ماء نتن حقير ، من ماء قذر مهين ، ومن منى يمنى خلق الله تعالى هذا الانسان ، فهيّأ له ما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال ومن القوى الظاهرة والباطنة ، فقدّر الله جل و علا خلق هذا الانسان و حدّد صورته وشكّل ذاته وحياته من تلك النطفة القذرة ، ومن هذا الماء الرجس على الوجه الذى إقتضته إرادة الخالق عزوجل فيه و قدّر لكل عضو فى الكيفية والكمية على التقدير اللائق بمصلحته ، وقدّره أن يكون ذكراً أو انثى ، جميلاً أو قبيحاً ، سواداً أو بياضاً ، ذكياً أو غبياً ، عبياً أو فقيراً ، وإلى غير ذلك مما يتصل بالانسان ذاتاً وحياتاً وصفات . .

فليس له أن يتعدى الطور الذى قدّر الله الخالق متعال له ، ولا أن يتجاوز الحد الذى عيّن له ، فقد أحاط به التدبير الربوبى من كل جانب ، إذ دبّر خلقه على ناموس محسوب قديم ، فليس له أن يستقدّم قبل مالم يقدّر له ، فمن كان هذا أصله فكيف أن يطغى أن رآه استغنى ؟ و من خرج من مخرج البول مرتين فكيف يتعدى عن حدود الله تعالى ؟ و كيف يستكبر عن العبودية لله الخالق المتعال ؟ ؟ ؟

قال الله تعالى « ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى » القيامة : ٣٧ ـ ٣٩)

وقال ٠ « ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين إلى قدر معلوم » المرسلات : ٢٠ ـ ٢٢)

وقال : « خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » الطارق : ٦ ـ ٧)

وقال « أولم ير الانسان إنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » يس ٧٧،

وقال « الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار » الرعد : ٨)

وقال « وخلق كل شيء فقدّره تقديراً » الفرقان : ٢)

وقال « انا كل شيء خلقناه بقدر » القمر : ٤٩)

وقال : « ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً » الطلاق : ٣)

٢٠- (ثم السبيل يسره)

ثم سبيل الكمال سهّله لهذا الانسان بطريق العقل والشرع ويسّر له سلوكه إذ أوجد فيه فاعليه القدرة على هذا السبيل ، فجعله متمكناً من سلوك سبيلي الخير والشر ، سبيلي الهدى والضلال ، سبيلي الحق والباطل ، طريقي الايمان والكفر ، طريقي السعادة والشقاء ، طريقي الجنة والنار ، وأودع فيه ما يعرف به حالقه وآتاه قدرة العمل ، ووهبه العقل الذي يميز به بين الاعمال حسنها وقبيحها ، صالحها وفاسدها . . . فسهّل له سبيل الكمال ويسّر له سلوكه في باطنه ، وبيّن له هذا الطريق القويم بلسان رسوله

إذ بعث إليه الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب المشتملة على الحكم والمواعظ والدعوة إلى أنواع البر وصالح الاعمال وعرّفوه عاقبة كل عمل وبشّرته ، وحذّروه من الشر والهاوية

فوفّق الله عز وجل هذا الانسان بهاتين الهدايتين للسعادة والكمال والشفاء والانحطاط ، للبر والعمران والهدم والخراب ، لاصلاح نفسه والمجتمع البشري والافساد في الحرث والنسل والخسران

قال الله تعالى : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » الانسان : ٣)

وقال « الذي خلق فسوّى والذي قدّر فهدى » الاعلى : ٢و٣)

وقال : « وهديناه النجدين » البلد : ١٠)

وقال « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل

لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » الروم : ٣٠)

وقال : « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » يوسف ١٠٨)

٢١ـ (ثم أماته فأقبره)

ثم أمات الله تعالى هذا الانسان بايقاع الموت المخلوق عليه ، فيزيل به عنه حياته بعد أن انتهى أجله المقدر له في الحياة الدنيا ، و جعل له الارض بعد الموت قبراً يدفن ، و يوارى جسده فيه إذ علّمه في بدايه أمره كيف يوارى سوأة ميته تحت التراب كرامه له ورعاية ، ولم يجعل جثته أن تترك على وجه الارض للجوارح والسباع . فلاتظهر الاحوال التي تعرض له بعد الموت من تعفن وتفسخ وتحلل ، والتي من شأنها أن تثير الاشمئزاز والهوان للكائن الانساني كله، فكان هذا الدفن وإخفاء الجسد في القبر مواراة لهذه السوءات تكرمه له ، ولهذا قيل : « من تكريم الميت التعجيل بدفنه »

قال الله تعالى « وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظه حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا » الانعام : ٦١)

وقال : « الذى خلق الموت والحياة » الملك : ٢)

وقال « ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء وأمواتاً » المرسلات ٢٥ و٢٦)

وقال « فبعث الله غراباً يبحث في الارض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخي » المائدة :٣١)

٢٢ـ (ثم اذا شاء أنشره)

ثم إذا شاء الله تعالى أن يحيي هذا الانسان المقبور أحياه وبعثه من قبره بقدرته التي لايعجزها شيء للحساب والجزاء من غير أن يعلم أحد وقته

قال الله تعالى : « وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة آتيه لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور » الحج ٦و٧)

وقال « وإذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت » الانفطار ٤-٥)

وقال « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون» الأعراف ١٨٧)

وقال «وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير» النحل : ٧٧)

٢٣- (كلا لما يقض ما أمره)

ليس الأمر كما ينبغي أن يكون هذا الانسان الكافر العنيد من أن يتأمل في دلائل التوحيد الآفاقية والأنفسية، وفي قدرة الله جل وعلا على كل شيء، وفيما أنعم الله تعالى عليه ، فيخضع للربوبية ، ويشكره على ما أنعم عليه من النعم .

بل لم يقض بعد ما أمره الله عز وجل من التأمل في دلائل التوحيد ومشاهد القدرة المطلقة الالهية في نواميس الكون، وفي النعم الالهية التي افيضت عليه فتنس بالكفر و الطغيان ، وأفرط في الفسق و العصيان ، و انهمك في الشهوات واتبع الشيطان عناداً ولجاجاً

و نظير الآية الكريمة قوله تعالى «ذرني ومن خلقت و حيداً وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين ؛ شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيداً » المدثر: ١١-١٦)

وقوله «كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى» العلق ٦-٧)

وقوله «كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة» القيامة ٢٠)

٢٤- (فلينظر الانسان الى طعامه)

فلينظر كل إنسان من مسلم ، كافر، من ذكر أو انثى ومن أسود وأبيض نظر تأمل واستدلال ونظر تدبر و إعتبار إلى طعامه الذي يأكله و يتقوته من الأطعمة الشهية اللذيذة

فعلى الانسان أن يتدبر كيف خلق الله عز وجل طعامه الذي هو قوام حياته وهيئاً

لرزق عباده ؟ أن يتأمل كيف هيأ الله تعالى للانسان أسباب المعاش ليستعد بها للمعاد ؟ أن يتفكر كيف مكنه من الانتفاع بذلك كله ؟ و أن ينظر إلى الحبوب و أنواعها و إلى الثمار و طعومها و إلى النبات و ألوانها، وفيما يتمتع به مما يسره الله جل وعلا من أسباب الغذاء المتنوع له و لانعامه ؟ فليعلم أن لا يتم هذا إلا بتيسير الله و رعايته و تدبيره و تقديره ، و تفضل منه جل وعلا فليس من طريق الصدفة .

قال الله تعالى « قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم - وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب و الزيتون و الرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » الانعام ١٤ - ٩٩)

وقال « ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » النحل : ١١)

وقال « أولم يروا إلى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » الشعراء : ٧ - ٨)

٣٥- (أنا صببنا الماء صبا) .

ان صببنا الماء من السحب الثقال صباً و أنزلنا الصب إنزالاً على الارض لاحياء الارض بعد موتها ، و إنبات النبات و نشر رحمته و لتظهر كم به

والصب إراقة الماء من العلو، فشمول الصب لاجراء العيون والانهار بعيد جداً لما في معنى الصب من السكب و العلو

قال الله تعالى « و هو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون» الاعراف ٥٧)

وقال : « وهو الذي ارسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً لنحيي به بلدة ميتاً ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً » الفرقان ٤٨ ـ ٤٩)

وقال : « أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » الواقعة ٦٩)

وقال : « ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد » النور ٤٣)

وقال : « هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون » النحل : ١٠ ـ ١١)

وقال : « وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به » الانفال ، ١١)

٢٦ـ (ثم شققنا الارض شقا)

ثم شققنا الارض بالنبات شقاً بديعاً ، وفتقناها فتقاً شاهداً مرئياً لمن نظر إليها بعد أن كانت متماسكة الاجزاء ، فتقاً لائقاً بما تشقها من النبات صغراً وكبراً وشكلاً وهيئة

قال الله تعالى : « وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء إهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » الحج : ٥)

٢٧ـ (فانبتنا فيها حبا)

فأنبتنا في الارض حباً كثيراً متنوعاً من حنطة وارز وشعير وذرة وسائر ما يحصد ويدخر ويتعدى به الانسان

قال الله تعالى : « وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون » يس ٣٣)

وقال : « وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً لنخرج به حباً ونباتاً » النبأ ١٢ ـ ١٥)

وقال : « و نزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد » ق : ٩)

وقال : « إن الله فالق الحب والنوى . و هو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ـ ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » الانعام : ٩٥ ـ ٩٩)

٣٨ـ (وعنباً وقضباً)

وأنبتنا عنباً ـ شجر الكرم ـ وقضباً و هو القت الرطب الذى تأكله الانعام من النبات ، و ما يأكله الانسان من الخضراوات والبقول وما إليها عضاً طريا و سمى قضباً لانه يقطع مرة بعد مرة اخرى ، والمراد من « قضباً » هو الثمار الغضة التى يتكرر قطف أشجارها

قال الله تعالى « فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون » المؤمنون : ١٩)

و قال : « ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب و من كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » النحل : ١١)

٣٩ـ (وزيتونا ونخلا)

وأنبتنا شجرة الزيتون لدى معصرته الزيت ليكون إداماً ، وأنبتنا نخلاً تثمر تمراً

قال الله تعالى : « والتين والزيتون وطورسنين » التين . ١ ـ ٢)

و قال : « و شجرة تخرج من طورسناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين » المؤمنون ٢٠)

وقال « وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية و جنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً و غير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر و

ينبعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » الانعام : ٩٩)

وقال : « ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً و رزقاً حسناً إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون » النحل : ٦٧)

٣٠- (وحدائق غلباً)

الحدائق جمع حديقة وهى البستان ، والغلب جمع غلباء ، وهى شجرة عظيمة غليظة مثمرة .

والمعنى وأنشأنا بساتين كثيرة الاشجار العظيمة ، ملتفة الأغصان مختلفة الثمار ، ذات حوائط تحيط بها ، وذات ظلال وارفة تتمتع بها العين الناظرة وتنتهج منها النفس الانسانية ، ويسر فيها القلب الحائق إليها لينعم ويهنأ بالاستظلال بظلها بعد أن يستوفى حاجته من طعامها

قال الله تعالى « أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم أن تنبتوا شجرها إله مع الله بل هم قوم يعدلون » النمل : ٦٠)

٣١- (وفاكهة وأبا)

والفاكهة ما تتفكه به الانسان من ثمار الاشجار كالتين والتفاح والخوخ والمشمش وغيرها من سائر ألوان الفواكه وأنواعها وعشباً وكلأ ومرعى وما إليها مما تأكله الانعام . .

قال الله تعالى . « والارض وضعها للأنام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف والريحان » الرحمن : ١٠ - ١٢)

وقال « فأنشأنا لكم به جنات من نخيل و أعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون » المؤمنون : ١٩)

٣٢- (متاعاً لكم ولانعامكم)

أستئناف ذكر فيه سابقاً لتمتعوا به أنتم تمتيعاً لأنفسكم ، ولانعامكم

التي خصصناها بكم

قال الله تعالى: «أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون» يس: ٧١)

وقال «أخرج منها ماءها ومرعاها ـ متاعاً لكم ولأنعامكم» النازعات: ٣١ـ٣٣)

وقال «الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوها منها ومنها تأكلون» غافر ٧٩،

وقال «فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم» السجدة ٢٧)

٣٣ـ (فإذا جاءت الصاخة)

الصاخة في الأصل الصاكة للآذان من شدة الصوت بضرب الحديد على الحديد أو بالعصا الصلبة على شيء مصمت، فيسمع إذ ذاك صوت شديد

والمراد بها هنا الصيحة الشديدة التي تصخ لها الخلائق لشدة صيحتها التي تصم الأسماع من شدتها وذلك عند تخريب الكون ووقع بعض أجرامه على بعض، وتمزق عندئذ الروابط التي لا تنفصم في الحياة الدنيا

والمعنى فإذا جاءت الصيحة التي تقع عندها القيامة بالنفخة الثانية التي تصم الأسماع، فلا تسمع إلا ما يدعى به للأحياء

قال الله تعالى «واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج» ق: ٤١ـ٤٢)

وقال «إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون ـ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون» يس: ٢٩ـ٥٣)

٣٤ـ (يوم يفر المرء من أخيه)

تجيء الصاخة في يوم يهرب فيه المرء من أخيه لاشتغاله بنفسه عن غيره من شدة ما يرى من الأهوال العظام، فإن البنية إذا عظمت واشتدت على الإنسان حدثته إلى نفسها وصرفته عن كل شيء فيفر ممن يتوهم أنه يتعلق به، ويطلب

معونته على ما هو فيه لان الهول هناك هول نفسي يفزع النفس و يصدها عن محيطها وعنها أيضاً .

قال الله تعالى «فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر» القيامة : ٧-١٠)

و قال «يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» الحج ٣،

و قال : «فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» المؤمنون : ١٠١)

وقال «الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين» الزخرف: ٦٧)

٣٥- (وامه وابيه)

بل يفر المرء يوم القيامة من امه وأبيه و أنهما أقرب منه و قد كان في الحياة الدنيا يأوي إليهما

٣٦- (وصاحبته وبنيه)

بل يفر يومئذ من زوجته التي هي ألصق الناس به ، وهو أنس بها ، وقد كان في الحياة الدنيا يبذل النفس و النفيس في الدفاع عنها ، بل يفر من بنيه الذين كانوا له أعضاداً وأنصاراً بلودهم وهم فلذات كبده وقد كان في الحياة الدنيا يفديهم بماله وروحه وهم ريحانه دنياه ونور الحياة أمام عينه،ولكنه يومئذ لشدة أهوال هذا اليوم و إشتغال المرء بنفسه عن غيره بحيث لاتلتفت إليها ولا إلى هؤلاء طالباً النجاة لنفسه من تلك الأهوال التي لاتدع فرصة لغير المؤمنين أن ينظروا إلى غير أنفسهم ، وأما المؤمنون فهم من فزع يومئذ آمنون

قال الله تعالى « يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات و من في الارض إلا من شاء الله و كل أتوه داخرين - من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» النمل : ٨٧-٧٩)

و قال «ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لايحزنهم الفزع الاكبر و تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون» الانبياء ١٠١-١٠٣)

٣٧- (لكل امرىء منهم يومئذ شان يغنيه)

لكل امرىء من هؤلاء الكفرة الباغية ، من هؤلاء الفجرة الطاغية ، من هؤلاء السفلة العاصية ، و من هؤلاء الجهلة الفاسقة يوم القيامة أمر عظيم هائل يشغله عن أمر غيره ، فيشتغل كل واحد منهم بنفسه عن غيره إذ لكل امرىء من هؤلاء البغاة من الرهب ومايرهب من الاهوال والشدائد ، ومايخشى من مناقشة الحساب شأناً يغنيه ، ويصده عن ذوى قرابته ، فليس لديه فضل فكر ولاقوة يمدّ بها غيره أو يركنه الهم النفسى حتى ملأ صدره ، فلم يبق فيه متسع لهم آخر

قال الله تعالى «ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لايغنى مولى عن مولى شيئاً ولاهم ينصرون إلاّ من رحم الله» الدخان ٤٠-٤٢)

٣٨- (وجوه يومئذ مسفرة)

وجوه يوم القيامة مضيئة مشرقة بالبهجة والمسرة ، منبسطة الأسارير ، و تظهر منها علامة الفرح و الطمأنينة لما علم أصحابها مالهم من الفوز و النعيم المقيم ، وهم المؤمنون الصالحون السعداء وأهل الكمال والفلاح .

قال الله تعالى : « يوم تبيضّ وجوه - و أما الذين ابيضّت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون» آل عمران ١٠٦-١٠٧)

وقال «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» القيامة ٢٢-٢٣)

و قال « وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية لاتسمع فيها لاغية» الغاشية : ٨-١١)

وقال « تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون» المطففين ٢٤-٢٦)

٣٩- (ضاحكة مستبشرة)

ضاحكة من السرور بما أعطاها الله عز وجل من النعيم والكرامة ، وما تجد من برد اليقين بأنها ستوفى ما وعدت به من جزاء إيمانها ، وما قدمت من صالح الاعمال و من شكر نعم ربها و ايثارها ما أمرها به على ما تهواه ، مستبشرة لما كانت ترجو من الزيادة وما هب عليها من أنسام الرضوان والحنان ، ومن مشاهدة ما فيه البشرى من الزيادة

قال الله تعالى «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم» الحديد: ١٢)

وقال «وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون» الانبياء ١٠٣)

وقال «ادخلوا الجنة لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا و كانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون» الزخرف ٦٨-٧٠)

وقال «فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية» القارعة ٦-٧)

و قال «يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى» الفجر: ٢٧-٣٠)

٣٠- (و وجوه يومئذ عليها غبرة)

و وجوه يوم القيامة تعلوها غبار الحزن و الأسى عند الحسرة و الهوان غبار الهم والذل ، وغبار القيود وسواد الفسق

قيل الغبرة ما انحطت من السماء إلى الارض و القترة ما ارتفعت من الارض إلى السماء

قال الله تعالى « فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» آل عمران ١٠٦)

وقال « و وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » القيامة: ٢٤-٢٥)

وقال «وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية» الغاشية ٢ ٤

٣١- (ترهقها قترة)

تغشى تلك الوجوه ظلمة الكفر والشرك و سواد الغي و العصيان ، ظلمة الاستكبار والعتو،وسواد الجرم والطغيان،وظلمة العناد واللجاج ، وسواد الفجور و الكفران . . فأصحابها يعرفون بها يوم القيامة ، كما أن المؤمنين الصالحين يعرفون بسيماهم

قال الله تعالى : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما اغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» يونس:٢٧)

وقال : «وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت» إبراهيم ٥٠-٥١)

و قال . «يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين» الزمر. ٦٠)

وقال « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام» الرحمن ٤١)

وقال: «يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود» الفتح : ٢٩)

٣٢- (اولئك هم الكفرة الفجرة)

هؤلاء الذين هذه أحوالهم يوم القيامة ، هم الكافرون بالله تعالى ورسوله ﷺ وباليوم الآخر، الجاحدون نعم الله عزوجل . فهم الجامعون بين الكفر و الفجور ، الذين مالوا عن الايمان إلى الكفر ، عن الهدى إلى الضلالة عن الحق إلى الباطل ، عن الطاعة إلى المعصية ، عن الصدق إلى الكذب عن الامانة إلى الخيانة ، عن الصلاح إلى الفساد، عن العدل إلى الظلم، عن الكمال إلى الانحطاط عن السعادة إلى الشقاء ، وعن الفلاح إلى الخسران

فهم المستهترون المتوغلون فى الغواية والفواحش . كفروا بالله وأنعمه وغيروا حرمات الله عز وجل وما راعوها ، خرجوا عن حدود الله وانتهكوا لحرماته، إفتروا على الله الكذب واقترحوا المعاصي ، فلم يأتمروا بما أمروا به ، ولم ينتهوا عما نهوا عنه ، ولا سألوا ما أتوا بعض شنيع الأعمال وسوء الافوال ، ومعاصى الله تعالى ومحارمه ، فجزاهم الله سوء اعتقادهم ، وقبح أقوالهم وفساد أعمالهم، وهم فى الآخرة لفى جحيم

قال الله تعالى «ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى» (النجم ٣١)

وقال «بلى من كسب سيئة و أحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» (البقرة : ٨١)

وقال «وإن الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين» (الانفطار: ١٤-١٦)

﴿جملة المعانى﴾

٥٧٥٩- (عبس وتولى)

قبض النبى المعصوم ﷺ وجهه ولوّى بشرته و أعرض عن عبدالله بن مكتوم

٥٧٦٠- (أن جاءه الاعمى)

لأجل أن جاء إلى رسول الله الاعظم ﷺ الاعمى من غير أن يعلم بأمر النبى ﷺ ماهو مشغول به .

٥٧٦١- (ومايدريك لعله يزكى)

وأىّ شىء يعلمك ياأيها الرسول ﷺ باستحقاق هذا الاعمى العبوس و التولى عنه لعل هذا الاعمى الجائى يتطهر من دنس الجهل بما يسمع منك

٥٧٦٢- (أو يذكر فتنفعه الذكرى)

أويتعظ هذا الاعمى بمواعظ القرآن الكريم فتنفعه فى دينه [illegible]

٥٧٦٣- (أما من استغنى)

أما من استغنى من الاغنياء وذوات الثراة والتقدم والرئاسة [illegible] أعين الناس

٥٧٦٤- (فأنت له تصدى)

فأنت أيها النبى ﷺ لهذا المستكبر تتعرض بالاقبال عليه بوجهك و الاهتمام بأمره طمعاً فى إسلامه

٥٧٦٥- (وما عليك ألا يزكى)

ولاباس عليك أيها النبي المعصوم ﷺ في أن لايتزكى بالايمان وصالح الاعمال ...

٥٧٦٦- (وأما من جاءك يسعى)

و أما من جاءك ياأيها النبي ﷺ حالكونه يسرع إليك في الاسترشاد إلى الخير .

٥٧٦٧- (وهو يخشى)

وحالكون هذا الاعمى يخشى الله جل وعلا ويخافه .

٥٧٦٨- (فأنت عنه تلهى)

فأنت تعرض وجهك عن هذا الاعمى لاشتغالك بغيره من زعماء المشركين طمعاً في إسلامهم .

٥٧٦٩- (كلا انها تذكرة)

ليس الامر كما فعلت مع الفريقين من الاقبال على الطائفة طمعاً في إسلامهم ان هذا القرآن الكريم تذكرة للناس أجمعين .

٥٧٧٠- (فمن شاء ذكره)

فمن شاء أن يتذكر بهذا القرآن تذكر به .

٥٧٧١- (فى صحف مكرمة)

ماذكر نامن أن هذا القرآن الكريم تذكرة منتسخ من اللوح المحفوظ، ومكتوب في الصحف المتعددة ، مكرمة عندالله تعالى وملائكته ورسوله ﷺ وأهل التقوى واليقين .

٥٧٧٢- (مرفوعة مطهرة)

رفيعة القدر عندالله تعالى ، مطهرة عن قذارة الباطل، والتناقض .

٥٧٧٣- (بأيدى سفرة)

أنزله الله تعالى بأبدى سفراء من بين الوحي على محمد رسول الله ﷺ

٥٧٧٤- (كرام بررة)

كرام عند الله جل و علا بطهارة ذواتهم ، بررة أمناء عند الله تعالى بحسن أعمالهم ...

٥٧٧٥- (قتل الانسان ما أكفره)

قتل الله تعالى كل إنسان كافر صلد عند مادعاه إلى الكفر والعناد .

٥٧٧٦- (من أى شيء خلقه)

من أيّ شيء حقير مهين خلق الله تعالى هذا الانسان الكافر العنيد

٥٧٧٧- (من نطفة خلقه فقدره)

من ماء نطفي يسير من ماء نتن حقير خلق الله تعالى هذا الانسان ، فقدّر الله جل و علا خلق الانسان وهيّأه لما يصلح له

٥٧٧٨- (ثم السبيل يسره)

ثم سبيل الكمال سهّله لهذا الانسان بطريقي العقل و الشرع و يسّر له سلوكه

٥٧٧٩- (ثم أماته فأقبره)

ثم أمات الله جل و علا هذا الانسان بايقاع الموت المحلوق عليه، فأزال به عنه حياته ، فجعل له الارض بعد الموت قبراً يدفن فيه

٥٧٨٠- (ثم إذا شاء أنشره)

ثم إذا شاء الله تعالى أن يحيي هذا الانسان المقبور أحياه وبعثه من قبره

٥٧٨١- (كلا لما يقض ما أمره)

ليس الامر كما يسعى أن يكون هذا الانسان الكافر من أن يتأمل في دلائل التوحيد ، بل لم يقض بعد ما أمره الله تعالى من التأمل في الدلائل

٥٧٨٢- (فلينظر الانسان الى طعامه)

فلينظر كل إنسان نظر تأمل وإعتبار إلى طعامه الذى يأكله

٥٧٨٣- (أنا صببنا الماء صبا)

أنا صببنا الماء من السحاب الثقال صباً .

٥٧٨٤- (ثم شققنا الارض شقا)

ثم شققنا الارض بالنبات شقاً بديعاً .

٥٧٨٥- (فأنبتنا فيها حبا)

فأنبتنا فى الارض حباً كثيراً متنوعاً من بر وشعير وذرة و مايتغذى به الانسان والحيوان ..

٥٧٨٦- (وعنبا وقضبا)

وأنبتنا فى الارض عنباً ، وقضباً وهو الفت الرطب الذى يأكله الانسان من الخضر اوات وما إليها ، ومما يأكله الانعام من النبات

٥٧٨٧- (وزيتونا و نخلا)

وأنبتنا شجره الزيتون الذى يعصر منه الزيت ، وأنبتنا نخيلاً تثمر تمراً

٥٧٨٨- (وحدائق غلبا)

وأنبتنا بساتين كثيرة الاشجار ، ملتفه الاغصان مختلفة الثمار

٥٧٨٩- (وفاكهة وابا)

وفاكهة يتفكه بها الانسان من ثمار الاشجار وعشباً و كلأ ومرعى وما إليها مما تأكله الانعام

٥٧٩٠- (متاعا لكم ولانعامكم)

أنبتنا هذا كرماً صنعاً لتمتعوا به أيها الناس تمتيعاً لانفسكم ولانعامكم .

٥٧٩١- (فاذا جائت الصاخة)

فاذا جائت الصيحة العظيمة التى تصك الآذان من شدة صوتها

٥٧٩٢- (يوم يفر المرء من أخيه)

يوم يفر فيه المرء من أخيه الذى هو عضده فى الحياة الدنيا .

٥٧٩٣- (وامه وابيه)

بل ويفر المرء يومئذ من امه وأبيه اللذين كان يأوى إليهما فى الحياة الدنيا

٥٧٩٤- (وصاحبته وبنيه)

بل ويفر يومئذ من زوجته التى هى ألصق الناس به ، وهو أدنس بها ، ومن بنيه الذين كانوا هم فلذات كبده فى الحياة الدنيا

٥٧٩٥- (لكل امرىء منهم يومئذ شان يغنيه)

لكل امرىء من الكفرة الفجرة يوم القيامة أمر عظيم هائل يشغله عن أمر غيره .

٥٧٩٦- (وجوه يومئذ مسفرة)

وجوه يوم القيامة مضيئة مشرقة بالبهجة والمسرة ، وأصحابها المؤمنون الصالحون .

٥٧٩٧- (ضاحكة مستبشرة)

ضاحكة من السرور بما أعطاها الله تعالى من النعم والكرامة ، مستبشرة بمشاهدة ما كانت ترجو من الزيادة

٥٧٩٨- (و وجوه يومئذ عليها غبرة)

و وجوه يوم القيامة يعلو عليها غبار الذل والهوان

٥٧٩٩- (ترهقها قترة)

تغشى تلك الوجوه ظلمة الكفر وسواد الفجور

٥٨٠٠- (اولئك هم الكفرة الفجرة)

هؤلاء الذين هذه أحوالهم يوم القيامة ، هم الكافرون بالله جل و علا ، الخارجون عن حدوده ...

﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : في قوله تعالى : « كلا انها تذكرة » قال القرآن ، و في قوله : « في صحف مكرمة مرفوعة » قال : عند الله مطهرة بأيدي سفرة قال بأيدي الأئمة عليهم السلام كرام بررة .

وفي المجمع : « روى فضيل بن يسار عن الصادق عليه السلام قال : الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة

وفي البرهان : بالاسناد عن أبي أيوب الخداء عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : « بأيدي سفرة كرام بررة » قال : هم الائمة عليهم السلام .

وفيه : بالاسناد عن يزيد بن معاوية العجلي قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل « في صحف مطهرة فيها كتب قيمة » قال هو حديثنا في صحف مطهرة من الكذب .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « قتل الانسان ما أكفره » قال قال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما أكفره » أي ماذا فعل وأدب حتى قتلوه .

وفي الاحتجاج : عن الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام - في حديث طويل - « قتل الانسان ما أكفره » أي لعن الانسان .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره » قال : يسر له طريق الخير « ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره » قال : في الرجعة « كلا لما يقض ما أمره » أي لم يقض أمير المؤمنين ما

قد أمره وسيرجع حتى يقضي ما أمره .

وفيه . باسناده عن أبي اسامه (أبي سلمه خ) عن أبي جعفر عليه السلام قال سئلته عن قول الله « قتل الانسان ما أكفره » قال نعم نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام ما أكفره يعني بقتلكم إياه ثم نسب أمير المؤمنين عليه السلام فنسب خلقه ، وما أكرمه الله به ، فقال « من أي شيء خلقه » من طينة الانبياء خلقه « فقدره » للخير « ثم السبيل يسّره » يعني سبيل الهدى ، ثم أماته ميتة الانبياء « ثم إذا شاء أنشره » قلت ما قوله « إذا شاء أنشره » قال يمكث بعد قتله في الرجعة فيقضي ما أمره

وفي رواية قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام « كيف يفجر الانسان وقد اخرج من موضع البول مرتين »

وفي الاختصاص باسناده عن زيد الشحام عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى « فلينظر الانسان إلى طعامه » قال علمه الذي يأخذه عن من يأخذه

رواه الكليني قدس سره في الكافي

أقول ان الروايات من قبيل حمل الظواهر على البطن ، هو من باب التأويل ولا عروفان للقرآن بطناً وللبطن بطوناً ولكل بطن سبعين بطناً وهكذا

وفي الدر المنثور : عن إبراهيم التيمي قال سئل أبو بكر عن قوله « وأباً » فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم

وفيه . أخرج سعيد بن منصور وابن جرير وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان والخطيب والحاكم وصححه عن أنس أن عمر قرأ على المنبر « فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً » إلى قوله « وأباً » قال : كل هذا قد عرفناه فما الأب ثم رفض عصاً كانت في يده ، فقال هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك أن لا تدري ما الأب ، إتبعوا ما بيّن لكم هذا من الكتاب

فاعملوا به ومالم تعرفوه فكلوه إلى ربه

وفيه أخرج عبد بن حميد عن عبد الرحمن بن يزيد أن رجلاً سئل عمر عن قوله «وأباً» فلما رآهم يقولون أقبل عليهم بالدرة

أقول إن قصة «الأب» مشهورة متضافرة عن أبي بكر وعمر، وقد وردت بطرق عديدة عن طريق جملة أعلام العامة في أسفارهم نشير إلى بعضهم:

١. محمود الزمخشري في تفسير (الكشاف)

٢. القرطبي في تفسير (الجامع لأحكام القرآن)

٣. ابن تيمية في مقدمة أصول (تفسير)

٤. ابن كثير الدمشقي في تفسيره

٥. البيهقي في إعلام الموقعين وصححه

٦. الخازن البغدادي في تفسيره (لباب التأويل)

٧. عبد الله النسفي في تفسيره (مدارك التنزيل)

٨. ابن حجر في (فتح الباري)

٩. الكلبي في تفسيره

«قد قرأ عمر بن الخطاب على المنبر «فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وفاكهة وأباً» قال: كل هذا عرفناه فما الأب؟ ثم رفع عصا كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأب، اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب، فاعملوا به ومالم تعرفوه فكلوه إلى ربه»

أخرجه سعيد بن منصور في سننه وأبو نعيم في المستخرج، وابن سعد وعبد بن حميد وابن الأنباري وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان وابن جرير في تفسيره والحاكم في المستدرك وصححه هو وأقره الذهبي في تلخيصه، والخطيب في تاريخه، والزمخشري في الكشاف ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة، والشاطبي في الموافقات، وابن الجوزي في تفسيره والسيوطي

في الدر المنثور، وابن سعد في طبقاته، والبيهقي في شعب الإيمان، وأبو السعود العمادي في إرشاد عقل سليم [illegible] القاري وابن حجر في فتح [illegible] على منعهم من البحث عن [illegible] ألفاظ القرآن الكريم

وفي ارشاد المفيد [illegible] عن قول الله تعالى [illegible]

[illegible]

[illegible] سبحان الله أما علم أن [illegible] قوله تعالى [illegible] إعتداد من الله بإنعامه على خلقه [illegible] وخلقه لهم ولإنعامهم مما تحيى به أنفسهم وتقوم به أجسادهم.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى «وقضباً» قال: القضب القت، و«وفاكهة وأباً» قال: الأب الحشيش للبهائم

وفي أحكام القرآن: وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجدوا على سبع» وإنما أراد ﷺ بقوله: «خلقتم من سبع» يعني «من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة» الآية، والرزق من سبع وهو قوله تعالى: «فأنبتنا فيها حباً وعنباً» إلى قوله «وفاكهة» ثم قال: «وأباً» وهو يدل على أنه ليس برزق لابن آدم وإنه مما يختص به البهائم

وفي الكافي: بإسناده عن مسعدة بن زياد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الفاكهة مأة وعشرون لوناً سيدها الرمان

وفي التوحيد: عن الإمام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام. في

حديث طويل قال عن أهل المحشر ثم يجتمعون في مواطن اخر فيستنطقون فيفر بعضهم من بعض فذلك قوله عزوجل « يوم يفر المرء من أخيه وامه و أبيه وصاحبته وبنيه ».

وفي الخصال باسناده عن سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام قال كان علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة في الجامع إذ قام إليه رجل من أهل الشام فسئله عن مسائل - وكان فيما سئله أن قال له أخبرني عن قول الله تعالى: «يوم يفر المرء من أخيه و امه و أبيه و صاحبته و بنيه» فقال هابيل يفر من قابيل والذي يفر من امه موسى، والذي يفر من أبيه إبراهيم، والذي يفر من صاحبته لوط، والذي يفر من إبنه نوح من إبنه كنعان

رواه في عيون الاخبار - في باب ما جاء عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام من خبر الشامي الا أن فيه « يعني الاب النسبي لا الوالد » بعد قوله «والذي يفر من أبيه ابراهيم».

وفي المجمع - و روى عن عطاء بن يسار عن سوده زوج النبي صلى الله عليه وآله قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث الناس حفاة عراة عزلاً يلجمهم العرق ويبلغ شحمة الاذن قالت: قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض إذا جاء؟ قال شغل الناس عن ذلك و تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ».

قوله صلى الله عليه وآله « عزلاً » الغرل - بالغين المعجمة - جمع أغرل وهو الاقلف غير المختون

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» قال: شغل يشغله عن غيره

و في بستان الواعظين: عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال له بعض أهله يا رسول الله هل يذكر الرجل يوم القيامة حميمه؟ فقال صلى الله عليه وآله ثلاثة مواطن لا

يذكر أحد أحداً : عند الميزان حتى ينظر أثقل ميزانه أم يخف ؟ وعند الصراط حتى ينظر أيجوز أم لا ؟ وعند الصحف حتى ينظر بيمينه يأخذ الصحف أم بشماله ؟ فهذه ثلاثة مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه ولا حبيبه ولا قريبه ولا صديقه ولا ابنه ولا والديه ، وذلك قول الله تعالى « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » مشغول نفسه عن غيره من شدة ما يرى من الأهوال العظام نسئل الله تعالى أن يسهلها لنا برحمته ويهونها علينا برأفته ولطفه .

وفي تفسير القمي قال ثم ذكر عز وجل الذين تولوا أمير المؤمنين عليه السلام وتبرؤا من أعدائه فقال « وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » ثم ذكر أعداء آل الرسول صلى الله عليه وآله « ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة » أي فقراء من الخير والثواب

وفيه . عن ابن عباس في قوله « متاعاً لكم ولانعامكم » يريد منافع لكم ولانعامكم ، وقوله عز وجل « ووجوه يومئذ عليها غبرة » يريد مسودة « ترهقها قترة » يريد غبار جهنم « اولئك هم الكفرة الفجرة » أي الكافر الجاحد .

وفي محاسن البرقي باسناده عن السكوني عن جعفر عن أبيه عن علي عليه السلام قال ومن وفر مسجداً لقي الله يوم يلقاه ضاحكاً مستبشراً وأعطاه كتابه بيمينه

وفي شواهد التنزيل . للحاكم الحسكاني الحنفي - وهو من أعلام العامة باسناده عن أنس بن مالك قال سئلت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله « ووجوه يومئذ مسفرة » ؟ قال يا أنس هي وجوه بني عبد المطلب أنا وعلي وحمزة وجعفر والحسن والحسين وفاطمة يخرج من قبورهم ، ونور وجوههم كالشمس الضاحية يوم القيامة ، قال الله تعالى « ووجوه يومئذ مسفرة » يعني مشرقة بالنور في أرض القيامة « ضاحكة مستبشرة » بثواب الله الذي وعدنا

﴿ بحث فقهي ﴾

في المجمع : قال قيل : « فلو صح الخبر الأول ـ بأن الآيات نزلت في عبدالله بن أم مكتوم ، وكان العابس هو النبي المعصوم ﷺ ـ هل يكون العبوس ذنباً ؟ أم لا ؟ والجواب : أن العبوس والانبساط مع الأعمى سواء إذ لا يشق عليه ذلك ، فلا يكون ذنباً فيجوز أن يكون عاتب الله سبحانه بذلك نبيه ﷺ ليأخذه بأوفر محاسن الأخلاق وينبهه بذلك على عظم حال المؤمن المسترشد ويعرفه أن تأليف المؤمن ليقيم على إيمانه أولى من تأليف المشرك طمعاً في إيمانه

وقال الجبائي : في هذا دلالة على أن الفعل يكون معصية فيما بعد لمكان النهي ، فأما في الماضي ، فلا يدل على أنه كان معصية قبل أن ينهى عنه ، والله سبحانه لم ينهه إلا في هذا الوقت

وقيل : إن ما فعله الأعمى نوعاً من سوء الأدب ، فحسن تأديبه بالإعراض عنه إلا أنه كان يجوز أن يتوهم أنه أعرض عنه لفقره ، وأقبل عليهم لرياستهم تعظيماً لهم ، فعاتبه الله سبحانه على ذلك .

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا رأى عبدالله بن أم مكتوم قال : مرحبا مرحبا لا والله لا يعاتبني الله فيك أبداً ، وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبي ﷺ مما يفعل به » انتهى كلامه ورفع مقامه

وقد استدل بعض فقهاء الشيعة الإمامية الاثني عشرية بقوله تعالى « فأقبره » عبس ٢١) على وجوب تعجيل دفن الميت لمكان الفاء التي تفيد ذلك

﴿ بحث مذهبي ﴾

يستدل بقوله عز وجل « فمن شاء ذكره ، ثم السبيل يسّره » عبس ١٢ و٢٠) على إبطال العقيدة السخيفة للأشاعرة المجبرة : أن القدرة مع الفعل وأن المؤمن لا قدرة له على الكفر ، ولا يقدر الكافر على الإيمان

وأما الإبطال فإن الله تعالى صرّح بأن الإنسان إذا شاء أن يذكره ذكره ، وهو قادر على ذلك مخير فيه من غير إجبار ولا إكراه ، وأن الله تعالى جعل هذا الإنسان مختاراً في فعله يسهل به سلوكه سبيل السعادة والنجاة ، ووصوله إلى الكمال الذي خلق لأجله ، فلا عذر لأحد من الإنسان في كفره وطغيانه

مع أن الآية الثانية في معنى دفع الدخل ، فإن الله جل وعلا لما قال « من نطفة خلقه فقدّره » ١٩٠)

أمكن أن يتوهم متوهم أن الخلق والتقدير إذا كانا محيطين بالإنسان من كل جهة ، كانت أفعال الإنسان لذاته وصفاته مقدّرة [illegible] الربوبية التي لا تتخلف ، فتكون أفعال الإنسان [illegible] لتحقق والإنسان مجبراً عليها من غير أن يكون فيها [illegible] في كفره إذا كفر ، ولا في فجوره إذا فجر ، ولا في [illegible] أمره الله سبحانه به ، وإنما ذلك بتقدير الله سبحانه وإرادته [illegible] ولا دعوة دينية تتعلق به لأن ذلك كله فرع للاختيار ، ولا [illegible]

فدفع الله عز وجل هذا التوهم الممكن بقوله : « ثم السبيل يسّره » ومحصله أن الخلق والتقدير لا ينافيان كون الانسان مختاراً فيما امر به من الايمان والطاعة له طريق إلى السعادة والكمال، وإلى السيادة والفلاح التي خلق لها ، فكل ميسر لما خلق له :

وذلك أن التقدير واقع على الافعال الانسانية من طريق إختياره، والارادة الربوبية متعلقة بأن يفعل الانسان بارادته و إختياره كذا وكذا ، فالفعل صادر عن الانسان باختياره وهو بما أنه إختياري متعلق للتقدير ، فالانسان مختار في فعله مسئول عنه ، وإن كان متعلقاً للقدر

ويستدل بقوله تعالى « ثم إذا شاء أنشره » عبس ٢٢)

على أن وقت البعث والنشور غير معلوم لاحد ، وإنما هو موكول إلى مشيئة الله جل وعلا ، فمتى شاء ذلك يفعل لقوله تعالى « يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي » الاعراف : ١٨٧)

وقوله تعالى « حتى إذا جائتهم الساعة بغتة » الانعام ٣١)

ففي الايات الكريمة ردّ على الذين وقّتوا وقوع البعث بمضي آلاف السنين من أول يوم خلقت الارض من غير علم لهم بذلك «وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » الجاثية : ٢٤)

فمنهم : من زعم وقوعه بمضي عشرة آلاف سنة

ومنهم : من زعم وقوعه بمضي مأة ألف سنة

ومنهم : من زعم وقوعه بمضي مليون ألف سنة

وغيرها من الأقاويل والتقولات التي لا دليل لها ، وليست إلا حرصاً وتخميناً

وفي المجمع في قوله تعالى « وجوه يومئذ مسفرة . أولئك هم الكفرة الفجرة » عبس : ٣٨ - ٤٢)

قال واستدلت الخوارج بذلك على أن من ليس بمؤمن لابد أن يكون كافراً

قال الله سبحانه قسّم الوجوه هذين القسمين ، ولا تعلق لهم به لانه سبحانه ذكرهما قسمين من الوجوه متقابلين : وجوه المؤمنين ووجوه الكفار ، ولم يذكر وجوه العصاة من أهل الصلاة ، فيجوز أن يكون لها صفة اخرى بأن يكون عليها غبرة لاغشاها قترة أو يكون عليها صفرة أولون آخر

﴿القرآن الكريم و النبات﴾

[illegible]
[illegible] شقاً فأنبتنا فيها حباً وعنباً [illegible]
[illegible] متاعاً لكم و لأنعامكم » عبس ٢٣ - ٣٢)

إن الله جل وعلا قد حث الإنسان [illegible] على [illegible]
والنظر إلى نبات الأرض [illegible] على التدبر و التعقل في [illegible] الإشارة إلى [illegible]
[illegible] في نمو طعامه و [illegible] من الماء والأرض [illegible] من مشاهد كمال العلم
[illegible] الحكمة البالغة [illegible] القدرة المطلقة و التدبير الربوبي في [illegible] الوجود و
نظام الكون

وقال: « وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا
منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً من [illegible] من [illegible] قنوان دانية و جنات
من أعناب والزيتون و الرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه
إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون » الأنعام ٩٩)

وقال: « هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون
ينبت لكم به الزرع و الزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك
لآية لقوم يتفكرون » النحل ١٠ - ١١)

وقال: « وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا و

ادعوا أنعامكم إن في ذلك لآية لقوم لا يعقلون » سبأ ٥٣ - ٥٤

وقال « أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين » الشعراء : ٧ - ٨)

وقال « أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون » النمل : ٦٠) .

وقال « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد » ق ٦ - ١١)

ونقتبس من الكلام حول الماء فوائد ، ومن الأرض فمن البديهي انها أحد المؤثرات الطبيعية المهمة لأنها الحاملة للنباتات ، ولان الدور تنبت فيها ، و النباتات تكتسب منها معظم المواد المعدنية التي تعين على نموها التدريجي ، فعليك النظر و التأمل

النظر في أنواع النبات و حبوباتها ، التأمل في ثمار النباتات و طعومها ، التفكر في زهار النباتات و روائحها ، التدبر في الاشجار و ألوانها نظر إعتبار لتحصل لنا المعرفة بالله جل وعلا وعلمه وقدرته وحكمته وتدبيره في نظام الوجود ، وإحسانه وفضله و رحمته علينا

وهو يقول « وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون » النحل : ١٣)

ويقول « أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم و أنفسهم أفلا تبصرون » السجدة : ٢٧)

و يقول : « و في الارض قطع متجاورات و جنات من أعناب و زرع و نخيل صنوان و غير صنوان يسقى بماء واحد و نفضل بعضها على بعض في الاكل إن في ذلك لايات لقوم يعقلون » الرعد : ٤) .

و غيرها من الايات القرآنية الدالة في السماوات　　لابد لكل إنسان التأمل فيها .

﴿علم النبات﴾

واعلم أن النبات إسم شامل لكل ماتنبته الارض

وعلم النبات فرع من التاريخ الطبيعي غايته دراسة النبات دراسة علمية وتتبع أدوار تكونه ونموه وما يصلحه وما يفسده .

النباتات كائنات حيّة تولد وتنمو وتتناسل وتموت ولكنها لاتحس ولاتتحرك بارادتها

ان هذا العلم من أجل العلوم وأدعوها باليمن والبركة على الناس وقد عني به العالم قديماً وحديثاً واسست له المدارس الخاصة به وتهافت الناس على التخرج فيه وخصوصاً في هذا العصر الذي تحقق فيه أجهل الخلق ان للعالم وسائل أرقى من وسائل العادات المتبعة

ونحن لسنا بصدد بسط الكلام في المقام ولكن لاينبغي الترك بالتمام

أعضاء النبات :

إذا نظرنا إلى نبات من النباتات العالية رأينا انه مكون من عدة أجزاء متخالفة وهي الجذر والساق والاغصان والاوراق والثمار

ورأينا ان كلاً من هذه الاجزاء تتألف من قطع خاصة مختلفة

فالجذر يكون عادة مدفوناً في الارض ووظيفته إمتصاص السوائل المعدنية والعناصر الضرورية لتغذية الانسجة من الارض لنمو النبات ويحصل هذا الامتصاص باطراف فروعها الانتهائية بقوة عظيمة

وعلى العموم توجد شروط الامتصاص جميعها في الخلايا ولاتمتص الجذور سوى المواد التي على حالة الذوبان و كلما كان المحلول أكثر سيلولة كان الامتصاص أسرع ويكون الجذور متفرعاً إلى فروع مختلفة الحجوم

والساق أشبه العمود تتكون من حملة صفات وتتفرع عن الساق أغصان كثيرة وللأغصان اوراق يتزين به النبات .

مما يتركب النبات ؟

كل نبات يتألف من مجموع خلايا وأدق دقيقه وبسيطه تكون مؤلفة من خلايا فقط

هذه الخلايا لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة ولابد لذلك من الاستعانة بالمجهر لمعظم فأول ما يوجد من النبات خلية صغيرة وهي عبارة عن حويصلة صغيرة من غشاء داخلها سائل لزج يسمى (البروتوبلاسما) سابحاً في وسطه نواة

هذه الخلية في حالة الحياة تكون ممتلئة بقوة إمتصاص و نمو فاذا وضعت في بيئة رطبة إمتصت مما حولها من السوائل التي تناسبها وزادت حجماً ثم إنقسمت إلى خليتين متلاصقتين وهذه بالامتصاص تكبر حجماً هذه و تنقسمان و هلم جراً

يتألف من مجموع هذه الخلايا جسم النبات وأجساد الحيوانات تتكون من هذه الخلايا المتشابهة في الصغر ولايدرى أحد إلى الآن سر هذه الوحدة في الأصل ولا يزال علماء الحياة يدأبون وراء إستكناه هذا السر وسواه

وان الخلية هي العنصر الأصلي للنبات وجسمه تتكون من حويصلة صغيرة يحتاكر تلك الخلية

وفيها آيات بينات وقف أمامها علماء الطبيعة باهتين ولايستطيعون تعليلها إلا بنسبة الفعل للخالق القدير

فلابد لكل إنسان عاقل من التأمل في أعضاء النبات منها ذكر فيها كيف

جعلها الله تعالى زينة للنبات ودثاراً لثمارها ووقاية لحبوبها ونورها وزهرها من الحر والبرد المفرطين ومن الرياح العواصف والغبار وشدة وهج الشمس .

وكيف جعلها ظلالاً للانسان والحيوان وكنّاً لها وستراً ووطاءاً وغذاءاً ومادة لاجسادها وكيف جعلها أدوية وفيها منافع كثيرة وذلك تقدير العزيز العليم

ولابد من التأمل في أشكال الاوراق من التثليث والتربيع والاستدارة الطويل والقصير والعريض وما إليها

وفي غلظة الاوراق وخشونتها ودقتها وشفافتها ولينتها وفي طيب رائحتها ونتنها وفي مرّ طعمها وحلو طعمها

وفي ألوان الاوراق من خضرونتها وصفرونتها كل ذلك الملل وأسباب ذلك تقدير العزيز العليم .

ولابد له من التأمل في ثمار النبات وحبوبها وبذورها ولحائها وعروقها واصولها ولبّها وقضبانها وفروعها كل واحدة من هذه الانواع ذات منافع كثيرة لم يعرف الانسان بعد إلاّ القليل منها

ومن التأمل في قشر الثمار والحبوب من الرقة والدقة والغلظة والخشونة وفي أشكال نواتها من الاستدارة والاستطالة والمخروطة وما إليها

ومن التأمل في ألوان الثمار من الاسود والابيض والاحمر والاصفر والاغبر

ومن التأمل في أشكال الثمار من الاستدارة والاستطالة وفي طعوم الثمار من الحلو والمر والحمض

ومن التأمل في التناسب بين الاشجار وأوراقها والتناسب بين الاوراق والثمار من جهة الصورة والشكل تارة ومن ناحية اللون والطعم والرائحة تارة اخرى ومن جهة اللين والخشونة والصلابة والرخاوة ثالثة ومن جهة الكبر والصغر والسعة والضيق والثخن والرقة والشفافة والكمد والازدواج والانفراد

رابعة

كل ذلك لعمر واسد لابد من التأمل فيها وكل ذلك تقدير العزيز العليم
وفي ذلك عبرة لاولي الابصار الذين يتفكرون في خلق السموات والارض
أوليس هذا بصنع صانع حكيم ولافصد قاصد خبر عليم ؟

﴿ النباتات وأقسامها ﴾

وقد ذكر المحققون في علم النبات انها على ستة أقسام

أحدها - النباتات الغذائية ، وهي التي تزرع لقصد حبوبها ، وهي من الفصيلة النجيلية التي يصنع من دقيق حبوبها الخبز غذاء للانسان وأنواعها الرئيسة سبعة الحنطة والشعير والارز والذرة والقيلم والشوفان والدخن ولكل واحد منها أنواع

اما الحنطة . فهي من أجود المحصولات الارضية لاحتوائها على مواد مغذية أكثر من غيرها ، ويوجد منها الآن أكثر من مائة نوع على بسيط الارض والحنطة أحد النبات المعدية التي تعودت على معظم الأقاليم ، ولهذا تزرع في جميع الأحوال التي يستوطن فيها الانسان

و أما الشعير . فهو من الفصيلة النجيلية ، واستعمالاته عديدة مهمة ويتحصل من دقيقه خبز خشن لمعيش قليل الجودة لكنه مغذ مرىء ، ويستعمله الفقراء غذاء في بلاد النمسا ويستعمل غذاء للخيل ، وأنواعه كثيرة .

وأما الارز . فهو من الفصيلة النجيلية ، ويظهر ان أصله من بلاد الهند والصين ، وان أجود هذا النبات كثير المحصول معلومة في العالم ، وهو كثير الاستعمال في آسيا وإفريقا وأمريكا . وقد وجدوا فيه بالتحليل الكيميوي مقداراً عظيماً من النشا يبلغ ٩٥ جزءاً من المائة ، ولهذا السبب أدرج في صنف الحبوب المعدية لتنفسه وهذا النبات على أصناف كثيرة إنتهت إلى نحو مائة نوع أجود ما يزرع

بما ويقدران في إيران .

وأما الذرة : فهي من الفصيلة النجيلية ، و تستعمل حبوبها غذاء للانسان والحيوان على أصناف كثيرة وأشكال مختلفة . .

وأما الشيلم : فهو من الفصيله النجيليه وهو من أهم النباتات الحبوبيه بعد الحنطة لتغذيه الانسان في البلاد المعتدلة ، ويبت في الأراضي الفحلة المحتويه على قليل من المواد المغذية ، يقاوم الاعشاب الرديئة ، فيعفن عندها بسهوله وحبوبه يبقى طرياً زمناً طويلاً ، يستعمله الناس غذاء في كثير من بلاد اوربا ، و أساس الخبز الذي يعطى للخيل في بلاد كثيرة ، و يستعمل حب الشيلم لتغذيه الدواجن والطيور الاهلية ، وحبوبه أصغر من حبوب الحنطه .

و أما الشوفان فهو من فصيل النجيلية ، وحبوبه قليله الاستعمال لتغذيه الانسان لاحتوائها على قليل من الدقيق ، و لخبز المتحصل منه يكون أسود ثقيلاً مراً كريه الطعم ، ومع ذلك فالخبز المتحصل منه علف وافر مرئ لجميع الحيوانات ، وحبوبه ملعه جداً لتغذيه الحيوانات التي تقوم الاثقال الشاقه ، فالخيل التي يراد إكتسابها قوة ، والسأن الذي يسمن ، والملاح المرضعات التي يراد إزدياد مقدار ألبانها ، والطيور الداجنة التي يراد إسراع سمنها تعدى بحبوب هذا النبات ، و أمراضه كثيرة

وأما الدخن : فهو من الفصيلة النجيلية ، وحبوب هذا النبات يصنع منها خبز رديء كالارز ، تستعمل لتغذيه الحيوانات لاهليه التي تأكل أوراقه الرطبه بشراهه وسوقه لجافه تستعمل وقوداً ، ويزرع كثيراً في بلاد السودان

و أما النباتات البقوليه فهي التي يستعمل بذورها غذاء للانسان والحيوان عديدة ، وأكثرها يستعمل للفول والعدس والبسله ، والحمص ، والفول ، وكل واحد من أهم النباتات البقوله لكثره إستعماله غذاء ، و حبوبه الطريه و كل بيئه و مطبوخه ، والجافه تستعمل غذاء للمواشي بعد خلطها مع الشعير والتبن ، و هو جيد لتسمين لتغذيه الخيل ، وان الفوسيه على أنواع والبسله غذاء

للإنسان والحيوانات الأهلية ، و يؤكل بزرها أخضر ويابساً بكيفيات مختلفة و يستعمل نباتها علفاً للمواشي و النباتات البقولية تحتوي حبوبها على مادة دقيقة

ثانيها - نباتات العلف ، و هي التي تطلق على العلف اليابس المعروف بالدريس ، وعلى الخضراء التي تتخذ من المروج ، وعلى الجذور التي تزرع غذاء للمواشي وعلى تبن النباتات الحبوبية و البقولية وحبوبها وعلى أوراقها وفروع جملة أشجار تتخذ غذاء لها أيضاً ، وهي على أنواع كثيرة و لكل خاصة خاصة غير ما في غيرها

ثالثها - نباتات الخضراوات والسلاطات وما إليها مما يؤكل رطباً على أنواعها

رابعها - النباتات التي تستعمل في الصنائع والفنون والأدوية و من هذه النباتات ما يحتوي سكراً ، ومنها ما يحتوي زيتاً ثابتاً ، و منها ما يحتوي على الألياف أو ويرتصع منها الأقمشة كالقطن والكتان والابريسم وما إليها ، و منها ما يستعمل تفاحاً ، و منها ما يحتوي على مادة ملونة و منها ما يستعمل في الصنائع و البدائع ومنها سموم و منها حلو ، و منها مر وما إليها من الانواع التي تزيد على ألف نوع

خامسها - الأشجار وهي تنقسم بالنظر لطبيعة متحصلاتها إلى ثلاثة أقسام

الاول أشجار الغابات وهي التي تزرع للانتفاع بأخشابها

الثاني أشجار الفاكهة وهي التي تستعمل ثمارها غذاء

الثالث أشجار تستعمل في التزيين الأهلي كالزيتون والجوز والبندق واللوز وما إليها من الأشجار ذات الثمار الزيتية

سادسها - النباتات التي تتخذ زينة للبساتين والدور كالأزهار على أنواعها

الحكمة و أنواع النباتات

حسب الضرورة في الفصول

ان النباتات كائنات متوسطة بين الحيوان والجماد بمعنى أنها إرتفعت عن الجماد ولم تصل إلى رتبة الحيوان لتجردها عن الحس والحركة بالارادة والنباتات هي الواسطة في تغذية الانسان والحيوان لانها تمتص المواد الغذائية وتحيلها إلى حالة صالحة للتغذية

وان النباتات بلغت أنواعها ٣٢٠ ألف نوع و لكل منها منافع ومناظر و خواص وطبائع وعجائب كل واحد منها تخالف الآخر

و ان الانسان الذي هو أرقى المخلوقات على وجه الارض له في كل نبات منافع فمنه الدواء ومنه الغذاء ومنه الروائح العطرية ومنه خشب السقف ومنه شبابيك المنزل ومنه بعض السفن في البحر وغيرها .

و إختلاف النباتات في القدر و اللون و الطعم و المنافع ناش من إختلاف الاغذية وإختلافها ناش من تعاطي النبات نفسه بحيث ان كل نوع منه يجتذب من الارض ما اق له وكان هذا باجتذاب النبات لما يناسبه ذلك هو النظام الجاري في جميع النباتات لا يمتص إلا ما هو لازم له

قال الله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها » فاطر ٢٧)

مختلف ألوانها و هيئتها و أشكالها مختلف في الصغر و الكبر والطعوم و

الروائح والخواص والتراكيب والنظم من مدور واسطواني وهرمي ومخروطي و غذاء ودواء وحلوة وزيتية وعطرية ومرة ومائية وحمضية

ولو انك لاحظت لون واحد من الالوان كالخضرة وتصفحت أنواع النبات نباتاً نباتاً لما وجدت نباتين يتفقان في لون الخضرة قف بالحقول وفتش على ما فيها من زرع وشجر غرسه الانسان أو أنبته الله تعالى

وانظر هل تجد خضرة مماثلة لخضرة كلا ثم كلا وقس على ذلك الاشكال والروائح والطعوم

وذلك ان الله تعالى خلق كل شيء لحكم كثيرة لا نعرف إلا قليلا منها ومن خلقه النبات مختلف الالوان والطعوم والروائح والهيئات خلقه الله تعالى لمنافع كثيرة منها ان النبات غذاء للحيوان والحيوان إطلاقاً مختلف الطباع فقد جعل كل نوع من النبات غذاء لنوع من الحيوان واكثر وجعل لكل نوع منه دواء لذاك يعرض للحيوان فقدر النبات بقدر طبائع الحيوان وما يحتاج إليه الانسان

وان علماء النبات قسموا النبات على العدد المتقدم إلى ستة أقسام باعتبار آخر

١ - النباتات المستعملة غذاء للانسان والحيوان وهي الغلال والحبوب والبقول والفواكه والخضروات وكل واحد منها على أنواع كثيرة

٢ - النباتات المستعملة شراباً للانسان وهي البن والتمر الهندي والقرفة والسحلب والمغات على أنواعها

٣ - النباتات المتخذة للانسجة لباساً للانسان في القطن والكتان والتيل وما إليها مما يتخذ لذلك

٤ - النباتات المستعملة في العمارات والوقود كخشب البلوط وخشب الصنوبر وهما كثيرا المقاومة وما إليهما من الاخشاب المستعملة فيهما على أنواعها

٥ - النباتات التي تكون زينة للبساتين مع منافع أخرى وهي الازهار على ألوانها المبتهجة فتكسي البساتين نضارة وجمالاً ويبتهج بها الانسان

٦- النباتات الطبيّة فهي نباتات تستعمل لمعالجة الأمراض وهي كثيرة جداً

إن في خلق النباتات أكبر شاهد على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته، غاية حكمته وتدبيره وينفي الشرك عن ساحة قدسه جل وعلا

ونعم ما قال شاعر

تأمل في رياض الأرض وانظر	إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات	بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات	بأن الله ليس له شريك

يبذر واحد مبذرة ضئيلة ثم يتعهدها بالسقي والتربية حيناً، فلا يلبث حتى يراها شجرة ملتفة الأغصان مورقة الأفنان

فسبحان الله الكريم المنان ثم ينتفع من ثمارها إن كانت من ذوات الثمار وينتهج من أزهارها إن كانت من ذوات الأزهار ويستخرج الروائح الطيبة والمواد العطرية التي تكسب النفس سروراً وإنشراحاً

ويجد منها الأدوية المفيدة لكثير من الأمراض وهكذا.

وإن الأشجار تنقي الهواء ويستظل بها الإنسان ويتغذى بورقها الحيوان، تأوي إليها الطيور وينتفع بأحراقها في كثير من الأحوال وغير ذلك من المنافع لا يسع المقام ذكرها

إن أكثر النبات ينبت في الربيع لاعتدال الزمان وطيب الهواء، كثرة المطر السابق وما نزل منه في الشتاء

وما ينبت في غير الربيع من الفصول الثلاثة فقليل

وإن النبات يختلف حسب الأمكنة فمنها يأتي ومنها يجري ومنها لا ينبت إلا في مناطق حارة، ومنها لا ينبت إلا في مناطق باردة وبعضها لا ينبت إلا في السهل وبعضها لا ينبت إلا في الجبل وبعض في أرض سبخة وبعض في أرض صلبة، وبعض في أرض رمال وبعض في أرض طينية

و من الاشجار البرية : شجرة تصطاد بعض الحشرات بمادة خاصة فيها و ذكر علماء الفن أنواعها نحو ٤٠ نوعاً ، ويقولون إن فيها إحساساً والقدماء منهم يقولون : ان فيها شعوراً قليلاً ويذكرون لذلك براهين

منها - ان عروقها تترك المحال اليابسة وتأتي المواضع الندية .

ومنها - ان فروعها إذا كانت في مكان مظلم ، وفيه نور قد أتى من سقفه توجهت نحو ذلك السقف الذي جاء منه النور

ومن الاشجار البحرية شجرة نابتة تحت الماء على أعماق مختلفة شجرة سورتها الزئبقي نابتة في قاع البحر وهي شجرة عجيبة يسمونها (نبت البحر) بهيئة غريبة بحيث تميل أغصانها إلى الجوانب وتظهر للناظر كأنها طبق متساوي الشكل وهكذا من النباتات العجيبة النابتة في قاع البحر وفوقها ألف قامة - إلى ثلاث آلاف وهكذا كل تلك ماء فوقها وهي خضراء بديعة قوية متينة تبلغ آلاف القامات تنتفع بها الحيوانات البحرية

﴿ النباتات و درس التوحيد ﴾

ان الله تعالى يقول « وأنزلنا من المعصرات ماءاً ثجاجا لنخرج به حباً، نباتاً وجنات الفافا » النباء : ١٤ ـ ١٦)

قال جون ولنام كلوتس ـ وهو استاذ علم الأحياء والفسيولوجيا بكلية المعلمين بكونكورديا منذ سنة ١٩٤٥ عضو جمعية الدراسات الوراثية متخصص في الوراثة وعلم البيئة

« ان هذا العالم الذي نعيش فيه قد بلغ من الاتقان والتعقيد إلى درجة تجعل من المحال ان يكون قد نشأ بمحض المصادفة أو لم يكن له غاية ، انه ملئ بالروائع والامور المعقدة التي تحتاج إلى مدبّر قادر عليم والتي لا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى ولاشك ان العلوم قد ساعدتنا على زيادة فهم وتقدير ظواهر هذا الكون المعقدة وهي بذلك تزيد من معرفتنا بالله ومن ايماننا بوجوده

ومن التعقيدات الطريفة في هذا الكون ما نشاهده من العلاقات التوافقية الاضطرارية بين الاشياء أحياناً ومن أمثلتها العلاقة الموجودة بين فراشة اليوكا ونبات اليوكا هو أحد النباتات الزئبقية اليوكا تتدلّى إلى أسفل ، يكون عضو التأنيث فيها أكثر إنخفاضاً عن عضو التذكير أو السداة أما المبسم وهو الجزء من الزهرة التي يتلقى حبوب اللقاح فانه يكون على شكل الكأس . وهو موضوع بطريقة يستحيل معها أن تسقط فيه حبوب اللقاح ولابد أن تنتقل هذه الحبوب بوساطة فراشة اليوكا . التي تبدأ عملها بعد مغيب الشمس بقليل فتجمع كمية من

حبوب اللقاح من الأزهار التي تزورها وتحفظها في فمها الذي بني بطريقة خاصة لأداء هذا العمل.

ثم تطير الفراشة إلى نبات آخر من نفس النوع وتثقب مبيضها بجهاز خاص في مؤخر جسمها ينتهي بطرف مدبب يشبه الإبرة وينزل منه البيض. وتصنع الفراشة بيضة أو أكثر. ثم ترجف إلى أسفل الزهرة حتى تصل إلى القلم وهناك تترك ما جمعته من حبوب اللقاح على صورة كرة فوق ميسم الزهرة. وينتج النبات عدداً كبيراً من الحبوب. يستخدم بعضها طعاماً لأولاد الفراشة وينضج بعضها لكي يواصل دورة الحياة.

وهناك أيضاً علاقة مشابهة بين نبات التين ومجموعة من الزنابير الصغيرة وكذلك بين الزهرة المسماة «خاك في المقصورة» وذبابة دقيقة تدخل إلى المقصورة.

وهنالك كثير من الأزهار التي تسجن الحشرات داخلها.

أفلا تدل كل هذه الشواهد على وجود الله؟! إنه من العجب على عقولنا أن نتصور أن كل هذا التوافق العجيب قد تم بمحض المصادفة إنه لابد أن يكون نتيجة توجيه محكم إحتاج إلى قدرة وتدبير!..»

وقال سيل هامان ـ هو عالم بيولوجي واستاذ في جامعة كنتاكي وجامعة سانت لويز سابقاً استاذ في كلية آسبوري إحصائي في تقسيم الطفيليات الحيوانية

«أينما اتجهت ببصري في دنيا العلوم رأيت الأدلة على التصميم والإبداع على القانون والنظام على وجود الخالق الأعلى سر في طريق مشمس وتأمل بدائع تركيب الأزهار واستمع إلى تغريد الطيور وانظر إلى عجائب الأعشاش فهل كان محض المصادفة أن ينتج الأزهار ذلك الرحيق الحلو الذي يجتذب الحشرات فتلقح الأزهار وتؤدي إلى زيادة المحصول في العالم التالي؟!

«هل هو محض مصادفة إذ تهبط حبوب اللقاح الرقيقة على ميسم الزهرة

فتثبت وتسير في القلم حتى تصل إلى المبيض فيتم التلقيح وتتكون البذور ؟!

أفليس من المنطق : أن نعتقد بأن يد الله التي لا نراها هي التي رتبت ونظمت هذه الأشياء تبعاً لقوانين ما زلنا في بداية الطريق نحو معرفتها والكشف عنها ؟

وهل من الممكن أن نعرد الطير - لا لأن له ألفاً فحسب - بل لأن الله يحب تغريده ونعلم أننا نطرب بتغريده ؟ »

قال الله تعالى « ومن الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » الرعد : ٣)

في الآية دلالة واضحة على كمال قدرة الله تعالى وحكمته وأنه هو المدبر للأشياء كلها .

وذلك أن الشجر يخرج أغصانها وثمارها في وقت معلوم لا يتأخر عنه ولا يتقدم ويتصعد الماء في ذلك الوقت علواً [illegible] وليس من طبعه إلا التسفل ثم يتفرق ذلك الماء في الورق والأغصان والثمر كل بقسطه وبقدر ما فيه صلاحه

ثم تختلف طعوم الثمار والماء واحد والشجرة جنس واحد

أفلا يدل ذلك على مدبر دبره وحكيم أحكمه لا يشبه المخلوقات

نعم ما قال الراجز

والأرض فيها عبرة للمعتبر	تخبر عن صنع مليك مقتدر
يسقى بماء واحد أشجارها	وبقعة واحدة قرارها
والشمس والهواء ليس يختلف	وأكلها مختلف لا يأتلف
لو أن ذا من عمل الطبائع	أو أنه صنعة غير صانع
لم يختلف وكان شيئاً واحداً	هل يشبه الأولاد إلا الوالدا
الشمس والهواء يا معاند	والماء والتراب شيء واحد
فما الذي أوجب ذا التفاضل	إلا حكيم لم يزده باطلا

وقال الله تعالى « الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون » (البقرة ٢٢)

ان الله تعالى مهّد لكم الارض وجعلها فراشاً ورفع فوقكم السماء بغير عمد ترونها وأنزل من السماء ماء فأنبت به من الثمرات رزقاً لكم

ان علم النبات وعلم الفلاحة والزراعة أو عمارة الارض علم واسع النطاق منتشر في جميع الآفاق طويل المدى لا يحصيه عدّ ولا ينكر فضله أحد

وان النبات من جملة بدائع القدرة الالهية في المخلوقات من حيث ايجاد الاشجار والثمار والحبوب والازهار .

والتأمل في كيفية تكوينها وجميل صنعها مما يقوي في الانسان عقيدة الايمان برب السموات والارض وجميع الكائنات .

النخل وتوجيه الانسان

الى توحيد الربوبية وسعة الرحمة

ان الله تعالى ذكر النخل في القرآن الكريم ووصفها بمواضع عدة منها ما في هذه السورة التي نحن فيها التوجيه الانسان إلى التوحيد وسعة رحمته إذ قال « فلينظر الانسان إلى طعامه - إلى قوله - وزيتوناً ونخلاً » عبس ٢٤ - ٢٩)

ومنها ما قال « وأنزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد » ق ٩ - ١١)

ومنها ما قال « والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام» الرحمن ١٠ - ١١)

ومنها ما قال « ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » الرعد ٤.

فلنا البحث على ما يقتضيه المقام ثم التعقل

في البحار في رواية طويلة - سئل رجل من شباب اليهود علي بن ابيطالب عليه السلام عن أول شجرة نبتت على وجه الارض فقال عليه السلام ان اليهود تزعم انها الزيتون وكذبوا وإنما هي النخلة التي هبط بها آدم عليه السلام معه من الجنة فغرسها وأصل النخل كله منها

ان النخل شجر معروف وهو لا يثمر إلا في الأقطار المعتدلة الحرارة شتاءاً والشديدة صيفاً شجرة النخيل كثيرة العروق دقيقتها بطيئة النشوء طويلة العمر

تعيش قروناً منتصبة الارتفاع مستديرة الاصل مسدسة مخارج الشعف مستطيلة الاوراق مزدوجة مقابل رخو الجرم .

قيل إن سبب كثرة العروق لها لكيما تجذب بها القوة الطبيعية الجاذبة للمواد الكثيرة وذلك لشدة حاجة هذا الجنس من النبات إلى مواد الكثيرة و لكيما تحفظها من الآفات العارضة من البرد والحر المفرطين و من الرياح والعواصف وما إليها

وتخلف بعدها خلفة تنمو بجانبها .

وان النخل منذ زرع من قديم الزمان وهو ذو قيمة لدى سكان البلاد التي نجحت زراعته فيها ، ومن طبع هذا النبات وعادته أن ينبت في البلاد القليلة المطر الشديدة الحر في الصيف وقد كان منذ دهور ولا يزال أهم نبات مغذ لاهل الصحارى الكبرى فانه هو القوت الغالب للبدو ، و للناس المتقاعدين في هذه البلاد و مع أن هذا الشجر من أقدم ما زرعه الانسان للانتفاع بثمره ، فانه لم ينتشر أكثر مما كان منذ ألوف من السنين وفيما عدا المناطق الحارة القاحلة في الجنوب الغربي من آسيا وفي شمال أفريقيا لا يكثر ثمر النخل وهو ذو قيمة زهيدة من حيث انه مورد للقوت

و زراعة النخل مقصورة على الجهات القاحلة والشبيهة بها وهو يقاوم التغيرات العجيبة لدرجات الحرارة ومع أنه ينمو نمواً عظيماً في المناطق القاحلة والتي تليها فانه ليس نباتاً صحراوياً بمعنى الكلمة

بل يحتاج في أول أمره إلى ري كثير دائم في جذوره مع أنه ينجح نجاحاً عظيماً في الأقاليم الجافة الشديدة الحرارة

وأهم الشروط الضرورية لنمو النخل وإثماره هو الحر الشديد ومع قدرته على تحمل البرد الشديد في الشتاء نضج ثمره جيداً يحتاج إلى جو حار جداً

﴿ الفواكه وأنواعها ﴾

قال الله تعالى في مقام توجيه الانسان إلى توحيد الربوبية وسعة رحمته بما هيّأ له من الأطعمة والأغذية منها الفاكهة ﴿ وفاكهة وأباً متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ عبس : ٣١ ـ ٣٢)

وقال ﴿ فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون ﴾ المؤمنون : ١٩)

في تفسير البرهان : بالاسناد عن مسعدة بن زياد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الفاكهة مأة وعشرون لوناً سيّدها الرمان

وفي الخصال : باسناده عن إبن أبي عمير عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لمّا أهبط الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام من الجنة أهبط معه عشرين ومأة قضيب منها أربعون ما يؤكل داخلها وخارجها وأربعون منها ما يؤكل داخلها ويرمى بخارجها وأربعون منها ما يؤكل خارجها ويرمى بداخلها وغرارة فيها بزر كل شيء

قوله عليه السلام : غرارة بالكسر : جوالق ... كل حبّ يبذر للنبات

وفي البحار : عن إبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أكل الفاكهة وبدأ ببسم الله لم يضرّه ... وقال صلى الله عليه وآله : لمّا أخرج آدم عليه السلام من الجنة زوّده الله تعالى من ثمار الجنة وعلّمه صنعة كل شيء فثمار كم من ثمار الجنة غير أن هذه تغيّر وتلك لا تتغير

وفي الكافي بإسناده عن أحمد بن يحيى الطحّان عمن حدّثه عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خمس من فواكه الجنة في الدنيا: الرمان الأمليسي والتفاح الشعشعاني والسفرجل والعنب الرازقي والرطب المشاب.

أقول: قيل: في «الأمليسي» لمس بالتحريك، وهو ما لا عجم له، «الشعشعاني» يعني الشامي.

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن وهب بن وهب عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى الفاكهة الجديدة قبلها ووضعها على عينه وفمه ثم قال: اللهم كما أريتنا أولها في عافية فارنا آخرها في عافية.

إن الفواكه من الأغذية اللطيفة ذات الخصائص الجليلة على البنية وهي تحتوي على جميع الأصول المغذية التي تحتاج إليها البنية.

وقد قسم علماء النبات الفواكه إلى سبع رتب وهي:

١ـ الفواكه الحمضية كالبرتقال والليمون والتمر الهندي والأناناس والرمان.

٢ـ الفواكه المرة كالشليك والتوت الشوكي والخوخ.

٣ـ الفواكه السكرية أي التي تغلب فيها المواد السكرية كالبرقوق والعنب والبلح والتين والقراصيا وما إليها.

٤ـ الفواكه الزيتية أي التي تحتوي على مواد دهنية كثيرة وهي مثل الزيتون والجوز واللوز وجوز الكوكو وما إليها.

٥ـ الفواكه المائية كالشمام والبطيخ.

٦ـ الفواكه العطرية كالمانجو والخوخ.

٧ـ الفواكه النشوية والفواكه القابضة كالزعرور والسفرجل والعنبراء.

ثم قالوا: إن جميع الفواكه يصنع منها أغذية غاية في اللذة يحسن بكل إنسان أن يتناولها ولكن لا يجوز الإفراط فيها.

وقال الآخر : ان الفواكه من أصح الأغذية لأنها تطهر لنا الدم ولها خواص جليلة اخرى وهي أصح ما تكون ان تنوولت نيئة

وقد يجهل الكثيرون ان الفواكه تطفىء العطش و تبرد الدم المتهيج و تهدىء إنفعالات الاعصاب و تنشط حركة التبرز الكسلانية و يجهل الاكثرون أيضاً أن الفواكه مغذية للاطفال

ان الفواكه ترجى المريض بحقه وجميع الذين يعتبرون أنفسهم أصحاء في الظاهر يحملون في أجسادهم مواد مرضية والفواكه تذيب هذه المواد المرضية و تخرجها من أجسادهم فهي أفضل الأغذية للانسان فينصح الناس أجمعين بتعاطيها

الأفضل أن تؤكل الفواكه نيئة لان الطبخ يضيع روائحها الشذية ومع ذلك فان المرضى يستفيدون منها وهي مطبوخة ما لا يستفيدونه وهي نيئة وجاء في كتاب (الطب الطبيعي) ما ملخصه : يجب العناية الشديدة بتعاطي الفواكه لطرد الامراض الجسدية فهي تنشط الوظائف الطبيعية للجسم وتشفي أمراضه

وقد عرف الاقدمون خصائص الفواكه وخواصها في شفاء الامراض وصحة الاجساد ، فأشاروا بتعاطيها في العلل المختلفة

وقد اعترف الكيماويون الفزيولوجيون وأصحاب نظرية الاروت بان العلاج بالفواكه نافع جداً لتنشيط الوظائف الحيوية للانسان فهي كافية كل الكفاية لبنائها وتكميلها وقد حصلنا على الدليل العملي على ذلك لا على الدليل النظري وحده من مشاهدة حالة أكلة الفواكه وان زراعة الفواكه أحسن أنواع الزراعات بعد الحبوب تجب العناية بهذا الفن

وعلى أصحاب الدعوات الاصلاحية والاجتماعية الدينية تنشيط الناس على إستغلال هذا النوع من خيرات الارض

وقد قسّم الاخرون منهم الفواكه . على إختلاف ألوانها وأنواعها وآثارها على سبعة أقسام على الترتيب التالي

أحدها ـ الاشجار التي ثمارها ذات بزور صغيرة كأشجار الكمثرى و التفاح و السفرجل و البرتقال و ايجل و الرمان و الجوافا

ثانيها ـ الاشجار التي ثمارها ذات عجم كأشجار الخوخ والبرقوق والكرز والمشمش والامبه واللوز والعناب والنبق والمحيط والفستق والاهليلج

ثالثها ـ الاشجار ذات الثمار اللحمية المحتوية على النوى كالنخيل والدوم

رابعها ـ الاشجار ذات الثمار العنبية و اللحمية كأشجار العنب و التوت الشوكي والتين البرشومي والحمير والتين الشوكي والبابار والموز .

خامسها ـ الاشجار ذات الثمار الجوزية كأشجار الجوز والبندق

سادسها ـ الاشجار ذات الثمار المحتوية على بزور صغيرة علفها صلبة كالاشجار المشملة والجمبوزا والفشطة والتبلدي

سابعها ـ الاشجار ذات الثمار القرنية كأشجار الخرنوب والتمر الهندي

و ان العنب هو كمعظم النباتات المعدية النافعة و ينبت شجر العنب في جميع البلاد التي حرارتها معتدلة

و ان شجر الزيتون يستخرج منه الزيت، وقد ثبت بالتجارب ان هذا الشجر إذا زرع على حدود الصحراء في أرض مرتفعة نجح أكثر مما إذا زرع في الأراضي المنخفضة و أشجارها توجد كثيراً إلى الآن في الصحراء المغربية

عمر بن الخطاب

وجهله بمعنى الأب

وقد أخرج كثير من أعلام العامة روايات في جهل عمر بن الخطاب بمعنى الأب نشير إلى مايسعه المقام

١ ـ الحاكم في (المستدرك ج٢ ص ٥١٤) و صححه هو وأقرّه الذهبي في تلخيصه

٢ ـ الخطيب في (تاريخه ج١١ ص ٤٦٧)

٣ ـ محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج٢ص٤٩) نقلا عن البخاري و البغوي و الملخص الذهبي

٤ ـ الشاطبي في (الموافقات ج١ ص٢١ ـ ٢٥)

٥ ـ إبن جوزي في (سيرة عمر ص١٢٠)

٦ ـ إبن الاثير في (النهاية ج١ ص١٠)

٧ ـ إبن تيمية في (مقدمة اصول التفسير ص٣٠)

٨ ـ إبن جرير الطبري في (تفسيره ج٣٠ ص٣٨)

٩ ـ الزمخشري في (الكشاف ج٣ ص٢٥٣)

١٠ ـ إبن كثير في(تفسيره ج٤ ص٤٧٣) و صحّحه

١١ ـ الخازن البغدادي في تفسيره (لباب التأويل ج٤ ص٣٧٤)

١٢ ـ السيوطي في (الدر المنثور ج٦ ص ٣١٨) عن جمع من الحفّاظ

المذكورين .

١٣ ـ أبو السعود العمادي في (إرشاد عقل سليم)

و غيرهم

عن أنس بن مالك قال : ان عمر قرأ على المنبر « فأنبتنا فيها حبّاً و عنباً وقضباً و زيتوناً و نخلاً و حدائق غلباً و فاكهة و أبّاً »

قال : كل هذا عرفناه فما الأبّ ؟ ثم رفض عصاً كانت في يده فقال : هذا لعمر الله هو التكليف فما عليك أن لا تدري ما الأبّ ؟ اتبعوا ما بيّن لكم هداه من الكتاب فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه

و في رواية

قال أنس : بينا عمر جالس في أصحابه إذ تلا هذه الآية « فأنبتنا فيها حبّاً و عنباً وقضباً و زيتوناً و نخلاً و حدائق غلباً و فاكهة وأبّاً » ثم قال : هذا كله عرفناه فما الأبّ ؟ قال : و في يده عصيّة يضرب بها الأرض فقال : هذا لعمر الله التكلف فخذوا أيها الناس بما بيّن لكم فاعملوا به وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه

و عن ابن عباس قال : كنت عند عمر و عنده أصحابه فسئلهم فقال : أرأيتم قول رسول الله ﷺ في ليلة القدر : إلتمسوها في العشر الأواخر وتراً أيّ ليلة ترونها ؟ فقال بعضهم ليلة إحدى ، وقال بعضهم ليلة ثلاث ، وقال بعضهم : ليلة خمس ، وقال بعضهم ليلة سبع

فقالوا : وأنا ساكت فقال : ما لك لا تتكلم ؟ فقلت : إنك أمرتني أن لا أتكلم حتى تتكلموا ؟ فقال : ما أرسلت إليك إلا تتكلم فقلت : إني سمعت الله يذكر السبع فذكر سبع سموات ومن الأرض مثلهن وخلق الإنسان من سبع وبنت الأرض سبع فقال عمر

هذا أخبرتني ما أعلم أنا أنت ما لم أعلم قولك (بنت الأرض سبع) قال قال الله عز وجل : « إنا شققنا الأرض شقّاً فأنبتنا فيها حبّاً وعنباً وقضباً وزيتوناً و

نخلاً و حدائق علباً »

قال : فالحدائق الغلب الحيطان من النخل والشجر « وفاكهة وأباً » قال فالآب ما أنبت الارض مما تأكله الدواب و الانعام ولا يأكله الناس قال : فقال عمر لاصحابه أعجز ثم أن تقولوا كما قال هذا الغلام الذى لم تجتمع شئون رأسه والله انى لأرى القول كما قلت

ولايخفى على القارىء الخبير ان الخليفة عجز أيضاً عن معرفة ما قاله الغلام الذى لم تجتمع شئون رأسه والآب ذلك الذى أعنى الخليفة و رأى علمه تكلفاً

﴿ حياة عمر بن الخطاب وأساتذته ﴾

ونحن نشير على طريق الاختصار إلى ما ورد في المقام عن طريق العامة ليقض القارىء المنصف سليم القلب على ما هو الواقع :

كان عمر بن الخطاب ردحاً من الزمن يرعى الابل في وادي سحنان - جبل بناحية مكة - يرعب ويتعب إذا عمل ، ويضرب إذا قصر

كما في الاستيعاب (ج ٢ ص ٤٢٨) والرياض النضرة (ج٢ ص ٥٠) وتاريخ أبي الفدا (ج١ ص ١٦٥) و (الخلفاء ص ١١٣) للبخاري

وآونة كان عمر يحتطب ويحمل فوق رأسه حزمة من الحطب مع أبيه الخطاب وما منهما إلاّ في تمرة بردة من صوف تلبسها الاعراب والاماء فيها تخطيط - لا تبلغ رسغيه - الرسغ مفصل ما بين الساعد والكتف والساق والقدم

كما في (العقد الفريد ج ١ ص ٩١) وشرح (ابن أبي الحديد ج١ ص٥٨) و(فائق الزمخشري ج ٢ ص٢٨)

وكان عمر بن الخطاب مدة يقف في سوق عكاظ ، وبيده عصا ترع الصبيان به، وكان يوم ذلك يسمى عميراً

كما في الاستيعاب في هامش (الاصابة ج٤ ص٢٩١) و(الاصابة ج٤ ص ٢٩) و(الفتوحات الاسلامية ج٢ ص٤٢٣)

وكان برهة من أيام إسلامه يمتهن بالبرطشة ، وكان مبرطشاً يلهيه عن أخذ الكتاب والسنة الصفق بالأسواق ، وكان دهراً يبيع الخيط والقرظة بالبقيع

وأما علمه فأخذه عن اناس من الصحابة حيث كان عند ماعندهم من الفقه وفيهم من لم يعرف بالعلم وهم :

١ـ عبدالرحمن بن عوف　　٢ـ معاذ بن جبل .
٣ـ عبدالله بن العباس　　٤ـ زيد بن ثابت
٥ـ عمار بن ياسر　　٦ـ أبو عبيدة الجراح .
٧ـ عبدالله بن مسعود　　٨ـ مغيرة بن شعبة .
٩ـ محمد بن مسلمة　　١٠ـ أبو موسى الاشعرى .
١١ـ أبو سعيد الخدرى　　١٢ـ ابى بن كعب .
١٣ـ صهيب أبو يحيى　　١٤ـ الضحاك بن سفيان
١٥ـ حمل بن نابغة　　١٦ـ عبدالله بن عمرو بن العاص
١٧ـ أبو واقد الليثى　　١٨ـ إمرأة من قريش
١٩ـ شاب من فتيان الانصار　　٢٠ـ رجل لايعرف
٢١ـ عبد أسود　　٢٢ـ عجوز مدنية
٢٣ـ شيخ من هذيل　　٢٤ـ رجل من بنى مدلج

٢٥ـ رجل شامى

وقد كان عمر بن الخطاب يستفيد من كعب الاحبار، ووهب بن منبه، ويحرص الناس على الاستفادة منهما

وفى تفسير إبن كثير الدمشقى (ج٣ ص ١٧) مانصه

قاله ـ كعب الاحبار ـ لما أسلم فى الدولة العمرية جعل يحدث عمر عن كتبه قديماً فربما إستمع لعمر . فترخص الناس فى إستماع ماعنده ونقلوا ما عنده عنه عنها وسمعنها

﴿ عمر بن الخطاب و جهالاته ﴾

لايسع المقام لذكر جميع ماورد عن طريق العامة من جهالات عمر بن الخطاب في شتى النواحي ، ولكن لانتركها تماماً ، إتماماً للحجة على المردة .

١ ـ أخرج مسلم في صحيحه في باب التيمم بأربعة طرق عن عبدالرحمن بن أبزى إن رجلاً أتى عمر فقال اني أجنبت فلم أجد ماءاً ؟ فقال عمر لاتصل فقال عمار أما تذكر يا أمير المؤمنين ! إذ أنا وأنت في سرية فاجنبنا فلم نجد ماء فأما انت فلم تصل ، وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت ، فقال النبي ﷺ إنما كان يكفيك أن تصنع بيديك الارض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك و كفيك ؟ فقال عمر : اتق الله يا عمار ! قال إن شئت لم احدث به ؟ .

رواه جماعة من أعلام العامة في أسفارهم مع إختلاف يسير

كأبي داود في سننه ، و إبن ماجه في سننه ، و أحمد في مسنده ، و النسائي في سننه ، والبيهقي في سننه ، والبخاري في صحيحه ، والنووي في المصابيح ، و الذهبي في تذكرته وغيرهم من جملة أسفار العامة

اقول وقد كان عمر بن الخطاب يترك الصلاة يوم أجنب في السرية بعد ماجده الاسلام بالطهورين ، و كان جاهلاً عن آية التيمم و حكم القرآن الكريم أو كان يغض بصره عن تعليم النبي ﷺ عماراً كيفية التيمم ، ويجتهد في حياة رسول الله ﷺ ، كيف فتح باب الاجتهاد بمصراعيه على الامة مع وجود نبيهم بين ظهرانيهم ؟

٢ ـ أخرج أحمد الحنبل في (مسنده ج١ص١٩٢) باسناده عن مكحول ان رسول الله ﷺ قال إذا صلّى أحدكم فشكّ في صلاته، فلم يدر في الواحدة والثنتين فليجعلها واحدة وإن شك في الثنتين والثلاث فليجعلها ثنتين، وإن شك في الثلاث والاربع فليجعلها ثلاثاً حتى يكون الوهم في الزيادة ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم ثم يسلّم قال محمد بن إسحق وقال لي حسن بن عبدالله هل أسند لك؟ فقلت لا فقال. لكنه حدثني ان كريباً مولى إبن عباس حدثه عن إبن عباس قال. جلست إلى عمر بن الخطاب، فقال يا بن عباس! إذا اشتبه على الرجل في صلاته فلم يدر أزاد أم نقص؟ قلت يا أمير المؤمنين! ما أدري ما سمعت في ذلك شيئاً فقال عمر: والله ما أدري

أقول أولا تعجب من سند في الخلافة للامة الاسلامية وهو لا يعلم حكم شكوك الصلاة وهو مبتلى بها في اليوم والليلة خمساً؟ ولم يهتم بأمرها حتى يسئل رسول الله ﷺ عنها إلى أن يؤل أمره إلى السؤال عن علام لا يعلمها أيضاً، فيسأله بها عبدالرحمن بن عوف، أما لا أدري كيف كان يعمل، وهو مبتلى بالحال لو شك في صلاته يأم فيها مردته؟

٣ ـ أخرج إبن أبي حاتم و البيهقي عن الدئلي ان عمر بن الخطاب رفعت إليه إمرأة ولدت لستة فهمّ برجمها. فبلغ ذلك علياً فقال ليس عليها رجم، فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه فسئله. فقال قال الله تعالى «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين» وقال «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» فستة أشهر حمله و حولين فذلك ثلاثون شهراً فخلى عنها

وفي لفظ النيسابوري و الحافظ الكنجي فصدّقه عمر، وقال لولا علي لهلك عمر.

وفي لفظ سبط إبن الجوزي فحلّى وقال اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها إبن أبي طالب.

وأخرج عبدالرزاق وعبدبن حميد وابن المنذر باسنادهم عن الدئلي قال رفع إلى عمر إمرأة ولدت لستة أشهر فأراد عمر أن يرجمها ، فجائت اختها إلى علي بن أبيطالب، فقالت: إن عمر يرجم اختي، فانشدك الله إن كنت تعلم أن لها عذراً فما أخبرني به فقال علي عليه السلام إن لها عذراً وكثرت تكبيرة سمعها عمر و من عنده فانطلقت إلى عمر فقالت : إن علياً زعم أن لاختي عذراً ، فأرسل عمر إلى علي ما عذرها ؟ قال إن الله يقول : والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين . فقال وحمله وفصاله ثلاثون شهراً وقال ، وفصاله في عامين ، و كان الحمل هذا ستة أشهر ، فتركها عمر، قال ثم بلغنا انها ولدت آخر لستة أشهر .

وأخرج العقيلي وابن السمان عن أبي حرم بن الأسود ان عمر أراد رجم المرأة التي ولدت لستة أشهر فقال له علي عليه السلام إن الله تعالى يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهراً وقال تعالى وفصاله في عامين والحمل ستة أشهر والفصال في عامين فترك عمر رجمها وقال : لولا علي لهلك عمر .

روى هذه القصة جماعة من أعلام العامة باختلاف يسير

كالبيهقي في (السنن الكبرى ج ٧ ص ٤٤٢) والطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٣) وفي (ذخائر العقبى ص ٨٢) والرازي في (تفسيره ج ٧ ص ٤٨٣) وفي (الأربعين ص ٤٦٦) والنيسابوري (في تفسير سورة الاحقاف) والكنجي في (الكفاية ص ١٠٥) و لخوارزمي في (المناقب ص ٥٧) وسبط في (التذكرة ص ٨٧) والسيوطي في (الدر المنثور ج ١ ص ٢٨٨) و(ج ٦ ص ٤٠) وأبي عمر في (مختصر جامع الاصول ص ١٥٠) وغيرهم

و في شرح ابن أبي الحديد (ج ١٢ ص ٢٠٢ دار الاحياء الكتب العربية)

انه - عمر - أمر برجم حامل حتى نبهه معاذ و قال : إن يكن لك عليها سبيل، فلا سبيل لك على ما بطنها ، فرجع عن حكمه ، وقال : لولا معاذ لهلك عمر

من يجهل هذا القدر لا يجوز أن يكون إماماً لانه يجري مجرى اصول الشرع

، بل العقل يدل عليه لان الرجم عقوبة ، ولا يجوز أن يعاقب من لا يستحق

وفيه: أيضاً ما لفظه : الطعن الثالث

وخبر المجنونة التي أمر برجمها، فنبّهه أمير المؤمنين عليه السلام وقال ان القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق فقال : لولا عليّ لهلك عمر »

وهذا يدل على أنه لم يكن يعرف الظاهر من الشريعة

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر عن نافع بن جبير : ان ابن عباس أخبره قال : لصاحب إمرأة التي اتى بها عمر وضعت لستة أشهر ، فأنكر الناس ذلك فقلت لعمر : لا تظلم قال : كيف؟ قلت : إقرأ وحمله وفصاله ثلاثون شهراً والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ، كم الحول ؟ قال : سنة قلت : كم السنة ؟ قال : إثنا عشر شهراً ، قلت : فأربعة وعشرون شهراً حولان كاملان، ويؤخّر الله من الحمل ما شاء ويقدّم ، قال : فاستراح عمر إلى قولي

وفي الغدير : عن طريق العامة عن أبي ظبيان قال : شهدت عمر بن الخطاب أتي بامرأة قد زنت ، فأمر برجمها فذهبوا بها ليرجموها فلقاهم عليّ فقال لهم : ما بال هذه؟ قالوا : زنت فأمر برجمها، فانتزعها عليّ من أيديهم فردّهم إلى عمر فقالوا : ردّنا عليّ ، قال : ما فعل هذا إلا لشيء ، فأرسل إليه فجاءه، فقال : ما لك رددت هذه؟ قال : أما سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى حتى يعقل؟ قال : بلى فهذه مبتلاة بني فلان فلعله أتاها وهو بها ، قال له عمر : لا أدري قال : وأنا لا أدري فترك رجمها

وأبو ظبيان هو الحصين بن جندب الجنبي ـ بفتح الجيم ـ الكوفي المتوفى ٩٠ يروي القصة عن ابن عباس

أقول : ومن العار على المسلمين جداً أن يشغل فراغ النبي الكريم صلى الله عليه وآله من كان هذا شأنه في القضاء وهذا مبلغه من العلم ، وأن يسلّط على الأنفس و

الأعراض والأموال والدماء وأن تقوّض النواميس الإسلامية وتقوس الأمة وزيغة المسلمين إلى يد من كان هذه سيرته .

وهناك من عنده علم الكتاب ، والراسخ في العلم وبابه ، من هو بيان لأحكام الشرع ومقياس للشريعة الإسلامية ، وميزان لحدود الدين ، من كان علماً بين الأمة المسلمة يجسّم فيه العلم والتقوى والفضيلة كلها وهو مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

أوليس من الجهالة أو العصبية أو الحماقة أن لا يفرّق إنسان بين العالم والجاهل ، بين النور والظلمة ، بين الأعمى والبصير ، بين الأحياء والأموات ، بين من يقول : كل الناس أفقه مني ، ومن يقول : إني أعلم بطرق السموات والأرض ، بين من تكون خلافته فلتة باعترافه ، ومن يكون خيره الله جل وعلا ومنصوباً من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وبين من كان حائزاً لجميع الشؤون الكريمة والفضائل والعصمة إلا النبوة وما يلازم تلك المرتبة السامية ، ومن يخلو من ذلك كله ؟؟؟

قال الله عز وجل : « وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات » فاطر ١٩ ـ ٢٢)

وقال : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب » الزمر ٩)

وقال : « هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » النحل ٧٦)

وقال : « قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون » الأنعام ٥٠)

ولا يعتري ريب على من كان له عقل سليم وتحقيق أن علياً عليه السلام كان هو أهل الذكر وعالماً دون النبي صلى الله عليه وآله فوق الخلق كله ، وكان هو عليه السلام جرثومة الفضل الذي يسئل عنه في المفاصل ، ولا يسئل هو عن غير النبي الكريم صلى الله عليه وآله ، وكان هو الصراط المستقيم والنجم اللائح والقوام بأمر الله الذي إصطفاه بعلمه و

ارتضاه لغيبه واختاره لسرّه واجتباه بقدرته أعزّه بهداه وحصّه ببرهانه ، إلتمسه لنوره ، وأيّده بروحه ورضيه خليفة في أرضه ، وحلّله بكرامته غشاه برحمته ، ورباه بنعمته عداه بحكمته وألبسه بنوره وكرامته ، ورفعه في ملكوته ، حفظه بملائكته ، وعصمه بقدرته .

«الحمدُ لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله»

كل الناس أفقه
من عمر بن الخطاب

وقد وقفت في المقام إلى الآن نحو خمسين كتاباً من الكتب المعتبرة عند العامة بأسانيد عديدة نشير إلى نبذة منها

١ ـ أخرج أبو يعلى في مسنده الكبير عن مسروق بن الأجدع قال ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثم قال أيها الناس ما إكثاركم في صداق النساء ؟ وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك ، ولو كان الاكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها فلا أعرفن ما زاد رجل في صداق إمرأة على أربعمائة درهم

قال ثم نزل فاعترضته إمرأة من قريش ، فقالت : يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم ؟ قال نعم فقالت . أما سمعت ما أنزل الله في القرآن ؟ قال وأي ذلك ؟ فقالت : أما سمعت الله يقول « وآتيتم إحداهن قنطاراً » ؟ قال فقال اللهم غفراً ، كل الناس أفقه من عمر ، ثم رجع فركب المنبر فقال أيها الناس ! إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم ، فمن شاء أن يعطي من ماله ـ أو ـ من طابت نفسه فليفعل

رواه جماعة من أعلام العامة وحملة أسفارهم

١ ـ ابن كثير الدمشقي في (تفسيره ج١ ص٤٦٧) عن أبي يعلى وقال: إسناده جيد قوي .

٢ ـ السيوطي في (الدر المنثور ج٦ ص١٣٣) .

٣ ـ الشوكاني في تفسير (فتح القدير ج٥ ص٤٠٧) .

٤ ـ سعيد بن منصور في (سننه) .

٥ ـ المحاملي في (أماليه) .

٦ ـ إبن الجوزي في (سيرة عمر ص١٢٩) .

٧ ـ الهيثمي في (مجمع الزوائد ج٤ ص٢٨٣) .

٨ ـ المحلولي في (كشف الخفاء ج١ ص٢٦٩) نقلاً عن أبي يعلى وقال سنده جيد

٩ ـ إبن درويش الحوت في (أسنى المطالب ص١٦٧) وقال حديث كل أحد أعلم أو أفقه من عمر . قاله عمر لما نهى عن المغالاة في الصداق ، وقالت إمرأة قال الله « وآتيتم إحداهن قنطاراً » رواه أبو يعلى وسنده جيد

١٠ ـ السيوطي في (جمع الجوامع) كما في ترتيبه (ج٨ ص٢٩٨) وفي (الدر المنثور ص ٢٤٣) نقلاً عن سبعة من الحفاظ ومنهم أحمد وإبن حبان والطبراني

٢ ـ روى القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٤٦٧)

عن عبدالله بن مصعب قال قال عمر بن الخطاب : لا تزيدوا في مهور النساء على أربعين أوقية ، وان كان بنت ذي القصة (يعني يزيد بن الحصين الحارثي) فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال ، فقامت إمرأة من صف النساء طويلة في أنفها فطس ، فقالت : ما ذاك لك ؟ قال و لم ؟ قالت ان الله تعالى يقول « وآتيتم إحداهن قنطاراً » الآية فقال عمر إمرأة أصابت ورجل أخطأ

رواه جماعة من حملة أسفار العامة :

١ ـ الزبير بن بكار في (الموفقيات) .

٢ ـ إبن عبدالبر في (جامع العلم) كما في مختصره (ص٦٦)

٣ ـ إبن الجوزي في (سيرة عمر ص١٢٩) وفي كتابه . (الأذكياء ص١٦٢)

٤- ابن كثير الدمشقي في (تفسيره ج ١ ص ٤٦٧)

٥. السيوطي في (الدر المنثور ج٢ ص ١٣٣) وفي (جمع الجوامع) كما في ترتيبه (الكنز ج ٨ ص ٢٩٨) عن ابن مكارد ابن عبدالبر

٦- السندي في حاشية (سنن ابن ماجه ج ١ ص ٥٨٤)

٧- المحلوبي في (كشف الخفاء ج١ ص ٢٧٠) وفي (ج٢ ص١١٨)

٣- أخرج البيهقي في (سننه الكبرى ج ٧ ص ٢٣٣).

عن الشعبي قال: خطب عمر بن الخطاب الناس فحمدالله و أثنى عليه و قال: ألا لاتغالوا في صداق النساء فانه لايبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ أوسوق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال ثم نزل، عرضت له إمرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين، أكتاب الله تعالى أحق أن يتبع أو قولك؟ قال: بل كتاب الله تعالى، فمادلك؟ قالت: نهيت الناس آنفاً أن لايغالوا في صداق النساء والله تعالى يقول في كتابه و آتيتم إحداهن قنطاراً فلاتأخذوا منه شيئاً، فقال عمر: كل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثاً الحديث.

رواه جماعة من أعلامهم:

١- السيوطي في (جمع الجوامع) كما في (الكنز ج ٨ ص ٢٩٨) نقلاً عن سنن سعيد بن منصور والبيهقي.

٢- السندي في حاشية (السنن لابن ماجه ج ١ ص ٥٨٣)

٣- المحلوبي في (كشف الخفاء ج ١ ص٢٦٩) و(ج ٢ ص١٨)

٤- روى الزمخشري في تفسير (الكشاف ج ١ ص ٣٥٧)

قام عمر خطيباً فقال: أيها الناس لاتغالوا بصداق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا أوتقوى عندالله لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ ما أصدق إمرأة من نسائه أكثر من إثنى عشر أوقية، فقامت إليه إمرأة فقالت له: ياأمير المؤمنين الم ينعنا حقاً جعله الله لنا؟ والله يقول: و آتيتم إحداهن قنطاراً، فقال عمر كل

أحد أعلم من عمر ، ثم قال لأصحابه تسمعوني أقول مثل القول ، فلا تنكرونني علي حتى تردعلي امرأة ليست من أعلم النساء .

رواه القسطلاني في شرح (صحيح البخاري ج ٨ ص ٥٧)

٥ـ أخرج عبدالرزاق وابن المنذر بالاسناد عن عبدالرحمن السلمي قال قال عمر بن الخطاب لاتغالوا في مهور النساء ، فقالت إمرأة : ليس ذلك لك يا عمر ! إن الله يقول « وآتيتم إحداهن قنطاراً من ذهب » قال وكذلك هي في قراءة عبدالله بن مسعود ـ فلايحل لكم أن تأخذوا منه شيئاً » فقال عمر : إن إمرأة خاصمت عمر فخصمته .

رواه ابن كثير في (تفسيره ج ١ ص ٢٦٧) والقسطلاني في (إرشاد الساري ج٨ ص ٥٧) والسندي في حاشية (سنن ابن ماجه ج١ ص ٥٨٣) و العجلوني في (كشف الخفاء ج ١ ص ٢٦٩) و (ج٢ ص ١١٨)

٦ـ روى العجلوني في (كشف الخفاء ج ١ ص ٢٨٨) مالفظه :

قال عمر على المنبر : لاتغالوا بصدقات النساء ، فقالت إمرأة أتتبع قولك، أم قول الله « و آتيتم إحداهن قنطاراً » ؟ فقال عمر كل أحد أعلم من عمر ، تزوجوا على ماشئتم

رواه عبدالله السعي في تفسيره (مدارك التنزيل في هامش (تفسير الخازن ج١ ص٣٥٣)

٧ـ روى القرطبي في تفسيره (الجامع لاحكام القرآن ج٥ ص٩٩) مالفظه

إن عمر قال على المنبر ألا لاتغالوا في مهور نسائكم ، فقامت إمرأة فقالت يابن الخطاب ! الله يعطينا وأنت تمنعنا ؟ وتلت الآية فقال كل الناس أفقه منك ياعمر

رواه النيسابوري في تفسيره (غرائب القرآن ج ١ في سورة النساء) والخازن البغدادي في تفسيره (لباب التأويل ج ١ ص ٣٥٣) . وفي (الفتوحات الاسلامية ج

٢ ص ٤٧٧) وزاد فيه: حتى النساء .

٨- روى إبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٦١) و(ج ٣ ص ٩٦) مالفظه قال عمر مرة . لاتغلوني ان إمرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي إلا إرتجعت ذلك منها ، فقالت له إمرأة ماجعل الله لك ذلك ، إنه تعالى قال : « و آتيتم إحداهن قنطاراً . . . » الآية فقال كل الناس أفقه من عمر حتى ربات الحجال ألا تعجبون من إمام أخطأ إمرأة أصابت؟ وصلت إمامكم فصلته (فنصلته)

وفي لفظ الحدرن : إمرأة أصابت وأمير أخطأ وفي لفظ القرطبي أصابت إمرأة وأخطأ عمر وفي لفظ الرازي في (الاربعين ص ٤٦٧) كل الناس أفقه من عمر حتى المخدرات في البيوت و في لفظ الدقلاني في (التمهيد ص ١٩٩) إمرأة أصابت ورجل أخطأ وأمير ناصر فصل . كل الناس أفقه منك ياعمر !

٩- روى الشهاب الاشبهي في (المستطرف ج ١ ص ٧٠) عن المستظم لابن الجوزي مالفظه :

صعد عمر المنبر فقال أيها الناس لاتزيدوا في مهور النساء على أربعمائة درهم ، فمن زاد ألقيت زيادته في بيت مال المسلمين ، فهاب الناس أن يكلموه فقامت إمرأة في يدها طول ، فقالت له كيف يحل لك هذا ؟ والله يقول « و آتيتم إحداهن قنطاراً فلاتأخذوا منه شيئاً » فقال عمر إمرأة أصابت ورجل أخطأ

وقد جمع الحاكم النيسابوري طرق هذه الخطبة لعمر بن الخطاب في جزء كبير كماقاله في (المستدرك ج ٢ ص ١٧٧) وقال . تواترت الأسانيد الصحيحة بصحة خطبة عمر بن الخطاب بذلك وأقره الذهبي في تلخيص المستدرك ، وأخرجها الخطيب البغدادي في (تاريخه ج ٣ ص ٢٥٧) بعدة طرق وصححها عن أنه لم يذكر تمام الحديث ، لم يذكر الخطبة فحسب ثم يقول الحديث بطوله

ولعل عمر بن الخطاب أحد مرأى إمرأة أصابت وتزوج بام كلثوم وجعل مهرها أربعين ألفاً كمافي (تاريخ إبن كثير ج ٧ ص ٨١ و ١٣٩) وفي (الفتوحات الاسلامية لاحمد زيني دحلان ج ٢ ص ٤٧٢) وفي (الاصابة للعسقلاني ج ٤ ص ٤٩٢)

١٠- روى إبن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٦١) ما لفظه .

مرّ عمر يوماً بشاب من فتيان الأنصار و هو ظمآن ، فاستقاه فجدح له ماء بعسل فلم يشربه ، وقال : إنّ الله تعالى يقول «أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا» فقال له الفتى : يا أمير المؤمنين ! إنها ليست لك ولا لأحد من أهل القبلة إقرأ ما قبلها : «ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا و استمتعتم بها» فقال : كل الناس أفقه من عمر .

١١- روى محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ٥٧) ما لفظه

لما رجع عمر بن الخطاب من الشام إلى المدينة إنفرد عن الناس ليعرف أخبارهم فمرّ بعجوز في خبائها ، فقصدها فقالت : ما هذا ما فعل عمر ؟ قال : هو ذا قد أقبل من الشام قالت : لا جزاه الله عني خيراً ، قال : ويحك ولم ؟ قالت : لا والله ما نالني من عطائه منذ ولّي إلى يومنا هذا دينار ولا درهم ، فقال : ويحك و ما يدري عمر حالك وأنت في هذا الموضع ؟ فقالت : سبحان الله ما ظننت أن أحداً يلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها ، قال : فأقبل عمر ، وهو يبكي ويقول : وعمراه واخصوماه كل واحد أفقه منك يا عمر . الحديث

وفي لفظ : كل واحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر !

رواه أحمد زيني دحلان في (الفتوحات الاسلامية ج ٢ ص ٤٠٨) والشبلنجي في (نور الابصار ص ٦٥)

وفي هذه القصة درس للقارىء الخبير المبتدر المنصف : ان فكرة إحاطة علم الامام بالأشياء كلها أو جلّها فضلاً عن الشرائع و الاحكام فكرة بسيطة عامة يشترك في لزومها الرجال والنساء ، فهي غريزة لا تعزب عن أيّ ابن انثى ، وقد فقدها عمر بن الخطاب الذي ادّعى الخلافة واعترف بأن كل واحد أفقه منه

١٢- أخرج إبن أبي شيبة وعبد بن حميد وإبن المنذر عن ابراهيم التيمي قال : قال رجل عند عمر : اللهم اجعلني من القليل ، فقال عمر : ما هذا الدعاء ؟ فقال

الرجل انى سمعت الله يقول « وقليل من عبادى الشكور » فأن أدعوه أن يجعلنى من ذلك القليل ، فقال عمر كل الناس أفقه من عمر

وفى لفظ القرطبى كل الناس أعلم منك ياعمر وفى لفظ الزمخشرى كل الناس أعلم من عمر

﴿ جهل عمر بن الخطاب بكتاب الله المجيد ﴾

واعلم ان الروايات الواردة عن طريق العامة في جهل عمر بن الخطاب بالقرآن الكريم وأحكامه ما لا يسعه المقام بذكره، فنشير إلى نبذة منها لعل الله تعالى يهدي إلى صراط مستقيم من يهتدي ويترك المعصية الجهلاء

قال الله عز وجل: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين» العنكبوت: ٦٩)

١ - أخرج الحاكم في (المستدرك ج ١ ص ٣٥٧) عن أبي سعيد الخدري قال: حججنا مع عمر بن الخطاب، فلما دخل الطواف إستقبل الحجر فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا إني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك فقبله، فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بل يا عمر! يضر وينفع ولو علمت ذلك من تأويل كتاب الله لعلمت أنه كما أقول قال الله تعالى:

«وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم» الآية. فلما أقروا أنه الرب عز وجل وأنهم العبيد كتب ميثاقهم في رق وألقمه في هذا الحجر، وأنه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان وشفتان يشهد لمن وافى بالموافاة فهو أمين الله في هذا الكتاب. فقال له عمر: لا أبقاني الله بأرض لست فيها يا أبا الحسن!

وفي لفظ: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن؟

رواه جماعة من أعلام العامة:

١- ابن الجوزي في (سيرة عمر ص ١٠٦)
٢- الأزرقي في (تاريخ مكة) كما في (العمدة)
٣- القسطلاني في (إرشاد الساري ج ٣ ص ١٩٥)
٤- العيني في (عمدة القاري ج ٤ ص ٦٠٦) بلفظه
٥- السيوطي في (الجامع الكبير- كما في ترتيبه - ج٣ ص ٣٥) نقلا عن الحندي في فضائل مكة.
٦- ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٢٢)
٧- أحمد زيني دحلان في (الفتوحات الاسلامية ج ٢ ص ٤٨٦)
٨- روى ابن القيم الجوزية في (الطرق الحكمية ص ٣٦) ما لفظه

ان عمر بن الخطاب سئل رجلا كيف أنت؟ فقال: نحن يحب الفتنة، و يكره الحق و يشهد على مالم يره، فأمر به إلى السجن، فأمر على برده فقال صدق، فقال كيف صدقته؟ قال: يحب المال والولد وقد قال الله تعالى «إنما أموالكم و أولادكم فتنة» ويكره الموت وهو الحق، ويشهد أن محمداً رسول الله ولم يره فأمر عمر باطلاقه، وقال: الله يعلم حيث يجعل رسالته

٩- روى الكشي في (الكنى ص ٩٦) عن حذيفة بن اليمان انه لقي عمر بن الخطاب، فقال له عمر: كيف أصبحت يا ابن اليمان؟ فقال: كيف تريدني أصبح؟ أصبحت والله أكره الحق واحب الفتنة، و أشهد بما لم أره، و أحفظ عن المخلوق و أصلي على غير وضوء، ولي في الارض ما ليس لله في السماء، فضربه عمر بالدرة وانصرف من فوره وقد عجله أمر، وعزم على أن يأتي حذيفة لقوله ذلك، فبينما هو في الطريق إذ مر به علي بن أبي طالب، فرأى الغضب في وجهه فقال: ما أغضبك يا عمر؟ فقال:

لقيت حذيفة بن اليمان، فسألته كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أكره الحق، فقال: صدق يكره الموت وهو حق، فقال: يقول: واحب الفتنة، قال

صدق يحب المال والولد وقد قال الله تعالى : « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » فقال : ياعلي يقول : وأشهد بما لم أره فقال ، صدق يشهد لله بالوحدانية والموت والبعث والقيامة والجنة والنار والصراط ، ولم ير ذلك كله ، فقال : ياعلي ، وقد قال : إني اخط غير المخلوق قال : صدق يخط كتاب الله تعالى القرآن وهو غير مخلوق ، قال : ويقول : اصلي على غير وضوء فقال :

صدق يصلي على إبن عمي رسول الله على غير وضوء والصلاة عليه طائرة ، فقال : يا أبا الحسن ! قد قال أكثر من ذلك ، فقال : وما هو ؟ قال : قال : إن لي في الارض ما ليس لله في السماء ، قال : صدق له زوجة و ولد ، و تعالى الله عن الزوجة والولد ، فقال عمر : كدت يهلك إبن الخطاب لولا علي بن أبي طالب

رواه إبن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة ص ١٨)

أقول : لعل هذه الفقرة « و هو غير مخلوق » خرافة دسّت في الحديث إختلقها أنصار المذهب الباطل في خلق القرآن

٤- روى الشلنجي في (نور الأبصار ص ٧٩) ما لفظه : روى ان رجلا اتى به إلى عمر بن الخطاب و كان صدر منه انه قال لجماعة من الناس وقد سئلوه كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت احب الفتنة ، واكره الحق ، واصدق اليهود و النصارى ، وادمن مما لم أره و اقر بما لم يخلق ، فارسل عمر إلى علي رضي الله عنه فلما جاءه أخبره بمقاله الرجل قال : صدقت بحب الفتنة قال الله تعالى : « إنما أموالكم و أولادكم فتنة » و يكره الحق يعني الموت و قال الله تعالى : « و جاءت سكرة الموت بالحق » و يصدق اليهود و النصارى قال الله تعالى : « و قالت اليهود ليست النصارى على شيء و قالت النصارى ليست اليهود على شيء » و يؤمن بما لم يره يؤمن بالله عز وجل ، ويقر بما لم يخلق يعني الساعة ، فقال عمر : أعوذ بالله من معضلة لا علي بها

٥- جاءت إمرأة إلى عمر فقالت : يا أمير المؤمنين ! إن زوجي يصوم النهار

و يقوم الليل فقال نعم الرجل زوجك ، و كان في مجلسه رجل يسمّى كعباً فقال : ياأمير المؤمنين ! إن هذه المرأة تشكو زوجها في أمر مباعدته إياها عن فراشه : فقال له كما فهمت كلامها أحكم بينهما ، فقال كعب علىّ بزوجها فأحضر فقال له : ان هذه المرأة تشكوك . قال : أفي أمر طعام أم شراب ؟ قال بل في أمر مباعدتك إياها عن فراشك

فأنشأت المرأة تقول

ياأيها القاضي الحكيم أنشده	ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره و ليله لايبرح قعده	فلست في أمر النساء أحمده

فأنشأ الزوج يقول

وهذه في فرشها وفي الحلل	إني امرؤ أذ هلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي سبع الطول	و في كتاب الله تخويف يجل

فقال له القاضي

إن لها عليك حقاً لم يزل	في أربع تسيمها لمن عقل

فعاطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال . إن الله تعالى أحلّ لك من النساء مثنى وثلاث ورباع،فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم وليلة . فقال عمر لا أدري من أيكم أعجب ؟ أمن كلامها أم من حكمك بينهما ؟ إذهب فقد ولّيتك البصرة

رواه جماعة من أعلام العامة باختلاف يسير

١ـ الدولابي في (الكنى والألقاب ج ١ ص ١٩٢)

٢ـ ابن عبدالبر في (الاستيعاب) في ترجمة كعب بن سوار وجمع ألفاظه .

٣ـ العسقلاني في (الاصابة ج ٣ ص ٣١٥)

٤ـ إبن الجوزي في (الأذكياء ص ٤٩ و ١٣٢)

٥ـ الشهاب الابشيهي في (المستطرف ج ١ ص ٧٠)

٦- ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ١٠٥)
٧- السيوطي في (تاريخ الخلفاء ص ٩٦)

وغيرهم على صور مختلفة :

منها : عن قتادة والشعبي قالا : جاءت عمر إمرأة فقالت . زوجي يقوم الليل ويصوم النهار ، فقال عمر : لقد أحسنت الثناء على زوجك فقال كعب بن سوار . لقد شكت ، فقال عمر كيف ؟ قال تزعم انه ليس لها من زوجها نصيب قال . فاذا قد فهمت ذلك فاقض بينهما ، فقال يا أمير المؤمنين ! أحل الله له من النساء أربعاً ، فلها من كل أربعة أيام يوم وعن كل اربعة ليال ليلة

وفي لفظ أبي عمر في (الاستيعاب) إن إمرأة شكت زوجها إلى عمر فقالت: ان زوجي يقوم الليل ويصوم النهار ، وأنا اكره أن أشكوه إليك فهو يعمل بطاعة الله ، فكان عمر لم يفهم عنها . الحديث .

وفي لفظ آخر له : قال عمر لكعب بن سوار عزمت عليك لتقضين بينهما فانك فهمت من أمرها ما لم أفهم الخ قال أبو عمر : هو مشهور

وعن الشعبي إن إمرأة جاءت إلى عمر فقالت يا أمير المؤمنين ! أعدى على زوجي يقوم الليل ويصوم النهار قال فما تأمريني أفأمريني أن أمنع رجلا من عبادة ربه ؟ .

٦- روى ابن القيم الجوزية في (الطرق الحكمية ص ٥٣) ما لفظه .

إن عمر بن الخطاب اتي بامرأة زنت فأقرت فأمر برجمها ، فقال علي رضي الله عنه . لعل بها عذراً ثم قال لها ما حملك على الزنا ؟ قالت كان لي خليط و في إبله ماء و لبن ولم يكن في إبلي ماء ولا لبن ، فظمئت فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتى اعطيه نفسي ،فأبيت عليه ثلاثاً فلما طمئت وظننت أن نفسي ستخرج أعطيته الذي أراد فسقاني ، فقال علي الله أكبر . فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم .

روى في (كنز العمال ج ٣ ص ٩٤) نقلا عن البغوى

وروى البيهقي في (سننه ج ٨ ص ٢٣٦) مالفظه :

عن عبدالرحمن السلمي قال اتى عمر بامرأة أجهد العطش ، فمرّت على راع ، فاستسقته فأبى أن يسقيها إلاّ أن تمكّنه من نفسها ففعلت ، فشاور الناس في رجمها ، فقال على عليه السلام هذه مضطرة أرى أن يخلّى سبيلها ففعل

رواه محب الدين الطبرى في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٦) وفي (ذخائر العقبى ص ٨١)

وابن الجوزى في (الطرق الحكمية ص ٥٣)

٧- روى محب الدين الطبرى في (الرياض النضرة ج ٢ ص ٤٦) مالفظه

عن عمر بن الخطاب انه كان يعس ليلة فمرّ بدار سمع فيها صوتاً فارتاب و تسوّر فرآى رجلاً عند إمرأة وبرق عمر فقال يا عدوّ الله أظننت أن الله يسترك و أنت على معصيته ؟ فقال : لا تعجل يا أمير المؤمنين ! إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث قال الله تعالى : « ولا تجسّسوا » وقد تجسست .

وقال : « واتوا البيوت من أبوابها » و قد تسوّرت و قال « إذا دخلتم بيوتاً فسلّموا » وما سلّمت ، فقال هل عندك من خير إن عفوت عنك ؟ قال نعم والله لا أعود فقال : إذهب فقد عفوت عنك

رواه ابن أبي الحديد في (شرح النهج ج ١ ص ٦١) و(ج ٣ ص ٩٤) والسيوطي في (الدر المنثور ج ٦ ص ٩٣) وأحمد زيني دحلان في (الفتوحات الاسلامية ج ٢ ص ٣٧٧)

٨- روى البيهقي في (سننه الكبرى ج ٨ ص ٢٧٤) مالفظه

عن عبدالرحمن بن عائذ قال اتى عمر بن الخطاب برجل أقطع اليد والرجل قد سرق ، فأمر به عمر أن يقطع رجله فقال علي رضي الله عنه - إنما قال الله عزوجل « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا

أو يصلبهم أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف . » الآية فقد قطعت يد هذا و رجله فلا ينبغي أن تقطع رجله فتدعه ليس له قائمة يمشي عليها ، إما أن تعزره وإما أن تستودعه السجن قال : فاستودعه السجن

روى في (كنز العمال ج ٣ ص ١١٨)

٩- أخرج أبو داود في (سننه ج ٢ ص ١٢٨) ما لفظه

عن عمر بن الخطاب قال لما نزل تحريم الخمر قال عمر اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التي في البقرة « يسئلونك عن الخمر والميسر » قال فدعي عمر فقرأت عليه فقال اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التي في النساء « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » فكان منادي رسول الله ﷺ إذا اقيمت الصلاة نادى ألا لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بيّن لنا بياناً شافياً ، فنزلت « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله و عن الصلاة فهل أنتم منتهون » قال عمر إنتهينا إنتهينا

رواه جماعة من أعلام العامة في أسفارهم :

١- أحمد الحنبل في (المسند ج ١ ص ٥٣)

٢- النسائي في (السنن ج ٨ ص ٢٨٧)

٣- الطبري في (تاريخه ج ٧ ص ٢٢)

٤- البيهقي في (سننه ج ٨ ص ٢٨٥)

٥- الجصاص في (أحكام القرآن ج ٢ ص ٢٤٥)

٦- الحاكم في (المستدرك ج ٢ ص ٢٧٨) وصححه وأقره الذهبي في تلخيصه

٧- القرطبي في تفسيره (الجامع لاحكام القرآن ج ٥ ص ٢٠٠)

٨- ابن كثير الدمشقي في (تفسيره ج ١ ص ٢٥٥ و ٥٠٠) و (ج ٢ ص ٩٢) نقلاً عن أحمد وأبي داود والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه، وعلي بن المديني . وقال قال علي بن المديني إسناد صالح صحيح » ذكر تصحيح

الترمذي وقرّره .

٩- السيوطي في (الدرالمنثور ج ١ ص ٢٥٢) نقلاً عن إبن أبي شيبة و أحمد وعبدبن حميد وأبي داود والترمذي والنسائي وأبي يعلى وإبن جرير و إبن المنذر و ابن أبي حاتم ، والنحّاس في ناسخه و أبي الشيخ و إبن مردويه والحاكم والبيهقي والضياء المقدسي في المختارة .

١٠- الحارث العدادي في (لباب التأويل ج ١ ص ٥١٣) وغيرهم تركناهم للاختصار

و أخرج الحاكم في (المستدرك ج ٢ ص ١٤٣) عن حارثة بن مضرب قال قال عمر اللهم بيّن لنا في الخمر فنزلت « يا أيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون » الآية، فدعا النبي ﷺ عمر فتلاها عليه فكأنها لم توافق من عمر الذي أراد فقال اللهم بيّن لنا في الخمر فنزلت « ويسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس الآية » فدعا النبي ﷺ عمر فتلاها عليه فكأنها لم توافق من عمر الذي أراد فقال . اللهم بيّن لنا في الخمر فنزلت « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب و الازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه - حتى إنتهى إلى قوله - فهل أنتم منتهون » فدعا النبي ﷺ عمر فتلاها عليه فقال عمر إنتهينا يارب .

ثم صحّحه الحاكم هو الذهبي في تلخيصه ، والترمذي في (صحيحه ج ٢ ص ١٧٦) من طريق عمر من شر حبيل ، و ذكره الآلوسي في (روح المعاني ج ٧ ص ١٥ ط المنيرية)

١١- عن سليمان بن يسار إن رجلاً يقال له . صبيغ قدم المدينة ، فجعل يسئل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر و قد أعدّ له عراجين النخل ، فقال من أنت؟ قال أنا عبدالله صبيغ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين ، فضربه، وقال أنا عبدالله عمر ، فجعل له ضرباً حتى دمي رأسه فقال يا أمير المؤمنين ! حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي

وعن نافع مولى عبدالله إن صبيغ العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمر بن العاص إلى عمر بن الخطاب . فلما أتاه الرسول بالكتاب قرأه فقال : أين الرجل ؟ فقال : في الرحل . قال عمر أحسن أن يكون ذهب ، فتصيبك مني العقوبة الموجعة ، فأتاه به فقال عمر : تسأل محدثة ؟ فأرسل عمر إلى رطائب من جريد ، فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برأ ثم عاد له ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود له قال صبيغ إن كنت تريد قتلي ؟

فاقتلني قتلاً جميلاً ، وإن كنت تريد أن تداويني ؟ فقد والله برئت ، فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري : أن لا يجالسه أحد من المسلمين ، فاشتد ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر أن قد حسنت توبته ، فكتب عمر : أن يأذن الناس بمجالسته .

وعن السائب بن يزيد قال : أتى عمر بن الخطاب فقيل : يا أمير المؤمنين إنا لقينا رجلاً يسأل عن تأويل متشابه القرآن ، فقال عمر : اللهم مكني منه ، فبينما عمر ذات يوم جالساً يغدي الناس إذ جاء الرجل ، وعليه ثياب وعمامة صفدي حتى إذا فرغ قال يا أمير المؤمنين ! والذاريات ذروا فالحاملات وقرا ؟ ! فقال عمر أنت هو ؟ فقام إليه ، وحسر عن ذراعيه ، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فقال . والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك ألسوء ثياباً ، و احملوه على قتب وأخرجوه حتى تقدموا به بلاده ثم ليقم خطيب ثم يقول إن صبيغاً ابتغى العلم ، فأخطأه فليرل وصيغاً في قومه حتى هلك وكان سيد قومه

وعن أنس : إن عمر بن خطاب جلد صبيغا الكوفي في مسئلة عن حرف من القرآن حتى إصطربت الدماء في ظهره

وعن الزهري . إن عمر جلد صبيغاً لكثرة مسئلته عن حروف القرآن حتى إصطربت الدماء في ظهره .

رواه جماعة من حملة أسفار العامة :

١- الدارمي في (سننه ج ١ ص ٥٤ و ٥٥)

٢- إبن عساكر في(تاريخه ج ٦ ص ٣٨٤)

٣- إبن الجوزي في(سيرة عمر ص ١٠٩)

٤- إبن كثير الدمشقي في(تفسيره ج ٤ ص ٢٣٢)

٥- السيوطي في(الاتقان ج ٢ ص ٥)

٦- السيوطي في(الدر المنثور ج ٦ ص١١٩)

٧- أحمد زيني دحلان في(الفتوحات الاسلامية ج ٢ ص ٣٣٥)

٨- إبن حجر العسقلاني في(فتح الباري ج ٨ ص ١٧)

وغيرهم

وقال العراقي في (الاحياء ج ١ ص٣٠) وعمر هو الذي سدّ باب الكلام و الجدل وضرب صبيغاً بالدرة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره

وصبيغ هذا هو صبيغ بن عسل ، ويقال إبن عسيل ويقال صبيغ من شريك من بني عسيل

١٢- روى السيوطي في (الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢١)

عن أبي العديس قال كنا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ما الجواد الكيس ؟ فطمن عمر بمخصرة معه في عمامة الرجل ، فألقاه عن رأسه، فقال عمر أجردي ؟ والذي نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجدتك محلوقاً لأدميت القمل عن رأسك

روى في(كنز العمال ج ١ ص ٢٢٩) نقلاً عن(الكنى) للحاكم

١٣- روى إبن حجر العسقلاني في(فتح الباري ج ١٣ ص ٢٣)

عن عبدالرحمن بن يزيد إن رجلاً سئل عمر عن «فاكهة وأباً » فلما رآهم

يقولون أقبل عليهم بالدرة .

رواه السيوطي في تفسير (الدر المنثور ج ٦ ص ٣١٧)

أقول : ولم يكن ذلك إلاّ إستبداداً منه حيث جعل مقول العراجين ولسان المخصرة ومنطق الدرة جواباً فاصلاً عن كل مالايعلمه الانسان ، وإليه يوعز قول مدعي الخلافة الاسلامية : نهينا عن التكلف في الجواب عن أبسط سؤال يعلمه كل عربي صميم ، ألاوهو معنى «أباً» فسّر في نفس الكتاب المبين .

ونحن لاندري ان السائلين بماذا استخفوا العرب والادماء ، والطرد و الا يجاع بمحض السؤال عمالايعلمونه من مشكل القرآن الكريم ؟ أوماغاب عنهم من لغته ؟؟؟ وليس في ذلك شيء مما يوجب التكفير والالحاد ... لكن القصص جرت على ماترى، ثم ماذنب المجيبين بعلم عن السؤال عن الأب ؟ و لماذا أقبل عليهم الخليفة بالدرة ؟ و هل تبقى قائمة لاصول التعليم والتعلم والحالة هذه؟ ولعل الامة قدحرمت ببركة تلك الدرة عن التقدم والرقي في العلم بعد أن آل أمرها إلى أن هاب مثل إبن عباس أن يسئل الخليفة عن قوله جل وعلا « وإن تظاهرا عليه » وقال: مكثت سنتين اريد أن أسئل عمر بن الخطاب عن حديث مامنعني منه إلاّ هيبته ، وقال مكثت سنة و أنا اريد أن أسئل عمر بن الخطاب عن آية فلاأستطيع أن أسئله هيبة، كمافي (مجمع الزوائد ج ٥ ص ٨) للهيثمي ،و (كتاب العلم ص ٥٦) لأبي عمر، و(سيرة عمر بن الخطاب ص ١١٨) لابن الجوزي .

﴿ رأي عمر فيمن قال: أني مؤمن ﴾

أخرج البيهقي في (شعب الايمان) وابن أبي شيبة في (الايمان) كما في (كنز العمال ج ١ ص ١٠٣) عن سعيد بن بشر قال: بلغ عمر بن الخطاب ان رجلاً بالشام يزعم انه مؤمن، فكتب إلى أمرائه أن ابعثه إليّ، فلما قدم قال: أأنت الذي تزعم انك مؤمن؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: ويحك وما ذاك؟ قال: أو لم تكونوا مع رسول الله ﷺ أصنافاً: مشرك، ومنافق، ومؤمن؟ فمن أيهم كنت؟ فمد عمر يده إليه معرفة لما قال حتى أخذ بيده

وفي (كنز العمال ج١ ص١٠٣) عن قتادة قال عمر بن الخطاب: من قال: إني عالم، فهو جاهل، ومن قال: أني مؤمن فهو كافر.

أقول كأن عمر بن الخطاب لا يرى أحداً مؤمناً إلا ولابد أن يرى عمر أميراً على نفسه، ويرى أمارته معيار الايمان المؤمنين

وقال الاميني رضوان الله تعالى عليه صاحب (الغدير ج ٦ ص ٢٢٠):

أن لا أدري ما هذه المشكلة التي من حرائها حلب الرجل من الشام، وحوله آلاف من المؤمنين يقولون بمقالته، وهو يحسب أنه أميرهم، ولم يسألهم عما سئل الشامي عنه؟ ثم كيف إنحلّت تلك المشكلة بأبسط جواب؟ أولم يكن الحقيقة تعلم ذلك من أن الانسان إذا لم يكن مشركاً أو منافقاً فهو مؤمن لامحالة؟ أم انه حسب أن المؤمن الواثق بإيمانه - أو لم يعترف بإمارته - لا يجوز له أن يقول: أنا مؤمن لان ذلك القول كفر كما في حديث قتادة؟ و ذلك تعسفاً بقول

عمر لكن الله سبحانه مدح أقواماً في الذكر بأن قالوا آمنا مثل قوله تعالى « قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله » آل عمران ٥٢)

وقوله تعالى حكاية عن المؤمنين « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول » آل عمران ٥٣)

وقوله جل وعلا حكايه عن المؤمنين « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا » آل عمران ١٩٣)

وقوله « يقولون آمنا واشهد بأنا مسلمون » المائدة ١١١)

وقوله : « يقولون ربنا آمنا » المائدة : ٨٣)

وقوله « قالوا آمنا برب العالمين » الاعراف ١٢١)

والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، ومنهم من قال بلى إذا خوطب بقول العلي العظيم أولم تؤمن ، ومنهم من قال « سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين » الاعراف : ١٤٣)

ومن جملة الواضحات عدم الفرق بين قول القائل آمنا بكذا أو نحن مؤمنون أو أنا مؤمن بكذا إذا وثق من نفسه بذلك ، و من فرق بينهما فهو مجازي لامحاله

ولعل الخليفة كان ناظرا إلى جراءه الموقف في الايمان ، و عزة جلوسه من جهات صفات الشرك والنفاق حتى كان يسئل حذيفه عن نفسه ، قال الغزالي في (إحياء العلوم ج ١ ص ١٢٩)

الأخبار والآثار تعرفك خطر الامر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفي وأنه لايؤمن منه ، حتى كان عمر بن الخطاب يسئل حذيفه عن نفسه ، وانه هل ذكر في المنافقين ؟ وهل هو منهم ؟ وهل عدّه رسول الله ﷺ فيهم

وكان حذيفة صاحب السر المكنون في تعيير المنافقين ، ولذلك كان عمر لايصلي على ميت حتى يصلّي عليه حذيفه يخشى أن يكون من المنافقين . كذا قاله ابن العماد الحنبلي في (شذرات الذهب ج ١ ص ٤٣)

﴿ جهل عمر بن الخطاب بالاحكام الشرعية ﴾

لا يسع المقام بذكر طائفة مما كان عمر بن الخطاب جاهلاً به من السنة النبوية والاحكام الشرعية فضلاً عن جميعها ، فنشير إلى نبذة ما ورد عن طريق العامة

١ـ روى محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ٥٠ و١٩٤) و (ذخائر العقبى ص ٨٢) ، عن محمد بن الزبير قال : دخلت مسجد دمشق ، فاذا أنا بشيخ قد إلتوت ترقوتاه من الكبر ، فقلت : يا شيخ من أدركت ، قال : عمر قلت : فما غزوت ؟ قال : اليرموك ، قلت : فحدثني بشيء سمعته ، قال خرجنا مع قتيبة حجاجاً فأصبنا بيض نعام وقد أحرمنا ، فلما قضينا نسكنا ذكرنا ذلك لأمير المؤمنين عمر فأدبر وقال : اتبعوني حتى إنتهى إلى حجر رسول الله ﷺ فضرب حجرة منها ، فأجابته إمرأة فقال :

أثم أبو الحسن ؟ قالت : لا فمرّ في المقناة ، فأدبر وقال : اتبعوني حتى إنتهى إليه ، وهو يسوّي التراب بيده فقال : مرحباً يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ان هؤلاء أصابوا بيض نعام ، وهم محرمون ، قال : ألا أرسلت إليّ ؟ قال : أنا أحق باتيانك ، قال : يضربون الفحل قلائص أبكاراً بعدد البيض ، فما نتج منها أهدوه قال عمر : فان الابل تجدح ، قال علي : والبيض يمرض ، فلما أدبر قال عمر : اللهم لا تنزل بي شديدة إلا وأبو حسن إلى جنبي

٢ـ روى إبن حجر العسقلاني في (فتح الباري ج ٣ ص ٦٩) عن عبد الرحمن بن حنظلة بن الراهب : ان عمر بن الخطاب صلّى المغرب ، فلم يقرأ

في الركعة الاولى، فلما كمت التانية قرأ بفاتحة الكتاب مرتين، فلما فرغ وسلّم سجد سجدتي السهو .

ثم قال ابن حجر : رجاله ثقات وكأنه مذهب لعمر .

٣- أخرج البيهقي في (السنن الكبرى ج ٢ ص ٣٨٢) ما لفظه

صلّى بنا عمر بن الخطاب، فلم يقرأ في الركعة الاولى شيئاً فلما قام في الركعة الثانية قرأ بفاتحة الكتاب وسورة ثم عاد فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة ثم مضى فلما فرغ من صلاته سجد سجدتين بعدما سلّم وفي لفظ سجد سجدتين ثم سلّم .

رواه السيوطي في (جمع الجوامع) كما في (كنز العمال ج ٤ ص ٢١٣) نقلاً عن جمع من الحفاظ باللفظ الثاني

٤- أخرج البيهقي في (السنن ج ٢ ص ٣٣٧ و ٣٨١) عن أبي سلمة بن عبد الرحمن إن عمر بن الخطاب كان يصلّي بالناس المغرب فلم يقرأ فيها، فلما انصرف قيل له ما قرأت ، قال فكيف كان الركوع والسجود ؟ قالوا حسناً ، قال فلا بأس إذن

رواه السيوطي عن مالك وعبد الرزاق والنسائي في (جمع الجوامع) كما في (ترتيبه ج ٢ ص ٢١٣) و قال البيهقي قال الشافعي و كان أبو سلمة يحدّثه بالمدينة وعند آل عمر لا ينكره أحد والاسناد صحيح ، رجاله كلهم ثقات

٥- روى البيهقي في (السنن الكبرى ج ٢ ص ٣٨٢) عن إبراهيم النخعي إن عمر بن الخطاب صلّى بالناس صلاة المغرب فلم يقرأ شيئاً حتى سلّم فرغ قيل له إنك لم تقرأ شيئاً . فقال إني جهّزت عيراً إلى الشام ، فجعلت أنزلها منقلة منقلة حتى قدمت الشام ، فعلمتها وأقتابها و أحلاسها و أحمالها فأعاد عمر و أعادوا

وعن الشعبي: ان أبا موسى الأشعري قال لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين ! أقرأت في نفسك ؟ قال : لا فأمر المؤذنين فأذنوا وأقاموا وأعاد الصلاة بهم

روى في (كنز العمال ج ٤ ص ٢١٣).

وما يظهر من هذه الموارد وتكرّر القصة فيها ان عمر بن الخطاب لم يستند في صلواته هاتيك إلى أصل مسلم فمرّة لم يقرأ في الركعة الاولى، فيقضيها في الثانية، ويسجد سجدتي السهو قبل السلام أو بعده، واخرى إكتفى بحسن الركوع والسجود عن الاعادة، وسجدتي السهو، وطوراً نراه يحتاط بالاعادة أو انه يرى ما اتى به اطلاً فيعيد ويعيدون. فهل هذه إجتهادات وقتية؟ أو أنه لم يعرف للمسئلة ملاكاً يرجع إليه؟

ومن العجب ان إبن حجر كان يعدّ الشذوذ عن الطريقة المثلى مذهباً، و يسع كل شاذ أن يتترّس بمثل هذا المذهب، فيستر عواره، وفي هذه الأحاديث إعراب عن مبلغ خضوع الخليفة وخشوعه في صلواته.

٦ـ روى البيهقي في (سننه ج ٦ ص ٢٥٥) بعدة طرق: عن مسعود الثقفي قال شهدت عمر بن الخطاب أشرك الاخوة من الأب والام و مع الاخوة من الام في الثلث، فقال له رجل: قضيت في هذا عام أول بغير هذا؟ قال: كيف قضيت؟ قال جعلته للاخوة من الام ولم تجعل للاخوة من الاب والام شيئاً. قال: تلك على ما قضينا وهذا على ماقضينا.

وفي لفظ: تلك على ما قضينا يومئذ، وهذه على ماقضينا اليوم.

رواه الدارمي في (سننه ج ١ ص ١٥٤) مختصراً، وأبو عمر في (العلم ص ١٣٩).

كأن أحكام القضايا تدور مدار ماصدر عن رأى الخليفة سواء أصاب الشريعة أم أخطأ، و كأن الخليفة له أن يحكم بماشاء وأراد، وليس هناك حكم يتّبع و قانون مطّرد في الاسلام، و لعلّ هذا أفظع من التصويب المدحوض بالبرهنة القاطعة

٧ـ أخرج الدارمي في (سننه ج ٢ ص ٣٥٤) عن الشعبي انه قال: أول حدّ

ورث في الاسلام عمر ، فأخذ ماله : فأتاه عليّ وزيد فقالا : ليس لك ذلك إنما كنت كأحد الاخوين .

وروى البيهقي في (السنن الكبرى ج ٦ ص ٢٤٧) مالفظه : إن أول جدّ ورث في الاسلام عمر بن الخطاب مات إبن فلان بن عمر ، فأراد عمر أن يأخذ المال دون اخوته ، فقال له عليّ وزيد رضي الله عنهما : ليس لك ذلك ، فقال عمر : لولا أن رأيكما إجتمع لم أر أن يكون إبني ولا أكون أباه .

٨- روى محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٦) و (ذخائر العقبى ص ٨٠) مالفظه : أتى عمر بن الخطاب بامرأة حامل قد اعترفت بالفجور فأمر برجمها فتلقّاها عليّ فقال : ما بال هذه ؟ فقالوا : أمر عمر برجمها فردّها عليّ ، وقال : هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها ، ولعلك إنتهرتها أو أخفتها ؟ قال : قد كان ذلك ، قال : أوما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا حدّ على معترف بعد بلاء انه من قيد أو حبس أو تهدّد فلا إقرار له ، فخلّا سبيلها ثم قال عجزت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب ، لولا عليّ لهلك عمر .

رواه الخوارزمي في (المناقب ص ٤٨) والرازي في (الاربعين ص ٤٦٦) وغيرهم .

٩- روى البيهقي في (السنن الكبرى ج ٧ ص ٤٤١ و ٤٤٢) مالفظه : أتى عمر بن الخطاب بامرأة تزوّجت في عدّتها ، فأخذ مهرها فجعله في بيت المال و فرّق بينهما ، وقال : لا يجتمعان ، وعاقبهما ، فقال عليّ رضي الله عنه : ليس هكذا ولكن هذه الجهالة من الناس ، ولكن يفرّق بينهما ، ثم تستكمل بقية العدة من الاول ، ثم تستقبل عدة اخرى وجعل لها عليّ رضي الله عنه المهر بما استحلّ من فرجها ، قال : فحمد الله عمر رضي الله عنه ، وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس ردّوا الجهالات إلى السنة .

اقول : ولا أدري لماذا جلدهما عمر بن الخطاب ؟ و لماذا أخذ المهر ؟ و

بأيّ كتاب أم بأيّة سنة جعل الصداق في بيت المال وصيّره صدقة في سبيل الله ؟ و لم ونم حرّم المرأة على الرجل ؟ أنا لا أدري كيف عقل عن قوله تعالى : فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وليت الخليفة لا ينسى نفسه ويأخذ بقوله : ردّوا الجهالات إلى السنة قبل قضائه بالأقضية الشاذة عن الكتاب والسنة ؟

١٠- أخرج البيهقي في (السنن الكبرى ج ٧ ص ٤٤٣) ما لفظه

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين إني غبت عن إمرأتي سنتين فجئت وهي حبلى ، فشاور عمر ناساً في رجمها ، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين إن كان لك عليها سبيل ، فليس على ما في بطنها سبيل فاتركها حتى تضع ، فتركها فولدت غلاماً قد خرجت ثناياه فعرف الرجل الشبه فيه ، فقال : إنني ورب الكعبة فقال عمر : عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ لولا معاذ لهلك عمر

رواه جماعة من أعلام العامة :

١- أبو عمرو في (العلم ص ١٥٠)

٢- الباقلاني ايعازاً إليه في (التمهيد ص ١٩٩)

٣- إبن أبي شيبة كما في (كنز العمال ج ٧ ص ٨٢)

٤- إبن حجر العسقلاني في (فتح الباري ج ١٢ ص ١٢٠) وقال : أخرجه إبن أبي شيبة ورجاله ثقات ، و (الاصابة ج ٣ ص ٤٢٧) نقلاً عن فوائد محمد بن مخلد العطار ، وذكره إبن أبي الحديد في (شرح النهج ج ٣ ص ١٥٠) متسالماً عليه

وعن أبي سفيان عن أشياخ لهم : إن إمرأة غاب عنها زوجها سنتين ثم جاء وهي حامل ، فرفعها إلى عمر ، فأمر برجمها ، فقال له معاذ : إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك على ما في بطنها ، فقال عمر : احبسوها حتى تضع ، فوضعت غلاماً له ثنيتان ، فلما رآه أبوه عرف الشبه ، فقال : إنني إنني ورب الكعبة فبلغ ذلك عمر فقال : عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ لولا معاذ لهلك عمر .

١١- في (شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ٢٢٧) ما لفظه

إنه - عمر بن الخطاب - عطّل حدّ الله في المغيرة بن شعبة لما شهد (شهد

داح) عليه بالرد ، و لقبّل الشاهد الرابع الامتناع عن الشهادة إتباعاً لهواه فلما فعل ذلك عد إلى الشهود فحدّهم وضربهم (فصحهم خ) فتحتّب أن يصح المغيرة وهو واحد وصح الثلاثة مع تعطيله لحكم الله و وضعه في غير موضعه

١٢- وفيه (ج ١٢ ص ٢٣٦)مالفظه :

انه- عمر بن الخطاب كان يتلوّن في الاحكام، حتى روى انه قضى في الحد سنين قضية- وروى ما قضية- وانه كان يفضّل في القسمة والعطاء ،وقد سوّى الله تعالى بين الجميع ،وانه قال في الاحكام من جهة الرأى والحدس (الحدّ ح) والظن

١٣- عن سعيد بن المسيب انعمر بن الخطاب قضى في الأصابع : في الابهام بثلاثة عشر ، وفي التي تليها باثنى عشر . و في الوسطى بعشرة ، و في التي تليها بتسع ، وفي الخنصر بست .

وفي لفظ آخر إن عمر بن الخطاب قضى في الابهام بخمس عشرة ، وفي التي تليها بعشر ، وفي الوسطى بعشرة ، وفي التي تلي الخنصر بتسع، وفي الخنصر ست.

و عن أبي عطاف إن إبن عباس كان يقول في الأصابع عشر عشر فأرسل مروان إليه، فقال أفتى في الاصابع عشر عشر ، وقد بلغك عن عمر في الاصابع ؟ فقال إبن عباس رحم الله عمر : قول رسول الله ﷺ أحق أن يتبع من قوله عمر

رواه الشافعي من كتاب (الام ج ١ ص ٥٨ و ١٣٨) واختلاف الحديث للشافعي أيضاً هامش كتاب (الام ج ٧ ص ١٤٠) و كتاب (الرسالة ص ١١٣) للشافعي و (سنن الكبرى ج ٨ ص ٩٣) للبيهقي

وقد ثبت في الصحاح والمسانيد ان رسول الله ﷺ قال في الأصابع : عشر عشر على ما قال به إبن عباس وهذه سنته ﷺ المسلمة وهداه الثابت فيها .

وقضى عليه عمر بن الخطاب قضى آرائه الخاسه به، والامر كما قال إبن عباس قول رسول الله ﷺ أحق أن يتبع من قوله عمر

قال الله عز وجل « قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلاّ أن يهدى فمالكم كيف تحكمون » يونس . ٣٥)

ارجاع الى الجهال

وهناك قرآن ناطق

روى الحاكم في (المستدرك ج٣ص٢٧١ و٢٧٢) عن علي بن رباح اللخمي قال . إن عمر بن الخطاب خطب الناس فقال : من أراد أن يسئل عن القرآن فليأت ابي بن كعب ، ومن أراد أن يسئل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسئل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسئل عن المال فليأتني فاني له خازن

وفي لفظ فان الله تعالى جعلني خازناً و قاسماً

رواه جماعة من حملة أسفار العامة المعثرة باسانيد عديدة :

١ ـ أبو عبيد في كتابه (الاموال ص٢٢٣) باسناده رجاله كلهم ثقات

٢ ـ البيهقي في (السنن الكبرى ج٦ ص٢١٠) .

٣ ـ في (العقد الفريد ج٢ ص١٣٢) .

٤ ـ إبن الجوزي في (سيرة عمر ص٨٧) .

٥ ـ اشير إليه في (معجم البلدان ج٣ ص ٣٣) فقال في الجابية خطب عمر بن الخطاب خطبته المشهورة . وجاء في ترجمة كثيرين - انهم سمعوا خطبة عمر في الجابية

٥ ـ في (تهذيب التهذيب ج٥ ص٢٦١) و(ج١٠ ص٣٦٣)

٦ ـ الهيثمي (في مجمع الزوائد ج١ ص١٣٥) .

٧ - في (خلاصة الكمال ص٣٣٦ و٢٣١) وغيرهم .

وإن هذه الخطبة - سميت بالجابية - ثابتة مروية عن عمر بن الخطاب صحيحة عند أعلام العامة ، ثقات رجالها ، وصحّحها الحاكم والذهبي وغيرهم

وفيها إعتراف من عمر بن الخطاب بأن المنتهى إليه في العلوم الثلاثة هؤلاء النفر المذكورون فحسب ، وليس لعمر إلاّ أنه خازن مال الله ، هل ترى من المعقول أن يكون من ادعى الخلافة الاسلامية وأميراً على امة رسول الله تعالى في شرعه ودينه وكتابه وسنته وفرائضه فاقداً لهاتيك العلوم ؟ ويكون مرجعه فيها لفيفاً من الناس كما تنبأ عنه سيرته ، فعلام هذه الخلافة ؟ وهل تستقرّ بمجرد الأمانة - وما كانت - وليست بغريزة في امة محمد ﷺ ؟ وما وجه الاختصاص به ؟ نعم ! وقع النص عليه ممن سبقه في الخلافة على غير طريقة القوم في الخليفة الاول

وشتّان بين هذا القائل الجاهل ، وبين من لم يزل يعرض نفسه لعويصات المسائل ومشكلات العلوم ، فيحلّها عند السؤال عنها من فوره ، ويرفع عقيرته على صهوات المنابر بقوله سلام الله عليه

١- « سلوني قبل أن لا تسئلوني ولن تسئلوا بعدي مثلي »

أخرجه الحاكم في (المستدرك ج٢ ص٤٦٦) وصححه هو والذهبي في تلخيصه

٢- روى إبن كثير الدمشقي في (تفسيره ج٤ ص ٢٣١) ما لفظه :

وثبت أيضاً من غير وجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه صعد منبر الكوفة فقال « لا تسئلوني عن آية في كتاب الله تعالى ولا عن سنة رسول الله ﷺ إلاّ أنبأتكم بذلك ... »

٣- روى محب الدين الطبري في (الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٨) قوله عليه السلام « سلوني والله لا تسئلوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلاّ أخبرتكم ، وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلاّ وأنا أعلم أبليل أم بنهار في سهل أم في جبل »

رواه أبو عمر في (جامع بيان العلم ج ١ ص ١١٤) والسيوطي في (تاريخ

الخلفاء ص ١٢٤) وفي (الاتقان ج ٢ ص ٣١٩) ويوجد في (تهذيب التهذيب ج٧ ص ٣٣٨) و(فتح الباري ج ٨ ص ٤٨٥) و(عمدة القاري ج ٩ ص ١٦٧) و (مفتاح السعادة ج ١ ص ٤٠٠)

٤ـ روى أبو عمر في (جامع بيان العلم ج ١ ص ١١٤) وفي (مختصره ص٥٧) قول علي عليه السلام : « ألا رجل يسئل فينتفع وينفع جلسائه »

٥ـ روى أبو نعيم في (حلية الاولياء ج ١ ص ٦٨) قول علي عليه السلام : والله ما نزلت آية إلاّ وقد علمت فيم انزلت ؟ وأين أنزلت ؟ ان ربي وهب لي قلباً عقولاً و لساناً سئولاً .

ذكره صاحب (مفتاح السعادة ج ١ ص ٤٠٠)

٦ـ روى أحمد الحنبل قول علي عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن كتاب الله، وما من آية إلاّ وأنا أعلم حيث انزلت بحضيض جبل أو سهل أرض، و سلوني عن الفتن فما من فتنة إلاّ وقد علمت من كسبها ومن يقتل فيها .

٧ـ روى الحموينى في (فرائد السمطين) عن أبي سعيد: إن علياً عليه السلام على منبر الكوفة و عليه مدرعة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو متقلّد بسيفه و متعمم بعمامته صلى الله عليه وآله فجلس على المنبر و كشف عن بطنه ، فقال سلوني قبل أن تفقدوني ، فانما بين الجوانح مني علم جمّ ، هذا سفط العلم ، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله هذا ما رقّني رسول الله صلى الله عليه وآله رقاً رقاً، فوالله لو ثنيت لي وسادة فجلست عليها لافتيت أهل التوراة بتوراتهم ، و أهل الانجيل بانجيلهم ، حتى ينطق الله التوراة و الانجيل ، فيقولان صدق عليّ قد أفتاكم بما انزل فيّ (فيناظ) وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون

٨ـ روى أبو عمر في (العلم ج ٢ ص ١١٤) وفي (مختصره ص ٥٨) عن سعيد بن المسيب انه قال : لم يكن أحد من الصحابة يقول : سلوني إلاّ علي بن أبي طالب و كان إذا سئل عن مسئلة يكون فيها كالسكة المحماة ويقول :

إذا المشكلات تصدّين لي كشفت حقائقها بالنظر

فان برقت فى مخيل الصوا ب عمياء لايجتليها البصر
مقنّعة بغيوب الامور وضعت عليها صحيح الفكر
لساناً كشفتقه الأرجسى أو كالحسام اليمانى الذكر
وقلباً إذا استعطفته القسو ن أبرّ عليها بواه درد
ولست بامّعة فى الرجا ل يسئل هذا وذاما الخبر؟
ولكنى مذرب الاصغرين أبين مع ما مضى ما غبر

قوله : « مذرب » المذرب : الحاد و« الأصغرين » أصغراه : قلبه ولسانه

أقول : أنشدك بالله عز وجل أيها الأخ المسلم السنى ! أتستطيع أن تقيس عمر بن الخطاب مع مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام فى فضيلة من الفضائل فضلاً عن جميعها ؟

أوليس من الحمد على نفسك أن تميل إلى من هذه حاله ، وتترك من كانت هذه خصاله ، وتقدّم المعمول على الفاعل بما در ليست إلا أسوأ المعاصى .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

تمت سورة عبس والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وأهل بيته المعصومين

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا الشمس كورت ﴿١﴾ وإذا النجوم انكدرت ﴿٢﴾ وإذا الجبال سيرت ﴿٣﴾ وإذا العشار عطلت
﴿٤﴾ وإذا الوحوش حشرت ﴿٥﴾ وإذا البحار سجرت ﴿٦﴾ وإذا النفوس زوجت ﴿٧﴾ وإذا الموءودة سئلت
﴿٨﴾ بأي ذنب قتلت ﴿٩﴾ وإذا الصحف نشرت ﴿١٠﴾ وإذا السماء كشطت ﴿١١﴾ وإذا الجحيم سعرت ﴿١٢﴾
وإذا الجنة أزلفت ﴿١٣﴾ علمت نفس ما أحضرت ﴿١٤﴾ فلا أقسم بالخنس ﴿١٥﴾ الجوار الكنس ﴿١٦﴾ والليل
إذا عسعس ﴿١٧﴾ والصبح إذا تنفس ﴿١٨﴾ إنه لقول رسول كريم ﴿١٩﴾ ذي قوة عند ذي العرش مكين ﴿٢٠﴾
مطاع ثم أمين ﴿٢١﴾ وما صاحبكم بمجنون ﴿٢٢﴾ ولقد رآه بالأفق المبين ﴿٢٣﴾ وما هو على الغيب
بضنين ﴿٢٤﴾ وما هو بقول شيطان رجيم ﴿٢٥﴾ فأين تذهبون ﴿٢٦﴾ إن هو إلا ذكر للعالمين
﴿٢٧﴾ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴿٢٨﴾ وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴿٢٩﴾

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ «عس وتولى» و«إذا الشمس كوّرت» كان تحت جناح الله من الجنات (الجنان خ) وفي ظل الله وكرامته وفي جنانه، ولا يعظم ذلك على الله إن شاء الله

اقول : رواه الطبرسي في المجمع ، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار ، والشيخ المحدث الحر العاملي في وسائل الشيعة .

وذلك من قرأها متدبراً فيما جاء فيها من ذكر أهوال القيامة ومواقفها و حسابها وجزائها... إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً، آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وصاحبه به ، و باليوم الآخر ، وعمل صالحاً ، يدخله الله جل وعلا جنة النعيم ، و ظلا ظليلاً .

وهو يقول « والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة و ندخلهم ظلاً ظليلاً » النساء : ٥٧)

و في الدر المنثور : عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين ، فليقرأ «إذا الشمس كوّرت » و «إذا السماء إنفطرت » و«إذا السماء انشقت»

اقول : رواه السابقون المتقدم ذكرهم آنفاً .

و في البرهان: عن النبي ﷺ انه قال - من قرأ هذه السورة أعاذه الله من الفضيحة يوم القيامة حين ينشر صحيفته ، وينظر إلى النبي ﷺ وهو آمن، ومن قرأها على أرمد العين أو مطروقة أبرأها باذن الله تعالى

رواه الطبرسي في المجمع عن ابي بن كعب

اقول : ولايخفى على القارى المتأمل الخبير من المساس مابين الرواية، ومادور عليه السورة من الغرض ، وصعف السند يخبر بذلك ، وليس لنا ريب في أن المؤمنين حقاً هم من فزع يوم القيامه وفضيحتها آمنون .

قال الله تعالى «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» النمل : ٨٩)

و قال « لايحزنهم الفزع الاكبر و تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون » الانبياء : ١٠٣)

ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة لمن آمن ما في الرواية الاخيرة.

و في المجمع : وروى أبو بكر قال قلت لرسول الله ﷺ . يارسول الله أسرع إليك الشيب ، قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت

اقول وبالتدبر فيما تحويه السور تدفع شبهات المشككين، فتأمل جيداً

﴿ الغرض ﴾

ان هذه السورة تدور على فصلين :

أحدهما: بصدد ذكر أهم أشراط الساعة وأول أعلامها من إنقلاب وتبدل في نواميس الكون من إنمحاق ضوء الشمس ، وإنطفاء النجوم ، وتسيير الجبال ، وجمع الوحوش ، وتعطيل العشار عن طبيعتها ، وتفجير البحار ، وإشتداد حرارة المياه ، وإلتهابها ، وتشقق السماء أو إنكشافها ، وحساب الناس يومئذ ومصائرهم ومواقفهم . . .

وتصنيفهم حسب أعمالهم إلى أهل الحق والخير ، وأصحاب الباطل والشر ، إلى أهل الايمان والطاعة ، وأصحاب الكفر والمعصية ، وإلى أهل السعادة والنجاة ، وأصحاب الشقاء والعذاب . . . ونشر كتب الاعمال ، وتأجيج النار لأصحابها ، وتهيئة الجنة لأهلها ، وحينئذ يرى كل امرىء نتائج أعماله ما قدم بين يديه ، ومن جملة ما يسئل الناس يومئذ عنه وأدبناتهم من غير ذنب

وأسلوب آيات هذا الفصل أسلوب تنديدي بهذه العادة الشنيعة ، وإنذار بشدة عقوبتها عند الله عز وجل لما فيها من قسوة بالغة وجرأة على إرهاق روح بريئة على سبيل توكيد قوي بمجيء يوم القيامة وأهواله وأماراته التي تسبقه أو ترافقه ، ومحاسبة الناس على أعمالهم وتوفية كل منهم جزائه إما بجنة ونعيمها ، وإما النار وعذابها من قوله تعالى : « إذا الشمس كورت - إلى - علمت نفس ما أحضرت »

ثانيهما : تعدد توكيد صدق ما أخبر به النبي الكريم ﷺ مما ألقاه إليه ﷺ أمين الوحي، وسلته ﷺ بوحي الله عز وجل، ونفي الجنون ومس الشيطان عنه ﷺ من طريق القسم بالمشاهد الكونيه و حركاتها مختتمة بسؤال في أمر النبي الكريم ﷺ ينطوي على تهديد بالمكذبين والمترددين في تصديق ما أخبر به رسول الله ﷺ ، وتأديبهم و تعيير اتهم الحاطئه لما يخبر به من المشاهد الروحانيه ، وجواب تنبيهي على أن ما يبلغه إنما هو تذكرة وموعظة ليرعى من شاء الحق ، فيتبعه ويستقيم عليه، فيكون قد اهتدى بهدى الله جل و علا ومشيئته التي تناط بمشيئة الناس

و لفصلان على إختلاف موضوعيهما غير منفصلين عن الآخر ، فان الاول يخبر بيوم القيامة وأهواله ونتائجه، ومصير الناس بمواقف أعمالهم ، والثاني يؤكد صدق الاخبار والانذار ويرد على الكفار ما يقولونه في صددهما ، و ما يسيئون إلى رسول الله الاعظم ﷺ من تخبط الشياطين عليه

«النزول»

سورة التكوير مكية نزلت بعد سورة «المسد» وقبل سورة «الأعلى» وهي السورة السابعة نزولاً، والحادية والثمانون مصحفاً

وتشتمل على تسع وعشرين آية، سقت عليها ١٥٩ آية نزولاً، و ٥٨٠٠ آية مصحفاً على التحقيق

وتشتمله على ١٠٣ كلمه وقيل ١١٤ كلمة، وقيل ١٣٩ كلمة، و على ٤٣٤ حرفاً، وقيل ٥٣٠ حرفاً، وقيل ٥٣٣ حرفاً على ما في بعض التفاسير

ولهذه السورة ثلاثة أسماء أحدها - سورة التكوير ثانيها - سورة كوّرت ثالثها - سورة الشمس. والأول هو المشهور.

في أسباب النزول للواحدي النيسابوري باسناده عن سليمان بن موسى قال لما أنزل الله عزوجل «لمن شاء منكم أن يستقيم» قال ذلك إلينا إن شئنا إستقمنا، وإن لم نشأ لم نستقم فأنزل الله تعالى «وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين»

وفي الجامع لاحكام القرآن وقال أبو هريرة وسليمان بن موسى: لما نزلت «لمن شاء منكم أن يستقيم» قال أبو جهل الأمر إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم - وهذا هو القدر وهو رأس القدرية - فنزلت «وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين»

رواه السيوطي في أسباب النزول عن أبي هريرة .

القول : إن هذه السورة مكية من غير خلاف، وقد أسلم أبو هريرة بالمدينة، وأين هو بمكة المكرمة ؟ فلو كانت الرواية عن أبي هريرة فهي إحدى من آلاف أكاذيبه وموضوعاته ومختلقاته . .

﴿القراءة﴾

قرأ إبن كثير و أبوعمرو « سجرت » بالتخفيف لقوله تعالى : «والبحر المسجور» الطور : ٦)

إخباراً عنه حالها مرة واحدة ، والباقون بالتشديد ، إخباراً عن حالها في تكرير ذلك منها مرة بعد اخرى ، والتشديد هو المشهور بناء على أن الفعل مسند إلى ضمير كثرة من باب غلقت الابواب

وقرأ أبوجعفر «قتلت» بالتشديد لارادة تكرار فعل القتل لان المراد بالموؤدة هنا الجنس ، فارادة تكرار الفعل كثيرة . والباقون بالتخفيف .

في المجمع :وروى عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام«وإذا الموؤدة سئلت » بفتح الميم والواو و تشديد الدال وروى ذلك عن إبن عباس أيضاً . و روى عن أمير المومنين عليه السلام « وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت » وهو قراءة إبن عباس

وعلى الفتح والتشديد فالمراد بذلك الرحم و القرابة ، و انه يسئل قاطعها عن سبب قطعها ، وروى عن إبن عباس انه قال هو من قتل في مودتنا أهل البيت ، و عن أبي جعفر عليه السلام قال يعني قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قتل في جهد و في رواية اخرى قال :هو من قتل في مودتنا وولايتنا

وعلى قراءة فتح السين جعل الموؤدة موصوفة بالسؤال وبالقول بأي ذنب قتلت ، ويمكن أن يكون الله جل و علا أكملها في ملك العقل وأقدرها على النطق حتى قالت ذلك القول ، ويعضده ماروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يجيء المقتول

ظلماً يوم القيامة ، وأوداجه تشخب دماً اللون لون الدم ، و الريح ريح المسك متعلقاً بقائله يقول : يارب سل هذا فيم قتلني ، وأما القراءة المشهورة فهي ضم السين مبنياً للمفعول

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر و أبو عمرو و عاصم « نشرت » بالتخفيف على نشرها مرة واحدة لقيام الحجة لقوله تعالى : « في رق منشور » الطور ٣)

وهي القراءة المشهورة ، والباقون بالتشديد على تكرار النشر للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع وقيل لتكرار ذلك من الانسان والملائكة لشهداء عليه لقوله جل و علا : « صحفاً منشرة » المدثر : ٥٢)

وقرأ ابن عامر و حفص و عاصم و نافع « سعرت » بالتشديد ، و هي القراءة المشهورة ، وهذا يدل على كثرة ، وشيء بعد شيء ، فخفه التشديد ، فهي أوقدت مرة بعد مرة لقوله تعالى « كلما خبت زدناهم سعيراً » الاسراء ٩٧)

و قرأ الباقون بالتخفيف لقوله تعالى « و كفى بجهنم سعيراً » النساء : ٥٥)

بناء على أن السعير فعيل بمعنى المفعول ، وهذا إنما يجيء من فعل ، فهي أوقدت فأضرمت للكفار وزيد في إحمائها

وقرأ أبو عمرو « الجوار » بالامالة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو « بظنين » بالظاء والباقون بالضاد ومعنى الظنين المتهم من قولهم ظننت أي إتهمت لأن ظننت المتعدي إلى مفعولين إذ لو كانت منه لكان لابد من ذكر المفعول الثاني ، و عدم ذكر المفعول الآخر للدلالة على أنه من ظننت بمعنى إتهمت ، و كان رسول الله ﷺ يعرف بالأمين

وعلى الثاني فهو من البخل والمعنى أن النبي الكريم ﷺ انه يخبر بالغيب فيبينه ، ولا يكتمه كما يمتنع الكاهن من اعلام ذلك حتى يأخذ عليه الاجرة

﴿الوقف والوصل﴾

« كورت لاص » للعطف التالى ، و لكن يرخص فيه الوقف للضرورة ، و «انكدرت لاص» لماتقدم ، و «سيرت ك» علامة الوقف الجارى على حكم الوقف السابق، و«عطلت ك» و«حشرت ك» و«سجرت ك» و«زوجت ك» و«سئلت ك» كالمتقدم ،و«قتلت ج» لاعتراض الاستفهام بين النسق .

و«نشرت ك» و« كشطت ك»و«سعرت ك» و«ازلفت ك» لماتقدم،و «أحضرت ط » لتمام الشرط والجزاء ، والتقدير : إذا كورت الشمس ، كورت إذا تقعت الشمس بفعل مضمر، تفسيره الظاهر، وكذلك مابعدها. وقوله . «علمت» جواب عن الكل وهو العامل فى«إذا» وماعطف عليها .

و«الخنس لا» للوصف التالى ، و«الكنس لا» للعطف الآتى ، و«عسعس لا» و «تنفس لا» لجواب القسم الآتى، و« كريم لا» للوصف الآتى ، و «مكين لا» كالسابق ، و«أمين ط» بناء على أن مابعده مستأنف ، ومن جعل « وماصاحبكم » وما بعدها معطوف على جواب القسم لم يقف على «أمين» إلى قوله : «فأين تذهبون» .

و«بمجنون ج» لاحتمال العطف والاستيناف ، و«المبين ح » و«بضنين ح» و «رجيم ح» للاحتمالين المتقدمين ، و«تذهبون ط» لتمام الكلام ، و إستئناف التالى، و«للعالمين لا» لانها بعدم بدل البعض ، و«يستقيم ط» لتمام الكلام

﴿ اللغة ﴾

٥٦ - التكوير - ١٣٢٩

كار العمامة على رأسه يكورها كوراً - من باب قال - لاثها عليه وأدارها. وكار الأرض حفرها، وكار في مشيته أسرع، وكار الفرس ذنبه، رفعه في عدوه.

كوّر الشيء يكوّره تكويراً - من باب التفعيل - لفّه على شيء آخر مستديراً يقال: كور العمامة.

قال الله تعالى ﴿ إذا الشمس كوّرت ﴾ التكوير ١)

تكوير الشمس لفّها أو رفعها، وإزالتها. وقيل لف ضيائها أو محوه وقيل إن هذا الفعل مأخوذ من كور الشحص حمله أعمى لا يبصر وعمى الشمس معناه أن تفقد ضياءها

كوّر الحمدى عدوه - سرعه فسقط على الأرض ملفوفاً كأنه كرة وقيل إن هذا هو المقصود من تكوير الشمس، فمعناه إزالتها من مكانها أو قذفها في الفضاء

وقال تعالى ﴿ خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار و يكوّر النهار على الليل ﴾ الزمر: ٥)

وهذا تمثيل فقد جعل الله تعالى زيادة طول الليل بتقصير طول النهار بمثابة لف الليل حول النهار وتغليفه جزءاً منه وبالعكس فقد جعل طول النهار بتقصير

طول الليل بمثابة لفّ النهار على الليل وإعطاؤه جزءاً منه .

ويمكن أن يقال : إنه تعالى جعل إقتضاء الظلام لأثر النور على سطح الأرض بمثابة التفاف الظلام حول النور أو إلتفاف الليل حول النهار وجعل إقتضاء النور لأثر الظلام على سطح الأرض أيضاً بمثابة إلفاف النور حول الظلام أو إلتفاف النهار حول الليل .

تكوّر الشيء تكوّراً : سقط وتكوّر الرجل : تشمّر . وتكوّر الشيء تقطّر وكوّره فتكوّر أي صرعه فسقط .

في المفردات : كور الشيء : أدارته وضمّ بعضه إلى بعض ككور العمامة وقوله : « يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل » فاشارة إلى جريان الشمس في مطالعها وإنتقاص الليل والنهار وإزديادهما .

وقيل لكل مصر : كورة وهي البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحالّ .

و في النهاية : في الحديث : « انه كان يتعوّذ من الحور بعد الكور » أي من النقصان بعد الزيادة .

وكأنه من تكوير العمامة وهو لفّها وجمعها وفي صفة زرع الجنة « فيبادر الطرف نباته وإستحصاده وتكويره » أي جمعه وإلقاؤه .

و في المجمع : والكور - بالضم - : كور الحدّاد المبني من الطين والكورة : المدينة والناحية .

و في اللسان : الكور - بالضم - : الرحل ، وقيل : الرحل بأداته وكور الحدّاد : الذي فيه الجمر وتوقد فيه النار وهو مبنيّ من طين .

وتكوير الليل والنهار : أن يلحق أحدهما بالآخر وقيل : تغشيه كل واحد منهما في صاحبه وقيل : إدخال كل واحد منهما في صاحبه .

و في القاموس وشرحه : كوارة النحل - بالضم - : شيء يتخذ للنحل من القضبان والطين وهي شيء ضيق الرأس تعسل فيه .

وكوّر المتاع تكويراً جمعه وشدّه وقيل ألقى بعضه على بعض .

وكذا كارة القصار لكونه يكور ثيابه في ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها على بعض

١٤ - النجم والنجوم - ١٤٨٩

نجم ينجم نجماً - من باب نصر - : طلع وظهر

يقال نجمت الكواكب إذا طلعت ويقال نجم السن والقرن والنبت طلع وخرج

١- النجم الكوكب المضيء وغلب النجم على الثريا والنجم الثاقب فيما قيل - على رجل وجمع النجم نجوم وأنجم

قال الله تعالى « والنجم إذا هوى » النجم ١) إن المراد بالنجم الجنس من الكواكب وقيل الثريا وقيل القرآن

وقال تعالى « وإذا النجوم انكدرت » التكوير ٢)

وكان الناس في القديم يتعرفون بعض أحوالهم المستقبلة بالنظر في النجوم ومواقعها وما وضع فيها - على زعمهم - من تأثير ويقال من هذا نظر في النجوم إذا حاول معرفة شيء بالنظر في الكواكب

ولما كان النظر في النجوم أمين على معرفة الصواب والرأي عندهم

يقال نظر في النجوم إذا فكّر في أمره يتبيّن كيف يدبره

ب- النجم ما لا ساق له من النبات بل نبات على وجه الأرض كالبقول والعشب والحشيش وهو في هذا المعنى يقابل الشجر

قال الله تعالى « والنجم والشجر يسجدان » الرحمن ٦)

قيل إن المراد من النجم النبات وقيل الكوكب ويقال ليس لهذا الحديث نجم أي أصل

ج ـ النجم : المقدار من الشيء يرتبط بوقت ويرتبط نظيره بوقت آخر ، وهو يرادف القسط تقول : جعل وفاء دينه نجوماً ومن هذا قيل للجملة التي تنزل من القرآن نجم وقد نزل القرآن نجوما نحو ثلاث وعشرين سنة ولم ينزل جملة واحدة قال الله تعالى : « فلا اقسم بمواقع النجوم » الواقعة : ٧٥) أي نجوم القرآن وقيل : اريد بالنجوم الكواكب .

و أصل هذا ان العرب كانوا يوقتون أداء ديونهم وديانهم بطلوع النجوم فاطلق النجم على الوقت المضروب لدفع بعض الدية أو الدين أو غيرهما

واطلق النجم من هذا المعنى على القدر الذي يؤدى في الوقت المضروب. تقول : جعل فلان ماله على فلان نجوماً معدودة تؤدى عند إنقضاء كل شهر منها نجماً

في المفردات : أصل النجم الكوكب الطالع وجمعه نجوم . ونجم طلع نجوماً ونجماً فصار النجم مرة إسماً ومرة مصدراً فالنجوم مرة إسماً كالقطوف والعيوف ومرة مصدراً كالطلوع والغروب . ومنه شبه به طلوع النبات والرأى فقيل نجم النبت والقرن ونجم لي رأى نجماً و نجوماً و نجم فلان على السلطان صار عاصياً

ونجمت المال عليه إذا ورعته كأنك فرضت أن يدفع عند طلوع كل نجم نصيباً ثم صار متعارفاً في تقدير دفعه مأى شيء قدرت ذلك

وفي النهاية : في الحديث : « هذا إبان نجومه » أي وقت ظهوره يعني السهى ﷺ يقال : نجم النبت ينجم . إذا طلع و كل ما طلع وظهر فقد نجم والنجم في الاصل : إسم لكل واحد من كواكب السماء

وفي المجمع : النجم . زمان يحل بانتهائه أو إنشداعه قدر معين من مال الكتابة أومال الكتابة كله ، ومنه الحديث « ان عجز المكاتب أن يؤخر النجم إلى النجم الآخر »

وكانت العرب توقت بطلوع النجم لانهم ماكانوا يعرفون الحساب ، و إنما

كانوا يحفظون أوقات السنة بالأنواء وكانوا يسمون الوقت الذي يحلّ فيه الأداء نجماً ثم توسعوا حتى سموا الوظيفة نجماً .

قال إبن فارس : النجم وظيفة كل شيء وكل وظيفة نجم .

٥٩ - العطل - ١٠٢٤

عطل يعطل عطلاً وعطالة - من باب نصر - : بطل .

يقال : عطل الرجل . عظم بدنه و خلا من المال والأدب . ورجل عاطل . أي خال من المال والأدب . قوس عطل - بضمتين - لاوتر عليها

عطّل الشيء : تركه ضياعاً وعطّل المرأة : نزع حليّها

من الحسى المعطل : الموات من الارض وناقة عطل بلاسمة ومنه التعطيل التفريغ والخلو من الشيء مطلقاً بئر معطلة لايستقى منها

قال الله تعالى : « و بئر معطلة » الحج : ٤٥) .

إبل معطّلة لاراعي لها قال الله تعالى . «وإذا العشار عطلت» التكوير:٤)

أي لم تجد راعياً لاشتغالهم بأهوال يوم القيامة .

عطّلت الغلّات والمزارع : إذا لم تعمر ولم تحرث .

التعطيل: هو إنكار صفات البارى تعالى . المعطلة. أصحاب مذهب التعطيل.

ويقال لمن يجعل العالم بزعمه فارغاً عن صالح أتقنه وزيّنه : معطّل .

وتعطيل الحدود : ان لاتقام على من وجبت عليه .

في المفردات العطل فقدان الزينة والشغل . وعطّل الدار عن ساكنيها والابل عن راعيها

وفي المجمع . في الحديث : « لاينبغي للمرأة أن تعطل نفسها » يعني من الحلي ولو أن تعلق قلادة في عنقها . ومثله : «ياعلي من نسائك لايصلين عطلا» بضمتين اراد فقدان الحلي .والتعطيل من النساء: الطويلة العنق

١٨ - الوحش - ١٦١٥

وحش الرجل نفوره وسلاحه يحش وحشاً - من باب ضرب كوعد - رمى به مخافة أن يلحق .

أوحش الأرض إيحاشاً وحدها وحشة خالية . و أوحش المنزل - صار وحشاً و ذهب عنه الناس ومنه وحشة القبر لخلوه عنهم وإيحاش البيت فيه توحش الرجل توحشاً صد كالوحش يقال إذا أقفل الليل استأنس كل وحشي و استوحش كل انسي

الوحش هو حيوان البر الذي ليس في طبعه الاستئناس بني آدم . و الوحشي واحد الوحش : كل شيء يستوحش من الناس وجمع الوحش الوحوش

قال الله تعالى « وإذا الوحوش حشرت » التكوير ٥)

إستوحش الرجل إستيحاشاً وحد الوحشة ضد إستأنس

ويقال بات فلان وحشاً إذا لم يكن في حوزه طعام وجمعه أوحاش الوحشة بين الناس الانقطاع وبعد القلوب في المودات

و في الحديث . « قلوب الرجال وحشية » أي متباعدة بعضها عن بعض من الوحشة وهي عدم الأنس « فمن تألفها أقبلت عليه »

في المفردات الوحش خلاف الانس ، و تسمى الحيوانات التي لا تأنس لها بالانس وحشاً وجمعه وحوش

وفي اللسان الوحشة الخلوة و الهم و في حديث فاطمة بنت قيس « انها كانت في مكان وحشي فخيف على ناحيتها » أي خلا لا يسكن به

ويقال بات وحشاً ووحشاً أي جائعاً وأوحش الرجل: جاع . والوحشي: الجائع من كل شيء

١٠ - البحر والبحار - ٩٢

بحر يبحر بحراً بالتحريك - من باب علم : دهش وتحيّر من الفزع واشتدّ عطشه فلم يرو من الماء فهو بحر

أبحر الرجل ركب البحر وصادف إنساناً بلا قصد لرؤيته واشتدّت حمرة أنفه أبحر الأرض : كثرت مياهها وأبحر الماء : ملح .

أصل البحر : كل مكان واسع جامع للماء الكثير جمعه بحار و أبحر و بحور قال الله تعالى «وإذا البحار سجرت» التكوير ٦) وأطلق على الماء الكثير ملحاً كان أو عذباً على سبيل إطلاق الظرف على المظروف قال الله تعالى : « وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج » فاطر ١٢)

ويطلق على كل متوسع في شيء فيقال للرجل المتوسع في علمه بحر و للفرس المتوسع في جريه : بحر

تبحّر في العلم وغيره تعمّق فيه و توسّع إستبحر في العلم وغيره إنبسط

البحار: الملاّح للمبالغة

البحران عند الأطباء التغير الذي يحدث للعليل دفعة في الأمراض الحادّة يقولون : هذا يوم بحران بالإضافة

البحيرة: الناقة التي بحروا أذنها أي شقّوها وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا إذ نتجت الناقة خمسة أبطن وقيل عشرة أبطن فكان آخرها ذكراً شقوا أذنها وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح ولا تمنع عن ماء ولا مرعى و إذا لقيها المعي المنقطع به لم يركبها

قال الله تعالى « وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة » المائدة ١٠٣)

في المفردات : أصل البحر كل مكان متوسع جامع للماء الكثير ثم اعتبر تارة سعته المعاينة فيقال بحرت كذا أوسعته سعة البحر تشبيهاً به وسمّوا كل

متوسع في شيء بحراً حتى قالوا : فرس بحر باعتبار سعة جريه .

وقال عليه السلام في فرس ركبه : «وجدته بحراً»

وفي النهاية : ومنه حديث عبدالمطلب وحفر بئر زمزم : «ثم بحرها» أي شقها ووسّعها حتى لاتنزف .

البحيرة : مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وهو تصغير البحرة. والعرب تسمي المدن والقرى : البحار ومنه الحديث : «وكتب لهم ببحرهم» أي بلدهم وأرضهم و فيه ذكر «البحيرة» في غير موضع كانوا إذا ولدت إبلهم سقباً بحروا أذنه أي شقّوها وقالوا :

اللهم إن عاش فتيٌ وإن مات فذكيٌ فاذا مات أكلوه وسمّوه البحيرة وقيل البحيرة: هي بنت السائبة كانوا إذا تابعت الناقة بين عشر اناث لم يركب ظهرها ولم يجزّ وبرها ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو ضيف وتركوها مسيّبة لسبيلها وسمّوها السائبة .

فما ولدت بعد ذلك من انثى شقّوا أذنها وخلّوا سبيلها وحرم منها ما حرم من امّها وسمّوها البحيرة .

وفي اللسان : البحر : الماء الكثير ملحاً كان أو عذباً ، و هو خلاف البر سمي بذلك لسعته وإتساعه ، وقد غلب على الملح حتى قلّ في العذب .

والبحر في كلام العرب. الشق وسمي البحر بحراً لاستبحاره وهو إنبساطه وسعته ويقال : إنما سمي البحر بحراً لانه شق في الارض شقاً، وجعل ذلك الشق لمائه قراراً .

واستبحر الرجل في العلم والمال وتبحّر: إتسع وكثر ماله وتبحر الراعي في رعي كثير : إتسع وكله من البحر لسعته .

بحر الرجل ـ من باب علم ـ : إذا رأى فزع حتى دهش وكذلك برق إذا رأى سنا البرق فتحيّر .

وسحر الرجل : مهت وأسحر الرجل إذا إشتدت حمرة أنفه وأسحر إذا صادف انساناً على غير إعتماد وقصد لرؤيته

١٥- السجر- ٦٧٤

سجر النهر يسجره سجراً وسجوراً - من باب نصر - : ملأ

وسجّر النهر : ملأه. وسجرت الناقة: مدّت حنينها . وسجّر الماء: فجّره وسجّر التنور وسجره : أوقد وأحماه .

قال الله تعالى «ثم في النار يسجرون » غافر : ٧٢) أي يحرقون ظاهراً و باطناً .

وقال تعالى « وإذا البحار سجرت» التكوير ٦) أي ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بحراً واحداً فأحميت .

إسجر الأبل في السير تتابعت وإسجر الاناء . إمتلاء .

الساجر الموضع الذي يأتي عليه السيل فيملاه .

«مررنا بكل ساجر وساجر » السيل الذي يملاه كل شيء .

السجر في العين : أن يخالط بياضها حمرة و في معنى السجر إطلاقاً من الاختلاط مالا يخفى .

في المفردات: السجر تهييج النار يقال سجرت التنور ومنه «و البحر المسجور »

وسجرت الناقة إستعارة لالتهابها في العدو نحو إشتعلت الناقة

والسجير الخليل الصفي الذي يسجر في مودة خليله

وفي النهاية : في صفته عليه السلام . «انه كان أسجر العين»

السجرة : أن يخالط بياضها حمرة يسيرة

وفي المجمع : أصل السجرة : الكدرة .

وفي اللسان : وكان علي بن أبيطالب عليه السلام يقول المسجور بالنار أي مملوء قال : والمسجور في كلام العرب : المملوء

وقال في قوله تعالى « وإذا البحار سجرت » : أفضى بعضها إلى بعض فصارت بحراً واحداً .

وشعر مسحر ومسجور مسترسل وكذلك اللؤلؤ لؤلؤ مسجور إذا إنتثر من نظامه .

١ - الواد - ١٦٣٤

وأد البنت يئدها وأداً - من باب ضرب كوعد - دفنها حيّة .

ووصف المقبور موؤدة قال الله تعالى : « وإذا الموؤدة سئلت بأيّ ذنب قتلت » التكوير : ٨)

وقد كان يفعل هذا بعض العرب في الجاهلية يعمد الرجل إلى إبنته فيئدها في صغرها خشية ان تلحق به عاراً بزعمه أو تسبيها إذا كبرت أو خشية الاملاق والفقر وما إليها من فساد المفيدة

قال الله تعالى « وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون » النحل - ٥٩)

توأدت عليه الارض غيّبته ودهست به الوئيد : شدة الوطء على الارض

في النهاية ومنه حديث المرأة « تلك الوأد الخفي » وفي حديث آخر « تلك الموؤدة الصغرى » جعل العزل عن المرأة بمنزلة الوأد إلا أنه خفي لان من يعزل عن إمرأته إنما يعزل هرباً من الولد ولذلك سمّاه الموؤدة الصغرى لان وأد البنات الاحياء الموؤدة الكبرى

أقول إذا كان النزع والعزل وأداً فكيف الاسقاط ومنهم من كان يئد

البنين عند المجاعة .

الوئيد: صوت شدة الوطء على الارض يسمع كالدوىّ من بعد ومنه الحديث «وللارض منك وئيد» يقال سمعت وأدفوائم الابل ووئيدها .

وفي المجمع : وكانت كندة تدفن البنات و في الخبر «انه نهى عن وأد البنات» أى قتلهنّ لانهم كانوا في الجاهليّة يدفنون بهنّ و هنّ حيات في التراب .

الوئيد وهي السكون والرزانة والتأني والمشي بثقل و يقال ابتدء في مشيته أى إقتصد وابتئد في أمرك أى تثبت .

وفي اللسان : الوأد و الوئيد : الصوت العالي الشديد كصوت الحائط إذا سقط ونحوه .

٢٦ـ الكشط ـ ١٢٩٦

كشط الشيء عن الشيء يكشط كشطاً ـ من باب ضرب ـ : رفعه عنه قد غشّاه .

الكشط النزع والازالة قال الله تعالى: «وإذا السماء كشطت» (التكوير:١١) اى قلعت وازيلت كما ينزع الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به.

يقال : كشط الجلد عن اللحم والسرج عن ظهر الفرس .

الكشاط : الانكشاف

في المفردات : كشط «وإذا السماء كشطت» وهو من كشط الناقة أى تنحيه الجلد عنها ومنه استعير إنكشط روعه أى زال

و في النهاية : في حديث إستسقاء: «فتكشّط السحاب» أى تقطّع وتفرّق والكشط والقشط سواء في الرفع والازالة والقلع والكشف

وفي المجمع : إنكشط الشيء : ذهب ومنه إنكشط روعه.

وفي اللسان : كشط الغطاء عن الشيء والجلد عن الجزور والجلّ عن ظهر الفرس : قلعه ونزعه وكشفه عنه .

واسم ذلك الشيء الكشاط .

وفي القاموس و شرحه . كشط الحرف : أزاله عن موضعه .

٣٦- السعير- ٧٠٥

سعر النار والحرب يسعرها سعراً - من باب منع - وأسعرها إسعاراً وسعّرها تسعيراً : أوقدها وهيّجها وأشعلها .

قال الله تعالى « وإذا الجحيم سعّرت » التكوير ١٢)

أي أوقدت وهيّجت نارها

السعير الموقد المهيّج ونار سعير موقدة مهيجة ويراد بالسعير جهنم قال الله تعالى : « وسيصلون سعيراً » النساء : ١٠)

السعر : جمع السعير

والسعر أيضاً الجنون قال تعالى « قالوا أبشراً منا واحداً نتبعه انا إذا لفي ضلال وسعر » القمر : ٢٤) هي بمعنى الجنون .

في المفردات السعر إلتهاب النار وسعر الرجل : أصابه حر .

و في الصحاح السعار حرّ النار و شدّة الجوع و توهج العطش و الجنون .

و في النهاية : ومنه حديث علي رضي الله عنه بعث أصحابه « اضربوا حراً وارموا سعراً » أي رمياً سريعاً شبّهه باستعار النار

وفي المجمع: السعار حرّ النار وشدّة الجوع والسعر - بالكسر - الذي يقوّم عليه الثمن الجمع أسعار وسمي السعر سعراً تشبيهاً باستعار النار لان سعر السوق يوصف بالارتفاع .

وفي الدعاء «حبل ساعير» وهو الحبل الذي أوحى الله عزّ وجلّ إلى عيسى بن مريم عليه السلام.

٤٨-الكنس-١٣٢١

كنس الظبي يكنس كنساً وكنوساً - من باب ضرب - : إستتر في كناسه وهو مأواه الذي يتخذه في الشجر ليستره فهو كانس وجمعه. كنّس قال الله تعالى: «فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس» التكوير. ١٥و١٦).

الجواري الكنس: الكواكب تختفي أو تقر الوحش أو الظباء تأوي إلى مخائلها أو كل ما كانت صفته الكنوس أحياناً والجري أخرى وتكنّس الرجل دخل في الخيمة والمرأة: دخلت في الهودج

الكناسة - بالضم - : الزبالة وبمعنى موضع الزبالة أيضاً

الكنّاس: فعّال للمبالغة وهو الذي حرفته الكنس

الكنيس: متعبد اليهود والكنيسة متعبد النصارى وقد تطلق الكنيسة عند النصارى على جماعة المؤمنين منهم وقد تطلق على متعبد اليهود والنصارى والوثنيين جمعها كنائس

المكنسة: إسم آلة يكنس بها جمعها مكانس.

في الصحاح: الكناس موضع في الشجر يكتن فيه الظباء ويستتر

وفي النهاية: وفي حديث كعب «أول من لبس القباء سليمان عليه السلام لأنه كان إذا أدخل الرأس للبس اللباس كنّست الشياطين إستهزاء»

يقال: كنّس أنفه إذا حرّكه مستهزئاً.

وفي المجمع: الكناسة - بالضم - : إسم موضع بالكوفة صلب فيها زيد بن علي بن الحسين عليه السلام

٤٣-عسعس-١٠٠٨

عسعس الليل يعسعس عسعسة وعساساً - من باب دخل - أظلم ومضى وأقبل وأدبر .

يقال : فلان عسعس الأمر لنفسه وعساه . وعسّ يعسّ عساً وعساساً - من باب مدّ - طاف بالليل لحراسة الناس . وعسّ على أهله

وإعتسّ الشيء : طلبه ليلاً أو قصده . الذئب العسوس : الطالب للصيد من العسى العسعس : ما يطلب الصيد بالليل من السباع والحشيف من كل شيء

ومنه في عمل الناس العسّ : نهض الليل عن أهل الوسنة ومن الصيد ليلاً في تعفّ يقال : تعسعس الذئب : طلب الصيد بالليل.

ومن الجملة تكون عسعسة الليل جملة ظلامه في أول إقباله أو عند إدباره في السحر قبيل الصبح

ولعل السياق القرآني العسعسة عند إدبار الليل إذ بعدها تنفس الصبح وقد يقال إن عسعس بمعنى أقبل وبمعنى أدبر معا فهو من الأضداد قال الله تعالى « و الليل إذا عسعس » التكوير : ١٧)

في المفردات: عسعس أي أقبل وأدبر وذلك في مبدأ الليل ومنتهاه والعسعسة والعساس رقة الظلام وذلك في طرفي الليل

و في النهاية : في حديث علي عليه السلام « انه قام من حور الليل ليصلي فقال «والليل إذا عسعس» عسعس الليل إذا أقبل بظلامه وإذا أدبر فهو من الأضداد

وفي اللسان : عسعس الليل إذا أقبل وعسعس إذا أدبر والعسعسان يرجعان إلى شيء واحد وهو ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخره

٤- الصبح - ٨٣٤

١- صبح القوم يصبح صبحاً - من باب منع - أتاهم وأغارهم كقولهم « صبحناهم بالف من سليم وصبحتهم الخيل كذلك »

٢- صبح الشعر يصبح صبحاً وصبحة- من باب علم- . برق الحديد : صقل

٣- صبح الوجه يصبح صباحه - من باب كرم - : أشرق وأنار، ومنه يقال غلام صبيح الوجه . وغلام صباح : أي جميل .

الصبح : الفجر قال الله تعالى « والصبح إذا تنفس » التكوير :١٨) و المراد منه الفجر .

و الصبح : أول النهار قال تعالى « إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب» هود : ٨١) هما بمعنى أول النهار . جمع الصبح : الأصباح

سمي بذلك لحمرته لان الصباحي : الدم الشديدة الحمرة

الصباح نقيض المساء وربما كنوا بالصبح عن الأمر الحلي

أصبح : دخل في الصباح كقوله تعالى « فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها » الكهف : ٤٢)

أصبح . بمعنى صار كقوله تعالى : « فأصبحتم بنعمته إخواناً » آل عمران ١٠٣) أي صرتم

صبّحهم - من باب التفعيل - أتاهم غدوة كقوله تعالى « ولقد صبّحهم بكرة عذاب مستقر » القمر : ٣٨) ويقال : تصبّح الرجل . نام غداة .

المصباح : السراج وجمعه مصابيح قال الله تعالى « المصباح في زجاجة» النور : ٣٥)

وقال « وزينّا السماء الدنيا بمصابيح » فصلت : ١٢)

الاصباح مصدر يراد به أول الفجر قال الله تعالى: « فالق الاصباح والانعام ٩٦) أي الصبح

وربما استعير للانتقال من ظلمة الاثم إلى نور الزهد ، و من ظلمة الضلال إلى نور الهدى

والعرب تقول : أصبح يا رجل أي إنتبه من غفلتك

في المفردات: الصبح والصباح أول النهار وهو وقت ما احمر الافق بحاجب الشمس قال « أليس الصبح بقريب - فساء صباح المنذرين » .

وفي النهاية : ومنه حديث يحيى بن زكريا عليهما السلام « كان يخدم بيت المقدس نهاراً ويصبح فيه ليلا » أي يسرج السراج .

وفيه « انه نهى عن الصبحة » وهي النوم أول النهار لانه وقت الذكر ثم وقت طلب الكسب .

الاصبح : الشديد حمرة الشعر .

وفي المجمع : الاصباح : الصبح والصبيحة الصباح .

وفي الحديث « وليس عند ربك صباح ولا مساء » قال علماء الحكماء المراد ان علمه تعالى حضوري لا يتصف بالمضي والاستقبال كعلمنا وشبهوا ذلك بحبل كل قطعة منه على لون في يد شخص يمده على بصر نملة فهي لحقارة باصرتها ترى كل آن لوناً ثم يمضي ويأتي غيره

فيحصل بالنسبة إليها ماض وحال ومستقبل بخلاف من بيده الحبل فعلمه - سبحانه وله المثل الاعلى - بالمعلومات كعلم من بيده الحبل و علمنا بها كعلم تلك النملة . كذا ذكره الشيخ البهائي

« صبحه الله بخير » دعاء له .

والمصباح السراج الثاقب المضيء ويعبّر به عن القوة العاقلة والحركات الفكرية الشبيهة بالمصباح ومنه قوله عليه السلام « قد زهر مصباح الهدى في قلبه »

وإن شئت قلت فأضاء العلم اليقين في قلبه والمستصبح : المتخذ لنفسه مصباحاً وسراجاً

وفي الحديث لما نزلت « وأنذر عشيرتك الاقربين » قال صلى الله عليه وآله .

« ياصباحاه » وهذه كلمة يقولها المستغيث عند وقوع أمر عظيم وأصلها إذا صاحوا للغارة لانهم أكثر ما كانوا يغيرون وقت الصباح فكأن القائل واصباحاه

يقول: قدغشينا العدو.

و في اللسان: الاصبح: الشديد حمرة الشعر وهو صبح النهار مشتق من الاصبح. قال الازهري: ولون الصبح الصادق يضرب إلى الحمرة قليلاً كأنها لون الشفق الاول في أول الليل.

والصبح: بريق الحديد وغيره.

وفي القاموس: وشرحه: الصبح: الواضحة الجبين ومصابيح النجوم: أعلام الكواكب.

ومن المجاز: رايت المصابيح تزهر في وجهه

١٨- الضنين-٩١٠

ضنّ به يضنّ ضنّاً وضنانة: بخل به وأمسك.

من المدى ضننت بالمزل: لم أبرحه، والضنّ: الشيء النفيس، والمضنونة سر من الطب ومنه معنى الحرص والامساك، والضن بالشيء: قال الامام علي عليه السلام: «من ضنّ بعرضه فليدع المراء»

الضنين: البخيل جمعه: الضنائن وهي ما يختص بالانسان من الاشياء مما يضنّ به لنفاسته

قد الله تعالى: «وما هو على الغيب بضنين» التكوير ٢٤)

أي بأتيه محمد صلى الله عليه وآله وهو معنون فيه فلا يبخل به عليكم ولا يضنّ به عنكم

الضن - بالتحريك -: الشجاع

في المفردات: الضنّة: هو البخل بالشيء النفيس

وفي النهاية: في الحديث: «ان لله ضنائن من خلقه يحميهم في عافيه و يميتهم في عافية»

الضنائن: الخصائص واحدهم: ضنينة فعيله بمعنى مفعولة من الضن وهو ما

تحتصنه وتصن به. أى تبخل لمكانه منك و موقعه عندك

يقال فلان سنى من بين إخوانى وصنتى أى إختص به واضن بمودته ومنه حديث زمزم «قيل له : احفر المصنونة » أى التى يضن بها لنفاستها و عزتها

وفى المجمع الضنين البخيل الشحيح قوله تعالى «وما هو على الغيب بضنين » والمعنى لايبخل بالوحى بان يسئل تعليمه أو يردى بسببه فلا يبلغه

﴿ التكوير ﴾

١- (إذا الشمس كورت)

«إذا» ظرف للاستقبال، يتضمن معنى الشرط، ويختص بالدخول على الجملة الفعلية، ويحتاج إلى جواب، ويقع في الابتداء عكس «إن» للمحتملة، والفعل بعده إما ظاهر كقوله تعالى «إذا جاء نصر الله» وإما مقدر كقوله تعالى «إذا الشمس كورت» على تقدير إذا كورت الشمس، فالشمس فاعل لفعل مقدر يفسره المذكور، و«كورت» فعل ماض مبني للمفعول في باب التفعيل وتأنيثه لتأنيث الشمس مجازاً.

و«إذا» في موضع نصب لأن قوله تعالى «علمت نفس» عامله، وعلى هذا يجري أمثاله والجملة التي هي الفعل المحذوف مع فاعله بعد «إذا» في موضع جر بإضافة «إذا» إليها، والتقدير وقت تكوير الشمس تعلم كل نفس ما عملته، وتجري به

وعلى هذا فهذه إثنا عشر «إذا» كلها ظروف إسمت إلى الجمل التي بعدها من قوله تعالى «إذا الشمس كورت - إلى - وإذا الجنة ازلفت» والعامل فيها كلها قوله جل وعلا: «علمت نفس ما أحضرت».

٢- (و إذا النجوم انكدرت).

الواو للعطف، والجملة عطف على السابقة، و«النجوم» جمع النجم، و«إنكدرت» فعل ماض من باب الافعال، و تأنيثه باعتبار جماعة النجوم، وبناء

للفاعل بخلاف أخواته من الأفعال الملتفة به لكونه لازماً .

٣- (و اذا الجبال سيرت) .

عطف على ماقبلها ، و «الجبال» جمع الجبل ، و «سيرت» فعل ماض ، مبني للمفعول من باب التفعيل ، وتأنيثه باعتبار جماعة « الجبال » .

٤- (و اذا العشار عطلت) .

«العشار» جمع العشراء كالنفاس جمع النفساء ، والعشار : النوق الحوامل قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها ، وتسمى بها حتى تضع حملها وقيل: ولا يزال ذلك إسمها حتى تضع و بعد ماتضع أيضاً ، إذ من عادة العرب أن يسموا الشيء باسمه المتقدم ، و إن كان قد جاوز ذلك .

٥- (واذا الوحوش حشرت) .

« الوحوش » جمع الوحش ، وهو من الحيوان مالا يتأنس بالانسان كالسباع وغيرها و « حشرت » فعل ماض ، مبني للمفعول .

٦- (واذا البحار سجرت) .

« البحار » جمع البحر ، و « سجرت » فعل ماض ، مبنيٌ للمفعول من باب التفعيل

٧- (و اذا النفوس زوجت) .

« النفوس » جمع النفس ، والباقي ظاهر مما تقدم

٨- (و اذا الموؤدة سئلت) .

« الموؤدة » اسم مفعول كالمقتولة وزناً ومعنى ، و «سئلت» فعل ماض مبني للمفعول .

٩- (بأي ذنب قتلت)

الباء للمقابلة ، وهي التي تدخل على الأعواض حقيقة كقوله تعالى «ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون» النحل:٣٢)وكقولك لصديقك: بما اشتريت هذا الفرس،

وتقدير الكلام «أى» استفهامية انكارية ، اضيفت إلى «ذنب» و«قتلت» فعل ماض مبنى للمفعول ، وفاعله التاء ، وضمير مستتر فيه راجع إلى «الموؤدة» .

١٠ـ (و اذا الصحف نشرت) .

« الصحف » جمع الصحيفة ، و ان الالف و اللام عوض عن المضاف إليه أى صحف أعمال الانسان .

١١ـ (و اذا السماء كشطت) .

« السماء » إسم جنس يشمل المفرد و الجمع ، و « كشطت » فعل ماض ، ثلاثياً ، مبنياً للمفعول .

١٢ـ (و اذا الجحيم سعرت) .

« الجحيم » إسم من أسماء جهنم ، و « سعرت » فعل ماض ، مبنياً للمفعول من باب التفعيل .

١٣ـ (و اذا الجنة ازلفت) .

« ازلفت » فعل ماض ، مبنياً للمفعول ، من باب الافعال .

١٤ـ (علمت نفس ما أحضرت) .

« علمت » فعل ماض ، و« نفس » فاعل الفعل باعتبار تأنيث فاعله مجازاً ، و التنوين فى « نفس » للتقليل ولكنها تفيد التكثير بحسب المقام ، وقيل : للتعظيم أو للتنويع بمعنى النفس الانسانية لا النباتية ، ولا الحيوانية و لا الملكية عند القائلين بها .

و « علمت » جواب (« إذا » كلها والفعل هو العامل ا « إذا » جميعها ، و « ما » موصولة ، محلها النصب ، مفعول به لفعل العلم ، و « أحضرت » فعل ماض من باب الافعال ، وفاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى « نفس » والجملة صلة الموصول على حذف العائد لرعاية الفواصل أى أحضرته

١٥ـ (فلا اقسم بالخنس) .

الفاء للتفريع ، وهي التي ترتبط بما وقع جواباً للشرط ، أي إن هذا الحق واقع، فلا أقسم لكم على تو كيده بالخنس، و«لا» حرف نفي وقيل : زائدة حيث للتأكيد و«أقسم» فعل مضارع لمتكلم وحده من باب الأفعال ، والباء في «بالخنس» للقسم وهي مع مجرورها متعلق بفعل القسم، و«الخنس» جمع خنساء وهي طبيه تدخل في كناسها، والمراد بها هنا الكواكب إذا طلع عليها النار خنست أي غابت، واختفت معالمها عن الأنظار . وقيل الخنس جمع خانس كطلب جمع طالب

١٦- (الجوار الكنس)

«الجوار» جمع الجارية، صفة «الخنس» لأنها تجري في أفلاكها، و«الكنس» جمع الكانس والكانس ، مأوى الظباء الذي تسكن إليه، صفة أخرى لـ «الخنس» لأنها تكنس أي تتوارى في بروجها كما تتوارى الظباء في كناسها وقيل «الكنس» صفة لـ «الجوار» .

١٧- (والليل اذا عسعس)

الواو للعطف ، و«الليل» عطف على «الخنس» مجرور بواو القسم ، و «إذا» حرف شرط للاستقبال ، و«عسعس» فعل ماض ، رباعياً كدحرج و فاعله ضمير مستتر فيه، راجع إلى «الليل» .

١٨- (والصبح اذا تنفس)

«الصبح» عطف على «الخنس» وقيل إن الجملة عطف على «والليل إذا عسعس» «تنفس» فعل ماض من باب التفعل ، وفاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى « الصبح »

١٩- (انه لقول رسول كريم) .

«إن» حرف تأكيد ، وضمير الوصل في موضع نصب، إسم لحرف التأكيد ، راجع إلى القرآن ، و«لقول» اللام للتأكيد، ومدخولها خبر لحرف التأكيد المتقدم، أضيف إلى «رسول» و«كريم» نعت من «رسول» ، و الجملة جواب للقسم

٢٠- (ذي قوة عند ذي العرش مكين) .

«ذى» بمعنى صاحب، صفة اخرى لـ «رسول» اضيف إلى «قوة» و «عند» ظرف، متعلق بمحذوف، وهو صفة ثالثة لـ «رسول» و «عند» اضيف إلى «ذى» وهو اضيف إلى «العرش» و «مكين» صفة رابعة لـ «رسول» وقيل: «عند ذى العرش» متعلق بـ «مكين»

٢١- (مطاع ثم امين)

«مطاع» إسم مفعول من باب الافعال، صفة خامسة لـ «رسول» و «ثم» بفتح الثاء ظرف، عامله «مطاع» و «أمين» صفة سادسة لـ «رسول».

٢٢- (وما صاحبكم بمجنون)

الواو للعطف، و «ما» حرف نفي، تشبه «ليس» و «صاحبكم» إسمها، و «بمجنون» خبرها، و «الباء» لتأكيد النفي، والجملة عطف على جواب القسم «انه لقول رسول كريم» والجملة المعطوفة داخلة في جواب القسم

٢٣- (ولقد رآه بالافق المبين)

الواو للقسم، واللام في «لقد» لتوطئة القسم وقيل الواو للعطف واللام للزينة والجملة عطف على جواب القسم من عطف الجملة الفعلية على الاسمية، و «قد» حرف تحقيق، و «رآى» فعل ماض، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «صاحبكم» وهو النبي الكريم ﷺ و ضمير الوصل في موضع نصب، مفعول به، راجع إلى جبرئيل عليه السلام و «بالافق» متعلق بمحذوف، وهو حال من جبرئيل عليه السلام والمعنى واقسم لقد رآى محمد رسول الله ﷺ جبرئيل عليه السلام حالكون جبرئيل كائناً في الافق المبين وفي «المبين» وجهان أحدهما - انه صفة من «الافق» ثانيهما - انه صفة لمن رآه

٢٤- (وما هو على الغيب بضنين)

الواو للعطف، و «ما» حرف نفي، و «هو» إسمها، و «على الغيب» متعلق بـ «ضنين» وهو خبر لحرف النفي، وهو كبخيل وزناً ومعناً، صفة مشبهة من الضن بمعنى البخل

٢٥- (وما هو بقول شيطان رجيم)

عطف على جواب القسم كالجملة السابقة ، والجمل الثلاث كلها داخلة فى جواب القسم ، و«رجيم» صفة لـ «شيطان»

٢٦- (فاين تذهبون)

الفاء للتفريع ، و«أين» إستفهام توبيخى ، و«تذهبون» فعل مضارع على خطاب الجماعة للمشركين على تقدير إذا كان الأمر على هذا فأين تذهبون أيها المشركون وتتركون الحق وراءكم ؟ .

وقيل ان الجملة إعتراض على تقدير القول وحرف الجر أى قال إلى أين تذهبون كقولك ذهبت مكة المكرمة أى إلى مكة المكرمة . ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه قال: أين تؤمنون .

٢٧- (ان هو الا ذكر للعالمين)

«إن» حرف نفى نشبه «ليس» وهى تدخل على الجملة الاسمية ، و تأتى و بعدها حرف «إلا» أو «لما» المشددة التى هى بمعنى «إلا» غالباً كقوله تعالى :«إن الكافرون إلا فى غرور » الملك : ٢٠) و قوله تعالى : « إن كل نفس لما عليها حافظ » الطارق : ٤)

و«هو» إسم لحرف النفى ، و « إلا » حرف إستثناء ، و« للعالمين » متعلق بمحذوف وهو صفة لـ «ذكر» أى ذكر ثابت للعالمين ، ولم يعمل «إن» لمكان الاستثناء والجملة جواب للقسم المتقدم أيضاً .

٢٨- (لمن شاء منكم أن يستقيم)

«لمن» بدل من «للعالمين» بدل بعض من الكل باعادة الجار ، و«من» موصولة ، و«شاء» فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «من» و«منكم» متعلق بفعل المشيئة ، و«أن» حرف مصدرية ، و«يستقيم» فعل مضارع من باب الاستعمال ، منصوب بحرف المصدر ، والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر مفعول به لفعل المشيئة

٢٩- (وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين)

الواو للحال ، و«ما» نافيه ، و«تشاؤن» فعل مضارع لخطاب الجمع ، و«إلا» حرف إستثناء ، و«رب» اضيف إلى «العالمين» صفة لـ«الله» جل جلاله.

ولايخفى على الأدب المتأمل : ان هذه السورة كلها مركبة من شروط و جزاء ، ومن أقسام وأجوبة

﴿البيان﴾

١- (اذا الشمس كورت)

فصل أول من فصلي هذه السورة، يحرر بعض أشراط الساعة وأهوالها، وما يقع يوم القيامة من إنقلاب في نظام الكائنات، و تبدل في نواميس الوجود، و ما يكون حينذاك، وهي إثناعشر شيئاً.

أولها: تكوير الشمس، وقدمها تعجيلاً لشأنها، و أحداً مما يأنس بها الانسان يقظة، وهي هول تبدلها من الشدة مالاقى تبدل غيرها

وفي حذف الفعل أولاً، وإسناده إلى الضمير ثانياً على شريطة التفسير من إفادة التحقق والثبوت لامحالة، وفي إيثار الفعل مبنياً للمفعول من التهويل كما في الاعمال التالية مالايخفى على القارىء الخبير

وان المراد من تكوير الشمس إظلام حرمها على نحو الاحاطة من الاستعارة، فان التكوير هو اللف على طريق الادارة كلف العمامة على الرأس.

٢- (واذا النجوم انكدرت)

الثاني من أعلام الساعة إنكدار النجوم. الكدر ضد الصفاء. وإنكدار الشيء في الاصل إنقلابه من الصفاء إلى ضده. وإنكدار النجوم كناية عن إنطفاء بريقها ولمعانها وذهاب نورها، وإنضمامها وتناثرها وتساقطها على الارض وسميت النجوم نجوماً لظهورها في السماء بنورها.

٣- (واذا الجبال سيرت)

الثالث : من أشراط القيامة تسيير الجبال ، و هو كناية عن إقتلاعها من أماكنها ، ودهابها عن وجه الارض ، وسيرها في الفضاء ، وصيرورتها هباء منبثاً وسراباً .

٤- (واذا العشار عطلت)

الرابع : من أعلام الساعة تعطيل العشار ، وهو تركها مهملة لا راعي لها ولا حافظ يحفظها فتذهب حيث تشاء ، فكأن في الآية الكريمة إشارة - على طريق الكناية - إلى أن نفائس الاموال التي تتنافس فيها الانسان تبقى اليوم من غير صاحب لها يتملكها ولا متصرف يتصرف فيها لانهم مشغولون بأنفسهم عن كل شيء كما قال الله جل وعلا « لكل إمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » عبس - ٣٧)

وقيل إن تعطيل العشار تمثيل لشدة الكرب ، وإلا فلا عشار ولا تعطيل إذ لا تكون يوم القيامة ناقة عشراء ولكن أراد به المثل ان هول يوم القيامة بحال لو كان لرجل ناقة عشراء لعطلها وإشتغل بنفسه وإنما خص العشار بالذكر لأنها أعز ما تكون على العرب، وليس تعطيل أهلها إلا لأحوال القيامة لعظم الهول و شدة الكرب يومئذ .

٥- (واذا الوحوش حشرت)

الخامس من أعلام الساعة حشر الوحوش ، وهو كناية عن جمعها من كل ناحية ليقتص بعض من بعض، ثم تصير تراباً

٦- (واذا البحار سجرت)

السادس من تلك الأشراط تسجير البحار ، و هو كناية عن إنطلاق مياه البحر يومئذ لا يمسكها شيء ، وتنشف مافيها من الرطوبة حتى لا يبقى فيها شيء من المياه

٧- (واذا النفوس زوجت)

السابع : من تلك الاعلام تزويج النفوس ، وهو كناية عن إقتران الارواح

بأجسادها التي كانت فيها ، وبعثهما مردوحاً وفي ذلك ايماء إلى بقاء النفوس من حين الموت إلى وقت البعث، فيها بعدأن إنفردت عن أبدانها تعود إليها يومئذ

٨- (وإذا الموؤدة سئلت)

الثامن . مما يقع يوم القيامة هو السؤال عن الموؤدة ، وهي البنت الصغيرة التي تدفن حية خوف العار والفقر بيد أهلها .

ان تسئل : ان السؤال إنما يحسن عن القاتل والجاني لا عن المقتول والمجنى عليه ؟

تجيب عنه : إنما سؤال الموؤدة لتبكيت قاتلها وتوبيخه بما تقوله من الجواب فيها تقول : قتلت بغير ذنب ، فسؤال الموؤدة توبيخ لوالدها وهو أبلغ من سؤالها عن قتلها لأن هذا مما لا يصح إلا بذنب ، فأي ذنب كان ذلك فاذا ظهر انه لا ذنب لها كان أعظم في البلية وظهور الحجة على قاتلها .

وفي هذا تشنيع على الجاني ومواجهة له بالجريمة التي إرتكبها ، ووضعها بين يديه ليرى تلك الجناية العليظة المنكرة ، وليسمع من قتيلته التي طرائه سوأى حسابه معها ، ليسمع منطقها الذي يأخذ بتلابيبه ويملأ فزعاً ورعباً

أرأيت إلى قتيل يظهر على مسرح القضاء ، هذا وقاتله في موقف المحاكمة ثم أرأيت إلى هذا القتيل و هو يروي للقاضي العدل ، والحاكم الحق لم قتل ؟ وكيف قتل ؟ ثم أرأيت إلى القاتل ، وقد أذهله الموقف فحرس لسانه، وارتعدت فرائصه وانهار تماسكه ؟ ذلك بعض من هذا المشهد الذي يكون بين الموؤدة و والدها يوم البعث والحساب ! .

فتوجيه السؤال إلى النفوس الموؤدة لاظهار كمال السخط والسخط لوالدها، وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته ، وتوطئة لان تسئل الله جل وعلا الانتصاف لها من قاتلها حتى يسئل عن قتلها فيؤخذ لها منه

ونظيره في التبكيت والتوبيخ قوله جل وعلا لعيسى بن مريم عليه السلام : ءأنت

قلت ، اتخذوني وامي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق » المائدة : ١١٦)

وقيل إن إسناد المسئولية إلى الموؤدة من المجاز العقلي . وسميت بالموؤدة لما يطرح عليها من التراب فيؤودها أي يثقلها حتى تموت ، ومنه قوله تعالى : « ولا يؤده حفظهما » أي لا يثقله .

وفي تلخيص البيان : للسيد الشريف الرضي رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى : « وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت » قال : « و هذه إستعارة ، والمراد والله أعلم انها سئلت لا لاستخراج الجواب منها ، ولكن لاستخراج الجواب من قاتلها ، ويكون ذلك على وجه التوبيخ للقاتل إذ قتل من لا يعرف (لا يعرب ح) عن نفسه ، ولم يذنب ذنباً يؤخذ بجريرته وقيل معنى سئلت أي طلب بدمها كما يقول القائل : سئلت فلاناً حقي عليه أي طالبته به ، و إنما سميت موؤدة للثقل الذي يلقى عليها من التراب ، تقول : آذني هذا الامر أي أثقلني ، و منه قوله تعالى : « لا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » أي لا يثقله ذلك كما يثقل أحدنا الشاهد حفظ المتشعبات وضبط المنتشرات » إنتهى كلامه ورفع مقامه

٩- (بأي ذنب قتلت)

فكأن البنت الصغيرة المدفونة حية تسئل على مسمع من والدها : لماذا و أدك والدك ؟ و كيف استبدلت الرحمة بالفظاظة ، والرأفة بالغلظة ؟؟؟

وفي اسلوب الاية وما قبلها تنديد على عادة العرب دفن بناتهم أحياء كراهة ولادتهن كما صرّح بذلك في قوله تعالى : « وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون » النحل . ٥٨ - ٥٩)

وإنذار شديد بشدة مثوبتها عند الله تعالى لما فيها من قسوة بالغة، وجرأة على إزهاق روح بريئة ، وتشديد عليهم على هذه العادة القاسية البشعة التي كان الدين

يسارعون بها يظنون انه ليس عليهم في ذلك من حرج ولا إثم .

١٠- (وإذا الصحف نشرت)

التاسع : مما يشاهد يوم القيامة ، وفيه من الهول والفزع نشر صحائف الأعمال خيرها وشرها، صالحها وفاسدها . . ، للحساب والجزاء ، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً ، فالناس مجزيون بأعمالهم . . .

ولا يخفى على القارئ المتأمل الخبير ان الآية الكريمة مع ما تنطوي من حقيقة ايمانية ومع دخول ذلك في نطاق قدرة الله جل وعلا - أنها تسهيل الانذار والترهيب والوعيد بأسلوب من الأساليب التي إعتادها الناس في الحياة الدنيا من تسجيل الأحداث وإبراز التسجيلات في مقام الاثبات والافحام

وفي نشر الصحف إفادة لكشفها ومعرفتها ، فلا تعود خافية ، ولا عاصمة ، و هذه العلنية الشاملة يوم المحشر أشد على إنسانها وأنكى ، فكم من سوأة يخجل صاحبها في نفسه ، ويرجف ويدوب من كشفها ، فكيف إذا رآها منشورة حاضرة مشهودة ! فتنكشف صحف الأعمال للحجة والحساب والجزاء

١١- (وإذا السماء كشطت)

العاشر: من أعلام الساعة كشط السماء ، وهو كناية عن نزعها عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة ، وينزع الغطاء عن الشيء ، وزوال هذه الصورة التي نشاهدها لنا في الحياة الدنيا

١٢- (وإذا الجحيم سعرت)

الحادي عشر من مشاهد الساعة توقد نار جهنم وتسعر جمرها ، و علو لهيبها واضرامها مرة بعد مرة ، فتزداد شدة على شدة

١٣- (وإذا الجنة أزلفت)

الثاني عشر : من مشاهد يوم القيامة دنو الجنة من أهلها ، وتهيئتها وتزيينها لهم قبل أن يدخلوها ، وذلك ليزداد أهلها سروراً ، وأهل النار حسرة

١٣ـ (علمت نفس ما احضرت)

جواب الشروط توارد على تلك الأحداث الكونية الآفاقية والأنفسية، والسماوية والأرضية، الانسانية والحيوانية.. التي تقع بين يدي الساعة و يوم مجيئها

ان تسئل: كيف قال الله جل وعلا ذلك مع أنه أثبت العلم لنفس واحدة مع أن كل نفس تعلم ما أحضرت يوم القيامة لقوله تعالى: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير أ محضراً» آل عمران: ٣٠)؟

تجيب عنه: ان هذا مما اريد به عكس مدلوله، و مثله كثير في كلام الله تعالى كقوله «ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين» الحجر: ٢) فان رب هنا بمعنى كم للتكثير.

وقوله جل وعلا حكاية عن موسى عليه السلام لقومه «وقد تعلمون أني رسول الله إليكم» الصف ٥) فان «قد» هنا تفيد التحقيق، وقد دخلت على المضارع

والمراد بالنفس الجنس، فالآية الكريمة في معنى قوله تعالى «يوم تجد كل نفس» والمعنى علمت كل نفس وقت تلك المذكورات وهو يوم القيامة ما أحضرت من خير أو شر، من إيمان أو كفر، من إخلاص أو رياء، و من صدق أو كذب

وقيل ان تنوين «نفس» للتعظيم و قيل: للنوع أي النفس الانسانية لا النباتية ولا الحيوانية ولا الملكية، وإسناد الاحضار إلى النفس مجاز لان الملائكة أحضروها في الصحف أو في الموازين إلا أنها لما تسببت منها ذلك اسند إليها على أن آثار أعمالها إنما تلوح عليها

وقد احتوت أربع عشرة آية من آيات اولئات هذه السورة الكريمة فصلاً أولاً من فصلها، وقد تضمن هذا الفصل توكيداً قوياً بمجيء يوم القيامة وأهواله وشدائده التي تسبقه أو ترافقه، ومحاسبة الناس على أعمالهم في الدنيا وتوفية كل

منهم جزاء إما بالجنة ونعيمها ، وإما بالنار وعذابها .

و ما ذكر من الانقلاب الذى يطرأ على نواميس الكون هو على مايتبادر و بالاضافة إلى حقيقته الا بمانية ، و دخوله فى نطاق قدرة الله جل و علا سيبدو تصوير هول يوم القيامة و أثره فى مشاهد الكون العظيمة التى تملأ الأذهان إستهداها لاثارة خوف السامعين وحملهم على الارعواء، وليس من طائل فى التخمين والتزيد فى مظاهر هذا الانقلاب ومابهته المادية،وليس ذلك من أغراض القرآن الكريم . فتأمل وافتنم جداً .

١٥- (فلا اقسم بالخنس)

شروع فى فصل ثان، وفيه تنزيه للنبى الكريم ﷺ عن الجنون وتداعيهم به ؛ وللوحى السماوى عن مداخلة الشيطان ، وإنما هو كلامه جل وعلا يلقيه إلى رسول الله الاعظم ﷺ ملك الوحى الذى لايخون فى رسالته ، وانه ذكر للعالمين هاد بإذن الله تعالى لمن إهتدى منهم ، على طريق القسم بالمشاهد الكونية المذكورة وحركاتها بأن الذى يبلغ وحى الله تعالى هو رسول كريم أمين على مايثقل قوى على حمل الأمانة حظى عند الله تعالى ، وبأن رسول الله ﷺ ليس مجنوناً ، وبأنه قد رأى ملك الله عز وجل فى افق السماء ، وبأنه صادق فيمايقول غير متهم فى أمانته ، وغير مخف شيئاً مما رآه و سمعه وعرفه ، و بأن مايبلغه ليس من تخليط الشيطان الرجيم وأقواله ...

فصل مستقل الموضوع عن سابقاتها غير أن الارتباط بينها و بين هذه السابقات قائم، فالاولى تخبر بيوم القيامة وأهواله ونتائجه . والثانى بموقف أعمالهم ، والثالثة تؤكد صدق الاخبار و الانذار ، و ترد على الكفار مايقولونه فى صددهما ، وما ينسبونه إلى النبى الكريم ﷺ من تخليط الشياطين عليه، والمرجح ان الفصلين نزلا متتابعين إن لم يكونا قد نزلا معاً

ولايخفى ان هذه الاقسام المثبتة يراد بها التعريض بالقسم لا وقوع القسم

داته ، إذ كان الأمر الواقع فى معرض القسم أظهر من أن يحتاج إلى توكيد وجوده بقسم .

«لقاء» ترتبط مما وقع جواباً للشرط «إذا» فى أول السورة و هو قوله عزوجل «علمت نفس ما أحضرت» أى ان هذا الحق واقع ، فلا اقسم لكم على توكيده بالخنس ، الجوار الكنس .

١٦- (الجوار الكنس)

وصفان آخر ان للنجوم باعتبار جريها فى مجراها ، وغيبوبيتها فى المواضع التى تغيب فيها عن العيون ...

و فى تلخيص البيان : قال فى قوله تعالى : « فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس» : وهاتان إستعارتان ، وهما جميعاً فى صفة النجوم ، فأما الخنس فالمراد بها التى تخنس نهاراً ، وتطلع ليلاً ، و الخنس جمع خانس ، و هو الذى يقبع و ينسر ، ويخفى ويستتر ، وأما الكنس فجمع كانس وهو أيضاً المتوارى المستخفى مشبهاً بانضمام الوحشية إلى كناسها ، و هو الموضع الذى تأوى إليه من ظلال شجر ، وإلتفاف خمر وحميمه (جمعه خ) كنس ، فشبه تعالى إنقباض النجوم فى بروجها بتوارى الوحوش فى كنسها .

١٧- (والليل اذا عسعس)

قسم ثان ، أقسم بالليل المدبر ، و هو كناية عن آخر الليل حيث يدبر شيئاً فشيئاً .

١٨- (والصبح اذا تنفس)

قسم ثالث فى هذا الفصل . أقسم الله جل و علا بالصبح المتنفس ، و تنفسه كناية عن طلوع الفجر ، وهو خروج ضوء الصبح وظهور نوره من غموم غسق الليل وظلمته ، فكأن الصبح متنفس من كرب أو مترو ح من هم كنفس المكروب إذا وجد راحة .

أو محار عما يكون عنده من روح ونسيم ، وفي ذلك بشرى لأهل الجنة بحياة جديدة في نهار جديد، إذ تنطلق الإرادات لتحصيل الرغبات وسد الحاجات وإستدراك مافات ، والاستعداد لما هو آت

وفي التعبير عن ظهور الصبح وطلوع الفجر بالتنفس إشارة إلى أنه مولد الحياة للأحياء جميعها ، حيث تبعث الحياة من جديد في الأحياء مع الصبح بعد أن عشيها النوم وحبسها عن الحركة ، فعدت وكأنها في عالم الموتى ، وهذا ما يشير إليه قوله جل وعلا : « وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه » (الأنعام : ٦٠)

وفي تلخيص البيان : قال في قوله تعالى « والصبح إذا تنفس » « وهذه من الاستعارات العجيبة ، والتنفس هنا عبارة عن خروج ضوء الصبح من عموم غسق الليل ، فكأنه متنفس من كرب أو مترو ح من هم ، ومن ذلك قولهم تنفس عن فلان الخناق أي إنجلى كرب الضيق عنه ، وقد يجوز أن يكون معنى « إذا تنفس » أي إذا إنشق وإنصدع من قولهم تنفس الإناء إذا إنشق وتنفست القوس إذا انصدعت ، وهذا التأويل يخرج اللفظ من باب الاستعارة » إنتهى كلامه ورفع مقامه .

وقيل في الآية الكريمة إشارة إلى تكامل طلوع الصبح ، وفي كيفية المحار قولان أحدهما - أنه إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم ، فجعل ذلك نفساً له على المجاز ، ثانيهما - أنه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي ضاق بحيث لا يتحرك واجتمع الحزن في قلبه ، وإذا تنفس وجد راحة ، فهذا لما طلع الصبح ، فكأنه تخلص من الحزن ، فعبر عنه بالتنفس وهو إستعارة لطيفة .

١٩- (إنه لقول رسول كريم)

جواب للأقسام الثلاثة ، وفي إثبار الجواب بالجملة الاسمية وتأكيدها بحرفية ما يخفى على القارىء الخبير المتأمل والمعنى - فلا أقسم لكم بالخمس بأن أخبار يوم القيامة وأحداثها وأهوالها واقعة لا ريب فيها ، وإن تلك الأخبار التي

تحدثكم عن هذا اليوم هي قول رسول كريم ، و هو رسول الوحي جبرئيل عليه السلام بلّغ به كلمات ربه إليه ، لا أقسم لكم بهذه العوالم على وقوع هذا الخبر فإنه بيّن ظاهر . وفي إضافة القول إلى الرسول بما أنه رسول دلالة على أن القول من الله عز وجل، و إن نسبته إلى جبرئيل نسبة الرسالة إلى الرسول ، وأضيف إليه لنزوله به

وبعبارة أخرى : ان الله تعالى أضاف القول إلى جبرئيل عليه السلام ثم عدّاه عنه بقوله عز وجل « تنزيل من رب العالمين » الواقعة ٨٠) ليعلم أهل التحقيق في التصديق ان القول قول الله عز وجل ففي لفظ «رسول» دلالة على أنه ليس قوله عليه السلام بالاستقلال وقد وصف الله تعالى هذا الرسول بست صفات مدحه بها، منها ـ الكرامة عند الله تعالى

٢٠ـ (ذي قوة عند ذي العرش مكين)

وصفان باعتبار ، وثلاث صفات باعتبار آخر لرسول الوحي جبرئيل عليه السلام و في وصفه بذي القوة ايماء إلى صلابة أمين الوحي ، وحصانته في نفسه في الحفظ و البعد عن الخطأ والنسيان ...

٢١ـ (مطاع ثم أمين)

وصفان آخر ان لرسول الوحي جبرئيل عليه السلام الذي تطيعه الملائكة في السموات على الوحي، و هو الذي أمين على ما يحمل من كلمات الله جل وعلا إلى رسل الله لا يبدّل ولا يحرّف

٢٢ـ (وما صاحبكم بمجنون)

جواب ثان للاقسام الثلاثة المتقدمة على طريق عطف المنفي المؤكد بحرفي «ما» النافية ، والباء على المثبت المؤكد بحرفي التأكيد ، ولا يخفى على اهل البيان والأدب ان لفظة «ما» النافية تفيد التأكيد ما لا تفيده لفظة «لا» النافية وغيرها من حروف النفي ، كما ان الباء في خبرها تفيد التأكيد في جانب النفي

وفي تعرّض عنوان المصاحبة تلويح باحاطتهم بتفاصيل أحواله صلى الله عليه وآله خبراً وعلمهم ببراهته صلى الله عليه وآله عما نسبوه إليه بالكلية ، وتكذيب لهم في رميهم له صلى الله عليه وآله

بالجنون وتنزيه لساحته .

وفيه ايماء إلى أنه ﷺ صاحبكم لبث فيكم معاشراً لكم طول عمره ، و أنتم أعرف به، وأنتم قدوجدتموه ﷺ على كمال من العقل ورزانة من الرأى ، وصدق من القول ، ومن كانت هذه صفته لايرمى بالجنون .

٢٣- (ولقد رآه بالافق المبين)

قسم تلويحى يؤيد صدق ما يذكره النبى الكريم ﷺ من رؤيته أمين الوحى ،وهو بالافق الاعلى ، وقد كان المؤمنون يصدقونه ﷺ و الجاحدون يكذبونه ، ويبعث اليقين فى نفس من لايتعمد العناد واللجاج و المكابرة فى صدق هذه الرؤية السماوية ، ويملأ سورة رائعة لعبقرية النبى الكريم ﷺ ويقينه بصحة مارآى ويؤيد صحة الحديث وفى وصف «بالافق» «بالمبين» مالايخفى على القارى الخبير المتأمل .

٢٤- (وما هوعلى الغيب بضنين)

عطف ثان على جواب القسم السابق ، إخبار من الله جل وعلا عن صدق النبى الكريم ﷺ وإشفاقه ، بأن محمداً ﷺ صادق فيما يقول ، غير متهم فى أمانته، وغير مخف شيئاً مما رآه وسمعه وعرفه، ولايبخل به بتبديل بعضه أو كله شيئاً آخر بل يعلم الناس كما علمه الله تعالى و يلقنهم مأمر بتبليغه .

٢٥- (وماهو بقول شيطان رجيم)

عطف ثالث على جواب القسم، داخل فيه، نفى عن النبى ﷺ فرية اخرى وتأكيد قوى يوحى بصدق ما أخبر به النبى المعصوم ﷺ وعمق ايمانه به ، و إستناده فيه على الحقيقة الواقعة التى أدركها بالقوة التى إختصه الله جل وعلا بها ، و يقضى على أى ريب فى نفس كل امرىء حسنت نيته ورغب على المماراة بالباطل، ودحاسم على الذين كانوا يتقولون بان القرآن الكريم نفثة الشيطان على لسان محمد ﷺ

هل يوحى الشيطان بالخير والهدى ، والحق والصدق وهو مطرود من الخير

والرأفة ، من الحق والهدى ، ومن الصدق والفلاح ؟؟؟ !!! .

وفى الاية الكريمة . نفى لاستناد القرآن الكريم إلى إلقاء شيطان بماهو أعم من طريق الجنون ، فان الشيطان بمعنى الشرير ،والشيطان الرجيم كمايطلق فى كلام الله عزوجل على إبليس وذريته ، يطلق على أشرار سائر الجن...

ان الله تعالى قدبيّن فى الايات السبع ـ التى تصف رسول الوحى والمرسل إليه نفياً وإثباتاً ، جائت على ايجاز متونها جواباً للاقسام الثلاثة ـ ثمانية امور :

أحدها ـ ان هذا القرآن هو كلام الله جل وعلا الذى أنزله برسول الوحى وهو جبرئيل عليه السلام إلى المرسل إليه وهو محمد صلى الله عليه وآله .

ثانيها ـ ان رسول الوحى هو ذو كرامة عندالله تعالى .

ثالثها ـ ان هذا الرسول ذو صلابة فى أمره وصيانة فى نفسه ، وجليل القدر وعظيم المنزلة عندالله عزوجل مالايقدر قدره ولايكتنه كنهه .

رابعها ـ ان هذا الرسول هو الذى تطيعه الملائكة ، وهو أمين فى كل أمر ، ومنه إبلاغ الوحى إلى المرسل إليه ، ولاصارف من نفسه أوغيره يصرفه عن أخذه ولاحفظه ولاتبليغه .

خامسها ـ ان المرسل إليه هو صاحبكم الذى لبث فيكم عمراً ، لايخفى عليكم حاله ، وأنتم تعلمون أنه ليس بمجنون ، فكيف تفترون عليه مالاتعتقدون به

سادسها ـ ان صاحبكم هذا قدرأى أمين الوحى بمرأى العين وظاهر الامر فلاشبهة فى أمره ولاخفاء

سابعها ـ ان صاحبكم هذا ليس بكاتم عليكم لما يوحى إليه و لامغيّر ، فما يتلوا عليكم فهو حق وصدق من غير أن ينقص عنه ولا أن يتسامح فى بيانه .

ثامنها ـ ان ما يتلوه عليكم صاحبكم ليس بتسويل من إبليس و جنوده ولا بالقاء من بعض أشرار الجن على ماتقولونه .

٢٦ـ (فأين تذهبون) .

الفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها من ظهور انه هذا القرآن وحي مبين ، فنتيجة البيان المتقدم ان القرآن كتاب هدى يهتدى به من أراد الاستقامة على الحق ، وهو قوله تعالى « إن هو إلا ذكر للعالمين » . وليس مما يقولون في شيء في حقه ، ولا مما يرمون به حاشيه من الجنون وغيره كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها : هذا طريق واضح فأين تذهب على طريق الاستفهام الانكاري والجملة توطئة لذكر نتيجة البيان السابق ، وهي قوله تعالى : « إن هو إلا ذكر للعالمين » على سبيل القصر القلب

و ان السؤال تبكيتي عن السامعين المعاندين - إلى أين تذهبون في أمر الوحي السماوي ؟ وماذا تظنون في صاحبكم ؟ وكيف تفترون عليه وأنتم تعلمون أنه لا يكذب ؟؟؟ .

والسؤال ينطوي على تهديد بالمكذبين والمترددين في تصديق ما أخبر به النبي الكريم ﷺ و بأوهامهم و رمائهم الشاطئة لما يخبر به من المشاهدة الظاهرة السماوية .

٢٧- (ان هو الا ذكر للعالمين) .

تقرير لحقيقة القرآن الكريم على طريق القصر القلب بأن ما يبلغه محمد رسول الله ﷺ إنما هو تذكر و موعظة للعالمين ، و ليس مما تقوله هؤلاء المعاندون .

و ان الآية الكريمة تنطوي رداً قوياً على هؤلاء المعاندين الذين نعتوا النبي المعصوم ﷺ بالجنون ، وماهو الحق في أمر القرآن الكريم دافعاً عنه إرتيابهم فيه مما يرمون به الحائق به من الجنون وغيره بأن القرآن هو هدى للعالمين ، ومنبه ومذكر بهم ، لايمكن أن يصدر هذا من مجنون ، رداً على هذه التهمة الفاجرة الظالمة التي تنطلق بها أفواه هؤلاء المشركين . و تشيتاً للنبي الكريم ﷺ في موقفه، وإلفاتاً له إلى ماسيديمن آيات القرآن الذي هو ذكر

للعالمين كافة ، وحياة مجددة للناس جيلاً بعد جيل .

وانه لاذكر ولا قدر لمن فاته الاتصال بهذا الكتاب ، وتلقى عنه ، وقطع مسيرة الحياة تحت رايته ، وإستجهالاً أن يحتل من حياه بمثله من الآداب والحكم والسنن وأصول كل العلوم والمعارف التي يحتاج إليها المجتمع البشري في كل وقت ومكان . .

٢٨- (لمن شاء منكم أن يستقيم) .

تخصيص بعد تعميم حيث ان الله جل وعلا ذكر بأن القرآن الكريم ذكر للخلق كافة ثم خص الذكر بمن شاء الحق وأراد الاستقامة عليه ، فيتبعه ويستقيم عليه لانه الذي ينتفع ، فيكون قد اهتدى بهدى الله تعالى ومشيئته التي تناط بها مشيئة الناس ، فمن لم يشاء الحق ، ولم يرد الاستقامة عليه ، فهو لاينتفع ، فكأنه لم يكن له ذكر ، وان هذا القرآن كالدواء يشفي من أراد الشفاء ، فمن أبى فكأنه ليس له شفاء .

وفي الآية الكريمة ايماء إلى أن العالمين كلهم لا ينتفعون بهذا الذكر والوحي السماوي ، وهي مسوقة لبيان ان فعلية الانتفاع بهذا الذكر مشروط بأن يشاؤا الاستقامة على الحق ، وهو التلبس بالثبات على العبودية وصالح الاعمال .

٢٩- (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) .

تحقيق لما هو حق بيان أن مجرد مشيئتهم غير كافية فيمن أراد الحق والاستقامة عليه كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية أي وما تشاؤن الاستقامة على الحق . ولاتقدرون على تحصيلها في وقت من الاوقات إلاّ وقت مشيئة الله جل وعلا تحصيلها لكم إذ لادخل لمشيئة العبد إلاّ في الكسب .

وكما أن الاستثناء من النفي يفيد ان مشيئة العبد متوقفة في وجودها على [illegible] جل وعلا ، فلمشيئته تعالى تأثير في فعل العبد من طريق تعلقها بمشيئة العبد ، وليست متعلقة بفعل العبد مستقلاً وبلاواسطة حتى تستلزم بطلان تأثير إرادة العبد ،

وكون الفعل جبرياً ، ولأن العبد مستقل فى إرادته ، بحيث يفعل مايشاء ، شاء الله عزوجل أم لا . فالفعل إختيارى لاستناده إلى إختيار العبد ، و أن إختيار العبد ليس مستنداً إلى إختيار آخر .

وان الآية الكريمة - على ماقيل - بحسب مايفيده السياق فى معنى دفع الدخل فان من الممكن أن يتوهموا من قوله . « لمن شاء منكم أن يستقيم » ان لهم الاستقلال فى مشيّة الاستقامة إن شاؤا إستقاموا ، و إن لم يشاؤا لم يستقيموا فلله جل وعلا إليهم حاجة فى الاستقامة التى يريدها منهم

فدفع ذلك بأن مشيتهم متوقفة على مشية الله عز و جل ، فلا يشاؤن الاستقامه إلا أن يشاء الله تعالى أن يشاؤها ، فأفعال الانسان الاختيارية مرادة لله جل وعلا من طريق إرادته ، وهو أن يريد الله تعالى أن يفعل الانسان فعلاً كذا و كذا عن إرادته .

وفى إيثار كلمة « رب » اضيف إلى « العالمين » إيماء إلى أن المشيّة من شئون الربوبية وليس فى جانب المربى قصور ولا تقصير فى شؤون التربية ، وإنما القصور والتقصير فمن جانب المربوبين ، فان أكثرهم لم يتربوا بأسباب التربيه بسوء إختيارهم .

«الاعجاز»

ان التدبر في هذه السورة : مبانيها و معانيها ، و اسلوبها ونظمها .. يلهمنا بما اجتمع فيها من وجوه الاعجاز - الصدق المطلق الذي جاءت به ، و علو الجهة التي نزلت منها ، و حسن الأداء الذي عرضت به وجهها ، و صوّرت فيها حقائقه . و كل ذلك قد اجتمع في هذه السورة ، الصدق المطلق ظاهراً و باطناً ، و علو الجهة علواً شامخاً ثابتاً لايتغير ، راسخاً لايهتز ، بعيداً لاينال ، قوياً لايضعف ، انه الكبير المتعال لايسامى و لايداني ، و حسن أدائها لآلئ فريدة نظمتها يد الحكمة ، و كان بناءاً شامخاً راسخاً أقامته يد القدرة المطلقة :

«إذا الشمس كورت ـ علمت نفس ماأحضرت » ١٠ ـ ١٤)

ختمت كلها بحرف التاء ، و كان لحناً علوياً خالداً ألّفت بين أنغامه و ألحانه يد اللطيف الخبير « انه لقول رسول كريم ـ إن هو إلاّ ذكر للعالمين » : ١٩ـ٢٧)

لو كانت السورة على صفة واحدة من تلك الوجوه الثلاثة لكانت معجزة مفحمة، تخرس الألسنة لبلاغتها ، و تعنو الجباه لجلالتها ، و تخشع القلوب لعظمتها ، و تحيّر العقول لرءعتها فكيف بالثلاثة إذا اجتمعت في كلام ، و صرن وجوهاً من وجوه محاسنه، و آية من آيات إعجازه ؟

وهذا فيما تكشف لعيوننا ، ووراء ذلك كثير من وجوه الحسن، كلها رائع معجب ، بل ما خفي منها أروع وأعجب .

مضافاً إلى أن في السورة إشارة إجمالية إلى علو قدر القرآن كريم، و تقرع آياتها أسماع الكافرين، فتو غر صدورهم وتضطرم فيها نار الحقد على القرآن و العداوة له . فتذهب نفوسهم حسرة ، و تتقطع أنفسهم ألماً ، و تتحرك ألسنتهم بكلمات مخرومة مبتورة يرمون بها القرآن الكريم رميات طائشة . يأخذها القرآن من أفواههم ، فيسمع بها وجوههم وتقذع نفوسهم .

«وما صاحبكم بمجنون . فأين تذهبون» ، ٢٢ ـ ٢٦)

ويدور القوم بأعينهم هنا وهناك، فلا يجدون شيئاً يلقون به هذا التحدي ، و تظل القرآن الكريم قائماً وحده في الميدان يصول و يجول لا يقوم له أحد من «ولئك الطالمين المستكبرين، من «ولئك المكذبين الفاجرين، من «ولئك الكافرين العاصين ومن «ولئك المجرمين الطاغين ولا يجدون ذي عقول منهم أن يفتح فمه بحديث يعترض سبيله أو يجري معه

ومن تدبير القرآن الكريم في هذا أيضاً انه في هذا الدور المكرر من الدعوة يرتل تلك السور القصار التي تصم كل سورة منها أصواتاً صارخة مدمدمة تثير الهول والفزع بما تبث من نذر الهلاك والدمار ، وبما تحمل من صور الانقلابات الهائلة المروّعة التي تقلب أوضاع هذا الوجود!

«إذا الشمس كورت ـ وإذا السماء كشطت» فمثل هذه الأهوال المزلزلة كانت تضرب آذان قريش . فتضطرب لذلك القلوب وتهيج النفوس

وهيهات أن يعرّ إنسان من وجه هذا المدبر المبين !

فما أن تكاد هذه الكلمات تطرق الآذان حتى تنطبع في كيان سامعها إنطباعاً لتناغم كلماتها وتوازن آياتها وتقابل معانيها . وإذا هي على كل فم و في كل

بيت عماء وحداه وشيداً . واستمع إلى سورة « التكوير » فتدبر واغتنم

وهي على نسق واحد مع كونها على فصلين، وفي الاول طلقات راعدة مدمدمة مزلزلة مملأ الآفاق رعباً وفزعاً ، فلا يشعر أهل مكة منها إلا الرعب والفزع . و في الثاني تأكيد لما اخبر به في الاول

﴿ التكرار ﴾

واعلم أن سبع سور إبتدأت بحرف الشرط « إذا »

١ـ سورة الواقعة ٢ـ سورة المنافقون ٣ـ سورة التكوير ٤ـ سورة الانفطار ٥ـ سورة الانشقاق ٦ـ سورة الزلزال ٧ـ سورة النصر

وأن ثلاث سور تشتمل كل واحدة منها على تسع وعشرين آية

١ـ سورة الفتح ٢ـ سورة الحديد ٣ـ سورة التكوير

ونحن نشير في المقام إلى سبع ثلاث عشرة لفظة ـ أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ السبع التي جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية

١ـ جاءت كلمة (التكوير) على صيغها في القرآن الكريم نحو ثلاث مرات ١ـ سورة التكوير : ١) ٢و٣ـ سورة الزمر ٥)

٢ـ » » (النجم) » » » ١٣ مرة

٣ـ » » (العطل) » » » مرتين

حدهما ـ سورة التكوير ، ٣) ثانيهما ـ سورة الحج ، ٣٥)

٣ـ » » (الوحش) » » » مرة واحدة هي في سورة التكوير : ٥)

٥ـ » » (البحر) » » » ٣٢ مرة

٦ـ » » (البحر) » » » ثلاث مرات

١- سورة التكوير ٦) ٢- سورة سقر ٧٢) ٣- سورة الطور : ٦)

٧- « « (الوأد) « « « مرة واحدة

وهي في سورة التكوير ٨)

٨- « « (الكشط) « « « مرة واحدة

وهي في سورة التكوير ١١)

٩- « « (السعر) « « « ١٩ مرة

١٠- « « (الكنس) « « « مرة واحدة

وهي في سورة التكوير ١٦)

١١- « « (عسعس) « « « مرة واحدة

وهي في سورة التكوير ١٧)

١٢- « « (الصبح) « « « ٣٥ مرة

١٣- « « (الضنين) « « « مرة واحدة

وهي في سورة التكوير ٢٤)

قال الله تعالى « وإذا البحار سجرت » التكوير ٦) وقال في سورة الانفطار « وإذا البحار فجرت » ٣) وذلك لأن معنى « سجرت » عند أكثر المفسرين « أوقدت » فصارت ناراً من قولهم سجرت التنور وقيل هي بحار جهنم تمد حميماً فيعذب بها أهل النار فخصت هذه السورة « سجرت » موافقة لقوله تعالى « سعرت » : ١٢) ليقع الوعيد بتسعير النار وتسجير البحار

وفي الانفطار وافق قوله جل وعلا « وإذا الكواكب إنتثرت » ٢) أي سقطت « وإذا البحار فجرت » أي سالت مياهها ، ففاضت على وجه الأرض « وإذا القبور بعثرت » قلبت وأثيرت وهذه الأشياء كلها زايلت أماكنها، فلاقت كل واحدة قرائنها

وقال في سورة التكوير « علمت نفس ما أحضرت » ١٤) وفي سورة

الانفطار . « ماقدمت وأخرت » ٥) لان ما في هذه السورة متصل بقوله تعالى « وإذا الصحف نشرت » : ١٠) فقرأها أربابها فعلمت ما أحضرت . وما في سورة الانفطار متصل بقوله عز وجل : « وإذا القبور بعثرت » : ٤) والقبور كانت في الحياة الدنيا فيذكرون ماقدموا في الدنيا وما أخروا في العقبى ، فكل خاتمة لائقة بمكانها ، وهذه السورة من أولها شرط وجزاء وقسم وجواب

﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بينها وماقبلها مصحفاً

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها

أما الاولى : فالمناسبة بينهما ان سورة «التكوير» نزلت بعد سورة «المسد» ولما كان غرض سورة المسد دعاء على أبي لهب خاصة وقد كان هو شديد المعاداة للنبي الكريم ﷺ مصراً على تكذيبه مبالغاً في ايذائه بما يستطيعه من قول وفعل ووعيد شديد بالخزي والخسران ، والدمار والهلاك في الحياة الدنيا من غير إغناء عنه ماله وما كسبه شيئاً ، و إنذاره و لامرأته بالنار في الآخرة لموقفهما الذي واجهه رسول الله الاعظم ﷺ و كان ثالث مواقف الصد والمناوأة التي واجهها النبي ﷺ وكان لهذا الموقف أشد الأثر في نفسه الشريفة، وفي سير دعوته ﷺ وخاصة في نحو بزوغ الرسالة وبدء الدعوة ، إنطوت سورة «التكوير» على تنديد بالمكذبين عامة ، والمترددين في تصديق ما أخبر به الرسول ﷺ وبأوهامهم وتفسيراتهم الخاطئة لما يخبر به من المشاهد الروحانية

وأما الثانية : فلما اشير في سورة «عبس» إلى أهوال يوم القيامة ، و إلى العذاب الشديد الذي يحيط بالكافرين حتى ليفر الكل من أخيه وامه وأبيه و صاحبته وبنيه و على وجوههم غبرة ترهقها قترة لكونهم الكفرة الفجرة إفتتحت

هذه السورة تذكر أشراط الساعة، و أحوال يوم القيامة التي تقع قبل علم كل نفس بما عملت وهي إثناعشر أمراً

١- تكوير الشمس ٢- إنكدار النجوم ٣- تسيير الجبال ٤- تعطيل العشار ٥- حشر الوحوش ٦- تسجير البحار ٧- تزويج النفوس ٨- سؤال الموؤدة ٩- نشر الصحف ١٠- كشط السماء ١١- تسعير الجحيم ١٢- إزلاف الجنة

ولا يخفى ان الاشراط و الاحوال ستة الاولى منها في آخر الدنيا، و ستة الاخرى منها في أول الآخرة

وأما الثالثة: فلما افتتحت السورة باثني عشر أمراً من أشراط الساعة و أحوال يوم القيامة وأهوالها على طريق الشرط، أشار تعالى إلى الجزاء المترتب على الشروط التي هي مجمع تلك الامور و ظهورها و وقوعها، فقال: «علمت نفس ما أحضرت»

وان السورة كما سبق تدور على فصلين

الاول تنطوية أربع عشرة آية، وهي تخبر بيوم القيامة وأهواله ونتائجه وتنذر الناس بعواقب أعمالهم

والثاني تنطوية خمس عشرة آية، وهي تؤكد صدق الاخبار والانذار، وترد على الكفار ما يقولونه في صدد هما و ينسبونه إلى النبي الكريم ﷺ من تخليط الشياطين عليه

وفي الاول إشارة إلى ما يتعلق بأمر المعاد، وفي الثاني إشارة إلى ما يتعلق بأمر النبوة المؤكدة بالاقسام المتعددة. إذ أقسم بأربعة أشياء بأن ما ذكر من الشرط و الجزاء صدق و ليس بكذب فقال: «فلا أقسم بالخنس. إنه لقول رسول كريم»: ١٥ - ١٩)

ثم مدح المخبر بتلك الأخبار بست صفات: «رسول كريم ذي قوة مكين

مطاع أمين » فليس يكاد يتأتى في إخباره ولا جائز إلا من تلقاء نفسه، وإلا أنه غير مبتو بذلك

ثم برّأه المخبر به بقوله تعالى « وما صاحبكم بمجنون - ما هو على الغيب بضنين » (٢٢-٢٤)

ثم برّأه الخبر عما يرميه المكذبون، مع بيان حقيقته بقوله تعالى « وما هو بقول شيطان رجيم - إن هو إلا ذكر للعالمين » (٢٥-٢٧)

وبعبارة أخرى: إن الله جل وعلا لما أوضح في الآيات السبع المتقدمة (١٩-٢٥) ما هو الحق في أمر القرآن الكريم دافعاً عنه إثبات المكذبين فيه بما يرمون به الجائي به من تلقاء النفس، ومن الجنون ومس الشيطان وغيرها على الجارمتون الآيات الكريمة - فبيّن أولاً أنه كلام الله تعالى، واتكاء هذه الحقيقة على آيات التحدي

وثانياً أن نزوله برسالة ملك سماوي جليل القدر، عظيم المنزلة وهو أمين الوحي جبرئيل لا حاجز بينه وبين الله سبحانه، ولا بينه وبين النبي الكريم ﷺ ولا صارف من نفسه أو غيره يصرفه عن أخذه ولا حفظه ولا تبليغه

وثالثاً: إن الذي أنزل عليه، وهو يتلوه عليكم وهو صاحبكم الذي لا يخفى عليكم حاله، ليس بمجنون كما تبهتونه به، وقد رأى الملك الحامل للوحي، وأخذ عنه وليس هو ﷺ بكاتم لما يوحى إليه ولا بمعبّر ورابعاً: أنه ليس بتسويل من إبليس وجنوده ولا بإلقاء من بعض أشرار الجن - أشار إلى نتيجة هذا البيان على سبيل التوبيخ والتهديد بقوله عز وجل « فأين تذهبون »

فقوله تعالى « فأين تذهبون » تمهيد لذكر نتيجة البيان السابق، وهو إستظلال لهم فيما يرونه في أمر القرآن الكريم: أنه من طوارئ الجنون أو من تسويلات الشيطان أو من تلقاء النفس.

ويتجه هذا البيان أن القرآن كتاب سماوي، وهدى يهتدى به من أراد الاستقامة على الحق، وهو قوله عز وجل: «إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم».

إن الله تعالى لما ذكر جميع الخلق على العموم خص الاستقامة بمن يستقيم ثم ختم السورة بما يدفع به توهم أن إرادة الإنسان مستقلة في فعل ما يريد.

﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

قيل إن قوله تعالى «لمن شاء منكم أن يستقيم» التكوير ٢٨ منسوخ بقوله جل وعلا «وما تشاؤن إلا أن يشاء الله» ٢٩

أقول إن الآية الأولى في معنى نفي الإكراه في الدين الإسلامي عقيدة وإخلاصاً بعد وضوح الحق، وهذا لا يقبل نسخاً ولا تخصيصاً لأن دين الله تعالى دين فطرة وعقيدة، مستمد من الأعماق وثابت على الاستقامة في مجالي العقيدة والسلوك

وأن الآية الثانية إخبار عن عدم اتصافهم، وهذا لا يصلح أن يكون ناسخاً

والمعنى أنكم باختياركم لا تؤمنون إلا إذا أكرهناكم على الإيمان خبراً الأمر الذي ينافي، والاختيار في الإيمان، وأن من طبيعة الدين الذي هو الاختيار لا حبر ولا إكراه

وقد زعم بعض المفسرين من العامة أن قوله جل وعلا «وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين» من المتشابهات

أقول ولكن التحقيق عندنا أنها ليست منها وأن التشابه من الأمور النسبية، وسيأتيك وضوح معنى الآية الكريمة وكونها من المحكمات فانتظر، والله تعالى هو أعلم.

﴿ تحقيق فى الأقوال ﴾

١- (إذا الشمس كورت)

فى تكوير الشمس أقوال ١- عن ابن عباس تكويرها إدخالها فى العرش ٢- عن ابن عباس أيضاً والحسن وقتادة و أبى و مجاهد والضحاك أى إذا ذهب ضوؤها فأظلمت وسترت وخرجت من مدارها ومحيت وإستحلت ٣- عن ابن عباس أيضاً وسعيد بن جبير كوّرت أى عوّرت ٤- عن أبى عبيدة كورت مثل تكوير العمامة أى تلف الشمس ، فمعنى بأن الشمس يجمع نورها ويذهب ضوءها حتى تصير كالكارة المدورة ويحدث الله العباد شيء غيرها

والمعنى : إذا الشمس لفت وذهب بنورها وسقطت

٥- عن الربيع بن خيثم كوّرت رمى بها ، وما كوّرته فتكوّر أى سقط ٦- عن الزجاج أى جمع ضوء الشمس ولفت كما تلف العمامة، والمراد إجتماعها عن الأعين و ذهاب نورها ٧- عن أبى صالح كوّرت أى نكست فالقيت عن الفلك

٨- قيل تكوير الشمس ظهورها كالكرة فى أعين الناس يوم القيامة حيث يشرف عليها الانسان من على قبرها من جميع وجوهها لأمن وجه واحد كما تبدو لنا الآن وكأنها قرص مسطح .

أقول و على الثانى أكثر المفسرين من غير تدف بينه و بين أكثر الاقوال الاخر

٢- (وإذا النجوم انكدرت)

في الانكدار أقوال : ١- عن أبي عبيدة : أي إنصبت كما ينصب العقاب إذا إنكسرت ويقال إنكدرت الطائر من الهواء إذا إنقضت ٢- عن مجاهد وقتادة و الربيع بن خيثم وأبي صالح : أي تهافتت وتناثرت وإنقضت و تساقطت و إنكدار الشيء في الأصل : إنقلابه .

وقال إبن عباس : قال رسول الله ﷺ « لا يبقى في السماء يومئذ نجم إلا سقط في الأرض حتى يفزع أهل الأرض لما قد عاينوا مما لقيت وأصاب العلياء يعني الأرض.

وعن إبن عباس أيضاً : أي تساقطت حتى تذهب ويمحى ضوءها . و ذلك ان النجوم قد بين معلقه بين السماء والأرض سلاسل من نور ، وتلك السلاسل بأيدي الملائكة من نور . فاذا جائت النفخة الأولى مات من في الأرض ومن في السماوات . فتناثرت تلك الكواكب و تساقطت السلاسل من أيدي الملائكة لانه مات من كان يمسكها

٣- قيل الانكدار من الكدورة وهي الظلمة . و إنكدار النجوم : إنطفاء بريقها حيث ان هذا البريق الذي نراه منها إنما هو بسبب العلاف الهوائي المحيط بالأرض ، فاذا حدوث الانسان العلاف الهوائي للأرض بدت النجوم كرات لامعة معلقه في الفضاء لا يشع منها ضوء . ٤- عن إبن زيد . أي رمي بها من السماء في الأرض

٥- قيل : إنكدار النجوم هو طمس آثارها ، وسميت النجوم نجوماً لظهورها في السماء بضوءها ٦- عن إبن عباس أيضاً والجبائي . إنكدرت : تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن أماكنها وقيل الانكدار قبول الكدورة والمراد به ذهاب ضوءها .

أقول ولكل وجه ، والمعاني متقاربة وإن كان بعضها من قبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم وبالعكس فتأمل جيداً

٣- (وإذا العشار عطلت)

في العشار وتعطيلها أقوال: ١- عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن خيثم: العشار النوق التي أتت عليها في الحمل عشرة أشهر ثم لا يزال ذلك إسمها حتى تضع، وتسمى عشاراً أيضاً بعد الوضع.

والمعنى: وحين النوق الحوامل تركت بلا راع أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر ولم يكن لهم مال أعجب إليهم منها فهي تركت يوم الصاخة في الصيحة الأولى إذ تضع حملها قبل أوانه وتجف حليبها لشدة الوقعة فهي تهمل عن صواحبها.

والواحدة عشراء، وتعطيلها: إهمالها وذهابها حيث شائت لاشتغال أصحابهم بأنفسهم لشدة الكرب وعظم الهول.

٢- قيل: إنهم إذا قاموا من قبورهم وشاهد بعضهم بعضاً، ورأوا الوحوش والدواب محشورة، وفيها عشارهم التي كانت أنفس أموالهم لم يعبئوا بها ولم يهمهم أمرها، وخوطبت العرب بأمر العشار لأن مالها وعيشها أكثره من الإبل. ٣- عن الجبائي وأبي عمرو: العشار: السحاب والغمام تعطّل مما يكون فيه، وهو الماء فلا تمطر فتعطيلها: توقفها عن طبيعتها ومهمتها. ٤- قيل: العشار: الديار التي تعطّل فلا تسكن.

٥- قيل: العشار: الأرض التي يعشّر زرعها فتعطّل فلا تزرع فتترك.

٦- قيل: العشار جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وهو إسمها إلى أن تضع لتمام السنة، وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم، وفيها يتنافس المتنافسون، وهي مع ذلك كله تركت مهملة يوم القيامة لا راعي لها ولا حافظ يحفظها لاشتغال أهلها بأنفسهم بحيث ينسون أعز أموالهم عندئذ أو لا يعتنون بها، فلا يعطلها أهلها إلا حال القيامة، وهذا على وجه التمثيل لأن في القيامة لا تكون ناقة عشراء، فلا عشار ولا تعطيل يومئذ.

أقول: وعلى الأول أكثر المفسرين، ولكن الثاني غير بعيد، فإن الكلام وإن كان بصدد كشف عن حال الشدة والكرب والهول والفزع يومئذ، ولكنه لا

يمنع من أن تكون هناك عشار كما يظهر من قوله تعالى «وإذا الوحوش حشرت»

٥- (واذا الوحوش حشرت)

في حشر الوحوش أقوال: ١- عن الحسن وقتادة: أي جمعت الوحوش يوم القيامة، فإن الحشر بمعنى الجمع من كل ناحية لقوله تعالى: «والطير محشورة» (ص: ١٩) وقوله: «فحشر فنادى» النازعات: ٢٣)

والمعنى: جمعت الوحوش يوم الحشر ليقتص لبعض من بعض ثم تصير تراباً وقال ابن عباس: يحشر كل شيء يوم القيامة حتى الذباب، وتحشر الوحوش غداً حتى يقتص لبعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها: كوني تراباً فتموت

وفي المجمع: أي جمعت حتى يقتص لبعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء، ويحشر الله سبحانه الوحوش ليوصل إليها ما تستحقه من الاعواض على الآلام التي نالتها في الدنيا، وينتصف لبعضها من بعض، فإذا وصل إليها ما استحقته من الاعواض، فمن قال: إن العوض دائم تبقى منعمة إلى الأبد، ومن قال: تستحق العوض مطلقاً، فقال بعضهم: يديمه الله لها تفضلاً لئلا يدخل على المعوض غم بانقطاعه، وقال بعضهم: إذا فعل الله بها ما استحقته من الاعواض جعلها تراباً

٢- قيل: حشر الوحوش: هو جمع بعضها إلى بعض، وسوقها إلى أكمانها حيث يدفعها البلاء إلى الفرار، وطلب النجاة مما تراه من أحداث القيامة، فترتد عن مسارحها مسرعة إلى حيث ما تظن عنده الاختفاء من الخطر المحدق بها، فتجيء من كل وجه، وتلوذ بعضها ببعض، حيث يذهب الهول بكل ما فيها من نوازع الشر والعدوان

وأما ما يقال: من حشر الوحوش بمعنى بعثها وسوقها إلى الحساب والجزاء كما يفعل بالناس، فذلك ما لا يقوم عليه دليل من كتاب الله، حيث ان الدنيا هي دار ابتلاء ويتكلف فيها الانسان وحده من بين سائر المخلوقات التي على الارض، وان

هذه البهائم لم تكلف بشيء ، ولم تدع إلى شيء ، وإنما هي مما خلق الله سبحانه للانسان لينتفع بها أو ليبتلي بالضار منها ، كما في النبات أو الجماد من نافع وضار

وعن محمد عبده انه قال : « وحشر الوحوش إما جمعها لاستيلاء الرعب عليها وخروجها من أحجارها وأوكارها ونسيانها ما كانت تخافه ، فتفر منه فتحشر هائمة ، لايخشى بعضها بعضاً ، ولايخشى جميعها سطوة الانسان » .

٣- عن إبن عباس والربيع بن خيثم ، حشر الوحوش موتها وهلاكها ، فان حشر كل شيء موته غير الجن والانس ، فانهما يوافقان يوم القيامة ، ويوافيان حسب أعمالهم . تقول العرب إذا أضرت السنة بالناس وأصابتهم بالقحط والجدب حشرتهم السنة أي أهلكتهم . وهلاك الوحوش يومئذ يكون من هول ذلك الحادث العظيم

٤- عن أبي ابن كعب حشرت الوحوش أي إختلطت ، وذلك لان الوحوش مع نفرتها من الناس وبعضها من بعض في الدنيا وتبددها في الصحارى تنضم يوم القيامة إلى الناس وإلى أنفسها من أهوال ذلك اليوم

٥- قيل أي تنفر مذعورة عند خراب الكون وتموت خوفاً ، والمراد من الوحوش كل الدواب سوى الانسان وقيل : هي الدواب غير المتآنسة للانسان كالسباع وغيرها من دواب البر فليس كلها وحوشاً

٦- قيل ، ان حشر الوحوش من أشراط الساعة لامما يقع يوم القيامة والمراد به خروجها من غاباتها وأكنانها . .

أقول . والاول هو المستفاد من ظاهر السياق ، وتؤيده الايات الكريمة فانتظر

وأما مازعم بعض المفسرين من أن الوحوش غير مكلفة ، فلا وجه لحشرها ، فمردود بنفس القرآن الكريم ، وبالروايات الصحيحة الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين ، أوردنا نبذة منها في تفسير سورة الطور فراجع .

وقد صرّح فيها يوم القيامة نوع تكليف لغير المكلفين

وقال بعض المعاصرين : إن المحاسبة والاقتصاص لا يتوقفان على التكليف ألا ترى أن النائم غير مكلف، فإذا حرّك يده أو رجله أثناء نومه، فكسر إناء لغيره فإنه بذلك لا يؤاخذ لأنه لم يمرد على القانون وما خالف التكليف لأنا نفرض أنه نائم، والنائم غير مكلف فلا يعاقب، ولكنه يؤاخذ بالقصاص و تغريمه ثمن الإناء لصاحبه لأنه حق شخصي، فعليه الضمان وإن كان نائماً، فهذه الوحوش و إن كانت غير مكلفة فإنها لا تحشر لتعاقب على الحق العام الذي هو مخالفة التكليف لأنا فرضنا لا تكليف ولكن تقاص، ويؤخذ من الظالم منها للمظلوم حقه، وهذا منتهى عدله سبحانه

وقال : ولنا جواب آخر وهو أن المراد بالوحوش ليست الحيوانات الصامتة بل المراد الوحوش البشرية، فإن كل مكلف يخالف تكليفه وهو يعلم أنه مسئول فهو بمنزلة الوحش، فيكون التعبير بقوله « وإذا الوحوش » من باب الاستعارة

أقول : ولا نرى للقول الأخير وجهاً .

٥- (وإذا البحار سجرت)

في الآية الكريمة أقوال : ١. عن ابن عباس وابن زيد وسفيان . أي أوقدت وإشتعلت ناراً وحميت فصارت كلها نيراناً تضطرم . فالبحار تنقلب ناراً بعدما كانت بحاراً بأنها تفجّر بالبدانة تفجّراً بزلزال الأرض وإنشقاقها، ثم تحوّلها بحاراً بخروج الكرة النارية المذابة من بطن الأرض، ثم تحوّل البحار نيراناً ملتهبة هائلة لا يتصور مداها

فتتحول البحار التي هي حول الأرض كلها نيراناً فاضرمت ناراً ، فإن ما في بطن الأرض من النار تشققها وتمزّق طبقاتها العليا ، فيصير حينئذ الماء بحاراً بل ولا يبقى إلا النار أو يصير في الحرارة والإحراق كالنار كما في بعض المياه التي تجري من بعض العيون وهي الحارة المحرقة

٢- قيل: أي أرسل عذبها على مالحها وبالعكس حتى إمتلأت

وعن مجاهد ومقاتل والضحاك: أي فجر بعضها في بعض، فصارت البحور كلها بحراً واحداً وترتفع البرزخ بينها، فإذا رفع البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الأرض كلها، وصارت البحار بحراً واحداً

٣- قيل: أي رؤيت وكأنها بحر واحد محيط بالأرض لا حركة له، وكأنه مسجور أي مربوط بالأرض، ففجر الزلزال ما بينها حتى إختلطت وعادت بحراً واحداً ٤- قيل: أي أفرغت ٥- قيل: معنى «سجرت»: هو حمرة مائها حتى تصير كالدم مأخوذ من قولهم: عين سجراء أي حمراء ٦- قيل: أي تنطلق مياه البحار هنا وهناك لا يمسكها شيء وإن البحار هنا كل البحار أرضية وسماوية

٧- عن مقاتل والحسن والضحاك والكلبي والربيع بن خيثم: أي ملئت من الماء وفاضت والعرب تقول: سجرت الحوض أسجره سجراً إذا ملأته وهو مسجور، والمسجور والساجر في اللغة: الملآن وحقيقة «سجرت»: ملئت فيفيض بعضها إلى بعض، فتصير شيئاً واحداً.

وعن القشيري: هو من سجرت التنور أسجره سجراً إذا أحميته وإذا سلط عليه الأنفاذ تشف ما فيه من الرطوبة، وتسيّر الجبال حينئذ وتصير البحار والأرض كلها بساطاً واحداً بأن يملأ مكان البحار بتراب الجبال

٨- عن الحسن وقتادة: أي يبست وذهب ماؤها، فلم يبق فيها قطرة من الماء ٩- عن الكلبي أيضاً والجبائي: أي ملئت من القيح والصديد الذي يسيل من أبدان أهل النار في النار، وأراد بحار جهنم لأن بحار الدنيا قد فنيت

وعن إبن عباس في قوله «إذا الشمس كورت» قال: كوّر الله الشمس والقمر والنجوم في البحر، فيبعث عليها ريحاً دبوراً، فتنفخه حتى تصير ناراً، فذلك قوله: «وإذا البحار سجرت».

أقول: وعلى الأول أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض

الاقوال الاخر .

٧ـ (واذا النفوس زوجت)

في ترويج النفوس أقوال ١ـ عن عمر بن الخطاب ومقاتل وعطاء ومجاهد وقتادة والحسن وابن عباس أي زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين و قرن الكافر بالشياطين و كذلك المنافقون .

والمعنى يقرن كل إنسان بشكله من أهل النار ، وبشكله من أهل الجنة يقرن الفاجر مع الفاجر ، والصالح مع الصالح فألحق كل إنسان بشكله وقرن بين الضراء والامثال ، فالرجلان يعملان عملاً واحداً ، فيدخلان به الجنة أو يدخلان به النار ، فهم أزواج إما في الجنة وإما في النار

٢ـ عن ابن عباس أيضاً أي صنف الناس يوم القيامة على أصناف حسب أعمالهم . . . وذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة : السابقون زوج يعني صنفاً ـ أصحاب اليمين زوج وأصحاب الشمال زوج

وهذا بناء على أن ترويج الأشرار غير النكاح ، وان خلط الآيات في القيامتين يسمح بشمول الترويج للنكاح ، وان ذكر قبل الحساب إذن فهو الترويج العام يوم القيام ، الشامل لكل نفس خيره و شريره قرناً من كل شيء من قرن الاجزاء الاصلية المعادة ـ لكل نفس ـ بعضها ببعض دون أن تصل أو تتصل إلى غير بدنها ، وقرن كل نفس ببدنها الاصيل الذي عاشته طوال حياة التكليف دون تقمص بغير قميصها ، ودون أن تصل الارواح ولا الاجساد

وقرن كل نفس بما تجانسه وتقاربه في عقيدة الايمان وعمل الايمان من السابقين ، وأصحاب اليمين أو ما تشاركه في تركهما من أصحاب الشمال . و قرن كل تابع بمتبوعه ، و كل مأموم بامام ، و قرن كل تابع بسعيه ، و قرن المؤمنات بالمؤمنات والحوريات في الزواج ، وغير ذلك من التشكيلات المتجانسة عدلاً في كل مجالاته ، إذ ليس الملك هناك إلا لله الواحد القهار دون الحياة الدنيا

التي يقرن فيها الشيء بضده أو نقيضه .

٣ـ قيل: ضم كل رجل إلى من كان يلزمه من ملك وسلطان ، ومن صديق وصاحب ، ومن تابع ومتبوع كما قال الله تعالى « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم » الصافات : ٢٢)

فيلحق كل امرئ بمن تبعه لقوله جل وعلا « يوم ندعوا كل إناس بإمامهم » اليهود بأربابهم والنصارى برهبانهم ، والشيعة الامامية بأئمتهم عليهم السلام وأهل السنة بخلفائهم . وعن الحسن وقتادة : أي كل من كان يعبد شيئاً من دون الله يلحق بعضهم ببعض .

٤ـ عن عبدالرحمن بن زيد : أي جعلوا أزواجاً على أشباه أعمالهم فليس بتزويج أصحاب اليمين زوج ، ولا بأصحاب الشمال زوج ، ولا بالسابقين زوج .

٥ـ عن عكرمة وأبي مسلم والشعبي : أي قرنت الأرواح بالأجساد أي ردت إليها ، فالمراد بالنفوس هنا الأرواح ، فتعود كل روح آدمية إلى جسمها الأول الذي فارقته عند الموت ، فروحت الأبدان التي كانت فيها لتخرج من قبورها للبعث والحساب والجزاء .

٦ـ عن الجبائي : يقرن الغاوي بمن أغواه من شيطان أو إنسان على جهة البغض والعداوة فيقرن المطيع بمن دعاه إلى الطاعة من الأنبياء والمؤمنين . ٧ـ عن الزجاج : أي قرنت النفوس بأعمالها ، فصارت لاختصاصها بها كالتزويج .

٨ـ قيل : أي يضم كل صنف بمن كان في صنفه : الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، وهكذا كما نشاهد جميع المتشابهات تتكاثف في الدنيا ، فكل إلى مقرها الهواء في الجو والماء في البحار والتراب في الأرض لأن الهواء ليس مقر التراب ولا الحجر فإنه يسقط إذا رفعناه ، وكل حيوان يأنس بنوعه ، وهكذا يأنس السارق بالسارق والفاجر بالفاجر ، ويألف المؤمن بالمؤمن ، فكل على شاكلته وهذا في الدنيا وليست الآخرة خارجة من هذا النظام العام المتقن .

أقول : والخامس هو الأنسب بظاهر السياق . ولا يخفى على المتأمل الخبير أن التزويج هو قرن كل شيء إلى شيئته أو مثله أو ما يحق أن يقرن به ، وهذا هنا لا يشمل النكاح لأنه يخص أهل الجنة دون النفوس كلها ، وأن الآية الكريمة كطرفيها تستعرض قيامة الأحياء قبل الحساب والجزاء ونشر الصحف وتسعير الجحيم وإزلاف الجنة وقبل أن تعلم كل نفس ما أحضرت .

فالآيات الكريمة على ظاهر سياقها تجمع بين علامات الأمانة والإحياء حيث إن من تكوير الشمس - إلى - تسجير البحار تشير إلى الأولى ، ومن تزويج النفوس إلى نشر الصحف إلى الثانية ، ثم ترجع إلى الأولى في كشط السماء ثم بقية الآيات إلى الثانية جمعاً بين القيامتين لوحدتهما في الطامة وإتصالهما

وما ورد في المقام فمن باب بعض المصاديق الظاهرة

٩٩٨- (وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت)

في الآيتين أقوال ١ - عن الحسن والفراء : إن الموؤدة هي التي تسئل ، فيقال لها : بأيّ ذنب قتلت ، والموؤدة هي البنت التي تدفن في التراب وهي في حالة الحياة بتعمد قتلها

ومعنى سؤالها توبيخ لقاتلها لأنها تقول في الجواب : قتلت بغير ذنب قيل سميت المدفونة بموؤدة من «وأد» مقلوب «آد» أثقل كقوله تعالى : «ولا يؤوده حفظهما» فكانت الموؤدة ثقلاً عند العرب الجاهلي ثقل المعيشة وثقل العار فكانوا يثقلونها بالتراب تخفيفاً عنهم ثقل الحياة ولذلك سميت موؤدة لهذه الأثقال الثلاثة كلها

٢ - عن أبي مسلم : إن معنى «سئلت» طولب قاتل الموؤدة بالحجة في قتلها ، وسئل عن سبب قتلها ، فكأنه قيل والموؤدة سئل قاتلها بأيّ ذنب قتلت هذه كقوله تعالى : «إن العهد كان مسئولاً» أي مسئولاً عنه والموؤدة المقتولة حية سميت بها لما يطرح عليها من التراب ، فيثقلها حتى تموت فتكون القتلة

هذهم المسئولون ، وإنما المقتولة مسئول عنها

٣ـ عن مسلم بن صبيح : أي ان الموؤدة تسئل وائديها بأيّ ذنب قتلوها، فتطلب بدمائها . فسئلت بمعنى طلبت ، فتطلب البنت بدمها من قاتلها بالحجة في قتلها وسئل عن سبب قتلها . وقيل : يطلب المقاتل بدم المقتول، فيقال : أين بناتكم ؟

و عن إبن عباس و أبي صالح : تتعلق الجارية يوم القيامة بأبيها ، فتقول بأيّ ذنب قتلتني ؟ فلايكون له عذر

٤ـ عن إبن عباس وأبي صالح أيضاً وجابر بن يزيد : تسئل الموؤدة الله جل وعلا يوم القيامة عما فعل عليه الوائد لينتقم منه

و عن إبن عباس أيضاً عن النبي ﷺ قال : « ان المرأة التي تقتل ولدها تأتي يوم القيامة متعلقاً ولدها بثدييها ملطخاً بدمائه ، فيقول : يارب هذه امي و هذه قتلتني »

٥ـ قيل : الموؤدة هي التي تسئل نفسها ، فهي السائلة والمسئول عنها

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين وهو الأنسب، فان سؤال الموؤدة توبيخ لوائدها ، وهو أبلغ من سؤالها عن قتلها لان هذا مما لايصح إلاّ بذنب فبأي ذنب كان ذلك . فاذا ظهر انه لاذنب لها كان أعظم في البلية ، وظهور الحجة على قاتلها

١٠ـ (واذا الصحف نشرت)

في الصحف و نشرها أقوال : ١ـ عن قتادة الصحف هي كتب الاعمال التي فتحت يوم القيامة و بسطت بعد أن كانت مطوية بالموت ، فينظر إلى ما فيها صاحبها يومئذ مما كتبته الملائكة فيها في الدنيا من خير وشر

والمعنى : تفرقت صحائف أعمال الناس بين أصحابها ، فتقع صحيفة المؤمن بيمينه وتقع صحيفة الكافر والمنافق بشماله

عن مرثد بن وداعة أنه قال: إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش، فتقع صحيفة المؤمن في يده اليمنى «في جنة عالية - إلى الأيام الخالية» وتقع صحيفة الكافر في يده اليسرى «في سموم وحميم - إلى الأبارد ولا كريم».

٢- قال الزمخشري في الكشاف: هي صحف غير صحف الأعمال. ٣- قيل: هي صحف الوحي، و صحف الأعمال من الأعضاء و من الأرض، و صحف القلوب و الصدور و الأفكار التي كانت منسوطة عليها سطور الهداية و سجلات الأعمال، ولكنها كانت خفية على غير أصحابها أو خفية عن بعض أصحابها الذين خفيت صحائف عقولهم.

أقول: وعلى الأول جمهور المحققين

١١- (وإذا السماء كشطت)

في كشط السماء أقوال: ١- قيل: أي شقت و تمزقت وأبطلت و أزيلت و كشط السماء: هو زوال هذه الصورة التي تبدو منها لنا في الحياة الدنيا و كأنها سقف سميك، فتبدو السماء حينئذ و كأنها قد أزيلت من مكانها، فكانت أبواباً مفتحة تنطلق فيها الأرواح إلى ما شاء الله تعالى من علو دون أن تصطدم بشيء يردّها.

٢- قيل: أي كشفت عمن فيها من الملائكة وغيرها، وما فيها من الجنة و العرش و ما فيهما. هذا بناء على أن السماء فاصلة بين أهل الأرض و ما وراء السماء فإذا قلعت السماء، ومحيت هذه الفاصلة يرى أهل الأرض أهل السماء، و الرابطة بين الأهلين سهلة، فالسماء كالليل المظلم يمنع من الرؤية، فإذا مضى الليل يرفع المانع، فيرى بعض الناس بعضهم، فكذلك الأمر بين أهل السماء وأهل الأرض.

٣- عن قتادة والزجاج: أي قلعت كما يقطع السقف والكشط: قلع عن

شدة إلتراف فتقلع السماء يوم القيامة كما يقلع السقف ، وتكشط كما تكشط الجلد عن الكبش وغيره .

٤- عن مجاهد أي حدثت . ٥- قيل أي طويت لقوله تعالى «يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب» فكأن المعنى : قلعت فطويت

٦- قيل أي كشفت مذهاب الكواكب وقيل أي كشفت عمن فيها ٧- قيل أي نزع السماء عن مكانها كما ينزع الغطاء عن الشيء و ينزع الجلد عن الشاة . ٨- قيل أي كشفت و ازيلت عما فوقها ، فلم يبق غطاء ولا سماء ولا يوجد ما يطلق عليه إسم الأعلى ولا الأسفل

القول : والاول هو الانسب بمعناه اللغوي ، وإن يطلق الكشط على طيها وشقها وذهاب آثارها وغير ذلك .

١٢- (وإذا الجحيم سعرت)

في تسعير الجحيم أقوال ١- عن قتادة سعر الجحيم غضب الله تعالى وخطايا بني آدم ٢- قيل أي أوقدت نار الجحيم إيقاداً شديداً ، وسعرت حميها وعلا لهيبها ، وأسعرت للكفار والمنافقين حتى إذا دخلت شدة على شدة ، و يكون ألم أصحابها من أشد الآلام التي تحدث عن مس النيران للاجسام الحية

وان الجحيم هي إسم من أسماء جهنم .

٣- قيل أي أججت نار جهنم ، وهي قبل دخول أهلها غير نارة ولا مسعرة وإنما تسعيرها هو إلتهاب النار فيها ، وانه بوقود الاجساد الجهنمية وأعمالهم من الخالدين فيها ، والتسعير تهييج النار حتى تأجج

القول وعلى الذي جمهور المحققين ، وقريب منه الثالث

١٣- (وإذا الجنة ازلفت)

في إزلاف الجنة أقوال ١- قيل أي مهدت و هيئت للمتقين ٢- عن الحسن أي ادنيت وقربت من المتقين ، فانهم يقربون منها لأنها تزول عن موضعها

٣- قيل: أي زينت وأعدت لدخول أهلها ٤- قيل أي قربت مسافتها من العبد، فيزداد المؤمن سروراً، ويزداد الكافر حسرة

أقول: والمعاني متقاربة بالتلازم

١٤- (علمت نفس ما احضرت)

في الآية الكريمة أقوال ١- عن ابن عباس ان الآية جواب لقوله تعالى «إذا الشمس كورت» ومايليها على طريق الشرط والجزاء والمعنى، إذا كورت الشمس ووقعت مايليها من انكدار النجوم علمت كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة ما احضرت من عملها خيراً كان أو شراً

٢- عن الحسن انها جواب لقوله جل وعلا «إذا الشمس كورت» ومايليها على تقدير القسم كما يقال، إذا نعر زيد نعر عمر وعلى تقدير القسم أي والله إذا نعر زيد نعر عمرو والمعنى والله إذا الشمس كورت الخ علمت كل نفس ما أحضرت من صحائف الاعمال ..

٣- قيل أي عملت ما أحضرته من خير وشر وإحضار الاعمال مجاز لانها لا تبقى والمعنى انه لا يشذ عنها شيء، فكأن كلها حاضرة. ٤- قيل ان المراد صحائف الاعمال ٥- قيل أي علمت كل نفس ما أعد لها من خير أو شر، من نعمة أو نقمة، ومن جنة أو نار.

أقول والاول هو الاوفق بظاهر السياق، وعليه جمهور المفسرين، والمؤيد بالآيات القرآنية

١٥-١٦- (فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس)

في الآيتين الكريمتين أقوال ١- عن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد و عطاء ومقاتل وعكرمة عن عبدالله الجوار هي النجوم كلها، و وصفت بالجوار لانها ترجع في مجراها وراء حيث ترى النجم في آخر البرج إذ كر راجعاً إلى أوله ووصفت بالخناس لانها تتدوليلاً، فتظهر للعيون بعد ما كانت مختفية نهاراً مثلها كما

يظهر الوحش من كناسه . ووصفت بالكناس لأنها تختفي نهاراً عن البصر وتغيب عن العيون كما تأوي الوحش إلى كناسها ليلاً .

٢- عن الحسن «قتادة أنسٌ والفراء الجوار هي الكواكب الخمسة الدراري المتحيرة الخنس بالليل في أفلاكها بالارتفاعات المعلومة في الهيئة وهي زحل والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة، وهي التي تخنس بالنهار في مجراها وتكنس أي تستتر في بيوتها إذا غربت، وتتأخر عن البصر لخفائها فلا ترى كما تكنس الظباء في المغار وهو الكناس . وهي متحيرة لمشاهدة الوقوف و الرجوع منها بعد الاستقامة ولاختلافها في حركاتها من الاستقامة والرجعة والاقامة ، وهي حركتها الخاصة من المغرب إلى المشرق على توالي البروج أي من الحمل إلى الثور، ثم إلى الجوزاء وهكذا على الترتيب ، فاذا تحركت القهقرى بعكس هذا الترتيب شبه الحركة اليومية يقال إنها راجعة فهي النجوم الرواجع التي تسير في اتجاه ، فتختفي ثم تظهر والخنس هي النجوم التي تختفي نهاراً، والكنس هي هذه النجوم التي تظهر ليلاً .

وفي تخصيصه بالذكر من بين سائر النجوم قولان أحدهما - لانها تستقبل الشمس . ثانيهما - لانها تقطع المجرة

٣- قيل الجوار هي الكواكب السيارات و هي سبعة دون الثوابت ، فالخنس هي التي تختفي تحت ضوء الشمس ، وتنخنس بضوئها في النهار ، فالجوار هي السيارة التي تجري مع الشمس ، والكنس تختفي بالغروب . ٤- عن عبدالله بن مسعود وإبراهيم النخعي وجابر بن عبدالله وعكرمة وجابر بن زيد وعبدالله بن وهب وعكرمة الخنس هي مقر الوحش التي إذا رأى الانسان خنس وانضمن وتأخرن ودخلن كناسهن

وقال عبدالله بن وهب هي البقر إذا فرت من الذئاب .

٥- عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير و الضحاك الخنس هي الظباء

التي تكنس في المعدن فالظباء تجري يوماً في البراري وتغيب ليلاً في مكانها ٦- قيل الجوار مطلق الوحوش من الظباء والبقر والطير والسباع إذا تبدو نهاراً وتدخل في كناسها ليلاً ٧- قيل هي الملائكة التي تبدو عند نزول الوحي وتختفي بالعروج

٨- قيل هي كل شيء تظهر تارة وتغيب تارة أخرى سواء كانت من الكواكب التي تظهر ليلاً وتغيب نهاراً أم كانت من الوحوش كالبقر والظباء والطيور وما إليها عكس الكواكب في الظهور والاختفاء وغير ذلك

٩- قال أصحاب التأويل : هي الحواس الخمس تظهر آثارها تارة وتغيب تارة أخرى

أقول : الأول هو المروي عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو المؤيد بظاهر السياق ، وخاصة ذكر الليل والصبح بعد ذلك فتأمل واغتنم

١٧- (والليل اذا عسعس)

في الآية الكريمة أقوال ١- عن إبن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك وإبن زيد والفراء أي إذا أدبر الليل بظلامه ، ولم يبق منه إلا القليل

وفي إدباره زوال العمه التي تعمر الأحياء بانسدال الظلمة وإنحسارها و عسعس الليل فقل راجعاً ، وذهب ظلامه الذي كان مخيماً على الكون ، ومنه العسس وهم حراس الليل من الجنود يعسّون في الطرقات أي يتحركون تحت جنح الظلام ليروا ماذا يجري من أحداث يحدثها أهل الشر تحت الستار من الظلام فالليل متحرك ، وليس ثابتاً انه يجري إلى كناسه كما تجري الكواكب إلى كناسها

٢- عن الحسن أيضاً وزيد بن أسلم أي أقبل بظلامه وغشي الناس . وقال الجبائي أي إذا أظلم ٣- قيل أي إذا انقضى . ٤- قيل أي إذا أقبل وأدبر وهو

من الأضداد ، والمعنيان مرجعان إلى شيء واحد، وهو إبتداء الظلام في أول الليل وإدباره في آخره .

وقيل أصل العسعس من العس الامتلاء ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه، فاطلق على إقبال الليل لابتداء إمتلائه، واطلق على إدباره لانتهاء إمتلائه على ظلامه لاستكمال إمتلائه به. ٥ـ قيل ان الليل المعسعس هنا مثال لزمن الفترة الرسالية بين عيسى المسيح وسيدنا محمد ﷺ إذ كان يقبل أحياناً بظلمات الجهل العارمة، ويدبر احرى تحقيقاً عنها، ولقد كان ظلام الحقيقة في هذه الفترة العس الداعس كانوا حيارى بين من لا يجد إلا الظلام ، ومن يجد خليطاً منه ، و من النور عن كتمانات الوحي المخلوطة من الحق والمين

اقول والاول هو المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام و هو ترجمان الوحي . وهو الظاهر من إتصال الاية تاليها من قوله تعالى : « والصبح إذا تنفس »

١٨ـ (الصبح اذا تنفس)

في تنفس الصبح أقوال : ١ـ قيل: معنى التنفس: خروج النسيم من الجوف مجازاً لما في مجيء الصبح من النسيم والروح الذي يشبه التنفس. والمعنى: واقسم بالصبح إذا تنفس بالنور والحياة و الحركة ، والتنفس هنا خروج ضوء الصبح من عموم عمق الليل ، فكأنه متنفس من كرب أو مترو ح من هم ومن ذلك قولهم: قد تنفس عن فلان الخناق أي إنجلى كربه وانفسح قلبه

٢ـ قيل: تنفس الصبح مجاز عن تعلصه من ظلمة الليل كتنفس المكروب إذا وجد راحة

٣ـ قيل: أي اقسم بالصبح إذا إمتد حتى يصير نهاراً بيناً يقال النهار إذا زاد تنفس ، وكذلك الموج إذا ضج الماء والمعنى : إذا أسفر وأضاء، وامتد ضوءه على الافق حتى يصير نهاراً . ٤ـ عن سعيد بن جبير وقتادة أي إذا أقبل ضوء النهار و

أنشأ ونشر

٥ - قيل أي واقسم بالصبح إذا إنشق وإنطلق وإنصدع من قولهم: تنفس الإناء إذا إنشق، و تنفست القوس إذا إنصدعت و المعنى: واقسم بالصبح إذا إنشق من كنوس الليل بطلوع الفجر وضيائه، وحينئذ تسمع نقنقة العصفور و صيحة الديك.

٦ - قيل. إن في التعبير عن ظهور الصبح بالتنفس إشارة إلى أنه مولد حياة للأحياء جميعها، حيث تنفست الحياة من جديد في الأحياء مع الصباح بعد أن غشيها النوم وحبسها عن الحركة، فبدت وكأنها في عالم الموتى، و هذا ما يشير إليه قوله جل وعلا «وهو الذي يتوفاكم بالليل و يعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه» الأنعام: ٦٠)

٧ - قيل ان هذا مثال قرآني إذ أحد يفجر منذ مرقده ظلم الأوهام التي حنفت البشرية طوال الفترة الرسالية، فهي الصبح الذي برغ نور الوحي القرآني على القلب المحمدي ﷺ لمست البشرية، و تنفست حياة جديدة بعد موت عارم حبيم بظلمه على بني الانسان إذ كانوا في ليل داج حالس، ولم تكن الأنوار في الأرض إلا حساً كسأ فأنوار وحي الأرض كانت عادية، و أنوار وحي السماء كانت خليطة بشيء كثير من وحي الأرض، حتى تنفس صبح الرسالة القرآنية، مهيمنة على وحي الرسالات كلها.

القول: ولكل وجه من غير تناف بينها وإن كان الأنسب بظاهر السياق هو الأول

١٩ - (انه لقول رسول كريم)

في «رسول كريم» قولان أحدهما - عن الحسن و قتادة و الضحاك: هو جبرئيل أمين الوحي ﷺ أنزله على محمد رسول الله ﷺ. ثانيهما - قيل: هو محمد رسول الله ﷺ

أقول : وعلى الأول جمهور المفسرين وهو المؤيد بظاهر السياق والآيات الكريمة .

٢٠- (ذى قوة عند ذى العرش مكين)

فى الآية الكريمة أقوال : ١ - قيل أى ذى قوة فى البعد عن النسيان و الخطاء والزلل ، فذى قوة فى الحفظ

٢- عن ابن عباس أى ذى قدرة فى نفسه ، و من قوته قلعه ديار قوم لوط بقوادم جناحه حتى بلغ بها إلى السماء ثم قلبها ٣- قيل أى ذى قوة فيما كلف وامر به من العلم والعمل وذى قوة فى تبليغ الرسالة و الانذار وإلقاء الوحى

أقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

٢١- (مطاع ثم أمين)

فى الآية الكريمة قولان أحدهما - عن ابن عباس وقتادة وأبى صالح و الضحاك ان جبرئيل عليه السلام مطاع فى السموات تطيعه الملائكة فيها، مطاع عند الله تعالى فى ملائكته المقربين ، فهم يصدرون عن أمره ، ويرجعون إلى رأيه .

ومن طاعة الملائكة له عليه السلام انه لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وآله قال جبرئيل عليه السلام لرضوان خازن الجنان إفتح له صلى الله عليه وآله ففتح فدخل ورأى ما فيها وقال لمالك خازن النار إفتح له جهنم حتى ينظر إليها ، فأطاعه وفتح له

وان جبرئيل عليه السلام هو أمين على الذى يجيء به ، وعلى ما كلف به

ثانيهما - ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله هو مطاع يطيعه من أطاع الله عز وجل، و هو صلى الله عليه وآله أمين عند الناس قبل الرسالة حتى سموه محمد الأمين ، و أمين عند الله تعالى فى أمر رسالته وفى دعوته وإرشاده ، وفيما أمر به ، ونهى عنه

أقول : و على الأول جمهور المفسرين ، ولكن الثانى هو المروى عن أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين اللهم إلاّ أن يكون الثانى من باب التأويل وهو اللب فتأمل جيداً

٢٣ـ (ولقد رآه بالافق المبين)

في الآية الكريمة أقوال ١ـ عن مجاهد والحسن وقتادة ـ وابن زيد رأى محمد ﷺ جبرئيل عليه السلام بافق مطلع الشمس سدة و هو الافق ترى الاشياء حين تطلع الشمس و هو الافق الا على من ناحية المشرق ، فهو مبين أي ترى الاشياء من جهته .

٢ـ قيل رآى رسول الله ﷺ جبرئيل عليه السلام في أقطار السماء ونواحيها حين كان ينزل بالوحي عليه ﷺ قيل رآه على كرسي بين السماء والارض على صورته التي خلقه الله تعالى عليها ، وله ستمائة جناح .

٣ـ قيل رآى محمد ﷺ جبرئيل عليه السلام عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء ٤ـ قيل رآى محمد ﷺ جبرئيل عليه السلام بالمدينة من ناحية المغرب ، و هي الافق الواضح

٥ـ قيل رآى رسول الله ﷺ جبرئيل عليه السلام حالكون جبرئيل كائناً في الافق المبين وهو الافق الاعلى من سائر الآفاق بما يناسب عالم الملائكة .

٦ـ قيل رآى رسول الله ﷺ جبرئيل عليه السلام على صورة دحية الكلبي بالافق الواضح إذ تمثل له جبرئيل في مثل يظهر ويبصر ، فتجلى لعينيه ، واعلم أنه جبرئيل ، فعرفه ، وتلقه القرآن الكريم على حقيقته في مكان معلوم عند الله تعالى وعند محمد ﷺ وجبرئيل عليه السلام

٧ـ قيل رآى جبرئيل عليه السلام محمداً ﷺ في الافق الاعلى و هو افق السموات العلى حيث عرج بالنبي ﷺ فظهر له جبرئيل على صورته الملكية

٨ـ قيل رآى محمد ﷺ القرآن الكريم بالافق الواضح لاحقاء فيه عليه ﷺ والمعنى فقد رآى النبي ﷺ القرآن بالافق العالي الواضح في معراجه إلى الملأ الاعلى كما يشير إليه قوله تعالى «لقد رآى من آيات ربه الكبرى» النجم ١٨)

٩- عن إبن مسعود: الرؤية هنا هي رؤية الفؤاد بنور اليقين. وهي كمال المعرفة والزلفى الممكنة للممكنات للرسول الأمين أن رآى ربه بالافق المبين أعلى الآفاق المعرفية بأعلى الآفاق الكونية. فرآى الرسول ﷺ ربه بنور المعرفة واليقين لآخر درجات الامكان.

أقول: والسادس هو الاقرب بظاهر السياق.

٢٢- (وماهو على الغيب بضنين)

في الآيه الكريمة أقوال ١- قيل أي وليس الله تعالى ممسكاً على عبده المكرم كتمه على غيره ولا بخيلاً برسوله الكريم ﷺ ٢- عن الفراء و المبرد: أي وليس جبرئيل عليه السلام أمين الوحي بضعيف في نزول الوحي و إلقائه على المرسلين

٣- عن إبن عباس وسعيد بن جبير و مجاهد وقتادة وإبن زيد و الضحاك و إبراهيم أي ليس محمد ﷺ على مايوحى إليه ومايخبره ومايؤديه بمتهم فان أحواله لائقة بالصدق والامانة وكمال العقل، فيؤدي عن الله جل وعلا ويعلم الناس كما علمه الله تعالى.

أقول: وعلى الأخير جمهور المحققين.

٢٦- (فاين تذهبون)

في الآية الكريمة أقوال ١- عن قتادة: أي قال أين تعدلون عن هذا القول والايمان بالله تعالى و طاعته وكتابه، وهو الشفاء و الهدى. ٢- عن الزجاج أي فاي طريقة تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم.

٣- قيل أي إلى أي مذهب من مذاهب الضلال تذهبون بعد هذا البيان المبين، وبعد تلك الحجة الواضحة؟ أهناك مذهب لكم إلى غير الله تعالى وإلى غير ماتدعوكم إليه آيات الله؟، وأي طريق آخر غير هذا الطريق هو الضلال والهلاك والحيرة والنار..

أقول : ولكل وجه من غير تناف بينها كما أن التعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

٢٧- (ان هو الا ذكر للعالمين)

في الآية الكريمة أقوال ١ - قيل . أي ليس هذا القرآن إلاّ ذكر للعالمين ، يهدي إلى ماهو أسلم وأقوم ، يتجه بالحياة إلى ماهو أنفع وأكمل

٢- قيل : أي ليست هذه الرسالة المحمدية إلاّ ذكر للعالمين . ٣- قيل أي ليس كل واحد من الوحي ورسول الوحي ونبي الوحي إلاّ ذكر للعالمين

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين .

٢٩- (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين)

في الآية الكريمة أقوال ١- عن الجبائي أي وما تشاؤن أيها الناس الا استقامة على الحق و إتباع الوحي إلاّ أن يشاء الله تعالى ذلك من حيث خلقكم لها و كلفكم بها . فمشيته بين مشيتكم فالانسان مسيّر في مشيته وليس مخيّراً إذ كانت المشيّة الالهية هي السبب لمشيّة العبد المحققة للاستقامة و الهداية .

٢- عن أبي مسلم أي لاتشاؤن أيها الكفار و المشركون الاسلام إلا أن يشاء الله أن يجبركم عليه و يلجأكم إليه ولكنه تعالى لا يعمل ذلك لانه يريد منكم أن تؤمنوا إختياراً لتستحقوا الثواب ولايريد أن يحملكم عليه إذ لا إكراه في الدين . فليست مشيّة الله لتحقيق الاستقامة إلاّ بعد مشيّة العبد وهذا عكس القرض الاول .

٣ - عن الحسن : أي لايعمل العبد خيراً إلاّ بتوفيق الله عزوجل ولا شراً إلا بخذلانه .

قيل : وذلك لان الانسان مختار في مشيّة الاستقامة و سواها ، و ان هذه المشيّة تخرجه عن إستقلاله في مشيّته ، وتجعله بين الامرين : لاجبر ولاتفويض بل أمر بين الأمرين ، فليس الانسان مخيراً في مشيته الاستقامة كمفوّض إليه أمره ، ولا هو مسيّر في أمره بل هو بين مشيتين : من الله تعالى ومن نفسه

أما من نفسه ، فإنه مختار ويشاء الاستقامة بما جعله الله عز وجل مختاراً وأما من الله تعالى فإن توفيقه للوصول إلى ما يشاء من الاستقامة ، فلولا توفيق من الله تعالى لم تكن مشيئة الإنسان - أيّاً كان - لتوصله إلى واقع الاستقامة

فإذا لم يكن واقع الهداية بمشيئة الرسول «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء» وإنما له وعليه الدلالة فحسب فأولى بمن سواه ألاّ يقدروا على واقع الهداية لأنفسهم ، وإنما يملكون هم مشيئة الاهتداء والاستقامة ، فالقرآن الكريم و رسول الله ﷺ دلالتهم في مسير الهداية تشريعياً ، ثم الله تعالى من وراء القصد يهديهم إلى واقع الهداية تكويناً

فالمعنى «ما تشاؤن أيها المستقيمون على الحق بحق الهداية مشيئة تحقق وصولكم إلى حق الهداية إلاّ أن يشاء الله عز وجل أمراً لكم إياها تشريعاً ، تكوينياً لأنه رب العالمين

إذن فتحقق الاستقامة والهداية بحاجة أولاً إلى مشيئة من المستقيم تكويناً ثم مشيئة من الله عز وجل تشريعاً للدلالة على كيفية الاستقامة والهداية ، ثم مشيئة منه تعالى تكويناً ، بوقفه و يسهل له الوصول إلى واقع الهداية و الاستقامة فلما تحققت المشيئتان الإلهيتان تبعتهما مشيئة العبد الأخيرة الملائمة لواقع الهداية والاستقامة .

و ذلك يستفاد من قوله تعالى « لمن شاء منكم أن يستقيم» مشيئة أولى للمستقيم ، ومن قوله «وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله» مشيئة ثانية وهي مع واقع الهداية و الاستقامة ومشيئة تشريعية و تكوينية من الله تعالى تتوسطان مشيئتي العبد المستقيم . إذن - فلا حر في الهداية ولا تفويض بل أمر بين الأمرين أمر من الله تعالى ، وأمر من العبد وذلك ، فلتنسب الهداية إلى الله تعالى وأخرى له - وإلى العبد أصلاً لاختياره

٣- قيل أي وما تشاؤن الإسلام إلاّ أن يشاء الله تعالى أن يتطف لكم في

الاستقامة لما في الكلام من معنى النعمة .

٥- قيل أي من شاء منكم أن يستقيم فليطلب الاستقامة وليرد موارده وليأخذ بالاسباب إليها ثم ان مشيتكم تلك مرتهنة بمشيئة الله العامة الشاملة التي كل مشيئة منطوية تحتها دائرة في فلكها .

فالانسان - وإن كانت له مشيئة - ليس بالذي يستقل بمشيئته عن مشيئة الله فهو إذا يشاء شيئاً ، وإذا يمضي هذا الشيء ، فانما ذلك من مشيئة الله فيه .

وهذا ليس بالذي يدعو الانسان إلى أن يعطل مشيئته منتظراً مشيئته جل و علا فيه لانه لا يعلم ما مشيئة الله فيه . بل ان عليه أن يعمل مشيئته كما يعمل جوارحه جميعها فاذا وافقت مشيئته مشيئة الله تعالى نفذت وإن خالفت مشيئة الله الله لم تمض ومضت مشيئة الله !

هذا هو المطلوب من العبد فان اعطى مشيئته ما ينبغي أن يقدمه بين يديها من بحث ونظر وعقل حازت مشيئته قائمة على طريق الحق مشرعة له أطيب ثمار تماماً كما إذا أيقظ حواسه وعمل بها في المحسوسات كان لها من عطياتها ما يصله بالحياة وصلا وثيقاً ويقيمه على طريقها دون أن يتعثر أو يضل

أقول : والذي هو المستفاد من الآيات القرآنية والروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين

﴿ التفسير و التأويل ﴾

١- (اذا الشمس كورت)

تجيء الصيحة وتأتي الساعة وتقع القيامة حين كوّرت الشمس، وإنمحق ضوءها، وذهب نورها، وإنظلم جرمها على نحو الاحاطة، فتصير سوداء مظلمة فتخرج عن مدارها، وعندئذ تجمع الشمس والقمر، فتسقط وتزول

وذلك ان الشيء الذي يلف يصير مخفياً عن الاعين، فعبّر عن إزالة النور عن الشمس و صيرورتها غائبة عن الاعين بالتكوير، و هذا من أشراط الساعة و وقوع الواقعة

وحينئذ يخرب العالم ويبدّل نواميس الوجود ونظام الكون الذي يعيش فيه الحي في حياته الدنيا، فلا يبقى في عالمه الاخر الذي ينقلب إليه شيء من تلك الاجرام السماوية ..

قال الله تعالى « وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك» فاطر: ١٣)

وقال « لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً » الانسان ١٣)

وقال « يسئل أيان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر» القيامة : ٦-٩)

وقال «يوم تبدّل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار» ابراهيم : ٤٨)

٢- (واذا النجوم انكدرت)

وتأتي الساعة حين إنطفأ بريق النجوم بذهاب ضوءها ، و محى أثرها من النور و غيره ، فتخرج عندئذ عن مدارها ، فتتناثر و تتساقط ، فتمطر السماء يومئذ نجوماً

قال الله عز وجل : «فإذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت» المرسلات ٨ و ٩)

وقال : «وإذا الكواكب إنتثرت» الانفطار : ٢)

٣- (واذا الجبال سيرت)

وتقع القيامة حين قلعت الجبال عن مقارها ، وإنفصلت عن أماكنها برجفة الارض وتقطع أوصالها ، فتنفصل من الارض فتذكان دكة واحدة ، وتحول عن كونها حجارة فتقذف في الفضاء حتى تصير هباء منبثاً و سراباً تصير كلا شيء لتفتت أجزائها وإنبثاثها

قال الله جل وعلا : «ويوم نسيّر الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً» الكهف: ٤٧)

وقال : «ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً» طه : ١٠٥ - ١٠٧)

وقال : «إذا وقعت الواقعة - إذا رجت الارض رجاً وبست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً» الواقعة : ١ - ٦)

وقال : «فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة» الحاقة : ١٣ - ١٥)

وقال : «يوم ترجف الارض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً» المزمل ١٤)

وقال : «وسيّرت الجبال فكانت سراباً» النبأ : ٢٠)

٤- (واذا العشار عطلت)

ويوم القيامة يوم تترك النوق الحوامل التي أتت عليها عشرة أشهر من الحمل وهي أنفس الأموال عند أصحابها وأعزها، وهم يهملونها هملاً لاشتغالهم بأنفسهم من شدة الهول والفزع والكرب النازلة بهم يومئذ حتى يعطلوا ويهملوا ما هو أهم شيء عندهم فكيف بغيره؟ كيف لا تضع يومئذ الحامل حملها قبل أوانه وتذهل كل مرضعة عما أرضعت

قال الله سبحانه: «يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» الحج: ١ - ٢)

وقال: «فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» عبس: ٣٣ - ٣٧)

وقال: «فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» المؤمنون: ١٠١)

هذا لمن علق قلبه بالعشار، وأحب العاجلة وترك الآخرة، وأما المؤمنون فهم من فزع يومئذ آمنون

قال الله تعالى: «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون» النمل: ٨٩)

٥- (وإذا الوحوش حشرت)

ويقع يوم القيامة يوم جمعت الوحوش من كل ناحية لقصاص بعضها لبعض، وإن الحشر بمعنى الجمع من كل ناحية، والوحوش من الحيوان ما لا يتأنس بالإنسان من الظباء والسباع وغيرها

فإذا كان لا يهمل يوم القيامة أمر الوحوش، فكيف أمر المكلفين من الجن والإنس

قال الله تعالى: «وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم

أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون » الأنعام ٣٨)

فلا معنى للموت والهلاك أن يقال « إلى ربهم يحشرون »

٦- (وإذا البحار سجرت)

وتجيء الساعة لا محالة حين يحشر بعض البحار في بعض ، عدبها على عذبها وبالعكس فصارت البحار عندئذ كلها بحراً واحداً بارتفاع البرازخ بينها بزلزال الأرض وإشفاقها ، فحينئذ أوقدت وحميت وإشتعلت نيراناً تضطرم

قال الله تعالى « وإذا البحار فجرت » الانفطار ٣)

٧- (وإذا النفوس زوجت)

ويوم القيامة يوم تقرن النفوس بأجسادها ، فتروح الأبدان التي كانت فيها وردت إليها لتخرج من قبورها للبعث والحساب والجزاء ، فالمراد بالنفوس هنا الأرواح

ولا نه الكريمة في معنى قوله تعالى « وإذا القبور بعثرت » الانفطار ٤)

وقوله جل وعلا « وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور » الحج ٧)

وما ورد في المقام فمن باب الجري والانطباق فتأمل جيداً واغتنم جداً

٩٠٨- (وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت)

ويوم القيامة يوم تسئل الجارية التي كانت في الحياة الدنيا تدفن حية خوف العار والحاجة تبكيتاً لقاتلها ، فتبعث يوم القيامة ، وتسئل عن سبب من وائدها : لماذا وأدك الوائد ؟ بأي ذنب قتلت ؟

الموؤدة هي التي تدفن حية وتوارى ، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها أي يثقلها حتى تموت ، ومنه قوله جل وعلا « ولا يؤوده حفظهما » البقرة ، ٢٥٥)

أي لا يثقله ، ولخوف العار والحاجة وفرط الغيرة

وقد كانت العرب الجاهلية تدفن البنات على إختلافهن في السن أحياناً، خوفاً من لحوق العار بهم من أجلهن لفرط الغيرة، فيردونها عاراً لانفسهم عكس الجاهلية في عصر التمدن إذ تدع النسوة طلاقة العنان لفقد الغيرة - كما يشير إليه قوله جل وعلا «وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب» (النحل ٥٨، ٥٩)

والمراد من سؤال الموؤدة أن قتلها وواأدها طولب بالحجة في قتلها، وسئل عن ذنبه لها على سبيل التوبيخ والتعنيف، وإقامة الحجة، فالوائد ههنا هو المسئول في الحقيقة لا الموؤدة، وفيه تنبيه على أنه لا حجة لهم في وأدهم، وهذا نحو ما يجري في قوله تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام «أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق» (المائدة ١١٦) توبيخاً لقومه وإقامة الحجة عليهم كما يقال للفعل إذا ضرب: لم ضربت؟ وما ذنبك؟

وما ورد في المقام فمن باب التأويل فتدبر واغتنم.

١٠- (وإذا الصحف نشرت)

«تقوم الساعة يوم ينشر فيه صحف الأعمال - بعد أن كانت مطوية - التي كتبتها الملائكة فيها ما فعل أصحابها، من إيمان وكفر، من حق وباطل، من هدى وضلالة من إرشاد وإضلال، من إخلاص ورياء، من طاعة ومعصية، من حسنة وسيئة من صدق وكذب من إصلاح وإفساد، من أمانة وخيانة، وبالجملة من خير وشر تطوى تلك الصحف المكتوبة بالموت وتفتح يوم القيامة، وتنشر بين أصحابها، فيأتي المؤمن كتابه بيمينه، والكافر بشماله، فيقف كل إنسان على صحيفة عمله، فيرى ما فيها «ويقرأ كتابه بنفسه» فيعلم يومئذ بما عمل في الحياة الدنيا

قال الله تعالى «وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون» الانفطار: ١٠ - ١٢).

وقال «ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون» الجاثية ٢٧ - ٢٩)

وقال «يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» الزلزلة ٦ - ٨)

وقال «وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً» الاسراء ١٣ - ١٤)

وقال «ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً» الكهف: ٤٩).

وقال «فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه - وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه» الحاقة. ١٩ - ٢٥)

١١- (وإذا السماء كشطت).

«يعني» الساعة حين تقلع السماوات كلها عن مقارها بالمد والنزع قلعاً شديداً وتزول عن أماكنها زالاً هائلاً بالانفطار والانفجار والانفراج، ثم تطوى كطي السجل للكتب، وتبدل صورتها الأولى التي تبدلنا في الحياة الدنيا، فتأتي بدخان مبين، وتكون وردة كالدهان، قاداً هي واهية

قال الله تعالى «يوم تمور السماء موراً» الطور ٩).

وقال «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار» ابراهيم: ٤٨).

وقال «فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة - فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت

السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية » الحاقة : ١٣ ـ ١٨)

وقال « يوم تكون السماء كالمهل » المعارج : ٨) .

وقال : « وإذا السماء فرجت » المرسلات : ٩) .

وقال : « إذا السماء إنفطرت » الانفطار : ١) .

وقال « يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين » الانبياء : ١٠٤) .

و قال « و الارض جميعاً قبضته يوم القيامة و السموات مطويات بيمينه » الزمر : ٣٧) .

و قال « فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان » الرحمن : ٣٧) .

١٢ـ (و اذا الجحيم سعرت) .

ويوم القيامة يوم توقد نار جهنم ايقاداً شديداً ، وتشتد ضرامها ، وتزيد في إحمائها ، ويعلو لهيبها للكفار والمجرمين ، للفجار والمنافقين وللفساق والعاصين

قال الله جل وعلا « و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً » الاسراء ٩٧)

وقال « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً ـ و منهم من صدّ عنه و كفى بجهنم سعيراً » النساء ١٠ـ٥٥)

و قال « بل كذبوا بالساعة ، أعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً و زفيراً » الفرقان ١١ ـ ١٢)

وقال « ومن لم يؤمن بالله و رسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيراً » الفتح ١٣)

وقال « وبرزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى و آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى » النازعات : ٣٦ـ٣٩)

وقال «وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين و ماهم عنها بغائبين» الانفطار: ١٤ـ١٦)

١٣ـ (واذا الجنة ازلفت)

ويوم القيامة يوم زينت الجنة بما فيها من النعيم، وهيئت لأهل التقوى و اليقين، وقربت من دخول أهلها فيها

قال الله تعالى: «وأزلفت الجنة للمتقين» الشعراء ٩٠)

وقال «و أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون و سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات و الارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» آل عمران ١٣٢ـ١٣٤)

وقال «وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ماتوعدون لكل أواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد» ق: ٣١ـ٣٥)

١٤ـ (علمت نفس ماأحضرت)

إذ كورت الشمس و وقعت ماتليها من أشراط الساعة و أحوال القيامة وأهوالها علمت كل نفس يومئذ ماأحضرت من عمل في الحياة الدنيا من ايمان وكفر، من خير وشر، من طاعة ومعصية، من إصلاح وإفساد ومن حسنة وسيئة علمت علم عيان بما ترى من يرى من عقائده وماكان في صدره من حق أو باطل ومن إخلاص أو رياء وعلمت علم بيان بما يسمع من أقواله وأفعاله.

و تعد كل ذلك إعداداً واقعياً، لاتستطيع إنكارها، ولا أن تغير شيئاً منها و لا أن تزيد عليها أو تنقص منها، إذ جف القلم عما كان، ولا يحضر إلا مادفع، وتعلم عندئذ كل نفس نتائج أعمالها وأفكارها، وثمار عقائدها وأقوالها فمن آمن وإستقام ولي الجنة ونعيمها، فنعم أجر العاملين، ومن كفر و

عمى قالى الجحيم وعذابها ، وشى مثوى المجرمين .

قال الله تعالى . «ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها و وضع الكتاب وجيء بالنبيين و الشهداء و قضى بينهم بالحق و هم لايظلمون و وفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون» الزمر. ٦٨-٧٠)

وقال «يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره» الزلزلة : ٦-٨)

وقال «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وماعملت من سوء» آل عمران : ٣٠)

وقال «ويوم نحشرهم جميعاً ـ هنالك تبلوا كل نفس ماأسلفت» يونس ٢٨-٣٠)

وقال «وإذا القبور بعثرت علمت نفس ماقدمت وأخرت» الانفطار ٣٠-٥)

وقال «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون و ستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» التوبة ١٠٥)

وقال «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله ان الله بما تعملون بصير» البقرة : ١١٠)

وقال «و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه و يقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضراً ولايظلم ربك أحداً» الكهف : ٤٩)

وقال «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ن الله خبير بما تعملون» الحشر: ١٨)

وقال «من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلانفسهم يمهدون» الروم

وقال «أفلا يعلم إذا بعثر مافي القبور وحصّل مافي الصدور ان ربهم بهم

يومئذ لخبير» العاديات: ٩-١١)

وقال: «ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» ق ٢٠-٢٢)

وقال: «ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور» الزمر: ٧)

وقال: «اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» يس: ٦٥)

وقال: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون» النور: ٢٤)

وقال: «حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين» فصلت: ٢٠-٢٣)

ومن التأويل: أن تلك الأحوال يمكن إعتبارها من أشراط القيامة الصغرى وهي حالة الموت، فالشمس هي النفس الناطقة للإنسان، وتكويرها قطع تعلقها عن الجسم، وإنكدار النجوم تساقط القوى الانسانية، وتسيير الجبال: إنعزال الأعضاء رئيسة عن فعالها، وتعطيل العشار: إهمال أمر البدن الانساني، وحشر الوحوش: ظهور نتائج الأفعال البهيمية والسبعية على الشخص.

وتسجير البحار: نفاد الأوهام الباطلة والأماني الفارغة، فإنها بحر لا ساحل له دون الموت الاختياري أو الاضطراري، وتزويج النفوس: إنضمام كل ملكة إلى جنسها الظلمة إلى الظلمة، والنور إلى النور، السعادة إلى السعادة والشقاء

إلى الشفاء . والموؤدة : القوة التي جبلها المكلف على غير ما خلقت لأجله . ونشر الصحف : أن كل مسئلة بحث للحاضر ولم تقيد بالكتابة حتى عامت

و كشف السماء : لا رواح تنزع عن الأبدان ، فإما القبر إما حفرة من حفرات النار ، وإما روضة من رياض الجنة . فتعلم حينئذ كل نفس ما عملت

١٥٩١٥ - (فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس)

إذا علمتم أيها القراء المتأملون في آيات الله جل وعلا ، والمستمعون لها ما ذكرناه سابقاً ، فاعلموا ان ذلك كله واقع لامحالة ، فما أخبركم رسولنا محمد ﷺ مما تقدم ليس من تلقاء نفسه ، وإنما هو وحي سماوي أنزلناه عليه ﷺ فلا اقسم لكم على توكيده بالنجوم التي تجري في أفلاكها ، تبدو لكم ليلاً ، وتختفي عنكم نهاراً

ولا يخفى على القارىء الخبير ان هذه الاقسام المنفية يراد بها التعريض بالقسم لا وقوع القسم ذاته ، إذ كان الامر الواقع في معرض القسم أظهر من أن يحتاج إلى توكيد بوجوده قسم .

نظيره قوله تعالى : « فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم » الواقعة : ٧٥ - ٨٧) .

وقوله « فلا اقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين » المعارج : ٤٠ - ٤١) .

وقوله « فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقاً عن طبق فما لهم لا يؤمنون » الانشقاق : ١٦ - ٢٠) .

ان الله جل وعلا أقسم بالكواكب التي ترى في السماء الدنيا بها على سبيل التأكيد كما في ظهورها وحركاتها ، وسيرها ونظامها طوراً ، و في إختفائها طوراً آخر من الدلائل على كمال علم خالقها ، وعموم تدبيره ، وتمام حكمته ، و إطلاق قدرته ،

وبديع صنعه . وإحكام نظامه .

قال الله تعالى « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر و البحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون » الانعام : ٩٧)

و قال : « و النجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » النحل : ١٢) .

وقال « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد » الصافات ٦ ـ ٧) وما ورد في المقام فمن باب التأويل ، والله جل وعلا هو أعلم .

١٧ـ (و الليل اذا عسعس) .

و اقسم بالليل إذا أدبر بظلامه ، ولم يبق منه إلاّ القليل

والآية الكريمة في معنى قوله تعالى « والليل إذ أدبر » المدثر ٣٣)

١٨ـ (و الصبح اذا تنفس) .

و اقسم بالصبح إذا فجر وظهر ضوءه و إنبسط على الافق حتى يصير نهاراً . المراد من تنفس الصبح هو طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فكأنه عندئذ يتنفس بالنور و الحياة و الحركة عن كابوس الظلمة والموت والسكون

والآية الكريمة في معنى قوله جل وعلا « و الفجر » الفجر ١) وقوله « و الصبح إذا أسفر » المدثر : ٣٤)

وما ورد في المقام فمن باب التأويل وهو اللب من غير تنافٍ بينه وبين التفسير فتأمل جيداً

١٩ـ (انه لقول رسول كريم) .

اقسم بتلك الامور الثلاثة ان هذا القرآن الذي يتلوه عليكم محمد ﷺ لقول رسول الوحي عن الله عز وجل الذي هو كريم عند الله تعالى

و ان سياق المقام نظير قوله تعالى « فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه

لقول رسول كريم - تنزيل من رب العالمين » الحاقة ٣٨ - ٤٣)

فجبرئيل هو رسول لانه ينزل الوحي السماوي و يلقيه على النبي الكريم محمد رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى، و كريم لما أعطاه الله عز وجل هذه الكرامة من ابلاغ الوحي وإنزاله إلى المرسلين عليهم السلام ، و أمانتهم فيما امروا به كما أن المرسلين كرماء لابلاغهم الرسالة إلى الناس، ودعوتهم إلى الخير والسعادة إلى الكمال والسيادة ، وإلى الفلاح والنجاة والفوز بالجنة كما أن الوحي نفسه كريم لاهتداء الناس به ونجاتهم به من الشقاء والضلالة ، ومن العذاب والهلاكة ومن الانحطاط والذلة

قال الله تعالى «قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » البقرة : ٩٧)

وقال « وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين » الشعراء ١٩٢ - ١٩٥)

وقال « وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم» النمل ٦)

وقال «بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون» الانبياء ٢٦-٢٧)

وقال «فلا اقسم بمواقع النجوم و انه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم» الواقعة : ٧٥-٧٧)

٢٠- (ذي قوة عند ذي العرش مكين)

ان جبرئيل رسول الوحي هو شديد القوى ، قوي في الحفظ و البعد عن النسيان والخطاء والزلل، وذو صلابة وحصانة في نفسه ، وذو قوة على حمل الأمانة السماوية وإبلاغها إلى المرسلين ، غير عاجز في كل ما كلّف عليه ، و ما امر به من العلم والعمل ، وهو ذو مكانة ومنزلة عند الله جل وعلا

قال الله جل وعلا «قالوا سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا» البقرة ٣٢)

وقال « يسبحون الليل والنهار لايفترون» الانبياء ٢٠)

وقال «تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» المعارج : ٤)

وقال : «لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون» التحريم ٦)

٢١- (مطاع ثم أمين)

ان جبرئيل عليه السلام هو مطاع عند الله عزوجل ، تطيعه الملائكة في السموات. فله أعوان من الملائكه ، فيأمرهم فما يأتمرون بأمره ويطيعونه ، وهو أمين عند الله عزوجل على وحيه و رسالته ومقاربته إن قد عصمه الله تعالى من الخيانة فيما يأمره به وجنبه الزلل فيما يقوم به من الأعمال .

قال الله تعالى « و انه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين» الشعراء : ١٩٢-١٩٤)

٢٢- (وما صاحبكم بمجنون)

واقسم الله جل جلاله ان محمداً صلى الله عليه وآله الذي يدعوكم أيها المشركون المعاندون والعتاة المكذبون والطغاة المجرمون إلى الله جل وعلا وايمان به و إخلاص طاعته وصالح الاعمال . ليس بمجنون كما اتهمتموه وقلتم فيه .

كيف وهو الذي عاش بينكم أربعين سنة ، و أنتم تعرفونه بالاستقامة في الرأي وصدق اللهجه ، و كمال العقل و وفور العلم والامانه في العمل ؟

ومن كانت هذه صفته تعرفونه وتعترفون بها ؟ فكيف يرمى بالجنون؟ وإنما أنتم تعلمون أنه صاحب وحي وإلهام .

فارجعوا النظر إلى أفكاره وآثاره وأقواله وأعماله . إن كنتم من أصحاب العقل والانصاف ، وأحراراً في الفكر والنظر

قال الله تعالى « وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون» الدخان : ١٣)

وقال «قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون» يونس : ١٦)

وقال «ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى» النجم ٢ـ٤)

وقال «لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون» القلم ٥٢)

وقال «قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد» سبأ ٤٦)

وقال «أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون» المؤمنون ٦٨ـ٧٠) وقال «أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين» الأعراف : ١٨٤)

٢٣ـ (ولقد رآه بالافق المبين)

وأقسم بعمرتي وحلالي أن محمداً رسول الله ﷺ لرآى جبرئيل أمين الوحي حين نزله عليه بالافق الظاهر الواضح الذي لاخفاء فيه ، وما كان في نوم ولا في وراء ستار

وإن المشركين والمكذبين كانوا يستبعدون نزول الملائكة على النبي الكريم ﷺ ويقولون لو صدقنا لانتينا الملائكة لو نزل عليه ﷺ فرد الله تعالى عليهم بأن الملائكة لاتنزل إلا بالحق والوحي

قال الله تعالى «وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة إلا بالحق» الحجر ٦ ـ ٨)

وقال «ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون» قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين

آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين» النحل: ٢-١٠٢)

وقال: «وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً» الفرقان ٢١)

٢٣- (وما هو على الغيب بضنين)

وليس محمد رسول الله ﷺ على ما يوحى إليه من الغيب متهم بالبخل والكتمان والامساك، غير متهم شيئاً مما رآه وسمعه وعرفه، وإنه هو ﷺ لفقه أمين لا يأتي بما من تلقاء نفسه، ولا يبدل منه حرفاً بحرف ولا معنى بمعنى إذ لم يعرف عنه الكذب في ماضي حياته

وهو ﷺ غير متهم فيما يحكيه عن ربه جبريل عليه السلام وسماع الشرائع منه بنزول الوحي إليه. فلا يكتم محمد رسول الله الخاتم ﷺ ما نزل عليه من القرآن الكريم، ولا يسكت عن إبلاغه مخافة أن يقول قائل: هو مجنون، وإنما هو مأمور بالابلاغ وهو يعلم الناس كما علمه الله جل وعلا وتلقاهم ما أمر بتبليغه

قال الله تعالى: «تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا» هود: ٤٩)

وقال: «قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ» الأنعام ١٩)

وقال: «قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي» يونس ١٥)

وقال: «إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به» الاحقاف: ٢٣)

وقال: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» المائدة ٦٧)

٢٤- (وما هو بقول شيطان رجيم)

وليس هذا القرآن الكريم الذي يتلوه عليكم محمد رسول الله ﷺ بقول شيطان مطرود من رحمة الله تعالى ، ولا من إلقاء كل شيطان من أشرار الجن و الانس ، ولا من تلقيناته و تخليطه وصلته بما يبلغه كما زعم العتاة المشركون والطغاة المجرمون و رميهم بأن القرآن الكريم من وساوس الشيطان ومقولاته إلى الرسول ﷺ .

قال الله تعالى : «وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون» الشعراء : ٢١٠-٢١٢)

و قال : « و ما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين و لو تقوّل علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين» الحاقة ٤٢-٤٦)

٢٦- (فأين تذهبون)

فاذا ثبت لكم أيها العتاة المشركون، والطغاة المجرمون بالحجة الواضحة والبرهان القاطع على أن هذا القرآن هو الوحي الذي أنزله الله جل وعلا أمين الوحي جبرئيل عليه السلام على رسوله الخاتم ﷺ فليس من تلقاء نفسه ، فهو حق لاريب فيه ، فاذا كان الامر على هذا الوضوح ، و كان الانسان تحت هيمنة الله عزوجل و بين يدي جبروته .

فالى أين تذهبون عن الحق إلى الباطل، عن الايمان إلى الكفر، عن الطاعة إلى المعصية ، وعن التصديق إلى التكذيب ؟ وإلى أين تتركون الحق والهدى و الخير وراءكم ؟ وإلى أيّ مسلك تسلكون في إنكاركم الوحي و إعراضكم عن نبيه ﷺ وقد قامت عليكم الحجة؟ وإلى أين تذهب بكم المذاهب، وقد سدّت عليكم السبل ، و أحاط بكم الحق من جميع جوانبكم ، و بطلت مقترباتكم و رمياتكم وأحكامكم، فلم يبق لكم سبيل تستطيعون الهرب منها ؟ وإلى أين تذهبون في العداوة و الافتراء ، وفي العناد و البغضاء ؟ و أنى تؤفكون و ماذا بعد الحق

إلاّ الضلال ؟

قال الله تعالى « انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون » المائدة : ٧٥)

وقال «ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون» غافر : ٦٩)

وقال . «أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين» الدخان . ١٣)

وقال . « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله و آياته يؤمنون» الجاثية . ٦)

وقال : «فبأي حديث بعده يؤمنون» الأعراف : ١٨٥)

وقال . «فما ذا بعد الحق إلاّ الضلال فأنّى تصرفون» يونس ٣٢)

فمن الغفلة أن لايتبع الانسان ربه ، ولا يؤمن برسله رسله ﷺ حسب التسلسل و أن يبقى جاحداً لرسالة خاتمهم نبي الرحمة محمد ﷺ و إمامة الاوصياء من بعده صلوات الله عليهم اجمعين .

فالى أين يفرّ هذا الانسان ؟ وإلى أين يتوجه هذا المخلوق الضعيف بين يدي ربه ، المغرور بما منّ عليه خالقه من علوم ومعارف وحكم . ؟؟

«فلا ملجأ إلاّ إليه على حدّ قوله تعالى «ففرّوا إلى الله انى لكم منه نذير مبين» الذاريات: ٥٠)

فطوبى لمن أقلع عن طبيعته و غروره ، و فكر في عقباه ومصيره ، فشمّر عن ساعد الجد لاصلاح نفسه . والمثول بين يدي ربه ، واستعد ليوم . « لاتملك نفس لنفس شيئاً والامر يومئذ لله» الانفطار - ١٩) و «ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين» المطففين : ٦)

٢٧- (ان هو الا ذكر للعالمين)

ليس هذا القرآن الكريم إلاّ ذكراً للعالمين كائنين من كانوا يمكنهم به أن يتبصّروا للحق والهدى من الحر والاسر، حمله الله عزوجل ذكراً فليتذكر

من أراد التذكر به .

قال الله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون» النحل: ٤٤)

وقال «وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون » الانبياء : ٥٠)

و قال «أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم» الاعراف : ٦٩)

وقال «وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حياً» يس: ٦٩-٧٠)

وقال «ءانزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري» ص . ٨)

وقال : «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» القمر. ١٧)

كما كانت رسالة رسول الله الخاتم ﷺ شاملة للثقلين

قال الله عزوجل « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً» الفرقان : ١)

وقال «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» الانبياء . ١٠٧)

و قال « قل اوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به» الجن: ١-٢)

٢٨- (لمن شاء منكم أن يستقيم)

هذا الوحي السماوي ذكر لمن شاء منكم أيها المشركون المكذبون أن يتلقى منه الموعظة والهدى ، و يستقيم على الحق والطريق الواضح ، و على أمر الله تعالى وطاعته و عبادته ، ويسلك مسلك الكمال و الرشاد و النجاة باتباع الحق .

فيتذكر بهذا القرآن من وجه إرادته للاستقامة على جادة الحق والصواب، و أما من إنحرف عن ذلك ، فلا تؤثر فيه هذا الذكر ولا تخرجه من ضلته .

قال الله جل وعلا « إنما يتذكر أولوا الألباب» الرعد ١٩)

وقال « إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب» يس ١١)

وقال : «وما يتذكر إلا من ينيب» غافر ١٣)

وقال « تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» ق : ٨- ٣٧)

٢٩- (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين)

و ما تشاؤن الاستقامه على الحق إلا أن يشاء الله رب العالمين إستقامتكم عليه، ولا يشاء الله جل وعلا الاستقامه إلا لمن سلك نهج الهدى به تماماً وهو يقول. «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» العنكبوت ٦٩)

فمن أعرض عن الباطل وأقبل على الحق ، من أعرض عن الشر وأقبل على الخير، من أعرض عن الانحطاط والضلاله، وأقبل على الكمال والهدى ومن أعرض عن الكفر و الطغيان وأقبل على الايمان والطاعه، فالله جل وعلا يعامله بما اختاره لنفسه وهو يقول « من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها» الاسراء ١٥) ويقول «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه و من عمي فعليها» الانعام : ١٠٤)

فليس في الآيه الكريمة ما ينفي من الانسان قابليته وحريه الارادة والمشيئة التي أودعها الله عز وجل فيه ، على مذهب بعض المفسرين .

و ذلك لأن ما أكدته النصوص القرآنيه العديدة الحاسمة حتى صارت المبادئ المحكمة ان هذه القابليه ، وتلك حرية الارادة مما شاء الله جل وعلا أن تكون للانسان ليصح عليه التكليف .

فاختيار الانسان الهدى أو الضلال ، الايمان أو الكفر الخير أو الشر الصدق أو الكذب ، الطاعة أو المعصية ، الشكر أو الكفران ، الأمانة أو الخيانة، واختيار سبيل الكمال والفلاح ، أو طريق الانحطاط والخسران هو من ذلك،

فلا يكون هناك ، تناقض فان إعمال قدرة الانسان في الفعل أو الترك يكون باختياره من غير إستناد إختياره إلى اختيار آخر .

وإن كانت هذه القدرة وسائر المبادىء حين الفعل تفاض من الله عزوجل، فالفعل مستند إلى العبد من جهة ، وإلى الله تعالى من جهة اخرى

وماورد في المقام فمن باب التأويل وهو اللب ، حيث ان أئمتنا أهل بيت الوحي سلوات الله عليهم أجمعين، فانهم أصدق مصاديق المتقين ولهم فيهم اسوة حسنة فتدبر جيداً واغتنم جداً

﴿ جملة المعاني ﴾

٥٨٠١ـ (اذا الشمس كورت)

تجيء الساعة حين كوّرت الشمس

٥٨٠٢ـ (واذا النجوم انكدرت)

وتأتي الساعة حين إنطفأ بريق النجوم بذهاب ضوئها وانتثرت

٥٨٠٣ـ (واذا الجبال سيرت)

و تقع القيامة حين قلعت الجبال عن مقارها برجفة الارض حتى تصير كلا شيء بتفتت أجزائها . . .

٥٨٠٤ـ (واذا العشار عطلت)

ويوم القيامة يوم تترك الوق الحوامل مهملة لاشتغال أصحابها بأنفسهم

٥٨٠٥ـ (واذا الوحوش حشرت)

ويوم حشرت الوحوش من كل ناحية لقصاص بعضها لبعض

٥٨٠٦ـ (واذا البحار سجرت)

وتجيء الساعة لامحالة حين يفجّر بعض البحار في بعض

٥٨٠٧ـ (واذا النفوس زوجت)

ويوم القيامة تقرن النفوس بأجسادها . .

٥٨٠٨ـ (واذا الموؤدة سئلت)

ويوم تسئل الجارية التي دفنت حية خوف العار والحاجة

٥٨٠٩- (بأى ذنب قتلت)

لما ذا وأدك الوالد ؟ بأى ذنب قتلك ؟

٥٨١٠- (واذا الصحف نشرت)

وتقوم الساعة يوم تنشر فيه صحف أعمال الخلائق

٥٨١١- (واذا السماء كشطت)

و يوم تقلع السموات كلها عن مقارها بالنزع الشديد

٥٨١٢- (واذا الجحيم سعرت)

ويوم توقد نار جهنم ، تقدداً شديداً ويقربها للكفار والعاصين

٥٨١٣- (واذا الجنة ازلفت)

ويوم تزين الجنة بما فيها من النعيم لأهلها

٥٨١٤- (علمت نفس ما احضرت)

علمت كل نفس يومئذ ما أحضرت من عمل في الحياة الدنيا من ايمان وطاعة

٥٨١٥- (فلا اقسم بالخنس)

واعلموا أيها الناس ان ما ذكرته سابقاً واقع لامحاله ، فلا اقسم لكم على توكيده بالنجوم

٥٨١٦- (الجوار الكنس)

التي تجرى في أفلاكها ، تتبدل لكم ليلاً وتختفي عنكم نهاراً

٥٨١٧- (والليل اذا عسعس)

واقسم بالليل إذا أدبر بظلامه ، ولم يبق منه إلا القليل

٥٨١٨- (والصبح اذا تنفس)

واقسم بالصبح إذا فجر وظهر ضوءه وإنبسط على الأفق حتى تصير نهاراً

٥٨١٩- (انه لقول رسول كريم)

ان هذا القرآن الذى تتلوه علىكم يا محمد ﷺ لقول رسول الوحى

الذى هو كريم عندالله عزوجل

٥٨٢٠- (ذى قوة عند ذى العرش مكين)

صاحب قوة وصلابة وحصانة فى نفسه ، صاحب مكانة عندالله عز وجل الذى هوذو العرش .

٥٨٢١- (مطاع ثم أمين)

ان جبرئيل عليه السلام هومطاع تطيعه الملائكة فى السموات ، و هو أمين عند الله جل وعلا

٥٨٢٢- (وما صاحبكم بمجنون)

واقسم بالله جل وعزان صاحبكم محمداً ليس بمجنون كما اتهمتموه وقلتم فيه

٥٨٢٣- (ولقد رآه بالافق المبين)

واقسم بعزتى و جلالى ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله لقد رآى جبرئيل أمين الوحى عليه السلام حين نزله عليه بالافق الواضح الذى لاحجاب فيه

٥٨٢٤- (وماهوعلى الغيب بضنين)

وليس محمد رسول الله صلى الله عليه وآله على ما يوحى إليه من الغيب بمتهم بالبخل والكتمان والامساك ، غيرمتهم شيئاً مما رآه وسمعه

٥٨٢٥- (وما هوبقول شيطان رجيم)

وليس هذا القرآن بقول شيطان مطرود من رحمةالله تعالى

٥٨٢٦- (فاين تذهبون)

فهذا ثبت الحق على هذا الوضوح فالى أين تذهبون أيها المشركون والمكذبون عن الحق إلى الباطل ؟

٥٨٢٧- (ان هو الا ذكرللعالمين)

ليس هذا القرآن الكريم إلاّ ذكراً للثقلين من الجن والانس

٥٨٢٨- (لمن شاء منكم أن يستقيم)

لمن شاء منكم أيها المشركون المكذبون أن يتذكر بهذا الوحي السماوي ويستقيم على الحق والطريق الواضح

٥٨٢٩- (وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين)

ولا تشاؤن الاستقامة على الحق إلاّ أن يشاء الله رب العالمين إستقامتكم عليه ، ولا يشاء الله تعالى الاستقامة إلاّ لمن زكّى نفسه وسلك نهج الهداية وصراط المستقيم تماماً

﴿ بحث روائي ﴾

في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي ذر الغفاري قدس الله تعالى روحه قال : كنت آخذاً بيد النبي ﷺ ونحن نتماشا جميعاً ، فما زلت تنظر إلى الشمس حتى غابت ، فقلت : يارسول الله أين تغيب ؟ قال : في السماء ثم ترفع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العلياحتى تكون تحت العرش، فتخر ساجدة ، فتسجد معها الملائكة الموكلون بها

ثم تقول يارب ! من أين تأمرني أن أطلع ؟ أمن مغربي ؟ أم من مطلعي؟ فذلك قوله عزوجل «والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم» يعني بذلك صنع الرب العزيز في ملكه بخلقه (العليم بخلقه ح) قال فيأتيها جبرئيل بحلة سوداء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره في الشتاء أو مابين ذلك في التخريف والزمع

قال فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه ثم تنطلق بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها ، قال النبي ﷺ فكأني بها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لاتكسى ضوءاً وتؤمر أن تطلع من مغربها

وذلك قوله عزوجل «إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت» والقمر كذلك من مطلعه ومجراه في افق السماء ومغربه و إرتفاعه إلى السماء السابعة وسجوده تحت العرش، وجبرئيل يأتيه بالحلة من نور الكرسي، فذلك قوله عزوجل: «هوالذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً»

قال أبو در رحمة الله تعالى عليه ثم اعتزلت مع رسول الله ﷺ فصليت المغرب.

أقول: رواه أيضاً في التوحيد، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين وغيرهم ولا يخفى ان لروايته من النوادر التي لا يفهمها إلا النوادر.

و في تفسير القمي: «إذا الشمس كورت» قال: تصير سوداء مظلمة «وإذا النجوم انكدرت» قال يذهب ضوؤها «وإذا الجبال سيرت» قال تسير كما قال «تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب» قوله «وإذا العشار عطلت» قال الابل تتعطل إذا مات الخلق، فلا يكون من يحلبها، قوله «وإذا البحار سجرت» قال تتحول البحار التي حول الدنيا كلها نيراناً «وإذا النفوس زوجت» قال: من الحور العين

و في الدر المنثور: عن أبي مريم ان النبي ﷺ قال في قوله «إذا الشمس كورت» كورت في جهنم «وإذا النجوم انكدرت» قال انكدرت في جهنم، وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كان من عيسى بن مريم وامه ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها

و فيه عن النبي ﷺ في قوله تعالى «إذا الشمس كورت» الشمس و القمر مكوران يوم القيامة

و فيه في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله «وإذا النفوس زوجت» قال أما أهل الجنة فزوجوا الحيرات الحسان، وأما أهل النار فمع كل إنسان منهم شيطان يعني قرنت نفوس الكافرين و المنافقين بالشياطين فهم قرناؤهم

أقول: ومن المحتمل أن يكون قوله «يعني الخ» من كلام الراوي

وفي البحار عن محمد بن علي بن الحنفية انه قرأ «وإذا النفوس زوجت» قال والذي نفسي بيده لو أن رجلاً عبد الله بين الركن والمقام حتى تلتقي ترقوتاه

لحشره الله مع من يحب .

و في الدر المنثور : عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «وإذا النفوس زوجت» قال هما الرجلان يعملان العمل يدخلان الجنة والنار

و في المناقب لابن شهرآشوب رضوان الله تعالى عليه عن إبن عباس في قوله تعالى «وإذا النفوس زوجت» قال ما من مؤمن يوم القيامة إذا قطع الصراط زوّجه الله على باب الجنة أربع نسوة من نساء الدنيا و سبعين ألف حورية من حوراء الجنة إلا علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه زوج البتول في الدنيا ، و هو زوجها في الجنة ، ليست له زوجة في الجنة غيرها من نساء الدنيا ، لكن له في الجنان سبعون ألف حوراء لكل حوراء سبعون ألف خادم

وفي الكافي : بإسناده عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبدالله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام ـ في حديث يذم زمن الجاهلية ـ : «وقد أعمت عيون أهلها و أظلمت عليها أيامها ، قد قطعوا أرحامهم وسفكوا دمائهم ، و دفنوا في التراب الموؤدة بينهم من أولادهم ، يختارون دونهم طيب العيش ورفاهية حفوض الدنيا لا يرجون من الله ثواباً ولا يخافون والله منه عقاباً .. الحديث

و في المجمع و روى عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام «وإذا الموؤدة سئلت» بفتح الميم والواو وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام «وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت»

أقول : أي بفتح السين في «سئلت» والقاف في «قتلت»

وفيه - ومن قرأ «وإذا الموؤدة سئلت» بفتح السين جعلت الموؤدة موصوفة بالسؤال ، و بالقول «بأي ذنب قتلت» ويمكن أن يكون الله تعالى أكملها في تلك الحال ، وأقدرها على النطق حتى قالت ذلك القول ويعضده ما روي عن النبي ﷺ انه يجيء المقتول ظلماً يوم القيامة وأوداجه تشخب دماً اللون لون الدم ، و الريح ريح المسك متعلقاً بقاتله يارب سل هذا فيم قتلني ، وأما من قرأ الموؤدة

بفتح السين و الواو ، فالمراد بذلك الرحم و القرابة ، وانه سئل قطعها عن سبب قطعه ، وعن أبي جعفر عليه السلام قال يعني قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قتل في جهاد

وفي رواية اخرى قال هو من قتل في مودتنا و ولايتنا

وفي الكافي : بإسناده عن سعد الخفاف عن أبي الديلم عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث ـ قال فقال له قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » ثم قال «وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت» يقول : أسئلكم عن المودة في القربى، ثم قال التي انزلت عليكم فصلها مودة القربى بأي ذنب قتلتموهم .

و في تفسير القمي : بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «و إذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت» قال قتلت في مودتنا

وفي المناقب : عن الامام باقر العلوم محمد بن علي عليه السلام في قوله : «و إذا الموؤدة سئلت » يقول أسئلكم عن المودة التي انزل عليكم فصلها مودتي القربى وحقي الواجب على الناس ، وحسابي الواجب على الخلق، قتلوا موؤدتنا بأي ذنب قتلتمونا

وفي البرهان : بالاسناد عن زيد بن علي عليه السلام قال قلت له جعلت فداك قوله تعالى «وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت » ؟ قال هي والله مودتنا وهي والله فينا خاصة

و فيه بالاسناد عن جابر الجعفي قال سئلت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل «وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت » قال من قتل في مودتنا قاتله عن قتله

و فيه بالاسناد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال «وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت» قال من قتل في مودتنا

و فيه بالاسناد عن علي بن القاسم قال سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى «وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت» قال شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله تسئل بأي

ذنب قتلت .

وفيه : بالاسناد عن إسمعيل بن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت قوله عزوجل : «وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت» قال الحسين عليه السلام .

وفيه : بالاسناد عن محمد بن أبي عمير عن بعض رجاله عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل : «وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت» قال نزلت في الحسين بن علي عليه السلام .

وفيه : عن سليم بن قيس الهلالي قال : من قتل في مودتنا أهل البيت

وفي تفسير القمي : قوله «و إذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت» قال قال : كان العرب يقتلون البنات للغيرة ، فاذا كان يوم القيامة سئلته الموؤدة بأي ذنب قتلت و قطعت ، و الدليل على ذلك قوله «قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى» .

أقول : وقد تقدم منا في التفسير و التأويل ان الروايات الواردة في «الموؤدة» المصرفة عن ظاهر السياق ، فمن باب الجري والانطباق من غير تناف بينها فتأمل جيداً .

وفيه : في قوله تعالى «و إذا الصحف نشرت» قال صحف الاعمال وقوله: «إذا السماء كشطت» قال : انطلت

وفي البرهان : عن إبن عباس في قوله «و إذا الجحيم سعرت» قال يريد اوقدت للكافرين ، لجحيم اسم الاعلى من جهنم، والجحيم في كلام العرب ما عظم من النار لقوله عزوجل «اسوا له سياناً والقوه في الجحيم» يريد النار العظيمه «وإذا الجنة ازلفت» يريد قربت لاولياء الله من المتقين

و في الاحتجاج : في رواية سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي - في حديث طويل - قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام لعمر بن الخطاب وينك يابن الخطاب ! لو تدري مما خرجت وفيما دخلت و

هذا حبست على نفسك وعلى صاحبك؟

فقال أبو بكر: يا عمر إذا بايع وأنت شره وفتكه وعائلته فمن يقوم بما يشاء فقال علي عليه السلام: ليست بعدة غير شيء واحد. ذكركم بالله أنهما الأربعة بعضي والزبير وأبوذر والمقداد: أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان ثانوتاً من نار فيه إثناعشر حياً ستة من الاولين، وستة من الآخرين في جب في قعر جهنم في تابوت مقفل، على ذلك الجب صخرة إذا أراد الله أن يسعر جهنم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجب، فاستعاذت جهنم من وهج ذلك الجب فسئلناه عنهم وأنتم شهود

فقال صلى الله عليه وآله: أما الاولين فابن آدم الذي قتل أخاه، وفرعون الفراعنة والذي حاج إبراهيم في ربه، ورجلان من بني اسرائيل بدلا كتابهم وغيرا سنتهم أحدهما فهود، والآخر نصر لعنهما الله وإبليس رئيسهم، والداعي في الآخرين وهؤلاء الخمسة أصحاب الصحيفة الذين تعاهدوا وتعاقدوا على عداوتك يا أخي، و تظاهروا عليك بعدي، هذا وهذا بعد حين على غدرهم وفسقهم، فوالذي بعثني بالحق نبياً لقد صدقت لشهد انا سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله

وفي تفسير القمي في قوله تعالى: «فلا اقسم بالخنس» قال: أي واقسم بالخنس وهو إسم النجوم «الجوار الكنس» قال: النجوم تكنس بالنهار فلا ترى

وفي الكافي بإسناده عن أبي بصير قال: سئلت أباجعفر محمد بن علي عليهما السلام عن قول الله عزوجل: «فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس» قال: فقال: هي خمس تخنس في دورها وتكنس ثم تظهر كالشهاب يتوقد في الليلة الظلماء وأن أدركت زمانه قرت عينك

وفي اكمال الدين بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: عدد علي بن محمد بن علي الرضا عليهم السلام فقال: هو سيدي آية من كتاب الله عزوجل: «فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس» قال: نعم المسئلة سئلتني

يا مهدي هذا مولود في آخر الزمان هو المهدي من هذه العترة ، يكون له حيرة و غيبة تضل فيها قوم و يهتدي فيها قوم ، فياطوبى لك إن أدركته و ياطوبى لمن أدركه

و في البرهان بالاسناد عن الاصبغ بن نباته عن علي عليه السلام قال : سئله ابن الكواء عن قوله عزوجل « فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس » قال إن الله لايقسم بشيء من خلقه . فأما قوله « الخنس » فانه ذكر قوماً خنسوا علم الاوصياء ودعوا الناس إلى غير مودتهم . ومعنى خنسوا سترو ا . فقال له « والجوار الكنس » قال يعني الملائكة جرت بالعلم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فكنسه عن الاوصياء من أهل بيته لايعلم به أحد غيرهم ومعنى كنسه رفعه و توارى به . فقال « والليل إذا عسعس » وهذا ضربه الله مثلاً لمن ادعى الولايه لنفسه وعدل عن ولاة الامر ، فقال « والصبح إذا تنفس » قال يعني بذلك الاوصياء يقول . إن علمهم أنور وأبين من الصبح إذا تنفس

اقول ان الرد إلى الثلاث من باب التأويل وهو اللب ولايخفى على القارئ الخبير ان بناء على تأويل الخنس على الجميع إما للتعظيم ، و إما للمبالغه في التأخر أو لشموله لسائر الائمة أهل البيت عليهم السلام باعتبار الرجعة أولان ظهور الامام المهدي أرواحنا له الفداء يستلزم ظهور الجميع

وقوله عليه السلام « فمن أدركت » أي على العرض البعيد أو في الرجعة « ذلك » أي ظهوره و نصرته

وقد يظهر من السياق أن المراد بالخنس هي الكواكب فيكون ذكرها لشبهه الامام المعصوم عليه السلام بها في الغيبة والظهور كما في أكثر المتون .

و في الدر المنثور : عن علي عليه السلام في قوله « فلا اقسم بالخنس » قال هي الكواكب تكنس بالليل و تخنس بالنهار فلا ترى

وفي المجمع : « الخنس » هي النجوم تخنس بالنهار وتبدو بالليل « و

الجوار صفة لها لأنها تجري في أفلاكها «الكنس» من صفتها أيضاً لأنها تكنس أي تتوارى في بروجها كما تتوارى الظباء في كناسها وهي خمسة أنجم: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد عن علي عليه السلام «والليل إذا عسعس» أي إذا أدبر بظلامه عن علي عليه السلام.

و في تفسير القمي: «والليل إذا عسعس» قال: إذا أظلم «والصبح إذا تنفس» قال: إذا ارتفع.

و في الدر المنثور: أخرج الحاكم أبو أحمد في الكنى عن العدبس قال: كنا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين ما الجواري الكنس، فطعن عمر محضرة معه في عمامة الرجل فألقاها عن رأسه، فقال عمر: أخروري! والذي نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجدتك مخلوقاً لأنحيت القمل عن رأسك»

أقول: أفهكذا يجاب من يسئل عن القرآن الكريم؟ فإذا جهل الخليفة معنى آية من القرآن فلماذا يهتك من يستعلمه؟ ولماذا يفترى عليه؟

لعل الحق مع الخليفة يؤدب من يستعلمه وليس المسئول من أهل الذكر والله عز وجل يقول: «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» النحل ٤٣) نعم! إذا كان المسئول غير يليق للسؤال فلا جواب له إلا الضرب أو الشتم أو الغضب

ولكنه هل من الخطأ أن يظن بخليفة المسلمين بعض الخير أنه يعلم بعض الشيء من القرآن فيستعلم؟ أنا لا أدري!

وليس هذا بعجيب ممن كان يقول: بلت الخلافة قلته و يقول: الملك عقيم و ما هو أعجب من ذلك كله: أن الذين يدعون العلم و التحقيق هم يعترفون بعد لهذا الجاهل الداعي خلافة إسلامية، و هنا مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام جزء من العلم و من عنده علم الكتاب

و لعمري لو لم يكن هذا على عليه السلام لما كان عمر من الخطاب بيعاً لهذه الخلافة السماوية لجهله وظلمه لقوله تعالى «و آتيناه الحكمة وفصل الخطاب» داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق» ص ٢٠ (٢٦) وقوله عزوجل «وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين» البقرة ١٢٣) و البحث في محله فاقض ما أنت قاض

وفي جامع البيان : عن أبي طسان قال كنت اسمع علي بن أبيطالب رضي الله عنه ، وهو خارج نحو المشرق ، وقد قبل الفجر فقرأ هذه الآية «و الليل إذا عسعس»

وفيه : عن أبي عبدالرحمن قال خرج علي عليه السلام فمر على باب السوق وقد طلع الفجر أو الصبح فقرأ «و الليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس» فقال ان الليل له الوتر هذه

و في عيون الاخبار : بسنده عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام من خبر الشامي وما سأل عنه الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في جامع الكوفة وسئله عن شيء تنفس ليس له لحم ولادم ، فقال ذاك الصبح إذا تنفس

و في تفسير القمي : بسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله «ذي قوة عند ذي العرش مكين» قال يعني جبرئيل ، قلت «مطاع ثم أمين» قال يعني رسول الله صلى الله عليه وآله هو المطاع عند ربه الأمين يوم القيامة قلت قوله «ما صاحبكم بمجنون» قال يعني رسول الله صلى الله عليه وآله هو بمجنون في نفسه أمر المؤمنين عليه السلام علماً للناس قلت قوله «وما هو على الغيب بضنين» قال وما هو بخيل تبارك و تعالى على نبيه وآله صلى الله عليه وآله قلت «وما هو بقول شيطان رجيم» قال يعني لأئمة الذين كانوا في قريش فسب كلامهم إلى كلام الشيطان الذين كانوا معهم تكلموا على ألسنتهم ، فقال «وما هو بقول الشيطان رجيم مثل اولئك قلت قوله تعالى «فأين تذهبون إن هو إلا ذكر

للعالمين»

قال: أين تذهبون في علي عليه السلام يعني ولايته أي تفرّون منها «إن هو إلا ذكر للعالمين» لمن أخذ الله ميثاقه على ولايته، قلت: «لمن شاء منكم أن يستقيم» قال: في طاعة علي عليه السلام والائمة من بعده قلت: قوله: «وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين» قال: لأن المشيئة إلى الله لا إلى الناس.

أقول: والرواية لا تخلو من التأويلات فتدبر جيداً.

و في المجمع: وفي الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجبرئيل عليه السلام: ما أحسن ما أثنى عليك ربك «ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين» فما كانت قوتك؟ وما كانت أمانتك؟ فقال: أما قوتي فإني بعثت إلى مداين لوط وهي أربع مداين في كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري، فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السموات أصوات الدجاج، ونباح الكلاب، ثم هويت بهن فقلبتهن وأما أمانتي فإني لم أؤمر بشيء فعدوته إلى غيره.

و فيه: في قوله تعالى: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لجبرئيل لما نزلت هذه الآية: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم إني كنت أخشى عاقبة الأمر، فآمنت بك لما أثنى الله عليّ بقوله: «ذي قوة عند ذي العرش مكين».

و في البرهان: عن ابن عباس في قوله عز وجل: «إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين» قال: يعني رسول كريم رسول الله صلى الله عليه وآله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع عند رضوان خازن الجنان وعند مالك خازن النار ثم أمين فيما استودعه إلى خلقه وأخوه علي أمير المؤمنين عليه السلام أمين أيضاً فيما استودعه محمد صلى الله عليه وآله إلى أمته.

و في تفسير القمي: بإسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام ـ في حديث الإسراء بالنبي صلى الله عليه وآله إلى أن قال صلى الله عليه وآله ـ حتى دخلت سماء الدنيا، فما لقيني ملك إلا ضاحكاً مستبشراً حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر خلقاً أعظم

منه كربه المنظر ظاهر الغضب (العتب ح) فقال ماقالوا من الدعاء إلا أنه لم يضحك ولم أر فيه من الاستبشار، وما رأيت فيمن ضحك من الملائكة، فقلت: من هذا ياجبرئيل فإني قد فزعت منه؟ فقال: يجوز أن تفزع منه ولكنا نفزع منه ان هذا مالك خازن النار لم يضحك، ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كل يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله وأهل معصيته فينتقم الله به منهم ولو ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكاً لأحد بعدك لضحك إليك ولكنه لايضحك، فسلمت عليه فرد علي السلام وبشرني بالجنة، فقلت لجبرئيل، وجبرئيل بالمكان الذي وصفه الله مطاع ثم أمين، ألا تأمره أن يريني النار؟ فقال له: يامالك أر محمداً النار، فكشف عنها غطائها وفتح باباً منها. الحديث

أقول: ولا يرى الفتى الخبير المتأمل تنافياً بين الروايات كما زعم بعض المفسرين فإن أمثال هذه الروايات تحمل على التنزيل والتفسير تارة، وعلى التأويل والانطباق تارة أخرى. إذ للقرآن الكريم وجه لكل وجه وجوه.

فجبرئيل عليه السلام يحمل وحي القرآن كما يحمله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله فتنزيل الآيات بشأن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وتأويلها بشأن جبرئيل عليه السلام كما يمكن العكس، وكل من يحمل وحي القرآن من فروع الرسالة المحمدية من أئمتنا أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين فكل منهم رسول كريم ذو قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين. فلا يطرح أمثال هذه الروايات إلا ضعيف الادراك وناقص الفهم أو قليل التأمل ومريض القلب.

وفي الخصال باسناده عن محمد بن أبي حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قال في كل يوم من شعبان، سبعين مرة: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الحي القيوم وأتوب إليه كتب في لافق المبين، قلت: وما لافق المبين؟ قال: قاع بين يدي العرش فيه أنهار تطرد فيه من القدحان عدد النجوم.

وفي البرهان: بالاسناد عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى جعل قلوب الأئمة مورداً لارادته، وإذا شاء (شاء الله ح) شيئاً شاؤه وهو

قوله «وما تشاؤن إلا أن يشاء الله»

وفي الاحتجاج - في حديث يذكر فيه جواب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عما اعترض به الزنادقة على التنزيل - أجاب عليه السلام عما توهمه من التناقض بين قوله «الله يتوفى الأنفس حين موتها» وقوله «يتوفاكم ملك الموت وتوفته رسلنا وتتوفاهم الملائكة» بقوله «فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النقمة ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة، يصدرون عن أمره فعلهم فعله، وكل ما يأتونه منسوب إليه، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت وفعل ملك الموت فعل الله لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإن فعل أمنائه فعله كما قال «وما تشاؤن إلا أن يشاء الله»

أقول: قال بعض المعاصرين: هذا استيحاء لطيف إذ يربط مشيئة أمناء الله بمشيئة الله، وهذه هي العصمة في المشيئة بعصمهم وحتى عن أنه مشيئة قبل أن يشاء الله، المشيئة التشريعية والتكوينية سواء وإن كانوا يشاؤن دائماً الاستقامة والهداية لذلك يجد الله بعصمهم ويهديهم لأفضل درجات الهداية

﴿ بحث فقهي ﴾

وقد استدل بعض المحققين من الفقهاء المتأخرين بقوله تعالى «إذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت» التكوير (٨ ـ ٩) على حرمة إسقاط الجنين لإطلاق الموؤدة عليه

وقد استدل بقوله جل وعلا: «وما هو على الغيب بضنين» التكوير (٢٣) على حرمة كتمان العلم على العلماء وقادة الدين، فعليهم بيان ما هو واقع من المعارف والحكم والأحكام الإسلامية في الكتاب والسنة ودعوة الدين إليها بالقول [illegible] في كل وقت فضلاً عما إذا ظهرت البدع في الدين الإسلامي بأية صورة كانت

﴿ بحث مذهبي ﴾

يستدل بقوله جل وعلا « وإذا النفوس زوجت » التكوير ٧) على المعاد الجسماني رداً على منكريه الجهلة السفلة وأصحاب الغفلة

ومعنى الآية الكريمة عند جمهور المحققين تعود كل نفس آدمية يوم القيامة إلى الجسم الذي فارقته عند الموت

ولا يخفى أن الإيمان بحشر الإنسان جسماً وروحاً من ضرورات الدين الإسلامي لا تقليد فيه تماماً بل يجب على كل مكلف أن يجتهد فيه كالتوحيد والنبوة والعدل والإمامة عند مذهب الحق، وحكم منكره أو مشككه كحكم منكرها ومشككها

و يستدل بقوله تعالى : « إذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت » التكوير ٨-٩) على أن أطفال المشركين لا يعذبون يوم القيامة. وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بذنب . فإذا ربح الله عز وجل الوائد بسبب الموؤدة فلأن لا يعذبها أولى

قيل يمكن أن يكون تعذيب الوائد للوأد من جهة أنه تصرف في ملك الله تعالى بغير حق وهذا لا ينافي تعذيب الموؤدة من جهة أخرى، وهي أن حكمها في الإسلام والكفر حكم أبيها .

أقول وقد سبق منا الكلام في تفسير سورة « الطور » ما يناسب المقام فراجع واغتنم جداً .

وقد زعم بعض المتفسرين من العامة أن قوله سبحانه : « وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة أزلفت » التكوير : ١٢- ١٣) يدل على أن الجنة والنار لم تخلقا بعد .

لان الله سبحانه علّق تسعير جهنم وإزلاف الجنة يوم القيامة وعدّهما من أشراط الساعة

اقول : ولايخفى على القارئ المتدبر المنصف: ان تسعير الجحيم وإزلاف الجنة لامتاقبان وجودهما الآن ، مع ما يدل على وجودهما الآن كثير من الآيات القرآنية ، ونحن لسنا بصدد ذكرها في المقام وقد وردت روايات عديدة عن طريق أئمة أهل البيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين في ذلك

منها ماروى الصدوق رضوان الله تعالى عليه بسنده عن عبد السلام بن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام ـ في حديث ـ وقلت له : يابن رسول الله فأخبرني عن الجنة والنار أهما اليوم مخلوقتان ؟ فقال : نعم ، وأن رسول الله قد دخل الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء قال : فقلت له : إن قوماً يقولون انهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين ، فقال عليه السلام : ما اولئك منا ، ولا نحن منهم ، من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي صلى الله عليه وآله وكذبنا ، وليس من ولايتنا على شيء وخلد في نار جهنم قال الله عزوجل

هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن، وقال النبي صلى الله عليه وآله لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل وادخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلته ، فتحول ذلك نطفة في صلبي ، فلما هبطت إلى الارض واقعت خديجة ، فحملت فاطمة ، فاطمة حوراء انسية ، فكلما إشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة إبنتي فاطمة

و في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله مالك إذا أقبلت فاطمة جعلت لها مجلسك في فيها كأنك تريد أن تطعمها عسلاً ؟ قال لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنة فناولني تفاحة فأكلتها فصارت نطفة في ظهري ، فلما نزلت من السماء واقعت خديجة ، فاطمة من تلك النطفة ، فكلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبلتها .

أخرجه أبو سعيد في «شرف النبوة».

أقول وتفصيل البحث في باب خلق الجنة والنار فراجع

وقد زعم بعضهم : ان قوله سبحانه «انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين» (التكوير ١٩ - ٢١) يدل على أفضلية الملائكة على النبي الكريم ﷺ وذلك لان الله وصف جبرائيل بصفات الكرامة ثم وصف النبي ﷺ بقوله: «وما صاحبكم بمجنون».

وفي الكشاف قال الزمخشري - مستدلاً بالآيات على تفضيل الملك على الانبياء - لانه وصف جبرائيل بصفات الكرامة ثم وصف النبي ﷺ بقوله «وما صاحبكم بمجنون» شتان بين الوصفين

أقول وقد تقبّل الرازي رأس المخبرين هذا القول في تفسيره بقبول حسن إذ أورده فيه من غير أن يتعرض للجواب عنه مع كمال حرصه على تزييف أدلته

ولا يخفى على القارئ الخبير ان توصيف جبرئيل عليه السلام بما وصف من صفات المدح دون النبي الكريم ﷺ لا دلالة فيه على أفضليته على رسول الله ﷺ لان الكلام مسوق لبيان ان القرآن كلام الله تعالى منزل على رسول الله الاعظم ﷺ من عنده جل وعلا من طريق الوحي لا من أوهام الجنون بالقاء شيطان من الشياطين

بل وقع مدحه إستطراداً لبيان مدح النبي ﷺ والمبالغة في صدقه، فان الكفرة زعموا ان القرآن إفك إفتراه مجنون به، وأعانه عليه قوم آخرون، فلم يكن بدّ من نفي الجنون عنه، ووصف جبرائيل بالأمانة والمكانة وغيرهما، فان شرف الرسول يدل على شرف المرسل إليه وصدقه

فما يفيد في هذا الغرض هو بيان سلامة طريق الانزال وتحليل المنزل. إسم الفاعل - بذكر أوصافه الكريمة، والمبالغة في تنزيهه عن الخطأ واللزلل و

الحياة ، و أما دلالته على أفضليته على النبي الأعظم ﷺ فلا ، وفي مطاوي كلامه عز وجل من نعوت النبي ﷺ الكريمة وصفاته العليا وأخلاقه الفاضلة ما لا يرتاب معه في أفضليته ﷺ على جميع الخلائق الذين لولاه ﷺ لما خلقهم الله تعالى كيف لا وقد أمر الله عز وجل الملائكة أجمعين على أن يسجدوا للإنسان الذي هو خليفته في الأرض لما كان في المسجود مزيد فضل على الساجد ، و في المقام كلام في باب النبوة و فضل نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء عليهم السلام و على الملائكة المقربين فراجع .

و قد استدل القدرية على مذهبهم السخيف بقوله تعالى «لمن شاء منكم أن يستقيم» التكوير : ٨)

واعلم أن القدرية على طائفتين طائفة منهم هم الذين يسندون أفعال العباد كلها خيرها وشرها ، صلاحها وفسادها ، حتى الإيمان والكفر ، والطاعة و العصيان إلى الله سبحانه ، وأنه هو الفاعل لها حقيقة ، وإن كان المباشر في الظاهر هم العباد أنفسهم ، ولذلك صحت تسميتهم بالقدرية إنطباقاً عليهم بالحديث المأثور عن رسول الله ﷺ قال «لعن الله القدرية على لسان سبعين نبياً ، قيل من القدرية يا رسول الله ؟ قال الذين يعصون الله تعالى ويقولون كان ذلك بقضاء الله و قدره »

والإيمان بهذا المعنى الباطل هي عقيدة عربية جاهلية إمتدت حتى ما بعد إزدهار الإسلام ورغم مكافحة النبي ﷺ والأئمة الهداة عليهم السلام من بعده لهذه العقيدة الجاهلية الأولى ، قال الإمام المجتبى سبط المصطفى الحسن بن علي صلوات الله عليهم «بعث الله محمداً إلى العرب وهم قدرية يحملون ذنوبهم على الله تعالى»

و دليلاً على ذلك قوله المشركين «لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء» الأنعام ١٣٨) ومن ثم كذبهم الله عز وجل هذه العقيدة السخيفة الفاسدة المخالفة لصريح الوجدان ، قال ـ تعقيباً على قولتهم تلك ـ « كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن

تشعرون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون » الانعام - ١٤٨)

و طائفة آخرون هم خلاف الطائفة الاولى وهم الذين يسندون الاقدار كلها إلى العباد بصورة مطلقة، ويسلبون كل تأثير لارادة الله وحوله وقوته في أفعال العباد، و هم يقولون ان العباد هم المحدثون لافعالهم باختيارهم و إرادتهم و قدرتهم الخاصة .

في تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبي «وقال أبو هريرة وسليمان بن موسى لما نزلت «لمن شاء منكم أن يستقيم» قال أبو جهل الأمر إلينا إن شئنا إستقمنا و إن شئنا لم نستقم » وهذا هو القدر وهو رأس القدرية فنزلت « وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين »

أقول فالآية التالية تدفع عقيدة القدرية السخيفة، فلاحاجة إلى دفع آخر

و تستدل الحنوية بقوله سبحانه «وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين» التكوير ٢٩) على مذهبهم السخيف ، بأن الكفر والايمان مخلوقان في الكافر و المؤمن فهما فيهما بمنزل عن إختيارهما

أقول و قد سبق منا الرد على هذا المذهب السخيف في خلال البحث المذهبي في تفسير سورة فراجع

﴿ الموؤدة والجاهلية قبل الإسلام ﴾

قال الله عز وجل : ﴿ وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾ (التكوير: ٨ و ٩)

واعلم أن عادة دفن البنات أحياء و كراهة ولادتهن من صور حياة العرب قبل البعثة وعاداتهم الجاهلية ، وإن أسلوب الآية الكريمة هنا أسلوب تنديدهم بعادة القبيحة الشنعة التي كانوا يمارسونها، وإنذار بشدة عقوبتها عند الله عز وجل لما فيها من قسوة بالغة وجرأة على إزهاق روح بريئة

وفي تفسير الطبري : عن قتادة في قوله تعالى ﴿ وإذا الموؤدة سئلت ﴾ هي في بعض القراءات ﴿ سئلت ﴾ ـ مبنياً للفاعل ـ ﴿ بأي ذنب قتلت ﴾ لا ذنب كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ، ويعد وكلبه ، فعاتب الله ذلك عليهم .

وفيه : عن قتادة قال : جاء قيس بن عاصم التميمي إلى النبي ﷺ فقال إني وأدت ثماني بنات في الجاهلية قال : فأعتق عن كل واحدة بدنة

وفيه : قال ابن زيد في قوله ﴿ وإذا الموؤدة سئلت ﴾ قال : البنات التي كانت طوائف العرب يقتلونهن

وقد ذكر هذا في أكثر من موضع في القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ﴾ (النحل : ٥٨ـ٥٩)

وقد كان من هو ان تربية الإنسان عادة وأد البنات المظلومات خوف الفقر

والعار، وإن القرآن الكريم يندد بها في مواضع عدة، وأنهن إذا كنّ عاراً، فلماذا تنسبون إلى الله عز وجل البنات «أم له البنات ولكم البنون» (الطور ٣٩) «أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم أومن ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً» (الزخرف ١٦ـ ١٩)

يختص القرآن الكريم هذه العملية الوحشية القاسية هنا بذكرها في طيّات علامات الطامة الكبرى وآثارها، إيماءاً إلى أنها من أقسى وأوحش ما مضى على تاريخ الإنسان، إنها طامة من الطامات الكبرى، يحاسب بها فاعلها أول ما يقوم يوم الحساب، يذكره في سياق هذا الهول الهائج المائج كأنه حدث كوني من تلك الأحداث العظام.

وإن العرب الجاهلي الوائدين للبنات كانوا على فرق شتى، تعمها الصورة القاسية الوحشية لهذه العملية العارمة. فمنهم من كانوا يحلمون المرأة حين وضعها فوق حفرة هيأوها من قبل فإن كان المولود بنتاً رمى بها فيها وردمت ومنهم من كان يتركها إلى السادسة من عمرها ثم يقول لأمّها زيّنيها وطيّبيها لكي أذهب بها إلى أحمامها، فيأخذها إلى حميم البئر، يدفعها فيها بكل قساوة وضراوة، ويهيل التراب عليها «أم يدسه في التراب» والبعض القليل كانوا يمسكونها مهينة «أيمسكه على هون» إلى أن تقدر على الرعي، فيلبسها جبة من صوف أو شعر، ويرسلها في البادية ترعى له إبله، وفيما إذا تزوجت ومات زوجها جاء وليه، فألقى ثوبه عليها منعاً لها عن زواج آخر، ثم يرثها أو يفتدي نفسها منه.

وفي لباب التأويل: إن مضر وخزاعة وتميماً كانوا يدفنون البنات أحياء، والسبب في ذلك إما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة أو الحمية فيخافون عليهن من الأسر ونحوه أو طمع غير الأكفاء فيهن. فكان الرجل من العرب في الجاهلية إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها تركها حتى إذا كبرت

ألبسها جبّة من صوف أو شعر و جعلها ترعى الإبل والغنم في البادية .

وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسيّة قال لأمها : زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها ، و يكون قد حفر لها حفرة في الصحراء فإذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها : انظري إلى هذه البئر ، فإذا نظرت إليها دفعها من خلفها في تلك البئر ، ثم يهيل التراب على رأسها ، و كان صعصعة عم (جدّ) الفرزدق إذا أحسّ بشيء من ذلك وجه بابل إلى والد البنت ، حتى يحييها بذلك ، فقال الفرزدق إذا يفتخر بذلك

وجدّي الذي منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم يوأد

قيل : وقد كان جدّه يشتريهن من آبائهن ، فجاء الإسلام و قد أحيى سبعين موؤدة

وقيل : ومن الجاهلية العربية من كان يفعل ما هو أنكى و أقسى من ذلك فبالله ! ما أعظم هذه القسوة بقتل البريئات بغير جرم سوى خوف الفقر أو العار و كيف إستبدلت الرحمة بالفظاظة والرأفة ، لغلظة بعد أن خالط الإسلام قلوبهم ومحى وصمة هذا الخزي عنهم

وفي المجمع : و كانت المرأة إذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها ، فإن ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة وإن ولدت غلاماً حبسته عن إبن عباس : قال شاعرهم

سمّيتها إذ ولدت تموت والقبر صهر ضامن زمّيت

وفي مقتنيات الدرر : كان الرجل في الجاهلية إذا ظهر آثار الطلق بامرأته إختفى من القوم إلى أن يعلم ما يولد له ، فإن كان ذكراً إنبسط روح قلبه ، ووصل إلى الأطراف لاسيّما الوجه ، فأشرق الوجه وتلألأ واستنار ، و ظهر الفرح في بشرته من تلك البشارة ، وإن كان أنثى إختبس الروح في أرض القلب فاغبرّ و اسود وجهه وبشرته و كمد

وفيه انهم كانوا مختلفين في قتل البنات ، فمنهم من يحفر الحفيرة ، و يدفعها حية فيها إلى أن تموت ، ومنهم من يرميها من شاهق جبل ، ومنهم من يعرقها ، ومنهم من يدسها فيتشى الحكم حكمهم

وفي سراج المنير : ان رجلاً قال يا رسول الله ﷺ والذي بعثك بالحق ما أحد حلاوة الاسلام مذ عدا أسلمت ، فقد كانت لي في الجاهلية إبنة فأمرت إمرأتي أن تزينها فاخرجتها حتى إنتهيت إلى واد فيه سُرْ بعيدة القعر ألقيتها فيها ، فقالت يا أبت فتلتني ؟ فكلما ذكرت قولها لم ينتصبني شيء فقال رسول الله ﷺ ما كان في الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما في الاسلام يهدمه الاستغفار

وفي الجامع لاحكام القرآن للقرطبي : كانوا يدفنون بناتهم أحياء لخصلتين إحداهما . كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله ، فالحقوا البنات به تأنيثه . إما مخافة الحاجة والاملاق وإما خوفاً من السبي والاسترقاق

وعن إبن عباس كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة ، وتمخضت على رأسها فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردّت التراب عليها ، و إن ولدت غلاماً حبسته .

وفيه قال قتادة كانت الجاهلية يقتل أحدهم إبنته و يعدو كلبه فعاتبهم الله على ذلك و توعدهم بقوله « وإذا الموؤدة سئلت » قال عمر في قوله تعالى « وإذا الموؤدة سئلت » قال جاء قيس بن عاصم إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني وأدت تسع بنات كن لي في الجاهلية ، قال فاعتق عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله إني صاحب إبل قال فأهد عن كل واحدة منهن بدنة إن شئت

وفي الكافي بسنده عن أبي خديجة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني ولدت بنتاً وربيتها حتى إذا بلغت فألبستها و حليتها ثم حثت بها إلى قليب ، فدفعتها في جوفها وكان آخر ما سمعت منها وهي

تقول - يا أمتاه - إلى أن قال - قال أبو جعفر عليه السلام فقلت لأبي عبد الله عليه السلام متى كان هذا؟ فقال: كان في الجاهلية، وكانوا يقتلون البنات مخافة أن يسبين فيلدن في قوم آخرين

و في أوضح التفاسير: لمحمد عبد اللطيف (طبع مصر سنة ١٣٥٧ هـ) ما لفظه روى ان عمر بن الخطاب بينما كان جالساً مع بعض الصحابة إذ ضحك قليلاً ثم بكى. فسئله من حضر عن سبب ذلك، فقال: كنا في الجاهلية نصنع صنماً من عجوة فنعبده أياماً ثم نأكله، و هذا هو سبب ضحكي، أما بكائي فلأنه كانت لي إبنة فأردت وأدها، فأخذتها معي وحفرت لها حفرة، فصارت تنفض التراب عن لحيتي، فدفنتها حية، وهذا سبب بكائي

وفي نهج البلاغة قال مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - في خطبة - «والأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرقة في بلاء أزل، و أطباق جهل من بنات موؤدة و أصنام معبودة، و أرحام مقطوعة و غارات مشنونة»

و في شرح الحديد: وقال قوم: بل وأدوا البنات أنفة، وزعموا ان تميماً منعت النعمان الإتاوة سنة من السنين، فوجّه إليهم أخاه الريان بن المنذر و جلّ من معه من بكر بن وائل، فساق النعم و سبى الذراري، فوفدت بنو تميم إلى النعمان فاستعطفوه، فرقّ عليهم و أعاد عليهم السبي، و قال: كل امرأة اختارت أباها ردّت إليه، وإن اختارت صاحبها تركت عليه

فكلهن إخترن آبائهن إلا ابنة قيس بن عاصم، فإنها اختارت من سباها هو عمير بن المشمرخ الشكري، فمدّ قيس بن عاصم المقرئ التميمي ألا يولد لهذا إلا وأدها، والوأد أن يحفر في التراب، وينقل وجهه به حتى تموت ثم اقتدى به كثير من بني تميم

و فيه : و روى الزبير في « الموفقيّات » ان أبابكر قال في الجاهلية لقيس بن عاصم المنقري : ما حملك على أن وأدت ؟ قال : مخافة أن يحلف عليهن مثلك

وفي الميزان: أول ما بدا لهم « للمشركين » ذلك « قتل الانثى وتواريها » ان بني تميم غزوا كسرى فهزمهم وسبى نساءهم وذراريهم ، فادخلهن دار الملك و اتخذت البنات جواري وسرايا ، ثم اصطلحوا بعد برهة واستردّوا السبايا فخيّرن في الرجوع إلى أهلهن ، فامتنعت عدة من البنات فغضب ذلك رجال بني تميم فعزموا لا تولد لهم انثى إلا وأدوها ، ودفنوها حية ثم تبعهم في ذلك بعض من دونهم ، فشاع بينهم وأد البنات

و في شرح الحديد : وفي الحديث ان صعصعة بن ناجية بن عقال لما وفد على رسول الله ﷺ قال : يا رسول الله اني كنت أعمل في الجاهلية عملاً صالحاً ، فهل ينفعني ذلك اليوم ؟ قال ﷺ : وما عملت ؟ قال : ضللت ناقتين عشراوين ، فركبت جملاً ومضيت في بغائهما ، فرفع لي بيت جريد فقصدته فاذا شيخ جالس بفنائه ، فسألته عن الناقتين ، فقال : ما نارهما ؟ قلت : ميسم بني دارم قال : هما عندي ، وقد أحيى الله بهما قوماً من أهلك من مضر ، فجلست معه ليخرجهما إليّ ، فاذا عجوز قد خرجت من كسر البيت فقال لها :

ما وضعت ؟ فان كان سقباً شاركت في أموالنا ، و إن كان حائلاً و أدناها ؟ فقالت العجوز : وضعت انثى ، فقلت له : أتبيعها ؟ قال : و هل تبيع العرب أولادها ؟ قلت : إنما أشتري حياتها و لا أشتري رقّها ، قال : فبكم ؟ قلت : إحتكم قال : بالناقتين والجمل ، قلت : أذاك لك على أن يبلغني الجمل و إياها ؟ قال : بعتك ، فاستنقذتها منه بالجمل و الناقتين و آمنت بك يا رسول الله ﷺ

وقد صارت لي سنة في العرب أن أشتري كل موؤدة بناقتين عشراوين و حمل ، فعندي إلى هذه الغاية ثمانون ومأتا موؤدة ، قد انقذتهن ، فقال ﷺ : « لا ينفعك ذاك لأنك لم تبتغ به وجه الله ، وإن تعمل في إسلامك عملاً صالحاً تثب عليه » .

ومما يروى عن عاداتهم أن رجلاً منهم جاء إلى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه وجاء يوماً إلى الرسول ﷺ فقال : يا رسول الله ﷺ هل ترى لي من توبة ؟ فقال الرسول : إن الله هو التواب الرحيم ، قال : يا رسول الله إن ذنبي لعظيم فقال الرسول : ويلك إن عفو الله لأعظم فما ذنبك ؟ قال : اعلم يا رسول الله أني ذهبت في سفر بعيد وتركت أهلي حاملاً ، ورجعت بعد أربع سنوات ، فدخلت إلى بيتي فاستقبلتني أهلي ، فنظرت وإذاً في البيت بنت ، فقلت لأهلي :

إبنة من هذه ؟ فقالت : هي إبنة جيراننا ، فقلت في نفسي : بعد ساعة تذهب إلى بيت أهلها فصبرت ساعة فلم تذهب البنت وكانت أمها تخفي على أنها ابنتي خوفاً مني أن أقتلها ، فقلت لها : صدقيني الحديث إبنة من هذه ؟ فقالت : أما تركتني يوم سفرك حاملاً وقد ولدتها وهي إبنتك ، فثنيت وبقيت تلك الليلة قلقاً وإبرعاجاً لما بلغني من أنها بنتي حتى إذا قارب الفجر أن يسفر عن وجهه نهضت من فراشي ، ثم دنوت من البيت وهي نائمة فاحتدت بها من يدها وأنهضتها من فراشها ثم قلت :

اتبعيني إلى الحائط - البستان - وتناولت الرفش والقفة وأخذت أسير وهي تسير من خلفي حتى إذا وصلت إلى الحائط أخذت أحفر وهي ترفع معي التراب حتى إذا أكملت الحفر أخذتها تحت إبطها وأركستها في الحفيرة (هذا وعينا رسول الله ﷺ اغرورقتا بالدموع) ثم وضعت بسري على كتفها وأخذت أهيل التراب باليمنى عليها وهي ترفع رجلاً وتضع الثانية وتقول : أنتما أنت صانع بي ؟ ثم لا أغيرها إلتفاتاً ، وفي الأثناء وقع بعض التراب على لحيتي فمدت يدها و

أخذت تنفض التراب من لعينى

ومع ذلك كله مازلت أهيل عليها التراب حتى غيبتها تحته ، و تركتها تئن تحت التراب ، فقال رسول الله ﷺ - لو لم تسق رحمه الله عنه لكان حقاً عليه أن ينعل لكم الانتقام ، وأخذ الرسول يكفكف دموعه

﴿ البنات والنساء قبل الاسلام ﴾

وما ذكرناه آنفاً كانت زاوية من زوايا العادة الجاهلية بحق البنات عند العرب ، والتحقيق في أحوال النساء عامة وحياتهن قبل الاسلام يلهمنا بأنه ما كان لقبيل النسوة أي كيان قبل الاسلام بل كن أنزل مكانة من الحيوان أيضاً وأردن كياناً . وقد كانت المرأة عندئذ تشترى وتباع كالبهائم والمتاع ، وكانت تكره على الزواج والبغاء ، وكانت تورث ولا ترث ، وتملك ولا تملك ، وكان أكثر الذين يملكونها يحجرون عليها التصرف فيما تملكه بدون إذن زوجها ، وكانوا يرون للزوج الحق في التصرف بمالها من دونها .

ولقد كانت المرأة في نظر بعض الأجيال صفراً ، بل وتحت الصفر ، ففي الجيل الخامس الميلادي كانت تعتقد المجامع للنظر في : كون النساء إنساناً ذوات نفس وروح خالدة كالرجال أم هي دون الانسان رغم صورتهن الانسانية ؟ وفي كونهن تلقن الدين ؟ وتصح منهن العبادة أم لا تكليف لهن ؟ وفي كونهن تدخلن الجنة أو الملكوت في الآخرة أم لا ؟ فقد قرر أحد المجامع في رومية انها حيوان نجس لا روح له ولا خلود .

ولكن تجب عليهن العبادة والخدمة ، وأن يكمن فمهن كالبعير والكلب العقور لمنعهن من الضحك والكلام لأنهن احبولة الشيطان ، وكانت أعظم الشرائع تبيح للوالد بيع إبنته ، وكان بعض العرب يرون ان للأب الحق في قتل إبنته بل في وأدها ، وكان منهم من يرى انه لا قصاص على الرجل في قتل المرأة ولا دية

فقد كان العصر السابق على الإسلام عصر ضياع المرأة ، وكان للرجل كل حق عليها حتى وأدها دون أي نظام يطالبه بالتجريم أو يحكمه بالتحريم ، كأن الوأد هو القانون ، وهن على ذلك الحال حتى جاء الإسلام مشنعاً بهذه العادات ، ممتعهن بحقوقهن ، معتبرهن نفساً وروحاً واحداً ، وحلّلهن من وأدهن وحرمانهن حقوقهن ، ورفع لهن من درجاتهن كما يحق في كافة مجالات الحياة فردية وجماعية وكافيهن في مكانتهن أن تسمى سورة القرآن باسم النساء.

وتلوا عليهم وعليهن محمد رسول الله الأعظم ﷺ قول الله عز وجل : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات ١٣) وقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء) (النساء : ١)

فجعل الله تعالى الأنثى أصيلة في نظام الحياة أصالة الذكر ، بل ربما كانت أشد أصالة لأنها المستقر كما سميت بالرحم لذلك ، فحكمة الله عز وجل وقاعدة الحياة اقتضت أن تنشأ الحياة من زوجين ذكر وأنثى ، فكيف يعتم الإنسان إذا بشر بالأنثى وهو ولدها ، ولولاها لم يوجد هو أصلاً ؟

أيعقل أن تشمئز ثمرة الشجرة وتنفر عن أصولها ووجودها منها ، وإن نظام الحياة لا يقوم الأعلى وجود الزوجين دائماً ، ومن هنا تبدو قيمة العقيدة الإسلامية في تصحيح التصورات والأوضاع الاجتماعية ، وتتجلى الفطرة الكريمة القويمة التي تشهاها النفوس والمجتمعات تجاه المرأة ، فجاء الإسلام ، فما كانت المرأة هي المعصومة وحدها في المجتمع الجاهلي الوثني

إنما كانت الأنثى في أخص مقاييها معصومة لأن الأنثى نفس الإنسانية ، وإهانتها هدم لكل دوافع وإستعدادها وإستبعادها عن المجتمع الإنساني بما هي عليه الذي حدده الله تعالى بهذه الأصل العصر الإنساني الكريم وطلب زواله وضياعه تماماً ، وقتل الأنثى قتل نفس الإنسانية ، وإهدار لشطر الحياة ومصادمة لحكمة

الحق الأصيلة التي إقتضت أن يكون عليها الأحياء جميعاً إلا الفرد من الانسان ذكراً أو انثى وجاء الاسلام وقد كان بعض البشر من اوربة وغيرها يرون ان لمرأة لايصح أن يكون لها دين حتى كانوا يحرمون عليها قراءة الكتب المقدسة رسمياً. فجاء الاسلام محيطاً للرجال والنساء معاً بالتكاليف الدينية ، وكان يلقبهم بلقب المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات .

فكان أول إمرأة آمنت بمحمد رسول الله ﷺ زوجه ﷺ خديجة بنت خويلد ، وقد ذكر الله تعالى مبايعته ﷺ للنساء بنص القرآن الكريم كما بايع الرجال بما جاء به إذ يقول :

« يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم» الممتحنة ١٢)

فشتان بين الحالين حال الخروج عن دائرة الانسانية ، و حال إستعادة حالة الانبياء محمد المصطفى ﷺ لها . إذ كانت المرأة في العالم يومئذ لايحسب لها حساب ، وكانت فلاسفة وغيرهم يتجادلون في أمرها هل لها روح أم ليس لها روح أصلاً ولو فرض لها الروح ، فهل هي روح الانسانية أم روح الحيوانية ؟

و على فرض روح الانسانية لها ، فهل وضعها الاجتماعي والانساني بالنسبة إلى الرجل هو وضع الرفيق بالنسبة إلى السيدة أم هو شيء أرفع قليلاً من الرفيق؟ وحتى في الفترات القليلة التي إستمتعت فيها المرأة بشيء كريم إجتماعي مرموق سواء في اليونان أو في الامبراطورية الرومانية لم يكن ذلك بمنزلة للمرأة كعنصر ، وإنما كان لنساء ممتازات بسمتهن الشخصية أو لنساء العاصمة بوصفهن زينة للمجالس وأدوات من أدوات الترف التي يحرص الاغنياء والمترفون على إبرازها زهواً وعجباً

ولكنها لم يكن هي قط موضع الاحترام كمخلوق إنساني جدير بذاته أن

يكون له كرامة بصرف النظر عن الشهوات التي تحسه لمس الرجل، وظل الوضع كذلك في عهود الرق و الاقطاع في اوربا ، والمرأة في جهالتها تذل حيناً تذليل الترف والشهوة وتهمل حيناً كالحيوانات التي تأكل وتشرب و تحمل و تلد و تعمل ليلاً ونهاراً

«الاسلام والمرأة»

وقد علمت شأن المرأة ووضعها الانساني والاجتماعي قبل الاسلام وأن وضعها وشأنها في الاسلام ، من البديهيات الاسلامية التي لا يمكن الانكار ، ولو من الدين أشد عداوة على الاسلام ان المرأة في عرف الاسلام كائن إنساني لها روح إنسانية من نفس النوع الذي منه روح الرجل ، توجه إليها الخطابات القرآنية مثلها إلى الرجل سواء بسواء في موارد الانفاق ، وكل بحسبه في موارد التكليف

فالمرأة إذن الوحدة الكاملة في الأصل والمنشأ والمصير والمساواة الكاملة في الكيان البشري تترتب عليها كل الحقوق المتصلة مباشرة بهذا الكيان ، فحرمة الدم والعرض والمال والكرامة التي لا يجوز أن تلمس مواجهة وتعتدى ولا يجوز أن يتجسس عليها أو تقتحم الدور كلها حقوق مشتركة لا تمييز فيها بين جنس وجنس ، والأوامر والتشريعيات فيها عامة للجميع والجزاء في الآخرة واحد للجنسين

قال الله عز وجل : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة » (النساء : ١٢٤)

وقال : « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » (آل عمران : ١٩٥)

وتحقق الكيان البشري في الارض متاح للجنسين الأهلية للملك والتصرف فيه بجميع أنواع التصرف : من رهن وإجارة ووقف وهبة وبيع وشراء

واستغلال .

فتملك وتتصرف و تنتفع بشخصها مباشرة بلا وكالة و تعامل المجتمع بلا وسيط ولم يكتف الاسلام بتحقيق كيان المرأة في مسئلة الملكية ، بل حققه في أخطر المسائل المتعلقة بحياتها ، وهي مسئلة الزواج ، فلا يجوز أن تزوج بغير إذنها ، ولا يتم العقد حتى تعطى الاذن « لا تزوج الثيب حتى تستأمر و لا تزوج البكر حتى تستأذن وإذنها صماتها » فيصير العقد باطلاً إذا أعلنت انها لم تبد موافقتها [illegible] المرأة في غير الاسلام تحتاج إلى سلوك طرق ملتوية لتهرب من [illegible] لانها لا تملك شرعاً ولا عرفاً أن ترفض

وجاء الاسلام فأعطاها هذا الحق الصريح تستخدمه متى أرادت ، ويبلغ من تقدير الاسلام لمقومات الكيان البشري ـ في العصور التي كان يغشيها الجهل و الظلام ـ ان اعتبر العلم والتعلم ضرورة بشرية ، ضرورة لازمة لكل فرد لا لطائفة محدودة من الناس ، فقرر للملايين حق التعلم بل جعله فريضة وركناً من الايمان بالله عز و جل على طريقة الاسلام « التعلم و التعليم فريضة على كل مسلم و مسلمة »

وان الاسلام أول نظام في التاريخ العالمي نظر إلى المرأة على أنها كائن بشري لا يستكمل مقومات بشريته حتى يتعلم شأنها شأن الرجل سواء بسواء فجعل العلم فريضة عليها كما هو فريضة على الرجل ، ودعاها أن ترتفع بعقلها كما ترتفع بجسدها و روحها عن مستوى الحيوان بينما ظلت اروبا تنكر هذا الحق إلى عهد قريب و لم تستجب إليه إلا خضوعاً للضرورات

فاذا وصل تكريم الاسلام للمرأة إلى هذا الحد ، فلن يستطيع أحد ، مهما حق بالعناد أو بالتقليد من المعاند أن يقول ان فكرة الاسلام في كل هذه الامور قائمة على أن المرأة مخلوق ثانوي أو تابع في وجوده لمخلوق آخر ، أو ان دورها

في الحياة دون مثيل لا يؤبه له

ولو كان الأمر كذلك لما اعتنى بتعليمها والتعليم بالذات مشعر له دلالة خاصة ولكفى وحدها دون حاجة إلى المسائل الأخرى التي [illegible] لتحقيق الأمر في الإسلام وهو وضع كريم عند الله عز وجل

﴿ الما يزبين الرجل و المرأة فى الاسلام ﴾

ان الدين الاسلامى يقدم قرر المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة فى الانسانية والمساواة فى جميع الحقوق التى تتصل مباشرة بالكيان البشرى المشترك بين الجميع ، يفرق بين الرجل والمرأة فى بعض الحقوق و بعض الواجبات على أساس تقرير بهما الدكورة والانوثة ، وإن لم أكن هناك بصدد بيان مابينهما من الفروق لما سنفت مناتفصيلاً فى فصل النساء فراجع

وهذه صحف كثيرة تثيرها نساء المؤتمرات ويثيرها معهن كتاب ومصلحون وشباب ان الله تعالى يعلم انهم كم يريدون بدعوتهم وجه الاصلاح ، وكم يريدون بها أن يجعلوا سهلة التناول فى المجتمع وفى الطريق .

وقبل الاشارة إلى بعض المواضع التى يفرق فيها الاسلام بين الرجل والمرأة نرد المسئلة أولاً إلى جوهرها الحقيقى إلى أصولها الفسيولوجية والبيولوجية والسكولوجية ، ثم نستعرض بعد ذلك رأى الاسلام ثانياً .

هل هما جنس واحد أو جنسان مختلفان ؟ وهل هى طبيعة واحدة أم طبيعتان ؟ تلك عقدة الموضوع

فان أرادت نساء المؤتمرات وكتابهن ومصلحوهن وشبانهن أن تقولوا : ليس بين المرأة والرجل خلاف فى التكوين الجسدى والكيان الوجدانى و وظائف الحياة البيولوجية فعلى أن نرد عليهم ، وإن أقروا - إلا ولابد لهم - بوجود هذا الخلاف ، فهناك إذن أساس صالح لمناقشة الموضوع ، وتبعاً لهذا الاختلاف

الحاسم في المهمه و الأهداف إختلفت طبيعة الرجل والمرأة ليواجه كل منهما مطالبه الأساسيه،وقد زودته الحياةبكل التيسيرات الممكنه ، وصبغته،لتكييف الملائم لوظيفته .

و لذلك اذى كيف تستطاع هذه الثروة الدفاعة عن المساواة الآلية بين الجنسين ان المساواة في الانسانية أمر طبيعي ومطلب معقول ، فالمرأة و الرجل هما شقا الانسانية أوهما نصف التفاحة التي تشير إليها الاسطورة الشهيرة أما المساواة في وظائف الحياة وطرائقها فكيف يمكن تحديدها ، ولو أرادتها كل نساء الارض وعقدت من أجلها المؤتمرات ، وأصدرت القرارات هل في وسع هذه المؤتمرات و قراراتها الخطيرة ان تبدل طبائع الأشياء . فتجعل الرجل يشارك المرأة في الحمل والولادة والرضاع ...

وهل يمكن أن يكون هناك وظيفة بيولوجية من غير تكييف نفسي وجسدي خاص ؟ هل إختصاص أحد الجنسين بالحمل والرضاعة لايستتبعه أن تكون مشاعر هذا الجنس وعواطفه وأفكاره مهيأة بطريقة خاصة لاستقبال هذا الحادث الضخم و التمشي مع مطالبه الدائمة ؟

ان الامومة بكل مانحويه من مشاعر نبيلة وأعمال رفيعة ، وصبر على العهد المتواصل ودقة متناهية في الملاحظة وفي الأداء . هي التكييف النفسي والعصبي والفكري الذي يقابل التكييف الجسدي للحمل والارضاع كلاهما متمم للآخر متناسق معه بحيث يكون شذوذاً عجيباً أن يوجد أحدهما في عينة من الآخر ، و هذه الرعشة وهذه الرقة اللطيفة في العاطفة والانفعال السريع في وجدان والثورة القوية في المشاعر التي تجعل الخائف العاطفي لا الفكري هو النبع المستمد أبداً بالفيض المستحث أبداً بأول لمسة كل ذلك من مستلزمات الامومة ، لان مطالب الطفولة لاتحتاج إلى التفكير الذي فيسرع أو سطحي ، و قد يستجيب أو لايستجيب

وإنما تحتاج إلى عاطفة مشبوبة لا تفكر بل تلبي الداعي بلا تراخ ولا إبطاء، فهذا كله هو الوضع الصحيح للمرأة حين تلبي وظيفتها الأصيلة وهدفها المرسوم، وأن الرجل هو مكلف من جانب آخر بوظيفة أخرى، ومهيأ لها على طريقة أخرى مكلف بصراح الحياة في الخارج، سواء كان الصراح هو مجابهة الوحوش في الغابة أو قوى الطبيعة في السماء والأرض أو نظام الحكومة وقوانين الاقتصاد كل ذلك لاستخلاص القوت ولحماية ذاته وزوجه وأولاده من العدوان

هذه الوظائف لا تحتاج إلى أن تكون العاطفة هي المنبع المستحاش بل ذلك يضرها ولا ينفعها، فالعاطفة تنقلب في الحظات من النقيض إلى النقيض، ولا تصبر على إتجاه واحد إلا فترة تتجه بعدها إلى هدف جديد، وهذا يصلح لمطالب الأمومة المتغيرة المتقلبة ولكنه لا يصلح لعمل خطة مرسومة تحتاج في تنفيذها إلى الثبات على وضع واحد لفترة طويلة من الوقت

وإنما يصلح لذلك الفكر فهو بطبيعته أقدر على التدبير وحساب المقدمات والنتائج قبل التنفيذ وهو أبطأ عملاً من العاطفة الجياشة المتفجرة، وليس المطلوب منه هو السرعة ما هو تقدير الاحتمالات والعواقب، وتهيئة أحسن الأسباب للوصول إلى الهدف المنشود وسواء كان المقصود هو صيد فريسة أو إختراع آلة أو وضع خطة إقتصادية أو سياسة حكم أو إشعال حرب، أو تدبير سلم فكلها أمور تحتاج إلى إعمال الفكر ويفسدها تقلب العاطفة

فالرجل في وضعه الصحيح حين يؤدي هدفه الصحيح يفسر كثيراً من أوجه الخلاف بين الرجل والمرأة، فهو يفسر مثلاً لماذا يستقر الرجل في عمله ويمنحه الجانب الأكبر من نفسه وتفكيره بينما هو في الميدان العاطفي متنقل كالأطفال في حين أن المرأة تستقر في علاقتها العاطفية تجاه الرجل، وحينما تتجه إليه

فكأنما كيانها كله يتحرك ويدبر الخطط، ويرتب الملابسات وهي في هذا الشأن أبعد ما تكون نظراً وأشد ما تكون دقة ترسم أهدافها لمسافات بعيدة

وتعمل دائبة على تحقيق أغراضها بينما هي لا تستقر في العمل إلا أن [illegible] ما يلبي جزءاً من طبيعتها الانوثية كالتمريض أو التدريس أو الحضانة، أما حين تعمل في المتجر فهي تلبي كذلك جزءاً من عاطفتها بحثاً عن الرجل هناك، ولكن هذه الأعمال كلها بديل لا يغني عن الأصل، وهو الحصول على رجل و بيت و أسرة وأولاد.

وما أن تعرض الفرصة للوظيفة الأولى حتى تترك المرأة لتهب نفسها إلا أن تحول دون ذلك عائق قهري كحاجتها إلى المال، ولكن هذا ليس الفصل الحاسم القاطع بين الجنسين، ولا معناه أن كلاً منهما لا يصلح آية صلاحية لعمل آخر ... فالجنسان إذن خليط وعلى نسب متفاوتة متمايزة

فإذا وجدت إمرأة تصلح للحكم أو القضاء أو حمل الأثقال أو الحرب والقتال وإذا وجد رجل يصلح لإدارة البيوت أو الإشراف الدقيق على الأطفال أو الجنان الأنثوي أو كان سريع التقلب بعواطفه ينتقل في لحظة من النقيض إلى النقيض

فكل ذلك أمر طبيعي ونتيجة صحيحة لاختلاف الجنسين في كيان كل جنس، ولكنه خلو من الدلالة المزيفة التي يريد أن يلصقها به شذاذ الآفاق في الغرب المنحل والشرق المتفكك سواء

فالمسئلة في وضعها الصحيح ينبغي أن توضع على هذه الصورة هل كل هذه الأعمال التي تصلح لها المرأة زائدة على وظيفتها الطبيعية تغنيها عن هذه الوظيفة الأصلية تغنيها عن طلب البيت والأولاد والأسرة تغنيها عن طلب الرجل قبل هذا، وبعد ذلك ليكون في البيت رجل يصرف النظر عن شهوة الجنس [illegible] وهذا وما لم يذكر من حقيقة الخلاف بين طبيعة الرجل والمرأة [illegible] الفطرة البشرية كما كانت التسوية بينهما على أساس الفطرة البشرية بني عليها الإسلام و هو يدعو الناس إلى تزكية أنفسهم، و تهذيب طبائعهم و الارتفاع من غير تغيير الطبائع ..

فهو يجيء متمشياً مع الفطرة بعد تهذيبها وهو يسير في مسئله الرجل و المرأة على طريقته الواقعية المدركة لفطرة البشر ، فيسوى بينهما حيث تكون التسوية هي منطق الفطرة السليمة ، و يفرق بينهما كذلك حيث تكون التفرقة هي منطق الفطرة السليمة ، فيسقي لكل إنسان مفتوح العين، سليم القلب أن ينظر إلى أهم مواضع التفرقة من تقسيم الارث ومسئلة القوامة .

إذ يقول الاسلام في الارث: « للذكر مثل حظ الانثيين» (النساء: ١١) ذلك حق لكنه يجعل الرجل هو المكلف بالانفاق ، ولا يتطلب من المرأة أن تنفق شيئاً من مالها على غير نفسها وزينتها إلا حيث تكون العائل الوحيد لأسرتها ، و هي حالات نادرة في ظل النظام الاسلامي لان أي عاصب من الرجال مكلف بالانفاق و بعدت درجته

فأين العلم الذي يزعمه دعاة المساواة المطلقة ان المسئلة مسئلة حساب لا عواطف ولا ادعاء تأخذ المرأة - كمجموعة - ثلث التركة الموروثة لتنفقها على نفسها ، ويأخذ الرجل الثلثين التركة ليعفقها أولاً على زوجة - أي على إمرأة - و ثانياً على اسرة وأولاد - فأيهما يصيب أكثر من الآخر بمنطق الحساب والارقام، وإذا كانت هناك حالات نادرة لرجال ينفقون كل ثروتهم على أنفسهم و لا يتزوجون ولا يكونون اسرة ، فتلك أمثلة نادرة وهم على أي حال ينفقون جزءاً من الثروة على النساء من غير الطريق الشريف

وإنما الامر الطبيعي أن ينفق الرجل ثروته على بناء اسرة فيها إمرأة طبيعة المآل هي الزوجة، وهو ينفق عليها لا تطوعاً منه بل تكليفاً ، ومهما كانت ثروتها الخاصة فلا يحق لها أن تأخذ منه شيئاً ألبته إلا بالتراضي الكامل بينهما و عليه أن ينفق عليها كأنها لا تملك شيئاً ، ولها أن تشكوه إذا امتنع عن الانفاق أو قترفيه بالنسبة لما تملك ويحكم لها الشرع بالنفقة أو بالانفصال .

فهل بقيت بعد ذلك شبهة في القدر الحقيقي الذي تناله المرأة من مجموع

الثروة ؟ و هل هو إعتبار حقيقي في حساب الاقتصاد أن يكون للرجل مثل حظ الانثيين ، وهو مكلف بالانفاق الذي على أن هذه السنة إنما تكون في المال الموروث بلا تعب ؟ فهو يقسم حسب أعدل قانون وصلت إليه البشرية اليوم وهو «لكل حسب حاجته »

ومقياس الحاجة هو التكاليف المسوطة بمن يحملها أما المال المكتسب فلا تفرقة فيه بين الرجل والمرأة لا في الأجر على العمل، ولا في ربح التجارة، ولا ريع الارض

«عصر الفضاء والجاهلية الاخرى»

ان الدين الاسلامي منذ بزوغه قد منح النساء الانسانية، وقد سلبت عنهن من قبل إذ كان بعض البشر من الافرنج وغيرهم يعدونهن من البهائم تارة، ومن الشياطين تارة اخرى لا من نوع الانسان ومعهم كانوا شاكين في ذلك

و ان المرأة الفرنسيه لا تزال إلى اليوم مقيدة بارادة زوجها في جميع التصرفات المالية و العقود القضائية . و ان دولة الولايات الأمير يكية لم تمنح النساء حتى التملك و التصرف إلا من عهد قريب من قرن رابع عشر بعد أن الاسلام منحهن منذ أربعة عشر قرناً

وحقاً ان النسوة تقهقرت إلى ما كانت قبل الاسلام إذ حالت الثورة الصناعية التي كانت الكارثة التي لم تصب المرأة بشر منها في تاريخها الطويل، لقد كانت الطبيعه الاوربية في جميع عهودها كرة حاجة لا تسخو ولا ترتفع إلى مستوى التطوع النبيل الذي يكلف جهداً ولا يعيد مالاً أو نفعاً قريباً أو غير قريب

ولكن الاوضاع الاقتصادية في عهدي الرقي والاقطاع ـ تقسيم الأراضي ـ و التكتل الذي كانا يستلزمانه في البيئة الزراعية حملا تكليف الرجل اعالة المرأة هو الامر الطبيعي الذي تقتضيه الظروف فضلاً عن أن المرأة كانت تعمل في المنزل في الصناعات البسيطة التي تتيحها البيئة الزراعيه ، فكانت تدفع ثمن اعالتها بهذا العمل

ولكن الثورة الصناعية قلبت الاوضاع كلها في الريف والمدينة على السواء

فقد حصلت كيان الأسرة و حلت روابطها بتشغيل النساء و الأطفال في المصانع فضلاً عن إستدراج العمال من بيئتهم الريفية القائمة على التكافل والتعاون إلى المدينة التي لا يعرف فيها أحد أحداً ولا يعول أحد احداً، وإنما يستقل كل إنسان بعمله و متعته وحيث يسهل الحصول على المتعة الجنسية من طريقها المحرم، فتهبط الرغبة في الزواج و كفالة الأسرة أو تتأخر سنوات طويلة على الأقل.

فالثورة الصناعية في أوربا شغلت النساء والأطفال، فحطمت روابط الأسرة وحلت كيانها، ولكن المرأة هي التي دفعت أفدح الثمن من جهدها و كرامتها وحاجاتها السيكلوجية والمادية، فقد نكل الرجل عن إعالتها من ناحية، وفرض عليها أن تعمل لتعول نفسها حتى لو كانت زوجة وأم و استغلتها المصانع أسوأ إستغلال من ناحية اخرى، فشغلتها ساعات طويلة من العمل وأعطتها أجراً أقل من الرجل الذي يقوم معها بنفس العمل في نفس المصنع

فلا تعترف أوربا بالكرامة للانسان من حيث هو إنسان ولا تتطوع بالخير حيث يستطيع أن تعمل الشر وهي آمنة تلك طبيعتها على مدار التاريخ في الماضي والحاضر والمستقبل إلا أن يشاء الله تعالى لها الهداية والارتفاع. وإذ كانت النساء والاطفال ضعفاً، فما الذي يمنع من إستغلالهما والقسوة عليهما إلى أقصى حد؟ ان الذي يمنع من ذلك شيء واحد فقط وهو الضمير ومتى كان لاوربا ضمير؟

ومع ذلك فقد وجدت قلوب إنسانية حية لا تطيق الظلم، فهبت تدافع عن المستضعفين من الاطفال فقط، فراح المصلحون الاجتماعيون يندّدون بتشغيلهم في سن مبكرة و تحميلهم من الاعمال ما لا تطيقه بنيتهم الغضّة التي لم تستكمل نصيبها من النمو وسآله اجورهم بالنسبة للجهد العنيف الذي يبذلونه و نجحت الحملات، فرفعت رويداً رويداً سن التشغيل و رفعت الاجور و خفضت ساعات العمل أما المرأة فلم يكن لها نصير، فنصرة المرأة تحتاج إلى قدر من إرتفاع المشاعر لا تطيقه أوربا لذلك ظلمت في محنتها تنهك نفسها في العمل - مضطرة

لا عالة نفسها و تتناول أجراً أقل من أجر الرجل مع إتحاد الانتاج و الجهد المبذول

وجاءت الحرب العظمى الاولى و قتل عشرة ملايين من الشباب الأوربيين و الأمر بكان و واجهت المرأة قسوة المحنة بكل بشاعتها ، فقد وجدت ملايين من النساء بلا عائل ، إما لأن عائلهن قد قتل في الحرب أو شوه أو فسدت أعصابه من الخوف والذعر والغارات السامة والخانقة ، وإما لأنه خارج من جنس السنوات الاربع يريد أن يستمتع ويرفه عن أعصابه ، ولا يريد أن يتزوج ويعول أسرة تكلفه جهداً في المال والاعصاب

ومن جهة اخرى لم تكن هناك أيد عاملة من الرجال تكفي لاعادة تشغيل المصانع لتعمير ما خربته الحرب ، فكان حتماً على المرأة أن تعمل وإلا تعرضت للجوع هي ومن تعول من العجائز والاطفال كان حتماً عليها كذلك ان تتنازل عن أخلاقها ، فقد كانت أخلاقها قيداً حقيقياً يمنع عنها الطعام ان صاحب المصنع ، وموظفيه لا يريدون مجرد الأيدي العاملة فهم يجدون فرصة سانحة والطير يسقط من نفسه - جائعاً ليلتقط الحب فما الذي يمنع من الصيد ألعله الضمير وما دامت قد وجدت - بدافع الضرورة - إمرأة تبذل نفسها لتعمل - فلن تتاح العمل إلا للتي تبذل نفسها للراغبين .

ولم تكن المسئلة مسئلة الجوع إلى الطعام فحسب ، بل الجنس حاجة بشرية طبيعية لا بد لها من الشباع ولم يكن في وسع الفتيات أن يشبعن حاجتهن الطبيعية ولو تزوج كل من بقي حياً من الرجال بسبب النقص الهائل الذي حدث في عدد الرجال نتيجة الحرب ولم تكن عقائد اوربا وديانتها تسمح بالحل الذي وضعه الاسلام لمثل هذه الحالة الطارئة وهو تعدد الزوجات

لذلك لم يكن بد للمرأة أن تسقط راضية أو كارهة لتحصل على حاجة الطعام وحاجة الجنس وترضي شهوتها إلى الملابس الفاخرة ، و أدوات الزينة و

للراغبين فيها ، وتعمل في المصنع و المتجر وتشبع رغائبها عن هذا الطريق أو ذاك ، ولكن قضيتها زادت حدة فقد استغلت المصانع حاجة المرأة إلى العمل و استمرت في معاملتها الظالمة التي لا يبررها عقل ولا ضمير ، فظلت تمنحها أجراً أقل من أجر الرجل الذي يؤدي نفس العمل في نفس المكان

ولم يكن من بد من ثورة ثورة جامحة تحطم ظلم أجيال طويلة وقرون ، وماذا بقي للمرأة لقد بذلت نفسها وأنوثتها و كرامتها وحرمت من حاجتها الطبيعية إلى أسرة وأولاد تحس بكيانها فيهم وتضم حياتهم إلى حياتها ، فتشعر بالسعادة و الامتلاء ـ أفلا تنال مقابل ذلك ـ على الأقل ـ المساواة في الأجر مع الرجل حقها الطبيعي الذي تقرره أبسط البديهيات ...

و لم يتنازل الرجل الأوربي عن سلطانه بسهولة أو قل لم يتنازل عن أنانيته التي فطر عليها و كان لابد من إحتدام المعركة وإستخدام جميع الأسلحة الصالحة للعراك إستخدمت المرأة الاضراب والتظاهر ، واستخدمت الخطابة في المجتمعات ، واستخدمت الصحافة ثم بدا لها انها لابد أن تشارك في التشريع لتمنع الظلم من منبعه ، فطالبت أولاً بحق الانتخاب ثم بالحق الذي يلي ذلك بحكم طبائع الاشياء ..

وهو حق التمثيل في «البرلمان» وتعلمت على نفس الطريقة التي يتعلم بها الرجل لانها صارت تؤدي نفس العمل ، وطالبت كنتيجة منطقية لذلك أن تدخل وظائف الدولة كالرجل ماداما قد أعدا بطريقة واحدة ، وبالادراسة واحدة ، تلك قصة «كفاح المرأة لنيل حقوقها» في اوربا قصة مسلسلة كل خطوة فيها لابد أن تؤدي إلى الخطوة التالية رضي الرجل أو كره ، بل رضيت المرأة أو كرهت ، فهي ذاتها لم تعد تملك أمرها في هذا المجتمع الهابط المنحل الذي افلت منه الزمام

ومع ذلك كله فقد تعجب حين تعلم ان « انجلترا ـ أم الديمقراطية » ما تزال إلى هذه اللحظة تمنح المرأة أجراً أقل من أجر الرجل في وظائف الدولة رغم ان في مجلس العموم نائبات محترمات وقد كانت شرائع أوربا «المتحضرة»

تحرم المرأة من كل حقوق أثبتها لها الاسلام من الأهلية للملك والتصرف فيه بجميع أنواع التصرف من بيع وشراء واستغلال ورهن وإجارة ووقف . . وكل مايشترك فيه الرجل والمرأة .

تحرم إلى عهد قريب وتجعل سبيلها الوحيد إليها من طريق الرجل زوجاً أو أباً أو ولي أمر أي ان المرأة الاوربية ظلت أكثر من اثنى عشر قرناً بعد الاسلام لاتملك من الحقوق ما أعطاها الاسلام ، ثم هي حين ملكتها لم تأخذها سهلة ولا احتفظت بأخلاقها وعرضها وكرامتها ، وإنما احتاجت لان تبذل كل ذلك ، وتتحمل العرق والدماء والدموع لتحصل على شيء مما منحه الاسلام . كعادته تطوعاً و وإنشاء لاخضوعاً لضرورة إقتصادية ولا إذعاناً للصراع الدائر بين البشر

ولكن إحساساً منه بالحق والعدل الأزليين ، وتطبيقاً لهما في واقع الامر لافي عالم المثل والاحلام وان الشيوعيين خاصة والغرب عامة يعتبرون الكيان البشري هو الكيان الاقتصادي ، ويقولون صراحة ان المرأة لم يكن لها كيان لانها لم تكن تملك أو لم يكن لها حق التصرف فيما تملك ، وانها صارت مخلوقاً آدمياً فقط حين إستقلت إقتصادياً أي حين صار لها ملك خاص مستقل عن الرجل تستطيع أن تعيش منه وتتصرف فيه .

وبالجملة ان الجاهلية الاخرى الشرقية والغربية في عصر الفضاء باسم التمدن وألفاظ بارقة خادعة ترى المرأة جديداً تصنع بها القناطر يعبر عليها الانسان والحيوان .

وأما الدين الاسلامي من بزوغه إلى يوم القيامة يرى المرأة ذهباً و أغلى منه من الجواهر التي لابد من حفظها من دس الايدي الخبيثة السارقة . ففي حفظها في الصندوق دلالة على فضلها في السعر على الحديد وما إليه من المعادن التي لاتحتاج حفظها في إلى الصندوق

المرأة المغبونة في تاريخ الحياة وفي الجاهلية المعاصرة

المحنة الانسان وسر مأساته في ظل الحضارات المادية الحديثة تكمن في تلك الأزمة الكبرى في المبادئ العقائدي ، وإرتباك المفاهيم و الأفكار التي تملي عليه المواقف ، و تحدد نظرته إلى الأشياء من حوله و ترسم علاقاته وروابطه الانسانية مع أبناء نوعه فيكفي الباحث و المحلل أن يلقي نظرة عابرة على طبيعة و ظاهر الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و الأسرية والنفسية التي يعانيها إنسان الحضارة المادية الحديثة المعاصرة ليكتشف من خلال هذه المعاناة عقدة الحضارة وصورة المأساة المرة من الظلم والكبت والضياع والحرمان .

وإذا حاول المرء إرجاع هذه الظواهر الاجتماعية والنفسية و الفكرية إلى أصولها التاريخية سيجدها حلقة وثيقة الارتباط سلسلة التاريخ الجاهلي على وجه هذه الأرض وصورة تجمعت خطوطها عبر آماد العصور الجاهلية السحيقة في قرار الزمن المعاصر لتشكل أضخم حجم حضاري لتحنيط الانسان وصياغته الفكرية والنفسية ، و لترسم صورة ذلك الانسان المشوه الذي تلونت فطرته ، و انحرفت جبلته عن قانون الطبيعة البشرية ، وخط لاستقامه والخير الذي يقود الانسان إلى صنع الحياة في ظل قيم ومفاهيم إنسانية يشكل في ظلها إنسانيته الرفيعة ، ويعبر من خلالها عن هويته وذاته الفطرية السليمة ..

و من تلك المفاهيم والقيم ، و العلاقات المشوهة المنحدرة من أعماق

التاريخ الجاهلي للإنسان. والمنصبة في ظل الحضارة المادية الحديثة هو مفهوم هذه الحضارة عن المرأة والجنس والأسرة وعلاقة الرجل بالمرأة. فتاريخ هذه المفاهيم والقيم والعلاقات يحدثنا عن صورة مأساوية وطبيعة وحشية أساءت لقانون الحياة، وحادت عن نظام الطبيعة والفطرة البشرية. ووضعت المرأة في مواضع لا تتناسب، ووضعها الإنساني في بيئة الحياة، فاضطربت نتيجة لهذا الفهم والوضع موازنة الحياة الاجتماعية، واختلت معادلة العلاقة الإنسانية بين الرجل والمرأة.

وصارت المرأة تعاني من شقاء المجتمع وسوء معاملة الرجل ووحشية القوانين، أشد المعاناة بدأ بأقدم العصور وإنتهاءاً بالحضارة المادية الحديثة، فكل تلك الحضارات والقوانين - إلا ما ندر - تعتبر المرأة سلعة من سلع الحياة وأداة من أدوات المتعة، وأسيرة لا تملك من أمرها شيئاً، ومخلوقاً لا يتمتع بالخصائص الإنسانية التي يتمتع بها الرجل، بل اعتبرت المرأة مصدراً للشرور في هذا العالم وسبباً للخطيئة ورجساً يجب التطهر منه. وحتى في الشعوب التي اعتبر أهلها أصحاب مدنية وحضارة كاليونان والرومان، فإن المرأة كانت محرومة من حقوقها المدنية وخاضعة لتصرف الأب والزوج خضوع العبيد والأسرى.

كما هو حالها في ظل المفاهيم اليهودية المحرفة التي إعتبرت المرأة سبباً للخطيئة والإثم إنطلاقاً من الأسطورة اليهودية القائلة بأن المرأة هي السبب لخطيئة آدم وإغوائه وإخراجه من الجنة، فقد نصّت التوراة - توراة اليهود المحرفة - «المرأة أمرّ من الموت وإن الصالح أمام الله ينجو منها رجلاً واحداً بين ألف وجدت أما إمرأة فبين كل أولئك لم أجد ...»

واعتبرت المرأة في ظل هذا الفهم اليهودي المحرف لشريعة موسى الإلهية اعتبرت متاعاً يورث وسلعة تباع، فقد جاء في الإصحاح الثاني والأربعين من سفر أيوب عليه السلام «لم توجد نساء جميلات كنساء أيوب في كل الأرض وأعطاهن أبوهن ميراثاً بين إخوتهن» وبحكم هذه الشريعة إذا توفي شخص بدون أن

يتحد أولاداً ذكوراً تصح أرملته ـ وهي المسماة عند اليهود (ياباماه) ـ زوجة تلقائية لشقيق زوجها أو أخيه لأبيه ـ ويسمى عند اليهود (يابام) رضيت بذلك أم كرهت وتحل عليه نفقتها وميراثها إذا ماتت ، وأول ولد ذكر يجيء من هذا الزواج يحمل إسم زوجها الاول ، ويخلفه في تركته و وظائفه ، و ينسب إليه لا إلى زوجها الحالي، فيخلد بذلك إسم زوجها الاول، ولايمحى من سجل إسرائيل، ولايجوز (لديا باماه) أن تتزوج من غير (اليابام) إلا إذا خلعها بطريقة تسمى في شريعتهم (الحليصاه) ويتم هذا الخلاص في طقوس عربية ينص عليها سفر (التثنية) إذ يقول :

إذا لم يرغب هذا الأخ في الزواج بأرملة أخيه، فانه يجب عليها أن تتشخص إلى مجلس شيوخ بني إسرائيل ، وتذكر لهم أن أخ زوجها قد عزف عن تخليد إسم أخيه بسجل إسرائيل، فلم يرغب في الزواج بها، وحينئذ يستدعيه أعضاء هذا المجلس ويحضونه على العدول عن رأيه ، والزواج من إمرأة أخيه، فاذا لم يذعن لرأيهم ، وظل متشبثاً برأيه ، تقدمت إليه إمرأة أخيه وخلعت نعليه وبصقت في وجهه قائلة هكذا يجب معاملة من لايعمر منزل أخيه ، وسيطلق على منزله إسم (منزل الحافي) من لانعل له

و قد أقرت ذلك المادة (٣٦) من كتاب الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية للاسرائيليين بمصر إذ تقرر أن المتوفى عنها زوجها إذا لم يترك أولاداً ذكوراً ، و كان له شقيق أو أخ لأب اعتبرت زوجته له شرعاً ، ولاتحل لغيره مادام حياً إلا إذا تبرأ منها ، بل ان شريعة حكماء اليهود لتبيح للوالد المعسر أن يبيع إبنته بيع الرقيق لقاء ثمن يقرض به أزمته . وأكثر من ذلك ان هذه الشريعة المتحرفة المنحرفة إعتبرت البنت سلعة تباع وتشترى

و أما حالة المرأة في الجاهلية العربية قبل الاسلام ، فهي صورة أخرى من صورة المأساة المريرة التي عاشتها المرأة ...

إذ كانت العرب تعتبر المرأة سوءة وتكره وجودها، وتخاف العار وتبعات السبي ويتمنى العربي وقتها لو لم يولد له أنثى ولم يزوجها، وقد بلغ الحقد والكراهية كل مدى في نفوس هذا الصنف من الرجال القساة إلى درجة راح معها بعض الآباء يدفن ابنته حية بعد الولادة أو عند ما تصير حية تدرج وتلعب.

ونتيجة لهذا المنطق الغلط والتصور الباطل كانت المرأة سلعة ومتاعاً في مفهوم ذلك المجتمع الجاهلي إلى درجة كان الابن يتزوج زوجات أبيه وقد سجل القرآن الكريم هذه الصورة الاجتماعية البشعة لجاهلية العرب، مستنكراً كل أوضاعها وتصوراتها ومواقفها من المرأة، قال الله عز وجل «وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون» النحل ٥٨-٥٩)

وقال «وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت» التكوير ٨-٩)

وقال «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً» النساء: ٢٢)

وأما المفاهيم الكنسية فقد بنت أفكارها على حطام أفكار حكماء اليهود وأحبارهم، وقد جاء هذا الموقف الكنيسي من المرأة واضحاً محدداً على لسان أحد أقطاب المسيحية الأول وأئمتها، مبيناً نظرية المسيحية المحرفة في المرأة «إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان وإنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة ناقضة لقانون الله ومشوهة لصورة الله أي صورة الرجل.» وكذلك يقول (كرائي سوستام) الذي يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن المرأة «هي شر لا [illegible] وسوسة [illegible] مرغوب فيها، وخطر على الأسرة [illegible] مغرية [illegible]»

وكان طبيعياً [illegible] الحضارة الأوربية المادية الحديثة أن تنشأ ردود فعل معاكسة ضد المفاهيم اليهودية والكنسية الهمجية الخرافية المتخلفة من

قبل شعوب أوربا وأمريكا وغيرها من الشعوب التي خضعت قروناً من الزمن لهذا التفكير .

وكان طبيعياً أن تتحطم هذه النظرية عن الجنس والمرأة وعلاقتها بالرجل والحياة والحضارة ، وكان طبيعياً أن تكوّن أوربا المادية نظريتها عن هذه الموضوعات على أساس موروثات اليونان والرومان الحضارية من جهة ، وعلى أساس ردّ الفعل المعاكس لوضع المرأة المأساوي في ظل مجتمعها الذي ورث مفاهيمه وقوانينه وقيمه من المفاهيم اليهودية والمسيحية المشوّهة ، فانبرت هذه النظرية تنادي بتحطيم المفاهيم الخرافية الباطلة التي كوّنتها تلك الحضارات المنحرفة والشاذة ، وترفع شعار الاباحة الجنسية ، وتنادي بما يسمى بتحرير المرأة

ولم يكن هذا الاتجاه إلاّ نتيجة طبيعية للمفهوم الاخلاقي المادي للذة والجنس والاستمتاع والتعامل الغريزي الذي رفعته الحضارة الاوربية المادية ضد أوضاع المرأة ومفهوم الجنس والعلاقة بين الرجل والمرأة والحياة في مجتمعها الذي خطّطت الحياة والمفاهيم والعلاقات الاجتماعية فيه أفكار الكنيسة المتحجّرة ، وبقايا الفكر اليهودي المنحرف مما أركس المرأة في ظلّ هذه الحضارة في أوحال السقوط وشدّد خناق المأساة الاجتماعية من حولها فلم يمهلها هذا التيار فرصة الخروج من محنة الاحتقار والعبودية والاستهانة بانسانيتها حتى أسقطها في فوضى الاستمتاع الشهواني ، وضياع المقاييس وألم المعاناة والشقاء النفسي والعائلي الذي منيت به على يد هذه الحضارة المريضة المهزوزة ، فأصبحت كالمستجير من الرمضاء بالنار ..

والذي يتابع أوضاع المرأة التي صنعتها هذه الحضارة في أوربا وأمريكا واليابان وروسيا وبقية أنحاء العالم المتأثر بهذا التيار المادي يشاهد وضاعاً شاذة ويلاحظ نتائج مؤلمة ، ويدرك ان حضارة هذا الانسان الجاهلي ستنهار ، و

الذكر هذه الحقائق بتعبير فني يصور الحقيقة ويصورها، وأنها تكرر التحذير الأمم الحديثة المعرضة لنفس الخطر الذي تحدث عنه القرآن الكريم منذ نزوله

«كانوا من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون» التوبة ١٦٩

وعلى الرغم من دعاوى الحضارة بتحرير المرأة وتبيان حقوقها ومساواتها بالرجل، إلا أن مشكلة المرأة في الجنس وعلاقته مع الرجل والمجتمع أصبحت خطراً يهدد سعادة المرأة والأسرة والمجتمع، وكانت هذه الدعوات سبباً لشقاء المرأة وضياعها إن لم نقل إنها هي الأرقام والإحصائيات تخرج علينا في كل يوم بحقائق مفزعة وإحصائيات مذهلة، تشكل مجموعها صوت الخطر، وإرهاصات السقوط، ونعرض على إيجاز هذه الحقائق أن نعيد النظر في فهمنا وتصورنا للجنس والمرأة والرجل والعلاقة الاجتماعية بينهما ...

ولكي نضع بين يدي القارئ شهادة مؤلمة بأرقام الإحصاء ونتائج الدراسات نورد في هذا المجال إحصائية تحكي لنا جانباً من صورة المأساة والضياع المروع في ظل الحضارة الحديثة لمشكل الأسرة: الطلاق والزنا والإسقاط عبر الشرعيين وتعاسة المرأة والرجل الأسرية ... فمثلاً:

يقول الاتحاد الأمريكي لخدمات الأسرة «أصبح انهيار الأسرة والذي وصل الآن إلى ذروته والمشكلة الاجتماعية الأولى، لكن عدم فصل الطلاق بين أكثر من مليون شخص والمعدل الحالي هو ضعف أضعاف ما كان قبل مائة سنة وأصبح عدد الأطفال غير الشرعيين ثلاثة أضعاف ما كان سنة ١٩٣٨ م ويولد سنوياً (٣) ملايين طفل غير شرعي في الولايات المتحدة

وجاء في تقرير آخر

«... وهل يعلم القارئ الذي يقرأ هذا التحقيق أنه منذ إلى أن نسبة جرائم

القتل في نطاق الأسرة هي حالات قتل زوج لزوجته وإن (١٥٪) من جرائم الأسرة هي حالة قتل أبوين لأبنائهما »

وفي إستفتاء جرى مؤخراً تحت إدارة اليونسكو كانت النتيجة أن (٦٠٪) من الزوجات الأمريكيات والزوجات الأوربيات يشعرن بالخيبة والشقاء وعدم الرضا »

وجاء في تقرير آخر

« والمشكلة الخطيرة في المجتمع الشيوعي الروسي هي أن في كل حالتي زواج تحدث حالة طلاق في معظم المدن الروسية الغربية »

نلاحظ من هذا التقرير أن الإسلام رغم محاربة الشيوعية الملحدة له في المناطق الإسلامية الخاضعة للاستعمار الروسي فإنه ما زال يؤثر في المسلمين هناك ويقلل من مشاكل الأسرة والمرأة في المناطق الشرقية من الاتحاد السوفيتي حيث أن مشاكل الأسرة تتركز خطورتها في المناطق غير الإسلامية

وجاء في التقرير المتقدم « ففي موسكو مثلاً بعد ولادة الطفل الأول تحدث سبع وأربعون حالة طلاق من كل مأة حالة زواج ، وفي منطقة (مافادنسك) نسبة الطلاق ٧٢,٩٪

ودعى مؤتمر الأطباء الذي عقد في جامعة موسكو عام ١٩٧٥م إلى إتخاذ خطوات مستعجلة لمعالجة هذا الاضطراب الاجتماعي الخطير ، وهو نسبة الطلاق المرتفعة وكذلك إنخفاض نسبة الولادة ... »

﴿ الموؤدة في عصر التمدن ﴾

ولا أظن أن أحداً من أهل الفضل المتدبرين في الشؤون الاجتماعية وأوضاع المجتمع البشري أن يظن الآن ان البنات خلصن من الوأد ، وفي عصر تحضّر المرأة وتقدمها مع كل ما وصلت إليه المدنية الحديثة ، لأن كل عاقل سليم القلب ذي الغيرة يرى البنات في عصر التمدن والقضاء موؤدة أسوأ مما كانت في الجاهلية الاولى ، وان الآيات الكريمة تندد بمن تئد البنات أيّاً كان وأداً في التراب أم وأداً في بنات قبل الولادة وبعدها ، جسدانياً أم روحياً ، وأحرى أن يسمى الوأد الروحي وأداً ! فانه بعد عن حياة الروح ، وذلك عن حياة الجسم

فإذا كانت الجاهلية الاولى تئد البنات ، فالجاهلية المتحضرة تئدهن مع الذكور بعملية الاجهاض المتبعة في كافة البلاد ، وتئدهم جميعاً بالامراض التناسلية الناتجة عن تفشي الفحشاء والخلط بين الجنسين ، لحدّ تولد الولائد المرضى ، المبتلين بالامراض المهلكة ، أم تقتلها قبل ولادتها ، وما إلى ذلك من ألوان الوأد لحدّ لا يحصى ، وإذا كانت الجاهلية الاولى تدفن البنات تحت التراب مخافة الفقر أو العار ، فالجاهلية الأخيرة تدفنهن بشبابها وتدفعها إلى كل عار ودمار وبوار خلقي ورذالات جنسية همجية ، وأداً لكرامتها ودفناً لانسانيتها ، جاهلية أعمى من الاولى ، غليظة الحس ، حيوانية التصور ، هابطة في درك البشرية إلى حضيض مهين وضلال مبين ، فقدت المرأة ميزتها الانسانية ، وانحطت إلى أحط الورطات والنكبات الحيوانية لحدّ تورن بثقل جسدها وجمالها وشبابها

وبصائرها الجنسية كأنها حيوانية خلقت لأوضاع ناحية الجنس ليس إلاّ.

فهل يا ترى إن وأد البنات وقتلهن في أجسادهن مخافة الفقر والعار المزعومين هو أنه أوحش وأفحش؟ أم دفنهن في الملاهي والشهوات والدرعات وألوان العار والبوار، أن يصبحن لعبة للرجال دونما حدّ ولا حجر، نتيجة عدم الاكتراث بشأنهن؟

فهذا دفن الروح والجسم معاً، وذاك دفن الجسم، هذا دفن المثل العليا والقيم الانسانية وذاك دفن القيم الجسدانية، فهو أشد من قتل الأجساد ووأدها، وكما توحي إليه آيات عدة «والفتنة أشد من القتل ـ أكبر من القتل» البقرة (١٩١ـ٢١٧)

وأنه فتنة أشد وأكبر من فتنة اللامبالاة بين الفتيان والفتيات الناتجة عن تركهم سدى في خوضهم يلعبون وفي غيّهم يعمهون وتركهن طلاقة العنان

وقد يفسّر الامامان الباقر والصادق عليهما السلام القتل في الآية الكريمة «من قتل نفساً بغير حق أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً» المائدة ٣٢) بقتل الروح وعلى حدّ قولهما «من أخرجها من هدى إلى ضلال فقد قتلها» بياناً لأهم المصاديق كما يفسّر الحياة أيضاً بحياة الروح «ومن أحياها فكأنما أحيى الناس جميعاً» المائدة ٣٢) أي من أخرجها من ضلال إلى هدى، من باطل إلى حق، من شر إلى خير، من كفر إلى يمان، ومن معصية إلى طاعة الله جلّ وعلا

فسؤال الموؤدة يوجه إلى الآباء الخالين قبل أن يوجّه إلى القدامى حيث أن القتل في عصور الحضارة والفضاء أشد وأكبر منه في الجاهلية الاولى

تمت سورة التكوير والحمد لله الاولى والآخرة
وصلى الله على محمد وآله الطاهرة

فهرس ماجاء في تفسير سورة النازعات

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة مسيرة

		رقم الصفحة
الاولى	فصل السورة وخواصها	٣
الثانية	عرض السورة	٧
الثالثة	حول النزول	٨
الرابعة	القراءة ووجهها	١٠
الخامسة	الوقف والوصل ووجهها	١١
السادسة	حول اللغة	١٣
السابعة	بحث نحوي	٣٣
الثامنة	بحث بياني	٤٤
التاسعة	إعجاز السورة	٦٧
العاشرة	حول التكرار	٧٦

		رقم الصفحة
الحادية عشر	حول التناسب	٧٩
الثانية عشر	بحث في الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه	٨٢
الثالثة عشر	تحقيق في الأقوال وبيان المختار منها	٨٣
الرابعة عشر	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل	١١١
الخامسة عشر	ذكر جملة المعاني	١٤١
السادسة عشر	بحث روائي	١٤٧
السابعة عشر	بحث فقهي	١٥٧
الثامنة عشر	بحث مذهبي	١٥٩

الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سورة الذاريات وفيها ثلاثة عشر أمراً

		رقم الصفحة
احدها	تحقيق عميق علمي وإجتماعي في حقيقة الخوف	١٦٢
ثانيها	بحث علمي وفلسفي في حدوث الخوف وإزدياده	١٦٨
ثالثها	تحقيق علمي عميق حول القلق والخوف	١٧٢
رابعها	بحث قرآني في أقسام الخوف	١٧٧
خامسها	بحث روائي في كون المومن بين الخوفين	١٨٠
سادسها	كلام علمي واجتماعي وأخلاقي في آثار الخوف	١٨٣
سابعها	بحث قرآني حول الخوف والايمان	١٨٨
ثامنها	كلام في أخوف الناس وأعرفهم بالله جل وعلا	١٩٢
تاسعها	كلام في خوف الحسنين عليهما السلام	١٩٦
عاشرها	كلام في خوف سيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام	٢٠٠
الحادي عشر	الدعاء والخوف	٢٠٧
الثاني عشر	نكات ولطائف حول الخوف	٢٠٩
الثالث عشر	درر حكم ودرر كلم حول الخوف	٢١٣

فهرس ماجاء في تفسير سورة يس

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: في عناوين تفسر السورة وفيها ثمان عشرة نكتة

		رقم الصفحة
الاولى	فضل السورة وخواصها	٢٢٢
الثانية	غرض السورة	٢٢٥
الثالثة	حول النزول	٢٢٦
الرابعة	القراءة ووجهها	٢٣٣
الخامسة	الوقف والوصل ووجهها	٢٣٤
السادسة	حول اللغة	٢٣٦
السابعة	بحث نحوي	٢٦٢
الثامنة	بحث بياني	٢٧١
التاسعة	إعجاز السورة	٢٩٢
العاشرة	حول التكرار	٣٠٠

		رقم الصفحة
الحادية عشر	حد القياس	٣٠٢
الثانية عشر	بحث في الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه	٣٠٥
الثالثة عشر	بحث في الأقوال ومن المختار منها	٣٠٧
الرابعة عشر	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل	٣٢٥
الخامسة عشر	ذكر حملة المعاني	٣٤٩
السادسة عشر	بحث روائي	٣٥٣
السابعة عشر	بحث فقهي	٣٦٠
الثامنة عشر	بحث مذهبي	٣٦١

الفصل الثاني : في مواضع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها في سورة عبس، وفيها بصيرتان :

إحداهما ـ وفيها سبعة امور

		رقم الصفحة
الاول	القرآن الكريم والنبات	٣٦٤
الثاني	كلام في علم النبات	٣٦٧
الثالث	تحقيق علمي في أقسام النبات	٣٧١
الرابع	بحث علمي وإجتماعي في حكمة أنواع النبات	٣٧٤
الخامس	النبات ودرس التوحيد	٣٧٨
السادس	البخل وتوحيد الربوبية وسعة الرحمة الالهية	٣٨٢
السابع	بحث قرآني في أنواع الفواكه	٣٨٤

البصيرة الثانية : وفيها أمور ثمانية

		رقم الصفحة
أحدها	جهل بعض الصحابة بمعنى الأب	٣٨٨
ثانيها	كلام في أساتذة عمر بن الخطاب	٣٩١
ثالثها	جهالات بعض الصحابة	٣٩٣
رابعها	كل الناس أفقه من عمر بن الخطاب	٣٩٩
خامسها	جهل بعض الصحابة بكتاب الله المجيد	٤٠٥
سادسها	رأى عمر بن الخطاب فيمن قال: إني مؤمن	٤١٧
سابعها	جهل بعض الصحابة بالأحكام الشرعية	٤١٩
ثامنها	إرجاع إلى الجهال وهناك قرآن ناطق	٤٢٥

فهرس ماجاء في تفسير سورة التكوير

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة مسرة:

		رقم الصفحة
الاولى	فضل السورة وخواصها	٤٣٠
الثانية	غرض السورة	٤٣٢
الثالثة	حول النزول	٤٣٣
الرابعة	القراءة ووجهها	٤٣٦
[illegible]	الوقف والوصل ووجهها	٤٣٨
السادسة	حول اللغة	٤٣٩
السابعة	بحث نحوي	٤٥٧
الثامنة	بحث بلاغي	٤٦٣
التاسعة	إعجاز السورة	٤٧٩
العاشرة	حول التكرار	٤٨٢

		رقم الصفحة
الحادية عشر	حول التناسب	٤٨٥
الثانية عشر	بحث في الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه	٤٨٩
الثالثة عشر	تحقيق في الأحرف وبيان المختار منها	٤٩٠
الرابعة عشر	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل	٥١٣
الخامسة عشر	ذكر جملة المعاني	٥٣٥
السادسة عشر	بحث روائي	٥٣٩
السابعة عشر	بحث فقهي	٥٥١
الثامنة عشر	بحث مذهبي	٥٥٢

الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية و المعارف الاسلامية المسحوت عنها في سورة التكوير و فيها

البصيرة الواحدة : وفيها سبعة امور

		رقم الصفحة
الاول	تحقيق في دفن البنات أحياء ، قبل الاسلام	٥٥٧
الثاني	كلام في حالات البنات والنساء قبل الاسلام	٥٦٥
الثالث	بحث علمي واجتماعي واخلاقي حول المرأة في الاسلام	٥٦٩
الرابع	تحقيق علمي في المعابر بين الرجل و المرأة في الاسلام	٥٧٢
الخامس	عصر الفساد والجاهلية الاخرى	٥٧٨
السادس	المرأة المسلمة في تاريخ الحياة وفي الجاهلية المعاصرة	٥٨٣
السابع	المرأة المؤدة في عصر التمدن	٥٩٠

PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY